ديوان
بدوي الجبل

مقدمـــة

بقلـم : اكـرم زعيتـر

اقدم الى العربية ديوان شاعرها بدوي الجبل .

وعلى ان العبقـرية الشاعـرة من صنـع اللـه ، ونفحة العليّ الأعلى ، فان منجمها البيت الـذي فيه نبتَتْ ، وصيقلها البيئة التي فيها ترعرعت ، فالشيخ سليمان الأحمد كان من اعلام الديار الشامية فقهاً ولغة وأدباً ، وهو في الجبل العلوي ، في قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية ، مبجّلٌ في قومه ، وبيته مثابة لرواد الفضل ، يُرتَّل فيه القرآن ، ويُجَوّد الشعر ، ويَنظم الشيخ المتصوف في الحكمة ، وبعض مرامي الشعر الشريفة ، تساعفه قريحة ثرة . والولد (محمـد) ما تتلمذ في حداثته لمدرسة ابتدائية في الجبل وإعدادية في اللاذقية على قدر ما تتلمذ لأبيه في ديوانـه الـذي تعبـق فيه طيوب الشاعـرية ، حتـى ليجـيء اولاده الثلاثة : محمد واحمد وفاطمة شعراء .

وكان محمد وقدة ذكاء ، يتلقف في الديوان كل

سَريّ من نظيم ونثـير ، ويختزنـه في مستـودع اللاوعي ، لترفِد مفرداته بعد ذلك ذهنَـه السخـي ، وقريحته المخصاب بالبيان الأجمل .

ولا يرى الفتى النابغ في وطنـه إلا ما ينـمُّ على القهر ، وما يشير الى الفقـر ، ومـا يُضرب مثـلاً في الاعتساف ، ولا سيما في سنـي الحـرب العجـاف ، ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع همسات الأسى ، وهمهمات التذمـر ، ودبيب الأمانـي . . . أمانـي الخلاص ! ثم تلمح بوارقه في ثورة الشريف الحسين ابن علي امير مكة ، فتموج بالمطامح القومية ثم تتنوّر إشراقة المجد في الموكب الفيصلي ، يهل على دمشق ، والعـربية تُبعـث من مرقدهـا ، تتلظّـى بالأنفـة والحمية . . فيبادر الى دمشـق يُنشِـدُ انديتهـا بواكير شعره ، وقد احبها ، وثبت على حبها وفضّلهـا على بلاد العالمين .

وكان « متصرف » الـلاذقية حـين احتلهـا الفـرنسيون ذلك العربـي الكبـير ، رشيد طليع ، الذي غدا في العهد الفيصلي وزيراً للداخلية ، وقد توثقت بينه وبين الشيخ سليمان آصرة صداقة ، وشام في الفتى « محمد » مخايل النجابة ، فلما ثار الـزعيم العلـوي الشيخ صالـح العلي على الفـرنسيين ،

*

واخـذت الحكومــة الفيصــلية تُظاهــر الحــركات التحررية ، واتفق الرأي ابتغاء التـوثيق والتنسيق ، على الاتصال بالشيخ الثائر في مقره الجبلي ، رشـح رشيد طليع لمرافقة الوفد فتانا محمداً لنجابتـه ولمنزلـة ابيه ، وحين عاد الوفد موفقـاً ، قدَّم رئيسـه يوسف العظمة ، وزير الدفاع الفتى محمداً الى الملك فيصل منوِّهــاً به ، فشــكر له الملك جهــده ثم واصــل اتصالاتـه ، ممـا جعـل الفــرنسيين يحتقــدون عليه ويتربصون به .

وكانت الفاجعة ، واقتحم الفـرنسيون دمشـق غزاةً عُتاةً بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمـة ، ذاك الـذي مجَّـد الشاعـرُ الفتــى بطولته ، وشدا شهادتَه ، وأهدى بواكير شعره « الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبـودية وعلى الحياة » . وعلم الشاعر ما تُبيِّته الإحنة الفـرنسية ، فلاذ بحمى البطريرك العربي ، الشامخ الـوطنية ، غريغوريوس حداد واستخفى في بيت صديق ثم يمم حماة ماشياً علَّه يتسلل منهـا الى معتصـم الثـوار في الجبل ولكن الفرنسيين اهتدوا الى مخبئه فاعتقلـوه ، وأدموا قدميه ضرباً ، ومعصَـمَيْه تكبيلاً وتشـغيلاً ، وقد رأى في السجـن كيف تستبـاح ارواح ، وكيف

يُصلب مجاهدون ، ثم سيق الى حمص فبيروت حيث مكث في سجنها اشهراً ، فاللاذقية حيث لبث في قلعتها حيناً ، ولما أُطلق كان التنكيل به قد احتفر في خواطره اخاديد من الذكريات الراعبة .

ولعل الشاعر ، وقد اوهى الاضطهادُ جَلَده ، وأعيتْهُ مناهضته ، جنح الى مهادنة المحتل حيناً ، ولكن ما اسرع ما استغفرالله وَهْناً المَّ به واستجاب للصارخة القومية ، يوم نُفخ في صور الوحدة السورية ، لم يفزع من ترهيب ولم يخضع لترغيب . كلاّ ، بل إنه انتمى الى الكتلة الوطنية منغمراً في حياة تنذر بصنوف المصاعب والوان المتاعب هاتفاً :

« ويا ربِّ : درب في الحياة سلكته
وما حدتُ عنه لو عرفت المغيَّبا »

وعرفته البرلمانات الوطنية نائباً يمثل عروبة جبل العلويين من أنسال غسان وتنوخ . وغاظ الفرنسيين والسنتهم هذا فعيَّرته صحيفة في بيروت بموقفه فأجاب إنه بحمد الله قد جهر بالوطنية وهي جذوة تحرق كف لامسيها ، وبكلمة الوطن قوية ، والهمس بها - خَلِّ الجهر - يكلف السجن والتشريد .

*

وراح الشاعر الوطني ينافح عن وحدة الوطن ويقارع دعاة التجزئة في غير هوادة ، ولياً حمياً لهامات الوطنية من زعمائها . يجلي في العُسر والمغرَم ، ورُواء الوطنية وحدهُ هو اليسر والمغنم ، وقد سمعه البرلمان ينافح عن وحدة الوطن الشامي وتمتد دعوته الى الوحدة العربية وفي مصرع الملك غازي اذكر انه وقف يقول : « إن الشام التي تنوء بالف جرح وجرح من الحراب فلا تئن ولا تشكو بل تزداد عنفاً وكبرياء ، هذه المدينة الأبية على الخطوب ، المتنمرة لعوادي الزمن يخونها الصبر فيك يا ابن فيصل فتجزع وتبكي ، وفي وسع الذين تكبرت دمشق على طغيانهم فما ارتهم دموعها أن يقولوا : لقد رأينا دمشق تبكي » .

وحين خاس الفرنسيون سنة ١٩٣٩ بالوعد ، ونكثوا العهد وتقوَّض الحكم الوطني ، وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفُراتية بالانفصال ، ظل البدوي واخوانه يذودون عن الوحدة . ثم أَسقَطَتْ الحربُ الحَصانةَ عن النواب ، وأيقن الشاعر انه ليس بمنجاة من غدر الفرنسيين ، فقطع البيداء لائذاً بالعراق . وأذكر أنني كنت في عملي ، موجهاً قومياً في معارف العراق ، حين

*

باغتني البدوي ، اشعث ، أغبر ، قد أضناه السفر ، ونهكته الوعثاء . . . ولكن ما اسرع ما انبسطت اساريره باللقاء ، واطمأن الى النجاء ، وانشرح صدره بالاحتفاء ، وتباشر الأدباء وحملة الفكرة القومية بقدومه . وفي العراق نظم دموع الشام شعراً ، وهز ساسته ، واستثار حميتهم لنجدة إخوانه الأحرار المصفَّدين في غيابات سورية ولبنان ، وسمعتُه وقد امتلأت نفسه بالحنين الى والده ، يخاطب رسولاً ميمماً ارض الشام :

« وانزل على خير الابوة رحمة
تسع الحياة وعفة وصلاحا

وأطِلْ حديثك ، يستعده تعللا
بالذكر : لا لتزيده ايضاحا

واذا الحَّ فللحَنان عذوبة
في مقلتيه تحُببُ الالحاحا

يشكو السقام ، فإن هتفت امامه
باسمي تهلل وجهه وارتاحا »

وحين انتهت ثورة الجيش العراقي على الانكليز ، تلك الموسومة بالكيلانية سنة ١٩٤١

*

وكانت للبدوي مشاركة إعلامية فيها ، عاد الى سورية فاعتقله الفرنسيون ، وزجوه في قلعة « كسَبَ » على الحدود السورية التركية ، ويا لوعة قلبه حين قضى ابوه الجليل وهو في المعتقل ! على ان الشاعر السجين قد أُلهم في محبسه من الروائع ما يُزري بكثير من قصائد الحبوس ، فلم يكد يستعيد حريته حتى نودي لرثاء البطل الثائر ابراهيم هنانو في حلب فراح يُفَجِّرُ طاقات شعره التي اختزنها منفياً او سجيناً .

وبالتزكية الجماعية غدا الرجل نائباً للاذقية ، وظل نائباً ما بقي الحكم الوطني المدني .

وفي هذا الآن استقلت سورية وتحقق الجلاء ، فغنَّى الاستقلال وشدا ابطاله ، وندب شهداءه .

وفي ذكرى « هنانو » وكنتُ رصيفه ، ارسل قصيدته ، ذات العنفوان ، عنفوان ذوي القدمة في النضال :

« كتب المجد ما اشتهت غرر المجد
ونحن الكتاب والعنوان
نحن تاريخ هذه الأمة الفخم
ونحن المكان والسُّكان

*

من غوالي دموعنا العطر والخمر
ونعمى دمائنا الارجوان

قد سقينا من قلبنا الموت حتى
نبت الضرب في الربى والطِّعان »

وفي قصيدة اخرى ، اهداها الى روح هنانو ، هي قصيدة الاباء والكبرياء ، لا يحجبها سجنٌ ولا يُعَفيها قبر :

« اذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة
ففي نفسه دنيا هي العز والكبر

وان حجبوا عن عينه الكون ضاحكاً
اضاء له كون بعيدٌ هو الفكر

فليلته صبح وعسرته غنى
واحزانه نُعمى وآهاته شعر

أُطِلُّ على الدنيا عزيزاً أَضمني
إليه ظلام السجن ام ضمنى القبر

وما حاجتي للافق ضحيان مشرقاً
ونفسي الضحى والافق والشمس والبدر
وما حاجتي للكائنات بأسرها
وفي نفسَي الدنيا وفي نفسَي الدهر

*

ونفسي لو ان الجمـــر مسَّ إباءَها
على بِشرها الريان لاحترْق الجمر »

وقـد تمثـل لي ، وانـا اسمعهـا ، ابـو الـطيب المتنبي : فحلب موطن سيف الدولة ، وحلب معقل هنانو ، والبدوي في تمجيد هنانو هو المتنبي في تعظيم سيف الدولة ، شَمَمَ انف وجزالة نظم ، وقوة بيان ورنين قوافٍ واوزان ، وقد خاطب شاعرنا بطلَه :

« نماكَ وسيفَ الدولة الدارُ والهوى
وغنَّـاكما انـدى ملاحمـه الشعر

وأُقْسِـمُ بالبيت المحـرم ما احتمتْ
بامنـع من كفَّيكما البيض والسمر

فإن تفخر الشهباء فالـكون منصت
وحق بسيفَـيْ دولتيهـا لهـا الفخر »

وقضت احـداث بتنحيتـه واخوانـه عن النيابـة والحكم فأصابه ما اصابهم من مغرم ، وقد انقذه من الاعتقـال محافـظ الـلاذقية يومئـذ ، سعيد السيد ، وكانت له قدم صدق في الحركة الوطنية ، حين تلقى امـراً بالقبض عليه فهـرَّبـه بسيارتـه الرسـمية الى لبنان .

*

على ان الشاعر ما لبث حتى عاد الى دمشق ، بعد ان تقشَّعت الغيمة ، وغدا وزيراً ممثلاً للحزب الوطني مرات ، ولكن احداثاً طارئة على نظام الحكم سنة ١٩٥٦ شـرَّدته وصفوة من اخوانه ست سنوات بين بيروت والآستانة وروما وفيينا وجنيف .

وفي مغتربه في العواصم الأوروبية الثلاث ، والبدوي يتنـزَّى الماً ـ والألم اقوى ملهمات الشاعر ـ اثرى ديوانَ الشعر العربي بخوالد من روائعه ، « فالبلبل الغريب » وقد نظمها في فيينا ، بث فيها حنانَه حفيده محمداً ، وما احسب ان شاعراً قال مثلها في حفيده ، ومطلعها :

« تغرب عن مخضوضل الدوح بلبل
فشـرَّق في الدنيا وحيداً وغرَّبا»

وفيها يهتف :

« تود النجوم الزُّهر لو انها دُمىً
ليختار منها المترفات ويلعبا
وعندي كنوز من حنان ورحمة
نعيمىَ ان يُغرى بهن وينهبا
ويوجز فيما يشتَهي وكأنه
بايجازه دَلاً اعاد واسهبا

*

يزف لنـــا الأعياد عيداً إذا خطا
وعيداً اذا ناغـــى وعيداً اذا حبا »

وأثـارت القصيدة شاعـر الشـام الكبـــير شفيق جبري فأرسل رائعته « بلابل دوح » :

« سـل الشـام من غنّـى حماهـا فأطربا
ومـــن راح يسقيهـــا الشراب المطيبا »

ورد البـدوي ـ وكان في جنيف ـ تحية جبـــري بمثلها : « حنين الغريب » :

« وفـــاء كمـــزن الغوطتـــين كريم
وحـب كنعمـاء الشـــآم قديم »

ومن بداعاته فيها :

« قـــد اختُصرت دنيا بقلبـــي وعالَمٌ
كما اختصر العلـــمَ الشـــتيتَ رقيم
وتوجَـــز في قارورة العطـــر جنـــةٌ
وتوجـــز في كأس الـــرحيق كروم »

ورنّحتني قصيدتـا البـدوي ومطارحـة جبـري فوصفت مشاعـري في سطـور ، وأرانـي اسـتجيب لداعي الإثرة فاقتطف من جوابـه لي قولـه : « وقـد كنتَ رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً وأنـا انظـم قصيدتـي

*

« البلبل الغريب » في فيينا ، وقصيدتي « حنين الغريب » في جنيف ، وكنت استشيرك في كل نغم واسارّك في كل الم ، وانتقي وإياك المفردات ، ونغيِّر هنا كلمة ، ونُبَدِّل هناك كلمة ، كما أنك رفيقي عند كل روضة مطلولة او رفَّة معسولة » .

وفي جنيف اضناه الحنين الى الشام ، فجاءت « ابتهالات » اعذب ما هتف به شاعر غريب ، ورقرق عيني قولهُ :

« هذا الأديم ابي وامي والبداية والمآب
وامومة وطفولة ورؤى كما عبر الشهاب»

وانهى « ابتهالاته » وقد تجاوزت المئة من الأبيات :

« انا والربيع مشردان
وللشذا معنا ذهاب
دنيا بقلبي لا تحُد ولا
تُراد ولا تجاب
والنور يسأل والخمائل
والجمال : متى الاياب ؟ »

فكتبت اليه : « حبذا غربة العبقري اذا هو نفح الأدب بمثل « البلبل الغريب » و « حنين الغريب » . . وكم ترنح بالنشوة اديب او ذوّاقة وهو

*

يرتِّل للعبقريين بنات محنتهم وثمرات شقوتهم ، على ان العبقري يثأر لنفسه حين يجعل الظالم هُزْأةً بين الناس في التاريخ ، وظُلْمَه مَخْزأة لاصقة به ، سبةَ دهر وعار ابد ! ويثأر لنفسه بما يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه » واجابني برسالة نابغة ، ويوم تلقيتها ، جاءتني رائعة للشاعر الكبير شفيق جبري مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وقد استحال نشرها لعنف ما فيها ، فبادرت الى ارسالها الى البدوي أجملَ هدية ، واوسمَ تحية ، وقد هتف به في مطلعها :

« يا نائحاً خلف العباب
أدموع عينك ام لُهاب
رفقاً بقلبك ان يذو
ب وقلب ربعك ان يُذاب ! »

وعاد الشاعر الى وطنه واستفزته هزيمة حزيران في فلسطين سنة ١٩٦٧ فأطلق عاصفته « من وحي الهزيمة » في مئة وثلاثة وستين بيتاً ، فيها براكين وصواريخ ، وفيها معارك وغارات ، وفيها دموع وآهات !! وذات صبح كان البدوي يمشي ، على عادته في الرياضة اليومية ، واذا بشرير يهوي على رأس الشاعر بطعنٍ دراك افقده وعيه ونقل محطماً الى

*

مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهودٌ موصولة للعثور عليه حياً او ميتاً ، ولكن انذاراً صارماً وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ اللواء حافظ الأسد للآثمين بإعادته فوراً ادى الى طرحه خفية في احد المستشفيات وهو يحُتضر ، ونمَّت ساعة يده عليه فبذلت جهود لانقاذه واستُنفر لذلك اطباء من سورية ولبنان حتى افاق بعد اربعين يوماً من غيبوبته ، وتماثل وئيداً وئيداً من علته ، فدُفعت عن تاريخ العربية مَعرَّة قتل شاعرها ، وليتها استطاعت ان تدفع مثل هذه المعرة قبل اجيال في مصرع ابي الطيب المتنبي . وقيل إن مدبر اغتيال الشاعر ، قد انتحر بعد حين ، فتذكرتُ ان آخر بيت في « وحي الهزيمة » هو :

« لم اهادن ظلماً وتدري الليالي
في غدٍ اينا هو المدحور ! »

* * *

كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة « الف باء » الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ، وحدث ان هز العالم نبأ المناضل الايرلاندي ، ماك سويني ، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في بلاده صياماً حتى الموت ، وسبك صلاة

لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ثم قضى صائماً ، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية ، وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، رأى قصيدته مذيلة بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فأجابه : « ان الناس يقرأون للشعراء المعروفين ولستَ منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب . . . وانت ابن الجبل » . وتوالت قصائد « البدوي » ونقلتها صحف في بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ . اهو خير الدين الزركلي ؟ ام هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الأحمد ! » وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون . . وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه ، ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨ لأجل فلسطين ـ وكنتُ فيها ـ كان يتلقى لكل اجتماع

او حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيتهما : « سعادة النائب محمد سليمان الأحمد » . . ومما اذكره توكيداً للقول إن نفاسة الشعر تعلن نفسها،ان مجلة « الهلال » المصرية ، نشرت ابياتاً من الشعر عزتها خطأ الى سيدة ، وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الأبيات المعزوة الى سيدة لم يسمع بها فكتب الَّي من باريس : « هذه الشاعرة الساحرة تسجد امامها قوافي الشعر ، ويحني هاماتهم شعراء العصر . ادعو لها بطول العمر ! » وكنتُ اعلم ان تلك الأبيات من قصيدة « اللهب القُدسي » لبدوي الجبل . وما لبثتْ المجلة حتى صححت أغلوطتها ، ولكن عبارة صيدح جاءت على وجازتها تقويماً عفوياً لشعر من شاعر .

* * *

اصبح « بدوي الجبل » هو الاسم ، ولكن اللقب الذي اشتهر به البدوي هو « شاعر العربية » وله حكاية : فقد استشهدتُ في خطاب لي في مهرجان الجلاء عن لبنان سنة ١٩٤٦ ، ببيت « لشاعر العربية » ، من دون ان اسميه :

« الزغاريد فقد جُنَّ الإباء
من صفات الله هذي الكبرياء »

ثـم لقيت في القاهـرة استـاذي ، اسعـاف النشاشيبـي ، وكان يلقـب « بـأديب العـربية » فسألنـي : « مـن ذا الـذي اطلقـت عليه « شاعـر العـربية » ؟ فأجبـت : انـه « بـدوي الجبـل . . » فتطلّق وجهه وقال : « إي والله ، انه اجدر شاعـر بهـذا اللقـب . . اي واللـه . . » فقلـت : « وهـل « يكرّس » اديب العـربية وإمامهـا هذا اللقـب ؟ » فبادرنـي الى القـول : « . . وانقـل اليه هذا . . » وفعلت ، فكتب البدوي إلـيّ : « اما شهـادة امـام العربية الأكبر ، إمامنا النشاشيبي ، فهي والله تعدل عندي كنوز الـدنيا . انـا اعلـم اننـي لا استحقهـا ولسـت في السـبيل اليهـا ، ولكنـه فضلـه وتفضلـه ورعايته لي وعطفه عليّ » . وفي اجتهـادي ان سراوة البدوي كلّفته هذا التواضع ، فهـو يعـرف قدره ، وكونه شاعـر العـربية ويصـون شعـره عن رخيص المنزلة وهو القائل :

« الخالدان ـ ولا اعد الشمسَ ـ شعري والزمان »

والقائل :

« كل مجـد يفنـى ويبقـى لشعري
شـرف بـاذخ ومجـد اثيـل »

وأذكر انني صاحبتـه الى بغـداد سنـة ١٩٥٣

*

مُلبيين الدعـوة الى الاحتفـال بتتـويج الملك فيصـل الثانـي رحمـه اللـه ، وفي قصيدتـه في الحفـل مجّـد الشعر :

« ايطمــع الشعــر بالاحســان يغمره
والشعــر يغمــر دنيا اللــه احسانا
لو شاء عطّــر هذا الليلَ غاليةً
ونضرَّ الرمــل صهبــاءً وريحانا
لو شاء نمنــم هذا النجــم قافية
ونغّــم الفجــر احلامــاً وأوزانا
لو شاء انــزل بدر التِّــم فاحتفلت
بــه الندامــى سراجــاً في زوايانا
ولو سقى الشــمس من احزانـه نديت
على هجــير الضحــى حبــاً وتحنانا »

وأنهى قصيده بأبيات غدت نشيد الثار تُطلقهـا لهوات الأحرار :

« ويل الشعوب التي لم تسقِ من دمها
ثاراتهــا الحمــر احقــاداً وأضغانا
والحـق والسيف من طبـع ومـن نسب
كلاهما يتلقــى الخطــب عريانا
ما في العـراق ومــا في الشــام موعدنا
على الثَّنيَّةِ من حطــين لقيانا !»

*

ولما عدنا من بغداد جاءه من رئيس الوزارة العراقية ان الحكومة انعمت عليه بوسام من الدرجة الثانية ، فرد الوسام مع رسالة تقريع بُصمي ، ولما حُلتُ دون نشر الرسالة في الصحف مؤثراً تدارك الأمر بهدوء ابرق الي : « ارجو الا يخامرك شك في عزمتي وتصميمي ، فوالله ما تغير إبائي ، ولا حالت كبريائي . . » ثم اعتذر الرئيس ، بل جاء الوسام الأرفع يعتذر في استحياء ! وما اكثر ما قال البدوي وكتب الي : « لا بارك الله في الساعة التي جرَّني فيها الضعف الانساني الى النيابات والوزارات » وردد :

« إني أُكرِّم شعري في متارفه
كما تُكَرَّمُ عند المؤمن السُوَر »

* * *

وقبل ان أتحدث عن اسلوب البدوي في النظم وخصائص شعره وآرائه ، مما يتحتم ان يُدرج في هذه المقدمة أحب ان اشير الى امرين :

كانت العرب تقول لمن يهتف او يهذي بالشعر قبل ان يجيده : إنه يقرزم ، وأشهد ان البدوي طلع على الدنيا شاعراً مجيداً ، وما عرفه الشعر قرزاما ، وانت اذا قرأت بواكير شعره رأيتها متينة السبك ، رائعة المعاني . . وأذكر انني استظهرت قصيدته في

مقدم الشريف الحسين بن علي مدينة عمان ، وأنا تلميذ ، وقد نظمها في صدر يفاعته ومطلعها :

« الف اهلاً بأمير المؤمنين
سيد البطحاء والبيت الأمين »

وحق للشاعر الكبير بشارة الخوري ان يقول يومئذ : « إن شعر البدوي ارجح من عمره » وللعلامة الشيخ عبد القادر المغربي ان يكتب : « إنه الشاعر الذي تمرد على ناموس التدرج » .

ولو ان الأصمعي القائل في شعر ابي العتاهية : « إنه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب » استشف ما سيبدعه البدوي لهتف : « هذه ساحة لا خزف فيها ، انها سوق الذهب واللؤلؤ والمرجان » .

درس شاعرنا في ديوان ابيه وحفظ ووعى شعر قدامى الفحول كالمتنبي ومهيار والرضي والبحتري وابي تمام و « حماسته » ، ولكنني أقطع بأنه شبيه بذاته ، له كيان شعري مستقل بأدواته ، ديباجةَ وخيالاً ، ومعاني ونغماً ، وقد يقال في شعراء مجيدين إنهم متأثرون بالبدوي ولا سيما بعد أن يذهب زبد الشعر الطِلَّسْمي المتفشي جفاء ، ويمسي هباء ! على

أن شاعرنا تأثر في نزعته الصوفية بجده الأكبر ، الشاعر العلوي المتصوف الأمير حسن بن مكزون السنجاري .

قلت : إن مدرسته ديوانُ ابيه ، وأشرت الى الشعراء الذين قرأ شعرهم ووعاه ، ويهمني ـ وثقافة الشاعر عنصر في خصوبة ذهنه ـ أن أقول : إنه درس القرآن والحديث والنهج وأوغل في مطالعة كتب الأدب العربي كالأغاني والأمالي وآثار الجاحظ والتوحيدي ، وإذا حرم معرفة لغة اجنبية فقد عبَّ المترجمات العربية من آداب واجتماع وتاريخ ومذكرات وروايات ، وأذكر أنه قرأ مترجمات شقيقي عادل في الفلسفة والتاريخ والاجتماع وأشاد بها أي إشادة .

* * *

لي مع الشاعر تجارب أذكر منها إثنتين تدل ـ وهو المطبوع ـ على أنه لا يصطنع الشعر اصطناعاً ، ولا يملك أن يقول الشعر ساعة يشاء ، وأن الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وقد يمضي وقت طويل ، لا ينظم فيه بيتاً ، وقد يُرسل ثلاث قصائد في شهر واحد ! وإذا سألته : لمَ ؟ قال : « الإرادة بنت العقل ، والشعر ترجمان القلب . . . إذا لم يجئني

الشعر عفواً ، تعذَّر على استحضاره اقتساراً » . وقد أدركتُ أن دواعي المنطق لا تجدي إن لم يكن ثَمّ حافز عاطفي مثير . . . وشرارة تستوقد القلب . . وحين يهتف بالمطلع متأثراً ، قد يسلس الشعر قياده ويغدو الكلام غير ما وصفه « ابو حيان » : صلفاً تياها .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمان باريس ، قرر نادي « المثنّى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي أطلق الحسين بن علي رصاصتها الأولى ، وأردناها تظاهرة عربية وحدوية ومناسبة لتجميع القوى القومية والدعوة الى التخطيط للمستقبل العربي ، ومواجهة الأحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجوت البدوي أن يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فألححت في الرجاء فأصر على الاعتذار ، فهامست نفسي : « لا بد من إثارة عاطفية تحُلُّ عقدة من لسان الشاعر ! » وانطلقتُ اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية . . . فرطت في إسكندرونة . . دمرت دمشق . . أنت هنا مشرد تترشف رزقك مدرساً ، وأبوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة ألا يراك . . ، اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها . .

*

الجزائر ، المغرب ، تونس . . . ما فعلَتْ فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم أن يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما أذاقتنا ؟ وأبو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم مجحوداً ، وقبراً في جوار الأقصى ، وفي ذكرى الثورة أنت أنت الذي تنصفه ميتاً كما انصَفته حياً » وعلى هذه الوتيرة استرسلت متأثراً ، الى أن برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة ، او هي كلماتها النثيرة ، ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف يهمهم . وأرق تلك الليلة . . وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت أبصار الحشد في النادي الى البدوي وأُرهفت الآذان . . . فانطلق :

« يا سامر الحيِّ هل تعنيك شكوانا
رقَّ الحديد وما رقوا لبلوانا
خلِّ العتاب دموعاً لا غناء بها
وعاتب القوم أشلاءً ونيرانا »

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

« إني لا شمت بالجبار يصرعه
طاغ ويُرهقه ظُلماً وعدوانا

*

سمعتُ باريس تشكو زهـو فاتحها
هــلاّ تذكرت يا باريس شكوانا

عشرين عاماً شربنا الـكاس مترعة
مــن الأذى فتملىّ صرفهــا الآنا »

ووصف الثورة العربية ، وقائدها ، وكتائبها ، وصحراءها :

« وللجياد صهيل في شكائمها
تــكاد تشربــه الصحــراء الحانا »

واذكر انني رأيت في اليوم التـالي على لوحـة في احد صفوف دار المعلمين ببغداد هذا البيت :

« تغضي على الـذل غفرانـاً لظالمها
تأنّـق الــذل حتــى صار غفرانا »

وقيل لي : إن الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، استـاذ الادب العربــي (رئيس المجمــع العلمــي العراقي اليوم) هو الذي كتب البيت على اللوحة ، منوّهاً بجماله الشعري ، حاثاً الطلاب على استظهار تلك القصيدة .

وقد هُرِّبــت القصيدة الى الأقطــار العــربية فتغلغلت في بلاد الشام وغيرهـا ، وقيل إن الـزعيم

التونسي ، الحبيب بورقيبة فوجىء بها تتسلل الى زنزانته في جزيرة الشيطان بافريقية .

وفي الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد الزعيم العربي اللبناني رياض الصلح قرر اخوانه الاحتفال بتأبينه ، وقد تفجع عليه عرب المشرق والمغرب ، ودُعي خطباء وشعراء من المغرب ومصر والعراق ولبنان وسورية الى رثائه ، وإلى كوني المنتدب للقول باسم فلسطين ، فقد رجوت البدوي ان ينظم مشاعر سورية والعرب شعراً ، رصيفاً لشاعره اللبناني الأثير امين نخلة ، فأجابني ، وقد بدت عليه ربكة : « آه . . رياض ، من كرياض ؟ لكنني لا ادري هل يأتيني الشعر بعد ساعة او يوم او اسبوع . . ويمكن الاّ يأتيني ابداً ، فإذا رضي عليَّ آله الشعر او شيطانه ـ لا ادري ـ اديت الواجب نحو عظيمنا الراحل ، وإلا فمعذرتك والاخوان وعفوكم » . واقترب الموعد ولمّا يساعفه الالهام . . ثم حدث ان توفي في بيروت صديق البدوي ، الوطني الكبير عادل العظمة ونقل جثمانه الى دمشق وودّعه على الحدود شقيقه الكبير المجاهد نبيه العظمة ، لأنهما كان محظورا عليهما دخول دمشق ! ودخلها عادل جثماناً بعد ما حرمها عياناً ، وكان موكب التشييع الى المقبرة متواضعاً مما

شجا الشاعر وتذكر ـ والشجا يبعث الشجا ـ مصرع رياض في عمان وعودته جثماناً الى بيروت ، وانبجست الذكريات دموعاً . . . وهنا بدأ يهمهم بالشعر ، وواتاه المطلع الأروع :

« لا تسلها ، فلن تجيب الطلول
المغاوير مثخن او قتيل

موحشات يطوف في صمتها الدهر
فللدهر وحشة وذهول

غاب عند الثرى احباء قلبي
فالثرى وحده الحبيب الخليل »

وراح يومين في غيبوبة شاعر ، يختمر فيهما الحزن شعراً ، مجدّ فيه رياضاً وهوى بمقامع من بيانه على الذين اغتالوه واستبكى الأمة والتاريخ ، وتمثل عادل العظمة مكفّناً :

« الذي شرّدته عَنْكِ المعالي
آب وهو المكفَّن المحمول

مثخن بالجراح يهفو الى الأمّ
فأين الترحيب والتأهيل

*

ضنّت الشام بالوفاء علينا
طلعة سمحة وود بخيل »

وتذكر مصارع رفاق رياض : سعد الله الجابري وعادل العظمة ونجيب الريس وكانت آهة الختام في الملحمة المأتم :

« اين اين الرعيل من اهل بدر
طُوِيَ الفتح واستُبيح الرعيل »

* * *

يمتلك البدوي أدوات الشعر العالي : الخيال واللفظ والعاطفة واللغة والنغم او الموسيقا . والأسلوب هو الذي يوائم بينها . خياله يتسم بالجدَة والطرافة والعمق . إنه مخترع أخيلة ، والفاظة أنيقة مصطفاة ، فصيحة ، تساير الأخيلة والمعاني شرافةً وجزالةً او رقة ولوناً ، وكأن لها ارواحا ، كما يقول سيد قطب . وعاطفته ذات سراوة ولغته متينة وفي بحوره وأوزانه ايقاع موسيقي يناسب الموضوع ، فللعاصفة او البركان بحر يختلف عن السلسبيل الرقراق . ثم إن الديباجة الجميلة كديباجة البدوي تجعل من المعنى المتداول شعراً ، وفي شعره حكمة . . والشعر إذا نبع من القلب لا غنية له عن العقل او الفكر ، وشعرنا العربي لا يستكمل مراميه إذا تجرد عن الحكمة ، وقولك: إن المتنبي حكيم لا

ينفي عنه عظامة شعره . وقد طعّم دانتي وغوتيه وشكسبير شعرهم بالحكمة ، وصاحبنا البدوي كثيراً ما سكب الحكمة في قوالب من جمال اللفظ وروعة النغم معتبراً ان الحقائق مظاهر جمال في الكون ، ولكنه على اي حال مع العاطفة قبل المنطق ، ويرى رأي قدامى النقاد أن الحكمة في الشعر لا يجوز ان تكون إلا كالملح في الطعام . كما انه جعل من اغراض شعره استثارة الحس الوطني والذياد عن الاهداف القومية العليا ، شأن من يستودع قلبَه ضميرَ وطنه ، فيجيء شعره صورة فنية لخواطره وهواجسه ونبضات فؤاده ، وهنا قد تُفتقد وحدة قصيدته في الرثاء مثلاً ، ذلك لأنه حين يرثي مجاهداً وطنياً تراه يثب الى الحديث عن وطنه وأمته ، ويقحم آراءه الوطنية في اتساق ويسكب روحه الثائرة في ابيات ثم يعود فيبدع الختام ابداعه المطلع .

* * *

ومراثي البدوي ليست مما الفناه نحيباً وتعداد محاسن ، ولكنها تقري الأخيلة بصورة اخاذة لاخوانه الراحلين ، تجُمِّل اللوعة ، وتضفي على الحزن وسامة وسحراً فسعد الله الجابري :

« طلعة تفرح العيون وتسبيها
وتغزو القلوب كبراً ومجداً

بدعـة الظـرف والأنـاقـة يرضيـك
دعـابــاً عفّــاً ويرضيـك جِدا

تنهــل العــين من بشاشــة سعد
ريهًّـا ، والعيون تـروى وتصـدا

متـرف في رجولــة واعتـداد
راع زياً وراع وجهــاً وقدا »

وابراهيم هنانو :

« ضاوٍ من السقم ضجت في شمائله
عـواصف الحـق والأمــواج والزبد

اذا اثيـر نضـا عنــه مواجِعَهُ
كمـا تفلّـت من أشراكـه الأسد

يـروع في مقلتيـه بـارقٌ عجـب
وعـالـم عبقـري الســحـر منفـرد

يغالــب البِشرُ ، اسقامــاً نزلن به
ابـى له الكبـر ان يأسى لهـا احد »

وفارس الخوري :

« ولــه الطـرفـة المليحــة تغنـي
عـن نقـاش وتُســكـت المنطيقـا

وبيان تخالــه الــوشي والأطياب
شــتى ، واللـؤلـؤ المنســوقا

فيه عمــق البحــار تزخــر بالدر
وفيـه متــارف المـوسيقــا

وضمــير نديان يسرف في الحسِّ
فيجــزي حتــى الخفــيَّ الدقيقا »

* * *

قلت إن استثارة الحس الوطني والدفاع عن الأهداف القومية من اغراض شعر البدوي ، وهو داعية الحقد الوطني على المحتل الظالم ، فما يُذكي مقاومة الغاصب مثلُ هذا الحقد ، الذي أدعوه (الحقد المقدس) :

« آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا
وأبعــد اللــه إشفاقــاً وتحنانا

ويل الشعوب التي لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر احقاداً وأضغانا »

والفواجع والهموم والأحزان القومية مذكيات للعزائم ، حافزات للثار ، واذا كان للمؤ رخ تويني نظرية التحديات في أحداث التاريخ ، فالرزايا الوطنية هي اعنف التحديات في شعر البدوي :

« وقد عرفتُ الـرزايا وهـي منجبة
فـكيف لم تلـد الجُلىَّ رزايانا

يا وحشـة الثـار لم ينهـد له احد
فاستنجـدِ الثـار أجداثـا وأكفانا »

« الطالعـون على الـدنيا بنصرهم
لولا الفواجع هل شدوا وهل نهدوا

اذا ونـوا راح يُذكي من عزائمهم
حـزن هو القـوة الشهبـاء والعدد

اما الشعوب وقد ضجت عواصفها
فصاحب النصر فيها الثاكل الحرد »

واما الحقد الشخصي فما اسرع ما يغسله الأسى ويمحوه الحنان :

«غسـل الأسى قلبي وحسبك بالأسى
من غاسل حقد القلوب وماحي

ووددت حـين هوى جنـاح حمامة
لو حلّقت من خافقـي بجنـاح . »

واذا استشرى حقده على خصوم عقيدته رشقهم بسهمه :

*

« عصابــة شر راح يبــرأ منهم
الى الله ـ ابقاءً على نفســه ـ الشر »

ومـن سمات شعـره القومـي دعـوة ملحــة الى الوحدة العربية ، وأذكر اننا تراصفنا في تأبين غازي وهنانو ورياض وفي ذكرى الثورة العربية في بغداد وبـيروت ، فكان في قصائـده كلهـا داعية الوحـدة العربية .

وقد مادت القاعة وهو يقول في رثاء غازي :

« وبيمنــاه راية الوحــدة الكبرى
فميدي يا رَاية اللــه ميدي »

وفي تلك الملحمـة الشعــرية دوت الصارخــة القومية :

« لا تسلني عن الشـآم فقــد حز
بجيد الشــآم عض الحديد

فتنمَّـرْ واغضــب لقومــك وارجُم
بالشــهــاب اللّماح كل مـريــد

واغـزُ بالجيـش قبـة الفلك الدائر
واقحــم به عــرين الاسود »

وانتهى الى ما اتخذناه شعاراً قومياً :

« ليس بين العراق والشام حد
هدم الله ما بنوا من حدود »

وله :

« يا بُناة الحدود ، لا تعرف الصح
راء في زحمة الأعاصير حداً »

وفلسطين ، قضية العرب الأولى ، هوذا شاعر العربية يثير النخوات ، ويؤجج الثارات ، يُبكّتُ ويندِّد ، وينذر ويهدِّد :

« قد استرد السبايا كل منهزم
لم تبق في رقِّها الا سبايانا

وما لمحت سياط الظلم دامية
إلا عرفت عليها لحم اسرانا

ولا نموت على حد الظبى انفاً
حتى لقد خجلت منا منايانا »

وفي أغرودة الجلاء عن سورية :

« يا فلسطين هوى مستعر
من ربي الشام ونصر وولاء
وتحيات الرضى من دجلة
وسلام الله من غار حراء »

*

« ايـن من ثـأرك والثـأر دم
خـــالـد الفتـــح وايـن الامـراء »

والايمان :

« يصـــنـع الـــدنيـا ولا تصنعهـا
صـور العقـــل والـــوان الدهاء »

وفي رثاء سعد الله :

« اســـلـــم القـــدس مـن يحـج
الى القدس ويتلـو الانجيلَ وِرداً فوردا

ضج سوقُ الـــرقيق في ندوة القوم
ونخاســـهُ طغـى واستبـــدا

غيرةَ الله ، ايـن قومي وعهدي
بـهـــم ينهـــدون للشر نهـــدا ! »

ولكنه في صارخته الصادعـة « وحـي الهزيمـة » وقد نيَّفت على مئة وستين بيتاً جاء بالعجب العاجب في التنديد بحاملي هزيمة ١٩٦٧ ومحتقبي اوزارها ، فالمسجد الأقصى :

« لـم يرتـل قرآن احمـد فيه
ويُـزار المبـكى ويُتلى الزبـور

*

طُوي المصحف الكريم وراحت
تتشاكى آياته والسطور
يا لَذل الاسلام ، لا الجمعة الزهراء
نُعمى ولا الأذان جهير »

وأنين اللاجىء المشرد :

« أنا حزن ..شخص يروح ويغدو
ومسائي من الأسى والبكور
حاملاً محنتي أوزّعها في
كل دنيا وشرها مستطير
الخيام الممزقات ، وأمٌّ
في الزوايا وكسرة وحصير
وفتاة اذلها العري والجوع
ويلهو بالرمل طفل صغير
كلما أنَّ في الخيام شريد
خجل القصر والفراش الوثير »

وقد ترجح أن هذه القصيدة هي التي أوشكت أن تودي بالشاعر ، وما أظن أن قصيدة تداولها الناس ـ إذا استثنينا قصيدة سقوط باريس ـ او حفظوها او استشهدوا بأبياتها مثل هذه !

* * *

وشعر البدوي ذو نغم رائع . . هذا النغم هو

الذي يسمو به عن ابدع اللوحات الزيتية لأكابر الرسامين ، ويميزه عنها ، انه يحُفظ ويرتّل ، ويُرنّم ويُنغّم ، ويرتسم في الحافظة فينشد ، وبه يُستشهد .

خذ قصيدته في لبنان وقد اهداها الى احمد شوقي اثر رائعته اللبنانية :

« الحسن فيك وهذه مرآته
بجمال ربك اشرقت آياته »

الا تحس بالايقاع ؟ الا يهز عطفيك خطابُ البدوي راثيّ الحمراء ، احمد شوقي في سينيته الاندلسية الخالدة :

« يا راثي الحمراء جلّ على البلى
صرح بدمعك سُطِّرت مرثاته

لو كان رب القصر يسمع ضيفه
لسعت إليك وفوده وهباته

او كان يدري القصر مَنْ في بابه
خلع البلا وازّينت شرفاته

ضحكت اليك جنانه وتخايلت
بالكاعبات البيض مقصوراته

ما عذره ، وهتفتَ في امواته
ألا تهب من الثرى امواته ؟ »

ومن العجب أن يقضي التجديد لدى البعض بتجاهل النغم ، وان يحتجوا بأن مدرسة شعرية في الغرب تقول بهذا ، وهم لا يريدون ان يدركوا ان الشعر العربي غير الأعجمي ، وبدوي الجبل الشاعر الضخم لا يكون شاعراً عربياً اذا هو تخلى في شعره عن النغم . .

والمفردات لدى البدوي غزيرة ولكنك لا تقع على غير مأنوس فيها ، على طول نفسه الشعري ، وقد عثرت على مفردة في قصيدته في ذكرى انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية :

« وخف الى ظلالك عبد شمس
يريح شجونَهُ ظمأى طلاحا »

وقبل أن أتساءل : ما الطلاح ؟ رأيتني أنتشي وأرتل مع الشاعر :

« جراح في سريرتكَ اطمأنت
لقد اكرمت بالصبر الجراحا

كأن الهمّ ضيفُك فهو يلقى
على القسمات بِشراً وارتياحا

*

وقبلك ما رأت عيني هموماً
مدلّلة واحزانا ملاحا

وقد تَردُ الخطوب على كريم
فترجع من صَباحته ، صِياحا »

وما أحسب أن اتساق اللفظ والمعنى ، ومواءمة جزالة المبنى لجلالة المعنى ، وفخامة الكلام لجسامة الحادث ، وقدرة الفن الشعري التصويري للبدوي يتجلى بأروع من قوله في تأبين هنانو :

« زحف البحر بالجبال من الموج
دراكاً وجرجر الطوفان

لطفَ الله بالسفينة لم يسلم
شراع ولا نجا سكان

تخبط الليل ، والعواصف والركب
حيارى ، دليلهم حيران

حولها اليمّ كالجبال واطياف
الردى والبروق واللمعان

وظلامٌ غمْرٌ رهيب فما
تبصر إلا الظنون والآذان

وعزيف للجن تنقله الريح
وادىً الأمانةَ الترجمان

*

وانطوى تحتها الجحيم ،
فللأمواج من حر ناره فوران
سخرت بالسفينة اللجّة الخـ
ـضراء واختار قبره الربان
واطمأنت الى القنوط فما
تلمح حتى بالخاطر الشطآن »

أما الرقة التي تناسب المعنى ، أما اللفظ الحاني الحنون ، العطوف ، فدونك رثاء سعد الله ومطلعه :

« سأل الصبحُ عن اخيه المفدّى
ايها الصبح لن تشاهد سعدا ! »

وناهيك بوصفه مرض سعد الله رقةً :

« ما رأى السقمُ قبل سعد حنانا
وحياءً من السقام ورفدا
كبقايا السيف اطمأنت الى الجفـ
ـن وراحت تبلى الهوينا وتصدا
روعة الشمس في الغروب ولا
أعشق للشمس عنفواناً ورأدا
يملأ المغرب العيون من الشمس
اذا ردَّها الضحى عنه رمدا »

*

نعم ان شاعرنا لا يفصل بين المعنى والديباجة ، وأذكر أنه سمعني يوماً اردد لنابغة الشعر العربي الكبير خليل مطران قوله معجباً به :

« كسالك وعرٍ راقه حسنُ كوكب
فأرجله تدمى وعيناه في السما »

فبادهني : الصورة رائعة ولكن هلاَّ قال :

« ومُنْفَرِدٍ في البيد أغرته نجمة
فأرجله تدمى وعيناه في السما »

واسلوب البدوي خال من التعقيدات اللفظية ، والمجازات المصطنعة ، وجماع القول فيه : جودة سبك ، إشراقة لفظ ، بداعة خيال ، متانة لغة ، سراوة عاطفة ، وعطور وطيوب وذكريات ، واغاريد وزغاريد ونعميات ، وجوامح وثارات ، ونجاوى وهمسات ، وهموم واطياف احبة ودموع وآهات ، وعمق في تصوف وابتهالات .

والى هذا فإن شعره يتنزّه عن التعمية والإلغاز ، وكما ان فيه السلسبيل الهنيء السائغ فإن فيه العميق ـ ولا اقول الغامض ـ الذي يحملك على التفكير والاندماج في القصيدة حتى لتتقمص روح الشاعر ، ومن عبقرياته في هذا الباب قصيدته

*

« بكيت على السراب » ولو ترجمت الى اللغات الأجنبية ، ـ والديباجة لا تُترجم ـ لاختالت على اترابها لدى الأعاجم ، فالسراب ، سرابها ، اريحيٌّ ، اشقر القسمات ، نديّ اللمح ورديّ الحباب :

« يزوّقُ لي الرمال جنى وظلا
ويغمز بالكؤوس وبالشراب
محا حقد الهجير على الصحارى
ووحدتي المريرة واغترابي »

ويخاطب نعمى القلوب ونعمى العيون :

« سرابكِ رحمة ومنى حسان
سكبن طيوبهن على عذابي
احث خطاي في اللهب المدمّى
الى افيائه الخضر الرطاب »

ثم يهتف :

« بكيت من السراب ، فحين ولىّ
وأوحدني ، بكيت على السراب
واشقاني اليقين فيا حنيني
الى الخدع المنضرّة السوابي »

* * *

ولعل آراء الشاعر في الشعر تفصح عن اسلوبه ، وصداقتنا الحميمة مكنتني من استبار مذهبه في قديم الشعر وحديثه : انه لا يؤمن بوجود مدارس شعرية فالشعر إما ان يكون رفيعاً او لا يكون ، ولا وسط ، وهناك شعراء لا مدارس ، والشعر المسمى بالحديث ، لا هوية له ، ولا يثبت على الزمان ما تخلى عن الاوزان وتنكر للطابع والروح العربيين ، وقد يكون الكلام فلسفة او حكمة ، وقد يكون رائع الخيال وقد يكون كل شيء الا ان يكون شعراً عربياً فيه وسامة الشعر العربي ونشوته . نعم إنه يفتقد الجمال الشعري لأن الأوزان عذوبة ونغم وجمال وعطر ، وهي هدية الله الى الروح . . والكلام الذي لا يلتزم قواعد العروض ليس شعراً والأوزان قد اتسعت وتتسع لنزعات النفس ، والخليل بن احمد لم يبتدعها ولكنه ضبطها ، وهي ليست صناعة ، وإنما تنسكب من السريرة انسكاباً ، ولا يكون التجدد في نسفها ، وإنما هو في ابتداع المعاني والأخيلة والصور مع الملم باللغة والأدب ، اجل « إن الأوزان اساور وعقود ، لا سلاسل وقيود ! » . والشعر في أوزانه أقرب الى العفوية من هذا الذي يسمونه جديداً ويقول البدوي : إنه لم

*

يدرس العروض ولكنه جعل شعره بحسه المرهف منسجماً مع الأوزان . . .

وأذكر انه لما قال في رثاء هنانو :

« أنا ابكي لكل قيد فأبكي
لقريضي تَغُلُّه الأوزان ! »

سئل : « ألا يدل هذا على أن الأوزان اغلال ؟ » فأجاب : « قد تمر بالشاعر خاطرة عابرة يمليها جو القصيدة ، حين تكلمت عن القيود في قصيدتي مَرَّ هذا المعنى مروراً ، والواقع أنني لا اؤمن بأن الأوزان قيود ولكنها نغم وعطر وجمال » .

***

وما رأيت شاعراً عبقر الألم وجمَّل الهم ونضرَّ الحزن كالبدوي ، وقد جعل من قبور أحبائه ورفاق دربه رياض إخاء، وبساتين وفاء، ومجمع ذكريات وأحرام مقدسات ، إنها تفجر بيانه وتطلق بالحنان لسانه :

« إن قلبي خميلة تنبت الأحزان
ورداً ونرجساً وشقيقا
لو على الصخر نهلة من جراحي
راح مخضوضل الظلال وريقا »

« لا أوحش الله قلبي من مواجعه
ولا تحـوَّل عن نعمائهـا الحسد
ولا شفـى اللـه جرحـاً في سريرته
نديان ينـطف منـه الخمـر والشهد
انـي ادلِّل آلامـي وامسحها
مسـح الشـفيق وأجلوهـا وأنتقد »

***

« مـن همومـي ما ينعـم العقل
في دنيا اسبـاه ويهنـأ الوجدان ..
من همومي ما يغمـر الـكون بالعـ
ـطـر ومنـهـا مزاهـر وقيـان »

« وأنـا الوالـد الـرحيم وابنائي
همـوم الحياة والأشجان »

***

« بـورك الهـم عبقـرياً جواداً
لا كهـمٍّ اعطـى قليلاً وأكدى »

اما قبور احبائه ولداته :

« يا قبـور اللِّـدات ، كل شقيق
حاضـن في الثـرى اخـاه الشقيقا
وسعـت هذه القبـور همومي
كيف تشـكو ، وهـي السماوات ، ضيقـا ؟

*

مقلتي يستحم في دمعها الطيف
وتحنو فلا يموت غريقا »

***

« سقى تلك القبور دمي ودمعي
وجلّ القبر عن سقيا السحاب »

***

« أفدي القبور التي طاف الرجاء بها
ياللقبور غدت ترجى وتفتقد
مصارع بعطور الحق زاكية
كأنما سكبوا فيها الذي اعتقدوا
مسحت دمعي من ذكراهم بيد
وأمسكتْ كبدي، ألا تذوب يد »

* * *

وللبدوي شعر غزِل ، يُزري بدواوين في النسيب ، وشاعر قدير مبدع مركّب من عواطف وخيال مخصاب ، يجيء بالعجب العجاب . وقصائده « خالقة » و « شقراء » و « سمراء » في الديوان أشير إليها وأنوه بها ، وما أصعب المفاضلة بينها واجتزاء بعضها عن كلها . وإذا اختص « السمراء » بروائع من النفحات الغزلية فإنه قوّل « الشقراء » ما أستغفر الله له :

« تأنق الله دهراً
يُعيد فيَّ ويبدي

حتـى جلانِـيّ شعـراً
يـا حسـرة الشـعـر بعـدي !
يهيـم حسـنـي بحسنـي
ويجتلـي ويُفـدي
وجُـنَّ ثغـري بريقـي
وجـن جيـدي بزنـدي »

وهو ظنان ، شكاك . اذا آنس من دميته خداعاً حطمها . . واذا استراب بعذرائه التي « يخشى على حسنها من خطرة الفكر ونجوى العيون » عيرّها بقبل العاشقين ، فصنف القبل ، مبتدعاً ، مبتكراً ، منفرداً :

من قبلـة خائنـة مرة
وقبلـة قـد تمتمـت لا اخون
وقبلـة مجنونـة في اللمى
وقبلـة وادعـة في الجبين
وقبلـة حمـراء مثـل اللظى
وقبلـة بيضـاء مثـل اليقين »

وفي « خالقة » :

« أخـادع النـوم إشفـاقـاً على حُلُـم
حـان على الشفـة اللمياء مخمور

*

رشفت صوتك في قلبي معتقة
لم تعتصر وضياء غير منظور »

وأعجب ما في شعره الغزِل أن يكون ملوناً بألوان مترفة وبأصباغ حضارية محدثة، ولكنها العبقرية أطلقته من بيئته .

على أنك اذا حدثته في الحب ، انتهى بك الى أن اسماه هو الذي يبلغ مرتبة التصوف « وحُبُّك لله عبادة » وأعلى مراتب العبادة لدى الصوفيين ينتهي بالحب .

* * *

وفي شعر البدوي « شطحات» يُظَنُّ معها جنوحٌ الى إلحاد او شكوك في العقيدة . وقد اقتحم شيطان شعره قدس الأقداس ـ ولعله كان مطمئناً إلى الغفران الالهي ـ حين قال :

« حضارة الدهر طيب من خلاعتنا
وجنة الله عطر من خطايانا
من الغواية سلسلنا هدايتنا
فكان أرشدنا للنور أغوانا
نشارك الله ـ جل الله ـ قدرته
ولا نضيق بها خلقاً وإتقانا »

و « لخالقة » يقول :

« آثامك الخفرات البيض لو جليت
لطـور موسى لنَّـدت ذروة الطور »

وبينا أكون مشدوهاً مبهوتاً ، أراني أنتقـل الى شعر يتلألأ إيماناً ، وإلى تسابيح وصـوفيات ، وأراه يصلي خاشعاً ، . ويرسل ابتهالاتـه مدلهّـةً بالحـب الالهـي، ويقينه : « عندما يهتـدي الشاعـر الى دنيا قلبه ، اهتدى الى جمال ربه ، واشتف خمرة معرفتـه وحبه » ، ففي « الكعبة الزهراء » ومطلعها :

« بنــور على أُم القــرى وبطيب
غسلـت فؤادي من أسى ولهيب»

وصفٌ أروع للحـج ، وللصحــراء المقدســة وصلوات واستغفارات :

« وأهــرب كبــراً ، او حياء لزلَّتي
ومنـكَ ـ نعـم ـ لكن إليكَ هروبي

وأجلـو عيوبــي نادمــات حواسراً
وأستــر إلاَّ في حمــاك عيوبي

وأي ذنــوب ليس تُمحــى لشاعر
معنــىً بألــوان الجمال طروب

*

وأنزلــت أحزانــي على قبــر أحمد
ضيوف كريم النبعتيــن وهوب »

وفي « ابتهالات » جنيف :

« بينــي وبــين اللــه من ثقتي
بلــطــف اللــه بــابُ
لي عنــده من أدمعــي
كنــز تضيــق به العيــابُ
يــا رب ، بابـك لا يَـرد
الــلائـذيـن بـه حجــاب
واذا سألـت عن الذنـوب
فــإن ادمعــيَ الجــواب »

وفي رثاء رياض :

« ربِّ ، روحي طليقة في سماواتك
والجسـم موثـق مغلــول
عبــراتــي عبـادة وابتهــال
وشــهيقي التــكبيـر والتهليــل
وصــلاتــي تأمـل ومناجاتــي
خشـوع وزفــرتــي ترتيــل
لم يضــع في الظــلام نورك
عن قلبي فقلبي الى سناك الدليل »

* * *

والشاعر المفرد ، قد يباغتك في الأسواق الشعرية ـ اذا صح التعبير ـ او حفلات الذكريات او التمجيد او التأبين ،وفي زحمة اللُّسُن الفِصاح ، بالقصيد المدهش ، تعب منه ما اتضح ورق ، وتترشف منه ما عمق ودق ، ففي المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري . . . كان متوقعاً ان تكون كفافة بصر المعري ونفاذ بصيرته وترجمة حياته وابعاد فلسفته ينابيع القول ، ولكن شاعرنا بعد ان قال عن المعري :

« نفذت بصيرته لاسرار الدجى
فتبرجت منه بالف صباح
من راح يحمل في جَوانِحِهِ الضحى
هانت عليه اشعة المصباح »

وثب خياله الشعري الى قصة المرأة والمعري فهتف :

« أتضيق بالأنثى وحبك لم يضق
بالوحش بين سباسب وبطاح
يا ظالم التفاح في وجناتها
لو ذقت بعض شمائل التفاح

ما أحوج العقل الحكيم ـ وهمه
وسع الحياة ـ لصبوة ومراح

*

إيهٍ حكيمَ الدهـــر أي مليحة
ضنـــت عليك بعطرهـــا الفواح
أسكنتهـــا القلـــب الـــرحيم فرابها
مـــا فيه من شكوى ورجـــع نواح
جرحـــت إبـــاءك والحياء فأقفـــلا
بـــاب المنـــى ورميـــت بالمفتـــاح
إن التـــي حرمتـــك نعمـــةِ حبها
وأبيك عار كواعبٍ وملاح »

والقصيدة في ابياتها الستة والتسعين تجري على هذا المنوال ، تنقلك من الطريفة الماتعة الى الفكرة الرائعة ، وتنتهي الى الاعتذار :

« فاعـذر اذا لم أوف مجـدك حقه
لجج الخضـمِّ طغـت على السَّباح »

***

ولا أظن أن قصيدة للبدوي تخلو من بيت سائر يُستشهد به ، تُلخص فيه حكمـة وتختصر تجربـة ، ويكون مسنَد حديث او فصل خطاب . وهـات في الأمثال المضروبة ما يُغني عن هذه السائرات :

« قـد تطـول الأعمار لا مجـد فيها
ويضـــم الأمجـــاد يوم قصير
أنـا البـرىء ولـكن حرمـــةً وهوىً
أُقـــر بالذنـــب كي ترضى وأعترف

*

إنَّ دَيْن العـظيم في كل شعب
لا يُوفىً وحقـه لا يؤدَّى
ولا وفـاء لقلـب حـين نؤثره
حتـى تكون رزايانـا رزاياه
لا تحاسـب اخـا هوى في هواه
كل ثغـر على الهـوى معسول
يفتـك الظلـم بالضـعيف ويُردي
بعـد حـين بشؤمـه الظُّلاما
سُبَّـة الدهـر ان يحُاسـب فكر
في هواه وان يُغـل لسان »

* * *

وللبدوي نثر رفيع انيق ، إنه شعر منثور ، واذا كان لا يرضيه ان يطلق عليه لفظ شعر ، قلنا انه اشبه بقصائد منثورة ، وكونـه في اكثـره مسجوعـاً بلا تكلف ، وفَّر له عذوبة الوقع على الآذان . واذا كان الشعر ، كما اسلفت ، هو الذي يمتلك الشاعـر فلا يواتيه ساعة يريد ، فإن النثر يأتيه طائعاً ، سهلاً ، مسلسـاً قياده ، لا يتأبّـى عليه حـين يشـاء ، ومـمـا يسترعي النظر ان نثره ـ خلا رسائله الاخوانية ـ يكاد يكون قاصراً على المراثي ، وممن أبنهم نثراً من اخوانه أذكر :

*

الملك فيصل آل سعود وهاشم الأتاسي وجميل مردم بك والحاج امين الحسيني وعادل زعيتر ومظهر رسلان والشاعر محمد اقبال والأمير عادل ارسلان وصالح جبر وصبري العسلي وسمير الرفاعي والشاعر بدر الدين الحامد وعلي رضا النحوي وحبيب كحالة .

ولم يكن البدوي خطيباً مثله شاعراً ، وما اظن انه حاضر إلا مرة واحدة وكانت في الجامعة الأميركية ببيروت وعنوانها : « القومية العربية » ، وأذكر انه أنهاها صادحاً : « لقد آمنتُ بالعروبة لأنني آمنت بالحق والخير والجمال . ومن اراد العروبة ايماناً في قلبه ، وفناءً في حبه ، وأنساً في وحشته ، وهناءة في سريرته ، وعالَماً في وحدته ، فليتقرب الى نعمتها بالحق والخير والجمال » .

* * *

وقبل ان أطرح القلم ، لا يفوتني القول : إنه اذا طغت المادة في هذا العالم طغيانها ، وتضخمت في الحياة أعباؤها ، وتعاظمت همومها وأرزاؤها ، واستشرت في النفوس القحولة ، وفي الأرواح الجدوبة ، فإنه لا بد للانسانية من اللياذ بالفن الرفيع - والشعر اسمى بدائعهِ - ، به تجمِّل وجودها ، وتبدِّد

كآبتها ، وتخصب بالبشر وجوهها . إنه لن يفقد سلطانه على الدهر ، ولن ينضب معينه من السحر !

وبعد فلا يُقدِّمُ الشاعرَ مثلُ شعره ، وهذا ديوانه فحيَّ على الشعر ، حيَّ على الشعر . . شعر بدوي الجبل .

*

الكعبة الزهراء

مهداة الى أعتاب أبي الزهراء صلوات الله عليه

بِنُـورٍ عَلَـى أُمِ القُـرَى وَبِطِيـبِ
غَسَـلْـتُ فُـؤَادِي مِـنْ أَسَىً وَلَهِيـبِ
لَثَمْـتُ الثَّـرَى سَبْعـاً وَكَحَّلْـتُ مُقْلَتي
بِحُسْـنٍ كأَسْـرَارِ السَـمَـاءِ مَهِيـبِ
وَأَمْسَـكْـتُ قَلْبـي لا يَطِيـرُ إلى (مِنىً)
بِأَعْبَـائِـهِ مِـنْ لَهْفَـةٍ وَوَجِيـبِ
فَيَـا مُهْجَتـي : وادي الأَميـنِ مُحَمَـدٍ
خَصِيـبُ الهُـدَى : وَالْـزَرْعُ غَـيْرُ خَصِيـبِ
هُنَـا الـكَعْبَـةُ الـزَهْـرَاءُ . وَالـوَحْـيُ والشَذَا
هُنَـا النُـورُ . فَافْنَـيْ في هَواهُ وَذُوبـي
وَيَـا مُهْجَتـي : بَـيْنَ الحَـطِيمِ وَزَمْـزَمٍ
تَـرَكْتُ دُمـوعـي شـافِعـاً لِذُنُوبـي
وَفي الـكَعْبَـةِ الـزَهْـرَاءِ زَيَّنْـتُ لَوْعَتِـي
وَعَـطَّـرَ أَبـوابَ السـمـاءِ نحيبـي

* * *

مَوَاكِـبُ كالأَمـواجِ ، عَـجَّ دُعَاؤُهـا
وَنَـارُ الضُـحَـى حَمْـرَاءُ ذَاتُ شُبُـوبِ

وَرَدَّدَتِ الصَحْرَاءُ شَرْقاً وَمَغْرِباً
صَدَى نَغَمٍ مِنْ لَوْعَةٍ وَرُتُوبِ
تَلاَقَوا عَلَيْهَا ، مِنْ غَنِيٍ وَمُعْدِمٍ
وَمِنْ صِبْيَةٍ زُغْبِ الجَنَاحِ وشِيْبِ
نَظَائِرُ فِيْهَا : بُرْدُهُمْ بُرْدُ مُحْرِمٍ
يَضُوعُ شَذَاً : والقَلْبُ قَلْبُ مُنِيبِ
أَنَاخُوا الذُنُوبَ المُثْقَلاتِ لَوَاغِباً
بِأَفْيَحَ - مِنْ عَفْوِ الإِلَهِ - رَحِيبِ
وَذَلَّ لِعِزِّ اللهِ كُلُّ مُسَوَّدٍ
وَرَقَّ لِخَوْفِ اللهِ كُلُّ صَلِيبِ

* * *

وَلَوْ أَنَّ عِنْدي لِلْشَّبَابِ بَقِيَّةً
خَفَفْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ ظَهْرِ نَجِيبِ
أَنَامُ عَلَى الكُثْبَانِ يُؤْنِسُ وَحْدَتِي
بُغَامُ مَهَاةٍ أَوْ هَمَاهِمُ ذِيْبِ
وَلِيْ غَفْوَةٌ في كُلِ ظِلٍّ لَقِيتُهُ
وَوَقْفَةُ سُقْيَا عِنْدَ كُلِ قَلِيبِ
هَتَكْتُ حِجَابَ الصَمْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
(بِشَبَّابَةٍ) سَكْرَى الحَنِينِ خَلُوبِ

حَبَسْتُ بِهَا جِنِّيَّةً (معبدية)[1]
وَفَرَّجْتُ عَنْ غَمَّائِهَا بِثُقُوبِ

* * *

وَرَكْبٍ عَلَيْهَا ، وَسْمُ أَخْفَافِ عِيْسِهِمْ
وَهَامٍ تَهَاوَتْ لِلْكَرَى وَجُنُوبِ
وَأَلْفُ سَرَابٍ ، ما كَفَرْتُ بِحُسْنِهَا
وَإِنْ فَاجَأَتْ غُدْرَانُهَا بِتُضُوبِ
وَضَجَّةُ صَمْتٍ جَلْجَلَتْ . ثُمَّ وَادَعَتْ
وَرَقَّتْ ، كَأَخْفَى هَمْسَةٍ وَدَبِيْبِ
وَأَطْيَافُ جِنٍّ في بِحَارِ رِمَالِهَا
تُصَارِعُ حَالَيْ طَفْوَةٍ وَرُسُوبِ
وَتَعْطِفُنِي الآرَامُ فيها نَوَافِراً
إلى رَشَأٍ في الغُوطَتَيْنِ رَبِيْبِ
يُعَلِّلُنِي - وَالصِدْقُ فيهِ سَجِيَّةٌ
بِوَعْدٍ مَطُولٍ باللقاءِ كَذُوبِ
وبُدِّلْتُ حُسْناً ضاحِكَ الدَلِّ ناعِماً
بِحُسْنٍ عَنِيفٍ في الرِمَالِ كَئِيبِ
وَمَنْ صَحِبَ الصَحْرَاءَ هَامَ بِعَالَمٍ
مِنَ السِحْرِ جِنِّيِ الطُيُوفِ رَهِيبِ

---

١) نسبة الى شيخ المغنين معبد قال الشاعر القديم : وما قصبات السبق الا لمعبد

وَلِلْفَلَكِ الأَسْمَى ، فُضُولٌ لِسِرِها
ففي كُلِّ نَجْمٍ مِنْهُ عَيْنُ رَقِيبِ

* * *

أَرَى بخَيَالِ السُحْبِ - خَطْوَ مُحَمَدٍ
عَلَى مُخْصِبٍ مِنْ بِيْدِها وَجَدِيبِ
وَسُمْرَ خِيَامٍ مَزَّقَ الصَمْتُ عِنْدَها
حَمَاحِمَ خَيْلٍ بُشِّرَتْ بِرُكُوبِ
ونَاراً على نَجْدٍ مِنْ الرَمْلِ أُوْقِدَتْ
لِنَجْدَةِ مَحْرُومٍ وَغَوْثِ حَرِيبِ
وَتَكْبِيرَةً في الفَجْرِ سَالَتْ مَعَ الصَّبَا
نَعِيمَ فَيَافٍ واخْضِلاَلَ سُهُوبِ
أَشُمُّ الرِمَالَ السُمْرَ: في كُلِ حَفْنَةٍ
مِنَ الرَّمْلِ ، دُنْيا مِنْ هَوَىً وَطُيُوبِ
عَلَى كُلِ نَجْدٍ مِنْهُ نَفْحُ مَلائِكٍ
وفي كُلِ وادٍ مِنْهُ سِرُّ غُيوبِ
تَوَحَّدْتُ بالصحراءِ . حَتَّى مَغِيْبُها
وَمَشْهَدُها مِنْ مَشْهَدِي وَمَغِيبِي
ومن هذِهِ الصَحْرَاءِ ، أنوارُ مُرْسَلٍ
ورايَاتُ منصُورٍ . وبِدْعُ خطيبِ
وَمِنْ هَذِهِ الصَحْرَاءِ ، شِعْرٌ تَبَرَّجَتْ
بِهِ كُلُّ سَكْرَى بالدَلالِ عَرُوبِ

تُعَـطِّـرُ فـي أَنْغَـامِـهِ وَرَحِيقِـه
وَرَيَّـاهُ : عِطْـرَيْ مَبْسِـمٍ وَسَبِيـبِ[1]
تَـرُشُّ النُجُـومُ النُـورَ فيهـا مُمَسَّكـاً
فَـأُتْـرِعُ أَحْـلامـي وَأُهْـرِقُ كُوبـي
وَمَـا أَكْـرَمَ الصَحْـرَاءَ .. تَصْـدَى .. وَتَمْنَمَـتْ
لنـا بُـرْدَ ظِـلٍ كالنَعِيـمِ رَطِيـبِ
وَيغْفُـو بهـا التـاريـخُ ، حَتَّـى تَرُجَّـهُ
بِـدَاهِيَـةٍ صُلْـبِ القَنَـاةِ أَرِيـبِ
شَكَـا الـدَهْـرُ مِمَّـا أَتْعَبَتْـهُ رِمَالُهَـا
وَلَـمْ تَشْـكُ فِيْهِ مِنْ وَنَـىً وَلُغُـوب
وَصَبْـرٍ مِنْ الصَـحْـرَاءِ ، أَحْـكَمْـتُ نَسْجَـهُ
سَـمَـوْتُ بِـهِ عَنْ مِحْنَتـي وَكُرُوبـي
وَمِـنْ هَـذِهِ الصَـحْـرَاءِ .. صِيْغَـتْ سَجِيَّتي
فَـكُلُ عَجِيـبِ الـدَّهْـرِ غَيْـرُ عَجِيـبِ
يُـرَنِّحُ شِعْـري باللِـوَى كُلَّ بانَـةٍ
وَيَنْـدَى بِشِـعْـري فِيْـهِ كُلُ كَثِيـبِ
وَلَـوْلا الجِـرَاحُ الـدَامِيَـاتُ بِمُهْجَتَـي
لأَسْـكَـرَ نَجْـداً والحِجَـازَ نَسِيْبِـي
وَهَيْهَـاتِ مَا لَـوْمُ الـكَـرِيمِ سَجِيَّتَـي
وَلاَ بُغْضُـهُ عِنْـدَ الجَفَـاءِ نَصِيبـي

---

١) السبيب ـ خصلة الشعر .

نَقَلْتُ إلى قَلبي حَيَاءً وعِفَّةً
أسارِيرَ وَجْهي مِنْ أسىً وقُطُوبِ

وَعَرَّتْنِيَ الأيامُ مِمَّنْ أُحِبُّهُمْ
كَأَيْكٍ - تَحَامَاهُ الربيعُ - سَلِيبِ

وَرُبَّ بَعيدٍ عَنْكَ أحْلى مِنَ المُنى
وَرُبَّ قَرِيبِ الدارِ غَيْرُ قَرِيبِ

وَوَيْحَ الغَواني : ما أَمِنْتُ خُطُوبَها
وقد أَمِنَتْ بَعْدَ المشيبِ خُطُوبي

وكيف وثوبي لِلزَّمَانِ وأَهْلِهِ
وَلِلشَيْبِ أَصْفَادٌ يَعُقْنَ وُثُوبي

أَفي كُلِ يَوْمٍ لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ
لِغُرْبَةِ أَهْلٍ أَوْ لِفَقْدِ حَبِيبِ

وَيَارَبِ : في قَلْبي نُدُوبٌ جَدِيدَةٌ
تُرِيدُ القِرَى مِنْ سَالِفاتِ نُدُوبِ

يُرِيدُ حِسَابي ظَالِمٌ بَعْدَ ظَالِمٍ
وَما غَيْرُ جَبَّارِ السَمَاءِ حَسِيبي

وَيَارَبِ : صُنْ بِالْحُبِ قَومي مُؤَلَّفاً
شَتَاتَ قُلُوبٍ لا شَتَاتَ دُرُوبِ

وَيَارَبِ : لاَ تَقْبَلْ صَفَاءَ بَشَاشَةٍ
إذا لَمْ يُصاحِبْهُ صَفَاءُ قُلوبِ

تَـدَاوَوْا مِـنَ الجُلَىَّ بِجُـلَىَّ .. وَخَلَّفُوا
وَرَاءَهُـمُ الإِسـلامَ خَيْـرَ طَبِيـبِ

* * *

وَيَارَبِ : فـي الإِسـلامِ نُـورٌ وَرَحْمَـةٌ
وَشَـوْقُ نَسِـيْـبٍ نَازِحٍ لِنَسِيـبِ
فَـأَلِّـفْ عَـلَى الإِسـلامِ دُنْيا تَمَـزَّقَـتْ
إِلى أُمَـمٍ مَقْـهُـورَةٍ وَشُـعُـوبِ

وَكُـلُّ بَعِيـدٍ حَـجَّ لِلْبَيْـتِ أَوْهَفَـا
إِلَيْـهِ ـ وَإِنْ شَـطَّ المَـزَارُ ـ قَرِيبـي
سَجَـايا مِنَ الإِسـلامِ : سَمْـحٌ حَنَانُهـا
فَـلاَ شَعْـبَ عَـنْ نَعْمـائِهـا بِغَـرِيبِ

* * *

وَآمَنْـتُ أَنَّ الحُـبَ خَيْـرٌ وَنِعْمَـةٌ
ولا خَيْـرَ عِنْـدي في وَغًـىً وَحُـرُوب
وَكُـلُ خَضِيـبِ الـكَـفِ فَتْحـاً وَصَـوْلَـةً
فِـدَاءٌ لِكَـفٍ بالعبيـرِ خَضِيـبِ
وآمَنْـتُ أَنَّ الحُـبَ والنـورَ واحِـدٌ
وَيَكْـفُـرُ بالـلأَلاءِ كُـلُ مُـريـب

ولـو كان في وُسْـعي حَنـاناً وَرَحْمَةً
لَجَـنَّبْتُ أعـدائِـي لِقَـاءَ شَـعُوبِ[1]

* * *

وَيَـارَبِ : لَمْ أُشْـرِكْ ولَـمْ أَعْـرِفِ الأَذَى
وَصُـنْـتُ شَبَـابـي عنهمـا ومشيبي
وَإِنـي - وَإِنْ جَـاوَزْتُ هَـذيـن سَالِـماً
لأَكْبِـرُ لَـوْلا جُـوْدُ عَفْـوِكَ حُـوْبِـي[2]
وَأَهْـرُبُ كِـبْـرَا أَوْ حَيَـاءً لِـزَلَّتِـي
وَمِنْـكَ ، نَعَـمْ ، لَكِنْ إِليـكَ هُروبـي
وَأَجلـو عُيـوبِـي نـادمـاتٍ حواسِـراً
وَأَسْـتُـرُ إِلاَّ فـي حِمَـاكَ عُيـوبـي
وَأَيُ ذُنُـوبٍ ليس تُمْحَـى لِشَـاعِـرٍ
مُعَـنًّى بـألـوانِ الجَمَـالِ طَـرُوبِ
وَلَـوْ شَهِـدَتْ حُـوْرُ الجِنـانِ مَدَامِعـي
تَرَشَّـفْـنَ فـي هَوْلِ الحِسَـابِ غُـروبـي[3]

* * *

وَأَنْـزَلْـتُ أَحْـزَانِـي عَلَـى قَبْـرِ أَحْمَـدٍ
ضُيُـوفَ كَـرِيـمِ النَبْعَتَيـنِ وَهُـوب

---

١) شعوب بفتح الشين: الموت
٢) الحوب ـ الذنب
٣) الغروب ـ الدموع

مَدَحْتُ رَسُولَ اللهِ أَرْجو ثَوابَهُ
وحاشا النَدَى أَنْ لا يَكُونَ مُثيبي
وَقَفْتُ بِبَابِ اللهِ ثُمَّ بَبَابِهِ
وُقُوفَ مُلِحٍّ بالسُؤَالِ دَؤُوبِ
صَفَاءٌ على اسْمِ اللهِ غَيْرُ مُكَدَّرٍ
وَحُبٌ لذاتِ اللهِ غيرُ مَشُوبِ
وأُزهى بِتَظْلِيلِ الغَمَامِ لأَحْمَدٍ
وَعَذْبٍ بَرُودٍ مِنْ يَدَيْهِ سَرُوبِ
فَإِنْ كَانَ سِرُّ اللهِ فَوْقَ غَمامةٍ
تُظِلُّ وماءٍ سائغٍ لِشُرُوبِ[1]
فَفِي مُعْجِزِ القرآن والدولةِ التي
بناها عليه مُقْنِعٌ لِلَبِيبِ

* * *

ويَارَبِ ، عِنْدَ القَبْرِ قَبْرِ مُحَمَدٍ
دُعاءُ قَرِيحِ المُقْلَتَيْنِ سَلِيبِ
بِجَمْرِ هَوَىً عِنْدَ الحَجِيجِ لِكَّةٍ
وَدَمْعٍ عَلَى طُهْرِ (المَقَامِ) سَكُوبِ
بِشَوْقٍ على نُعْماهُ ، ضَمَّ جَوانِحٍ
وَوَجْدٍ على رَيَّاهُ زَرَّ جُيوبِ

---

١) شروب بضم الشين والرآء (جمع شارب) .

تَـرَفَّــقْ بِقَـوْمِــي واحْمِهِـمْ مِنْ مُلِمَّـةٍ
لَقَـدَ نَشِـبَـتْ أَوْ آذَنَــتْ بِنُشُــوبِ
وَرُدَّ الحُـلُــومَ العــازِبـاتِ الى الهُـدى
فَقَــدْ تَـرْجِعُ الأَحـلامُ بَعْـدَ عُــزوبِ
وَرُدَّ القـلــوبَ الحـاقـداتِ إلى نَدٍ
مِـنْ الحُــبِّ فَـوَّاحِ الــظِـلالِ عَشيـبِ

* * * *

تَدَفَقَــتِ الأَمـواجُ والليــلُ كافِـرُ
وَهَـبَّ جُنُــونُ الـرِيـحِ كُـلَّ هُبـوبِ
رَمــى اليَــمُّ انْضَـاءَ الســفيــنِ بِمارِدٍ
مِــن اليَــمِّ تَيَّــاهِ الحُتـوفِ غَضُـوبِ
يُـزَلْزِلُـهَــا يُمْنَى وَيُسْــرَى مُـزَبْجِراً
وَيَضْــغَمُهـا مِنْ هَـوْلِـهِ بِنُيـوبِ
يُـرَقِّصُــهــا حِينَــاً وَحِينَــاً يَـرُجُّهـا
وَيُـوجِـزُ حَـالَيْ هَـدْأَةٍ وَوُثُـوبِ
وَتَـرْفَعُهَـا عَجْلَى وَعَجْلى تَحُطُّهَــا
لَعُـوبٌ مِنَ الأَمـواجِ جِــدُّ لَعُـوبِ
وَأَيْقَـنَ أَنْضَـاءُ الســفينـةِ بالردى
يُطَـالِعُهُـمْ فـي جَيْئَـةٍ وَذُهــوبِ
وَلَمَّـا اسْتَــطَـالَ اليَـأسُ يَكْسُــو وُجُوهَهُمْ
بِـأَلْــوَانِـهِ مِـنْ صُفْـرَةٍ وَشُحُــوبِ

دَعَـوْا يا أبـا الـزَهْـراءِ والحَتْـفُ زَاحِفُ
عَلَيْهِـمْ : لَقَـدْ وُفِّقْتُـمُ بِمُجِيـبِ
وَأَسْـلَسَـتِ الـرِيْحُ القِيَـادَ كَـأَنهَـا
نَسِـيمٌ هَفَـا مِـنْ شَمْـأَلٍ وَجَنـوبِ
وَبَـادَهَ لُطْـفُ اللـهِ مِـنْ يُمْـنِ أَحْمَـدٍ
بِبُـرْدٍ على عُـرْيِ الـرَجَـاءِ ـ قَشِيـبِ

* * *

وَأَقْعَـدَنِـي عَنْـكَ الضَّـنـى فَبَعَثْتُهـا
شَـوارِدَ شِعْـرٍ لَـمْ تُـرَعْ بِضَـرِيـبِ
أَقَمْـتُ وآمـالـي إِلَيْـكَ مُجِـدَّةٌ
تَلُـفُّ شُـروقـا مُعْتِمـاً بِغُـرُوبِ
وَتُـرْشِـدُهـا أَطْيَـابُ قَبْـرِكَ فـي الدُجَـى
فَتَعْصِـمُهـا مِـنْ حَيْـرَةٍ وَنُكُـوبِ
وَعِنْـدَ أَبـيْ الـزهـراءِ حَطَّـتْ رِحالَهَـا
بِسَـاحِ جَـوَادٍ لِلْثَنَـاءِ كَسُـوبِ

* * *

جَلَـوْتُ علـى وادي العقيـقِ فـريدتـي
فَفَـازَ حَسِيـبٌ مَنْهُمـا بِحَسِيـبِ
تَتِيـهُ حَضَـارَاتُ الشُـعـوبِ بشـاعـرٍ
وَتَـكْمُـلُ أَسَـبـابُ العُـلى بِـأَدِيـبِ

* * *

ابتهالات

مهداة الى قبور حبيبه في بغداد ودمشق وحلب وحمص واللاذقية .

لا الغُـوطَتـانِ ولا الشَـبـابُ أدْعُـو هَوايَ فَلا أُجَابُ
أيْنَ الشَـآمُ مِـنَ البُحَيْـرَةِ والمَـآذِنُ والقِبَابُ
وَقُبـورُ إخْـوانـي وَمَـا أبْقَـى مِنَ السَيْفِ الضِـرابُ
الصـامِتَـاتُ وللـطُيـورِ عَلى مَشـارِفِهـا اصْطِخَـابُ
الغـافِيـاتُ فَلَـمْ تَرُعْ مِنْهـا الـزَمـاجِـرُ والوِثَـابُ
أشْـتـاقُ أحْضُـنُهَـا وألْثِمُهَـا وللـدَمْـعِ انْسِكابُ
تَحْنـو الـدمـوعُ على القُبُـورِ فَتُـورِقُ الصُـمُّ الصِلابُ
وَلَهَـا إلَيْنَـا لَهْفَـةٌ وَلِـطُـولِ غُرْبَتِنَـا انْتِحَـابُ
يـا شَامُ : يا لِدَةَ الخُلـودِ وَضَـمَّ مَجْـدَكُما انْتِسَـابُ
مَنْ لِي بِنَـزْرٍ مِنْ تَرَاكِ وَقَـدْ أَلَـحَّ بِـيَ اغْتِـرَابُ
فَأشُـمُّـهُ وكـأنَّـهُ لَعَـسُ النَـواهِـدِ والمَـلاَبُ
وَأضُـمُّـهُ فَتَـرى الجَـواهِـرُ كَيْـفَ يُكْتَنَـزُ التُـرَابُ
هَـذا الادِيـمُ شَمـائِـلٌ غُـرٌّ وأحْـلامٌ عِـذابُ
وَأُمُـومَـةٌ وطُـفـولَـةٌ وَرُؤىً كَمـا عَبَـرَ الشِهَـابُ
وَتَحِيَّـةٌ مِسْـكِيَّـةٌ مِنْ سَالِفِيـنَ هَـوَوْا وَغابُوا
وَمِـنَ الأُبُـوَّةِ والجُـدودِ لأهْـلِ وُدِّهِـمُ خِطَـابُ
هَذا الادِيـمُ أبِـي وأُمِّـي والبِـدايَـةُ والمَـآبُ

وَوَسائِـدي وَقَـلائِدي وَدُمَـى الطُفولَـةِ والسِخَـابُ[1]
وَدَدٌ يُبَـاعُ لَـهُ الوَقـارُ وَلا نَـدامَـةَ والصَـوابُ
أَغْلَـى عَلَيَّ مِنَ النُجـومِ ولا أُلامُ ولا أُعَـابُ
الـرُوحُ مِنْ غَيْبِ السَمَاءِ وَمِنْـكِ قَدْ نُسِـجَ الإهَـابُ
أَشْـتَـاقُ شَمْسَـكِ والضُـحَى أَنَـا والبُحَيْـرَةُ والضَبَابُ
وَمُضَـفَّراتٌ بالثُـلـوجِ كأَنَّمـا نَصَـلَ الخِضَـابُ
تَعْـوِي الـرِيـاحُ فَمـا القَسـاوِرُ فـي الفَـلاةِ ومـا الذِئَابُ
والثَلْـجُ جُـنَّ فَلَـمْ تَبِـنْ سُبُـلٌ وَلَـمْ تُعْـرَفْ شِعَابُ
أَخْفَـى المَعـا لِـمَ لا السُـفـوحُ هِـيَ السُفـوحُ ولا الهِضَابُ
يا شَمْسُ غِبْـتِ فَكَيْفَ تَمَّ ـ ولا طُلُـوعَ لَكِ ـ الغِيَـابُ
إنْ كُنْـتِ مُسْـلِمَةَ الهَـوى فَتـأَلَّقِي رُفِـعَ الحِجَابُ
مَـلَّ السَـحـابُ مِـنَ السَمـاءِ وَقَـرَّ فـي الأَرْضِ السَحـابُ
وكـأَنَّ مِـلْءَ الأَرْضِ مِـلْءَ الأُفْـقِ آلِهَـةٌ غِضَـابُ
حُسْنٌ يُهَـابُ ومـا سَمَـا حُسْـنٌ يُحَـبُّ ولا يُهَـابُ

* * *

دَوْحَ البُحَيْـرَةِ أَيْنَ سـامِـرُكَ المُعَـطَّـرُ والشَـرَابُ
والـرَاقِصُـونَ وَنَـوْا فَحِـينَ دَعاهُـمُ النَغَـمُ ، اسْتَجَـابُـوا
والقَـاطِفُـونَ شِفَـاهُهُـمْ كَوُرودِهِـمْ حُمْـرٌ رِطَابُ
ثَغْـرٌ على ثَغْـرٍ ، تَسَـرَّبَ فِيه ، فاخْتَلَـطَ الرُضَـابُ
قُبَـلٌ ، أَغَـارِيـدُ الشِـفَـاهِ فَتُسْـتَعَـادُ وَتُسْتَطَـابُ

---

١) قلادة ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

وَتَـكـادُ تُقْـطَـفُ كـالـريَاحيـنَ المَجـانَـةُ والدُعَـابُ
أَهِـيَ العُقُـودُ عَلى الـرِقـابِ بـل المَعـاصِـمُ والرِقَـابُ
بَيْنِـي وبَيْـنَ الـدَوْحِ فـي أَحْـزَانِـهِ النَسَـبُ القُـرابُ
مِنْ كُـلِّ مُوحِشَـةٍ فَـأَيْـنَ الـطِـيْبُ والـوَهَـجُ الـمُذَابُ
وَغَـداً يَعُـودُ لَكَ الشَـبـابُ وَلَـنْ يَعُـودَ لـيَ الشَبابُ
أَلـدَّهْـرُ مِلْـكُ يَمِينِـهِ والشَمْـسُ مِـنْ يُسْـراهُ قَابُ
طَابَـتْ سُـلافَتُـهُ تُـدارُ على سُكَـارَاهـا وطَابُـوا
لَهْفِـي عَلَيْـهِ فَطَـالَمَا أَشْـقَـاهُ لَـوْمٌ واغْتِيـابُ
نَعِـمَ المَلائِـكُ بالشَـبـابِ فَمـا لِنِعْمَتِـهِ اسْتِـلابُ
وَيَـزُورُنـا لَمَـعُ البُـروقِ فما لِـلامِعِـهِ اصْطِـحَـابُ
والعُمْـر أَيَّـامٌ قَـدِ اخْتُصِـرَتْ وآمَـالٌ رِحَـابُ
لَيْـتَ المَـلائِـكَ يُشْـفِـقُـونَ علـى الأُلـى عَبَشُوا وخَابُـوا
قَـدَرٌ تَعجَّـلَ أن نُعَـاقَـبَ مُـؤْمِنيـنَ وأَنْ يُثـابُـوا
عُـدْ يـا شَبَـابُ ولـن أُطـامِـنَ مِنْ جِمـاحِـكَ يـا شَبـابُ

* * *

فِـي غُـرْبَـةٍ أَنَـا والإِبَـاءُ المُـرُّ والأَدَبُ اللُبَـابُ
كالسَـيْـفِ حَلَّـتْـهُ الفُتُـوحُ وَرُبَّمَـا بَلِـيَ القِـرَابُ
طَـوْدٌ أَشَـمُّ فَكَيْـفَ تَرْشُـقُنـي السِـهـامُ ولا أُصَـابُ
يَخْـفَـى البُغَـاثُ فَـلا تُلِـمُّ بِهِ ولا يَخْفَـى العُقَـابُ
الـكِبْـرُ عِنْـدي للعَـظيـمِ اذا تَكَـبَّـرَ لا العِتَـابُ
عِنْـدي لَهُ زُهْـدٌ يُـدِلُّ علـى الـكَـواكِـبِ واجْتِنَـابُ

يَـزْهُـو الـكَـرِيمُ وَقَلْبُـهُ قِطَـعٌ
أَغْلَـى الْمُـرؤَةِ شِيمَـةٌ طُبِعَـتْ وأَرْخَـصهـا اكْتِسـاب

* * *

أَنَـا مـا عَتَبْـتُ على الصِحـابِ فليس فِي الـدُنيـا صِحَابُ
خُـرْسٌ ولـكِـنْ قَـدْ تَفَاصَـحَـتِ الخَـواتِـمُ والثِيـابُ
عَقِمَـتْ مُـروءَتُـهُـم وَتَطْمَـعُ أَنْ يُدَغْـدِغَهـا احْتِلابُ
وَأَعِـفُّ عَـنْ سَبِّ اللئيـمِ وَرُبَّمَـا نَبُـلَ السِبَابُ
حَيَّـا فَبِشْـرُ سَلامِـهِ نَزْرٌ وَبَسْـمَتُـهُ اغْتِصَـابُ
يـا مَنْ يَـمُـنُّ بِـوُدِّهِ والشَـهْـدُ. حِـينَ يُمَـنُّ ـ صَـابُ
أَنَـا كالْمُسـافِـرِ لاحَ لـي أَيْـكٌ وأَغْـرَتْنِـي قِبَـابُ
وَتَفَتَّحَـتْ حَوْلـي الـرِيـاضُ الخُضْـرُ واصْطَـفَـقَ العُبَـابُ
وَوَثِقْـتُ أَنَّ النَهْـرَ مِلْـكُ يَدِي فَفَـاجَـأَنِـي السَـرَابُ

* * *

أَنَـا لا أُرَجِّـي غَيْـرَ جَبَّـارِ السَـمـاءِ وَلا أَهَـابُ
بَيْنِـي وَبَيْـنَ اللـهِ مِنْ ثِقَتِـي بِلُـطْفِ اللـهِ بَابُ
أَبَـداً أَلـوذُ بِهِ وَتَعْـرِفُنِـي الأَرائِـكُ والـرِحَـابُ
لِـي عِنْـدَهُ مِنْ أَدْمُعِـي كَنْـزٌ تَضِيـقُ بِـهِ العِيَـابُ

* * *

يا رَبِّ : بَـابُـكَ لا يَـرُدُّ الـلائِـذيـنَ بِـهِ حِجَـابُ

مِفْتَـاحُـهُ بِيـدي يَقِيـنٌ لا يُـلِـمُّ بِـهِ ارْتِيَـابُ
وَمَحَـبَّـةٌ لَـكَ لا تُـكَدَّرُ بالـرِيَـاءِ ولا تُشَـابُ
وَعِبـادَةٌ لا الحَشْـرُ أَمْـلاَهـا عَـلِيَّ ولا الحِسَـابُ
واذا سَأَلْـتَ عـنِ الـذُنُـوبِ فَـإِنَّ أَدْمُعِـيَ الجَـوَابُ
هِـيَ فـي يَمِينـي حِـينَ أَبْسُـطُهَـا لِرَحْمَتِـكَ الكِتَـابُ
إِنّـي لَأَغبِـطُ عاكِفِيـنَ على الـذُنـوبِ وما أَنَابُـوا
لَـوْ لَـمْ يَكُـونـوا واثِقيـنَ بِعَفْـوِكَ الهَـانِـي لَتـابُـوا
مِنْهُـمْ غَـداً لِكُنـوزِ رَحْمَتِـكَ اخْتِـطَـافٌ وانْتِهَـابُ
وَلَـهُـمْ غَـداً بِيَقِينِهِـمْ مِـنْ فَـيءِ سِـدْرَتِـكَ اقْتِـرابُ
وَسَـقَيْـتُ جَنَّتَـكَ الدمـوعَ فَـرَوَّتِ النُـطَـفُ العِـذَابُ
وسَـكَبْـتُ فـي نِيـرانِـكَ العَبَـراتِ فابْتَـرَدَ العَـذَابُ
تَنْهَـلُّ في عَـدْنٍ فَنَـوَّرَ كَوْكَـبٌ وَنَمَـتْ كَعَابُ
قَـرَّبْتُهـا زُلْفَـى هَـواكَ فـلا الثَـوابُ ولا العِقَـابُ
أَنْـتَ المُـرَجَّـى لا تُنَـاخُ بِغَيْـرِ سَاحَتِـكَ الرِكَـابُ
الأُفْـقُ كَـأْسُـكَ والنُجـومُ الـطـافِيَـاتُ بِـهِ حَبَـابُ
أنـا مِـنْ بِحـارِكَ قَطْـرَةٌ مِـمَّـا تَـحَمَّـلَـهُ الرَبَـابُ
أَلْـقَـى بِهـا بَعْـدَ السِـفَـارِ فَضَـمَّهـا قَفْـرٌ يَبَـابُ
أَلْبَـحْـرُ غَايَتُهـا فَلا وادٍ يَـصُـدُّ ولا عُقَـابُ
يـا دَمْعَـةَ المُـزْنِ اغتَـرَبْـتِ وَشَـطَّ أَهْلُـكِ والجَنَـابُ
حُثِّـي خُطـاكِ فلِـلْـفُـروعِ إِلـى أُرُومَتِهـا انْجِـذَابُ
حُثِّـي خُطـاكِ فَشـاهِـقٌ يُـرْقَـى وَمُـوحِشَـةٌ تُجَـابُ

أَلْبَحْرُ مَعْدِنُكِ الأَصِيلُ وَشَوْق رَوْحِكِ والحُبَابُ
وَغداً لِلُجَّتِهِ وإِنْ بَعُدَتْ يَتِمُّ لَكِ انْسِيابُ

* * *

أَنَا لا أُطِيلُ إِذَا ابْتَهَلْتُ وقد تَحَدَّتْنِي الصِعَابُ
لا أَشْتَكِي وَبِمُهْجَتِي ظُفُرٌ يُمَزِّقُها وَنَابُ
مَسَحَ الحَيَاءُ على الدُموعِ وأَكْرَمَ الشَكْوى اقْتِضَابُ
تَكْفِي بِبَابِكَ وَقْفَةٌ وأَسىً تَجَمَّلَ واكْتِئَابُ

* * *

يا شَامُ عِطْرُ سَرِيرَتِي حُبٌّ لِجَمْرَتِهِ التِهَابُ
أَنْتِ اللُبَانَةُ في الجَوانِحِ لا النَوارُ ولا الرَبابُ
لَكِ مُهْجَتِي وَقَبُولُها مِنْكِ الهَدِيَّةُ والثَوَابُ
والنُورُ في عَيْنِي وَلا مَنٌّ عَلَيْكِ وَلا كِذَابُ
أَنَا مَنْ عَرَفْتِ: تَجَلُّدُ زَحَمَ النَوائِبَ واحْتِسَابُ
وَلَئِنْ عَثَرْتُ فَرُبَّما عَثَرَتْ مُجَلِّيَةٌ عِرَابُ
يَعْيَا بِحَقِّك مَنْ يُسَوِّفُهُ ولا يَعْيَا الطِلاَبُ
غَالَبْتُ أَشْواقِي إِلَيْكِ وَيُضْرِمُ الشَوْقَ الغِلاَبُ
وَوَدِدْتُ لَوْ عَمَرَتْ رُباكِ وأَلْفُ عامِرَةٍ خَرَابُ
أَنا طَيْرُكِ الشادِي وللأَنْغَامِ مِنْ كَبِدِي انْسِرابُ
سُكِبَتْ أَغارِيدي وللأَمْواجِ زَأْرٌ واحتِرابُ
فَصَغَتْ لِتَسْمَعَها الرِياحُ وَقَرَّ في المَوْجِ اضْطِرابُ

أَنَـا والـرَبِيـعُ مُشَـرَّدَانِ وللشَـذَا مَعَنَـا ذَهَـابُ
لا الأَيْـكُ بَعْـدَ غِيابِنَـا غَرِدُ الـطُيـوبِ ولا الرَبَابُ
والنُـورُ يَسْـأَلُ والخَمـائِـلُ والجَمَـالُ مَتَـى الإِيَابُ ؟

* * *

جنيف ٢٢/شباط ١٩٦٤

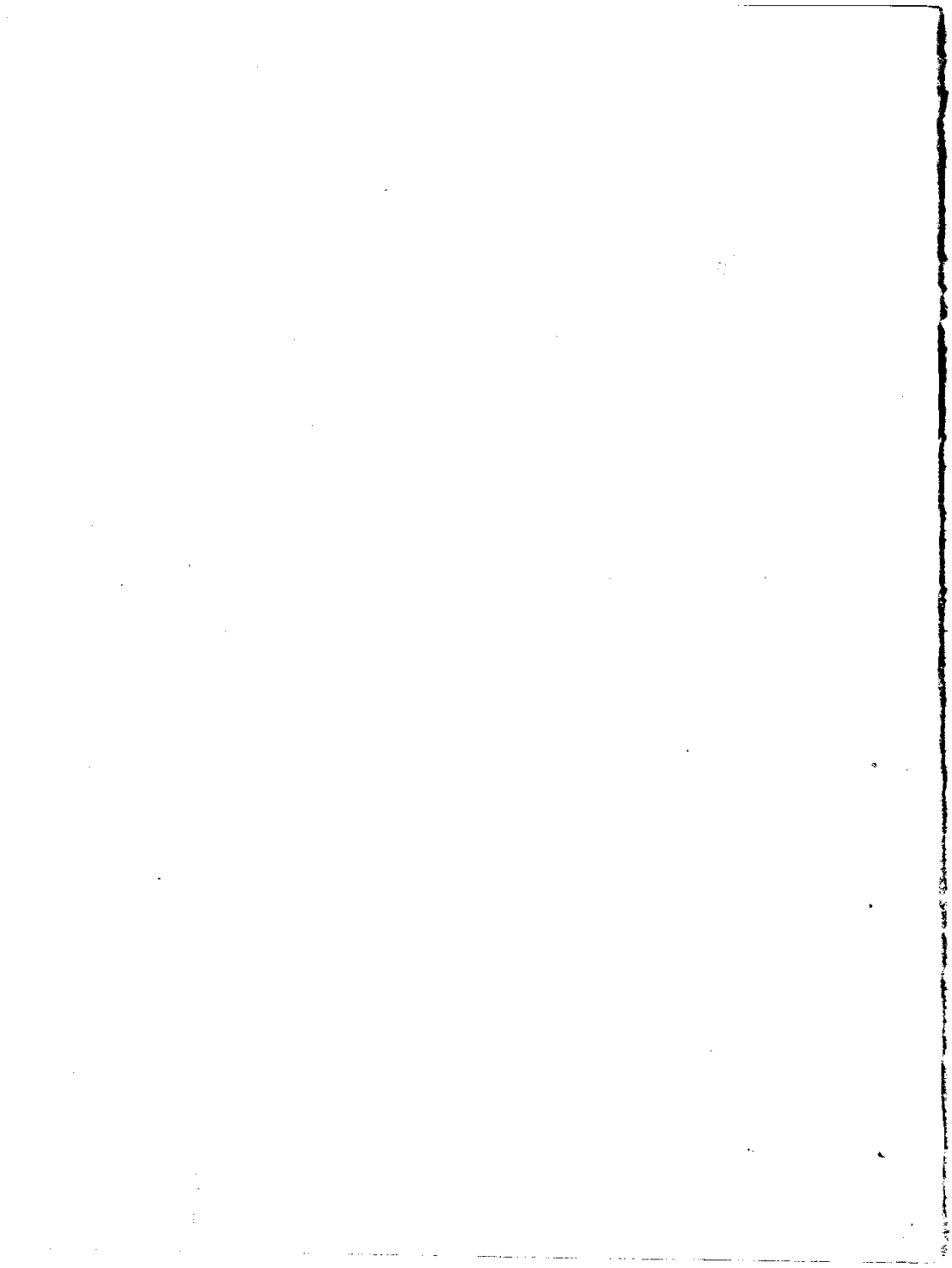

أني لاشمت بالجبار

يـا سَـامِـرَ الحَـيِّ هَـلْ تَعْنِيـكَ شَكْـوَانَـا
رَقَّ الحَـدِيـدُ وَمـا رَقُّـوا لِبَـلْوانـا

خَـلِّ العِتَـابَ دُمـوعَـاً لاَ غَنَـاءَ بِهَـا
وعَـاتِـبِ القَـوْمَ أَشْـلاَءً ونِيـرانَـا

آمَنْـتُ بالحِقْـدِ يُذْكِـي مِـنْ عَـزَائِمِنَـا
وأَبْعَـدَ اللَّـهُ إِشْفَـاقَـاً وَتَحْنـانَـا

وَيْـلَ الشُـعـوبِ التـي لَـمْ تَسْـقِ مِـنْ دَمِهَـا
ثـاراتِهـا الحُمْـرَ أَحْقَـاداً وأَضْغَـانَـا

تَرَنَّـحَ السَـوْطُ فِـي يُمْنَـى مُعَـذِّبِهـا
رَيَّـانَ مِـنْ دَمِهَـا المَسْـفُـوحِ سَكْـرَانَـا

تُغْضِـي عَلـى الـذُلِّ غُفْرانَـاً لِظَـالِمِهَـا
تَـأَنَّـقَ الـذُلُّ حَتَّـى صَـارَ غُفْرانَـا

ثَـاراتُ يَعْـرُبَ ظَمْـأَى فِـي مَـراقِـدِهَـا
تَجَـاوَزَتْهَـا سُقَـاةُ الحَـيِّ نِسْيـانَـا

أَلاَ دَمٌ يَتَنَـزَّى فِـي سُـلاَفَتِهَـا
أَسـتَغْفِـرُ الثَـأْرَ بَـلْ جَـفَّتْ حُمَـيَّانَـا

لاَ خَـالِـدُ الفَتْـحِ يَغْـزُو الـرُومَ مُنْتَصِـراً
وَلاَ المُثَنَّـى عَلـى رَايَـاتِ شَيْبـانَـا

* * *

أَمَّـا الشَـآمُ فَلَـمْ تُبْـقِ الخُـطُـوبُ بِهَـا
رَوْحَـاً أَحَـبَّ مِـنَ النُعْمَـى وَرَيْحَـانَـا
أَلَـمَّ واللَّيْـلُ قَدْ أَرْخَـى ذَوائِبَـهُ
طَيْـفٌ مِـنَ الشَـامِ حَيَّـانَـا فَأَحْيَـانَـا

حَنَـا عَلَيْنَـا ظِمَـاءً فِـي مَنَـاهِلِنَـا
فَـأَتـرعَ الـكَأْسَ بالـذِكْـرَى وعَـاطَـانَـا
تُنَضِّـرُ الـوَرْدَ والـرَيْحَـانَ أَدْمُعُنَـا
وَتَسْـكُـبُ العِـطْـرَ والصَـهْبَـاءَ نَجْـوانَـا

السَـامِـرُ الحُـلْـوُ قَـدْ مَـرَّ الـزَمَـانُ بِـهِ
فَمَـزَّقَ الشَـمْـلَ سُـمَّـاراً وَنُـدْمَـانَا
قَـدْ هَـانَ مِـنْ عَهْـدِهَـا مَـا كُنْـتُ أَحْسَـبُهُ
هَـوى الأَحِبَّـةِ فِي بَغْـدادَ لا هَانَـا

فَمَـنْ رَأَى بِنْـتَ مَـرْوانَ انْحَنَـتْ تَعَبَـاً
مِـنَ السَـلاسِـلِ يَرْحَـمْ بِنْـتَ مَـرْوَانَـا
أَحْنُـو عَلى جُـرْحِهَـا الـدَامِـي وأَمْسَحُـهُ
عِـطْـراً تَطِيـبُ بِهِ الـدُنْيـا وإِيمَـانَـا

أَزْكَـى مِـنَ الـطِيـبِ رَيْحَـانـا وغَالِيَـةً
مـا سَـالَ مِـنْ دَمِ قَتْـلاَنَـا وَجَـرْحَانَـا
هَـلْ فِـي الشَـآمِ وَهَـلْ فِـي القُـدْسِ وَالِـدَةٌ
لا تَشْتَـكِـي الثُكْـل إِعْـوَالاً وإِرنَـانـا

تِلْكَ القُبـورْ فَلَوْ أَنِّي أُلِمُّ بِهَـا
لَمْ تَعْدُ عَيْنَايَ أَحْبَابَاً وَإِخْوانَـا
يُعْطِـي الشَـهِيـدُ فَلاَ واللَّهِ ما شَهِـدَتْ
عَيْنِي كإِحْسَـانِـهِ فِـي القَـوْمِ إِحْسَانَـا
وَغَـايَـةُ الجُـودِ أَنْ يَسْـقِي الثَـرى دَمَـهُ
عِنْـدَ الـكِفَـاحِ وَيَلقَى اللّـهَ ظَمْآنَا
والحَـقُّ والسَيْـفُ مِـنْ طَبْعٍ وَمِـنْ نَسَـبٍ
كِلاَهُمَـا يَتَلَقَّـى الخَـطْـبَ عُرْيَـانَـا

***

قُـلْ لـلأُلـى اسْتَعْبَـدُوا الـدُنْيَـا لِسَيْفِـهِـمُ
مَـنْ قَسَّـمَ النَـاسَ أَحْـرارا وَعُبْـدانَـا
إِنِّـي لأَشْـمَـتُ بالجَبَّـارِ يَصْرَعُـهُ
طِـاغٍ وَيُـرْهِقُـهُ ظُلْمَـا وَطُغْيَـانَـا
لَعَلَّـهُ تَبْعَـثُ الأَحْـزانُ رَحْمَتَـهُ
فَيُصْـبِـحُ الـوَحْشُ فِـي بُرْدَيْـهِ إِنْسَـانَـا
والحُـزْنُ فِـي النَفْـسِ نَبْعٌ لاَ يُمَـرُّ بِـهِ
صَـادٍ مِـنَ النَفْـسِ إِلاَّ عَـادَ رَيَّـانَـا
والخَيْـرُ فِـي الـكَـوْنِ لَـوْ عَـرَّيْـتَ جَـوْهَرَهُ
رَأَيْتَـهُ أَدْمُعَـاً حَـرَّى وأَحْـزَانَـا

---

١) سقوط باريس في يد الالمان في الحرب الاخيرة .

سَمِعْتُ بَارِيسَ تَشْكُو زَهْوَ فَاتِحِهَا
هَلاَّ تَذَكَّرْتِ يا بارِيسُ شَكْوانَا[1]

والخَيْلُ فِي المَسْجِدِ المَحْزُونِ جائِلَةً
عَلى المُصَلِّينَ أَشْيَاخاً وفِتْيَانَا

والآمِنِينَ أَفَاقُوا والقُصُورُ لَظَىً
تَهْوِي بِهَا النَارُ بُنْيَاناً فَبُنْيَانَا

رَمَى بِهَا الظَالِمُ الطَاغِي[1] مُجَلْجِلَةً
كالعارِضِ الجَوْنِ تَهْداراً وَتَهْتَانَا

أَفْدِي المُخَدَّرَةَ الحَسْنَاءَ رَوَّعَهَا
مِنَ الكرى قَدَرٌ يَشْتَدُّ عَجْلانَا

تَدورُ في القَصرِ عَجْلى وهْيَ باكِيَةٌ
وتَسْحَبُ الطِيبَ اذيالاً وأَرْدَانَا

تُجِيلُ والنَوْمُ ظِلٌّ في محَاجِرِها
طَرْفاً تُهَدْهِدُهُ الاحلامُ وسْنَانَا

فَلا تَرى غَيْرَ أَنْقاضٍ مُبَعْثَرَةٍ
هَوَيْنَ فَناً وتاريخاً وأَزْمَانَا

تِلْكَ الفَضائِحُ قد سَمَّيْتِهَا ظَفَراً
هَلاَّ تكَافأَ يَوْمَ الرَوْعِ سَيْفَانَا

نُجابِهُ الظُلْمَ سَكْرَانَ الظُبى أَشِراً
ولا سِلاحَ لنا الا سَجَايَانَا

---

١) الجنرال سارای يوم ضرب دمشق بالمدافع .

إذا انْفَجَـرْتِ مِـنَ العُـدْوانِ بَاكِيـةً
لـطـالمـا سُمْتِنـا بَغْيـاً وعُـدْوانـا
عِشـرينَ عـامـاً شَـرِبْنـا الـكَـأْسَ مُتْـرَعَـةً
مِـنَ الاذَى فَتَمَلَّـيْ صِـرْفَـهـا الآنـا
مـا للطـواغِيـت فـي باريـسَ قَـدْ مُسِخُـوا
علـى الأرائِـكِ خُـدَّامـاً وأَعْـوانَـا
اللـهُ اكبـرُ هـذا الـكـونُ أَجْمَعُـهُ
لِلَّـهِ لا لَـكِ تَـدْبِيـراً وسُلْطـانـا
ضَغِينـةٌ تَتَنـزَّى فـي جَـوانِحِنـا
مـا كـان أَغنـاكُمُ عنهـا وأَغْنـانـا

* * *

تَفْـدِى الشُـمـوسُ بِضَـاحٍ مـن مَشـارِقِهـا
هِـلالَ شعبـانَ إِذْ حَـيَّا بِشَعْبـانـا[1]
دَوَّتْ بِـهِ الصَـرْخَـةُ الـزهـراءُ فانتفضـتْ
رِمـالُ مكـةَ أَنْجـاداً وكُثْبـانَـا
وسَـالَ أَبْـطَحُهـا بالخَيْـلِ آبِيـةً
علـى الشَـكيـمِ تُـريـدُ الأُفْـقَ مَيْـدانَـا
وبـالـكتـائِبِ مـن فِهْـرٍ مُقَنَّعَـةً
تُضـاحِكُ الشَـمْـسَ هِنْـدِيًّا ومُـرَّانَـا

---

١) ـ شعبان عيد الثورة العربية التي اضرمها الشريف الحسين بن علي

تَمْلَمَلَ الفاتِحونَ الصيدُ وازْدَلَفُوا
إلى السيوفِ زُرَافاتٍ وَوُحْدانَا
وللْجِيادِ صَهيلٌ في شَكائِمِها
تكادُ تَشْرَبُهُ الصحراءُ أَلحانَا
ألسابِقاتُ وما أَرْخَوا أَعِنَّتَهَا
والحامِلاتُ المَنايا الحُمْرَ فُرْسانا
سِفْرٌ مِن المَجْدِ راحَ الدهْرُ يَكْتُبُهُ
ولا يَضِيقُ بِهِ جَهْراً وإمْعانَا
قَرأْتُ فيه الملوكَ الصِيدَ حاشيةً
والهاشِميّينَ طُغْراءً وعُنْوانَا
شَدَّ الحُسَيْنُ على الطُغْيانِ مُقْتَحِماً
فَزَلْزَلَ اللهُ للطُغْيانِ بُنْيانَا
نُورُ النُبوَّةِ في مَيْمُونِ غُرَّتِهِ
تكادُ تَرْشُفُهُ الاجفانُ فُرْقانا
لاثَ العِمامَةَ للجُلَّى ولَسْتُ أرى
الا العَمائِمَ في الإسْلامِ تِيجانَا
يا صاحِبَ النَصرِ في الهَيْجاء كيف غدا
نَصْرُ المعارِكِ عند السِلْمِ خِذْلانا[1]
تَرى السياسَةَ لوناً واحِداً ويَرى
لها حليفُكَ اشكالاً وألْوانَا

---

١) ـ يشير الشاعر بهذه الابيات الثلاثة لنكث الانكليز عهودهم للملك الهاشمي بالحرية والوحدة بعد نهاية الحرب .

لا تَسْـأَلِ القَـوْمَ أَيْـانـاً مُـزَوَّقـةً
فَقَـدْ عَيِينَـا بِهِـمْ عَهْـداً وأيمـانـا
أَكْـرَمْـتُ مَجْـدَكَ عـن عَتْـبٍ هَمَمْـتُ بِهِ
لـو شِئْـتُ أَوْسَـعْتُـهُ جَـهْـراً وتبيـانَـا(١)

***

مـا للسَـفينَـةِ لـم تَـرْفَـعْ مَـراسِيَهـا
إِلَـمْ تُهَـيِّىءْ لهـا الاقـدارُ رُبَّـانَا
شُـقِّـي العَـواصِـفَ والـظَّلْمـاءَ جاريـةً
بـاسْـمِ الجَـزيـرةِ مَجْـرانـا ومُـرْسـانَـا
ضُمِّـي الاعـاريبَ مِنْ بَدْو ومِـنْ حَضَرٍ
إِنـي لأَلْـمَـحُ خَلْـفَ الغَيْـمِ طُـوفـانَا
يـا مَـنْ يُـدِلُّ علينـا في كَتائِبِهِ
نَظـارِ تَطْلَـعْ علـى الـدنيـا سرَايانـا(٢)

* * *

(١٩٤١)

---

١)يقول الشاعر:إنني اكرم مجدك فلا اعتب عليك لانك خدعت بوعودهم ولولا اكرامي لمجدك لاستطعت ان اوسع هذا العتب جهرا وتبيانا .

٢) يتنبأ الشاعر هنا بالوحدة وبقيام جيش عربي ولقد قامت هذه الجيوش ولكنها لم تستطع ان تحرر فلسطين .

دمعة على الشام

نظم الشاعر هذه القصيدة وهو لاجيء في بغداد .

حَـيِّ الـرئيـسَ[1] إذَا نَـزَلْـتَ بِساحـهِ
رُحَبـاً تَهَـلَّلُ للـوُفـودِ فِساحَـا
واقْـرَأْ لَـهُ شِعْـري تُـرَنِّـحْ عِطْفَـهُ
غُـرَرُ البيـانِ وَجَـوِّدِ الأَمْداحَـا
واهْتِـفْ إذا هَـدأَ النـدِيُّ ولـم تَجِـدْ
إلاَّ الأَحِبَّـةَ فيـه والنُصَّاحَـا
يا شـارِبَ المـاءِ القَـراحِ : بِجِلِّـقٍ
لـم يشـربـوا الا الـدمـوعَ قَـراحَا
عُرْسُ الشـآمِ طَغـى عَلَيْـهِ ظالِـمٌ
فَـطـوى البِسـاطَ وحـطَّـمَ الأَقْداحَـا
نَكَـثَ العُهُـودَ وراح يَحْمِـلُ غَـدْرَةً
بَلْقَـاءَ فاجِـرَةَ اليميـن وَقَاحَـا

* * *

قُـلْ للـرئيـسِ تحِيَّـةً مِنْ شاعـرٍ
لـم يَقْـوَ بالبَلْـوى فَضَـجَّ وَباحَـا

١) المرحوم رشيد عالي الكيلاني وكان رئيسا لوزراء العراق يومئذ .

جُلِيَتْ[1] لَهُ الدُنْيا وزُوِّقَ حُسْنُهـا
فَـزَوى بِحُـرِّ جَبِينِـه وأَشَـاحَا
كَتَـم الأُبـاةُ دُمـوعَهُـمْ وأذَعْتُهـا
حُـرَقـاً مُجَلْجِلَـةَ البَيـانِ فِصاحَـا
ولأَهْتِفَـنَّ بِهـا فَأُسْـمِـع فَيْصَـلاً
وأُحَـرِّكَ المَنْصـورَ والسَفَّاحَـا
وَأَعِـزُّ مِـنْ عَبْـدِ الإلَـهِ بِغَضْبَـةٍ
لِحِمـى أُمَيَّـةَ بالشَـآمِ مُباحَـا

* * *

أَمَّـا لِداتُـكَ بالشَـآمِ فإنَّهُـمْ
حَمَلـوا الإبَـاءَ سَلاسِـلاً وجِراحَـا
نَزَلُـوا السُـجُـونَ فَعَـطَّـرُوا ظُلُماتِهـا
أَنَفـاً وعِـزّاً كالضُـحَـى وَجِمَاحـا
يا نازِليـنَ علـى السُـجُـونِ فأَصْبَحَـتْ
بِهِـمُ أَعَـزَّ حِمـىً وأَكْـرَمَ سَاحَـا
اللَّـهُ يَعْلَـمُ ما ذَكَـرْتُ عُهودَكُـمْ
الا انْفَجَـرْتُ تَفَجُّعـاً ونُواحَـا
وإذَا ذَكَرْتُـكُـمُ شَـرِبْـتُ مَدامِعِـي
فَـكأَنَّنـي ثَمِـلٌ أَعُـبُّ الرَاحَـا

---

١) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما تعرض له من اغراء فاق كل الحدود ليوافق على قرار فصل محافظة اللاذقية عن سورية فرفض ولجأ الى العراق سنة ١٩٣٩

إنِّـي لَيَحْمِلُنـي الخَيـالُ إلَيْكُـمُ
فَـأَجُـوبُ فِيـهِ سَباسِـبـاً وبِطَاحَـا
وإخَـالُ أنَّ البَـدْرَ يَحْمِـلُ مِنْكُـمُ
نَبـأً إلَـيَّ اذا أطَـلَّ ولاَحَـا
وَأَرَاكُـمُ وأَكَـادُ أَسْـمَـعُ ضَجَّـةً
لِلـدَّيْدَبَـانِ وغُـدْوَةً وَرَواحَـا
حِسٌّ أُشَـارِكُكُمْ بِـهِ آلاَمكُـمْ
وأكَـادُ أَحْمِـلُ عَنْـكُـمُ الأَتْراحَـا
(١) شَيْـخُ العُـروبـةِ في القُيـودِ إبـاؤُهُ
يُخْفِـي السِـنيـنَ وعِبْئَهـا الفَضَّاحَـا
عَنِـفَ الـطغـاةُ به ويسـخرُ كِبْـرُه
بـالشامتيـن طـلاقـةً ومِراحـا
حَمَـلَ القَضِيَّـةَ والسِـنيـنَ فَيالَـهُ
مِـنْ مَنْـكِـبٍ زَحَـم الـرَدى وأزاحَـا
وإذا ذَكَـرْتُ ابـا ريـاضٍ(٢) عادَنـي
شَـجَـنُ الغَـريـبِ طَغـى هَواهُ فَناحـا
الـذائـدُ الحَـامـي كأَنَّ بَيانَـه
آيُ السَـمـاءِ تَنَـزَّلَـتْ أَلْواحَـا

* * *

١) المرحوم نبيه العظمه وقد كان معتقلا .
٢) المرحوم نجيب الريس وقد كان معتقلا .

يا راكبَ الوَجْناءِ (١) أَخْمَلَ عَهْدُها
إبِلاً ظِماءً في الفلاةِ طِلاحَا
مَرَّت كَلامِعَةِ البُروقِ فَهَجَّنَتْ
غُرَرَ العِرابِ الشُقْرَ والأَوْضاحَا
لا تَعْدُ عِنْدَ اللاَّذِقِيَّةِ شاطِئاً
غَزِلاً كضاحِكَةِ الصِبا مِمْرَاحَا
نَدْيَانَ مِنْ أَشَرِ الصِبا وجُنُونِهِ
طَلْقَ الفُتونِ مجَانَةً ومِزاحَا
باللهِ إنْ كَحَلَتْ جُفونُكَ مَوْجَهُ
ضُمَّ الشِراعَ وقَبِّلِ المَلاَّحَا
واسْرِقْ مِنَ الكَنْزِ المُقَدَّسِ مَغْرِباً
حُلْوَ الاصيلِ ومَشْرِقاً لَّاحَا
(٢) وانزِلْ على خَيْرِ الأُبُوَّةِ رَحْمَةً
تَسَعُ الحياةَ وعِفَّةً وصَلاَحَا
يَشْكو السَقامَ فإنْ هَتَفْتَ أَمَامَهُ
باسْمِي تَهَلَّلَ وَجهُهُ وارتْاحَا
وأَطِلْ حديثَكَ يَسْتَعِدْهُ تَعَلُّلاً
بالذِكْرِ لا لِتَزيدَهُ إيضَاحَا

---

١) يراد بها هنا السيارة

٢) يشير الشاعر بهذا البيت الى المغفور له والده وقد فارقه وهو على فراش المرض الذي لم يشف منه حتى استأثر به رضوان الله

واذا الحَّ فللحنانِ عُذُوبةُ
في مقلتيهِ تحُبِّبُ الإلحاحا

(١) والْثِمْ أَحِبَّتِيَ الصِغارَ ورُفَّها (٢)
غُرَراً نَواعِمَ كالورُودِ صِباحَا
واحْمِلْ لإخْوانِ الجِهادِ تحِيَّةً
كالروض رفَّ عبَاهِراً وأقاحا
وإذَا نزَلْتَ بِبانِياسَ فحَيِّها
عَنِّي وضُمَّ عَبيرَها الفوَّاحَا
(٣) واسْكُبْ عَلى قَبْرٍ هُناكَ مُعَطَّرٍ
بالذِكْرَياتِ فُؤادَكَ المُلْتاحَا
وأنا الوفِيُّ وإن نَزَحْتُ ورُبَّما
لَجَّ الحَنينُ فَأَتْلَفَ النُزَّاحَا
إنَّ الفِراخَ على نُعومَةِ ريشِها
رِيعَتْ ففَارَقَ سِرْبُها الأَدْواحَا

* * *

(٤) فُتُّ العَدُوَّ بِمُهْجَتي وَتَرَكْتُهُمْ
حَنَقاً عليّ يُقلِّبُونَ الراحَا

---

١) ترك الشاعر يومئذ اطفاله وهم كزغب القطا .
٢) رفَّها : ضَمَّها وعطف عليها
٣) قبر المرحوم فائز الياس وقد كان زميل الشاعر في النيابة وفي الكتلة الوطنية .
٤) هرب الشاعر قبل ساعات من مُداهمة بيته لاعتقاله .

عَــزْمٌ فَجَــأْتُ بـهِ العِـدى لَمْ أَسْتَشِرْ
نَجْمـاً عليـه ولا أَجَلْـتُ قِدَاحـا
مالِـي أُكافِـحُ بالبَيـانِ وإِنَّـهُ
جُهْـدُ المُقِـلِّ عَزيمـةً وكفاحَـا
وَمِـنَ الغَضَـاضَـةِ أَنَّنِـي أَرْضـى بِـهِ
بَعْـدَ الـظِمـاءِ المُرْهَفَـاتِ سِلاحـا
فَلَئِـنْ سَلِمْـتُ لأَهْتِفَـنَّ بغَـارَة
شَـعْـواءَ أُحْكِمُهـا ظُبـىً ورِماحَـا
ولأَشْـهَـدنَّ بكـل فَجٍّ مَعْقِـلاً
للـظُلْـمِ زَعْـزَعَـهُ القَضـاءُ فَطاحَـا

* * *

(١) خَلّوا جَنـاحاً فـي العِـراق لِنَسْـرِهِ
وتخـوَّفُـوه فـي الشـآم جَنـاحَـا
وَلَـوَ انَّهُـمْ خَلَّـوا عِنـانَ جَناحِـهِ
لَغـدا بـه بَيْـنَ النُجـومِ وَرَاحَـا

* * *

أَمَّـا اللِـواءُ فلِلْعِـراقِ ورُبَّمَـا
زَحَـمَ الـكواكِبَ نجـدةً وطِماحَـا

---

١) وقد صدقت نبوءة الشاعر فرأى بعد سنوات قليلة معاقل الظلم الفرنسي تندك واحدا بعد آخر وثكناتهم ينزل عنها لواء فرنسا ليرتفع العلم السوري . وقد كانت فرحة لا يستطيع ان يتصورها الا من عاشها .

آســى الجِــراحَ الــداميــاتِ حَنانُــــهُ
وَهَفــا وَرَقَّ طَلاقــةً وسَماحَــا
النــازِلُــون[1] علــى العِــراقِ تفــيَّأُوا
ظِــلَّ العِــراقِ مُعَــطَّــراً نَفَّــاحَا
اللــه أَطْلَــعَ في مَخَــائِـل فَيْصَـلٍ
عنـد الخُــطــوبِ الــزَّاحِفــاتِ صَباحــــا

(بغداد ١٩٤١)

١) لجأ الزعماء السوريون أو اكثرهم يومئذ الى العراق بعد ان تمكنوا من الهرب اليه عبر الصحراء وفي طليعتهم المغفور له سعد الله الجابري وجميل مردم بك ولطفي الحفار وعادل العظمه .

عيد الجلاء

أَلزغَـاريـدَ فَقَـدْ جُـنَّ الإبـــاءْ
مَـنْ صِفـاتِ اللـــهِ هَـذِي الكِبْـرِيَـــاءْ
بـأبـي العَـــزْلاءُ فـي غَمْـرتهـا
آلـــةُ الحَـرْبِ جِـــراحٌ وَدِمَـــاءْ
بنـــتُ مَـرْوانَ اصـطفـاهـا ربهُـا
لا يشـــاءُ اللـــهُ إلاَّ ما تَشَـاءْ
هـــي فـي غسـانَ بـأسٌ وَنـدىً
وَهْـيَ فـي الإسـلامِ فَتْـحٌ وَبَـلاءْ
جَمْـرَةُ الحـق فَسُـبْحـانَ الـذي
صَـاغَ هـذَا الجَمْـرَ من ظِلٍ ومـاءْ
الأَديـمُ السَّـمْـحُ عِطْـرٌ ورؤىً
رُبَمـا أغْفَـى عَلَيْـهِ الأَنْبِيَـــاءْ
وعلـى كـلِ مكـانٍ جِـدَّةٌ
تـأْسِـرُ العَيْـنَ ونُعْمَـى وَرُواءْ
خَـالَـفَ المَشْـهـدُ فيـهـا جـارَه
فِلـداتُ الحُسْـنِ شَـتَّـى غُـرَبـاءْ
كُـلُّ حُسْـنٍ بِـدْعَـةٌ مُفْـرَدَةٌ
لَيْـسَ بَيْـنَ الحُسْنِ والحُسْـنِ إخَـاءْ

تَنْـدُرُ الأَشْـبـاهُ مِـمَّا اخْتَلَفَـتْ
صُـوَرُ الحُـسْـنِ وتَخْفَـى النُظَـرَاءْ
أَلـوُرودُ الحُمْـرُ ذِكْـرىَ وَهَـوىً
وَطُيـوفٌ مِـنْ جِـرَاحِ الشُهَـدَاءْ
نَفْحَـةُ الصُـبْـحِ على غُـوطَتِنـا
خَيَـرٌ عَنْهُـمْ وأَطْيَـابُ المَسـاءْ
حَمَلَـتْ زَغْـرَدَةَ العُـرْسِ لَكُـمْ
فـانْتَشَـى الأُفْـقُ ولَـم يَصْحُ الهَـواءْ
أَيُهـا الـدُنيا أرشُـفـي مـن كـأسِنَا
إنَّ عِطْـرَ الشـامِ مِـنْ عِطْـرِ السَمـاءْ
شُـهَـدَاءُ الـحَـقِّ فـي جَنَّتِـهِـمْ
هَـزَّهُـمْ لِلْشَـامِ وَجْـدٌ وَوَفَـاءْ
تَضْـحَـكُ (الـرَّبْـوَةُ) فـي أحـلامِهِـمْ
هَـلْ عَـنِ الرَّبْـوَةِ في عَدْنٍ غَنَاءْ
كُلَّمـا هَبَّتْ صَبـاً مِـنْ (دُمَّـرٍ)
رَنَّـحَ الجَنَّـةَ طِيـبٌ وَغِنَـاءْ
خُيَـلاءُ الحَـقِّ فـي عَـدْنٍ لَكُـمْ
يَغْـفِـرُ اللـهُ لِقَـوْمـي الخُيَـلاءْ
واعْـذِروا عَـدْنـاً علَـى غَيْـرَتِهـا
إنَّهـا والشَـامَ فـي الحُسْـنِ سَـواءْ

***

شُـهَـداءَ الـحَـقِّ هَـلْ يُسْكِـرُكُـمْ
فـي نَعِيـمِ اللـهِ شِـعْـرٌ وَغِنـاءْ
فَسَـلُـوا اللـهَ بِمَـا قَـدَّمْتُـمُ
يَكْشِـفِ اللـهُ عَـنِ السِـرِّ الغِطَـاءْ

وإذا الفِـردوسُ مَـجْلُـوٌّ عَلَـى
مَفْـرِقِ الشَـمْـسِ فَما فِيـه خَفَـاءْ
عَـرَبِـيٌّ[1] الـدَارِ والاهـلِ مَعـاً
والـرَحيـقِ المُشْـتَهـى والنُـدَمَـاءْ
حَمْحَمَـاتُ الخَيْـلِ فـي أفيـائِـهِ
وَقِـرَى الضَيْـفِ وتَـرْجِيعُ الحُـدَاءْ
عَمِـرَ الفِـرْدوس ظِـلاً وقِـرَىً
وَتَجَـلَّى للـوفـود الخُلَفَـاءْ
آلُ مـروانَ جَـلالٌ وَنَـدىً
وبنـو العبـاسِ هَـدْيٌ وَضِيَـاءْ
مُتَصَـافِيـنَ علـى نَعمـائِـهِ
لَيْـسَ فـي الجَـنَـةِ إلاَّ الأَصْفيـاءْ
سَكَـبَ اللـهُ على أَحْقـادِهِـمْ
مـن نَـدِيِّ الحُـبِ ما شَـاؤُوا وَشَـاءْ
وَعَلـى الـسُـدَّة قَحْطَـانِيَـةً
جُلِـيَ المُلْـكُ وقيـل : الشُعَـرَاء

---

١) يقول الشاعر:إن الجنة عربية الدار والسكان والشمائل والعادات .

وَتَغَنَّيْتُ فَمَرَّتْ صُوَرُ
لَذَّةُ الأَحْلامِ مِنْ دُنيا الفَنَاءْ
كُلَّمَا سَلْسَلْتُ من أَلْحانِها
مَسَحُوا الدَمْعَ على فَضْلِ الرِدَاءْ
أَنْتِ مِيراثُ لنا مِنْ عُمَرٍ
يَسْأَلُ الدَيَّانُ عَنْهُ الوُرَثَاءْ

* * *

يا فَلَسْطِينُ هَوىً مُسْتَعِرُ
مِنْ رُبَى الشَامِ وَنَصْرُ وَوَلاَءْ
وَتَحِيَّاتُ الرِضَى مِنْ دِجْلَةٍ
وَسَلاَمُ اللَّهِ مِنْ غَارِ حِرَاءْ
أَيْنَ مِنْ ثَأْرِكِ والثَأْرُ دَمٌ
خَالِدُ الفَتْحِ وَأَيْنَ الأُمَرَاءْ
(١) اليَهُودُ اسْتَأْسَدُوا فِيكِ فَمَنْ
جَرَّأَ الضَعْفَ وأَشْلَى الضُعَفَاءْ
(٢) هَانَ عَنْ شَكْوايَ عُبْدَانُ العَصَا
أَنَا أَشْكُو مِنْ عُهودِ الخُلَفَاءْ

---

١) هذه الابيات قبل قيام دولة اسرائيل فماذا نقول الآن ؟

٢) يريد بعبدان العصا اليهود وهو تعبير عربي عن الذل .

وَتَغَنَّيْتُ فَجُنَّتْ طَرَبَاً
أَرْيِحَيَّاتٌ وَنُعْمَى وَحَيَاءْ
جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ أَنْتُمْ أَهْلُهَا
وَسِوَاكُمْ فِي حِمَاهَا غُرَبَاءْ

أَنَا أَشْعَارِيَ مِنْ أَحْسَابِكُمْ
غُرَرُ الأَحْسَابِ والشِعْرِ وِضَاءْ
هَفَتِ الحُوْرُ وأَلْقَتْ خُمْرَهَا
أَيْنَ رِضْوَانُ وَأَيْنَ الرُقَبَاءْ

كُلُّ حَوْرَاءَ عَلَى أَجْفَانِهَا
يَحْلُمُ السِحْرُ وَيَغْفُو الإِشْتِهَاءْ
تَمَّ صَفْوُ الدَّهْرِ لَوْلاَ مِحْنَةٌ
فِي فَلَسْطِينَ وَبَلْوَى وَشَقَاءْ

يَا رُبَى القُدْسِ وَمَا أَنْدَى الرُبَى
دَمُنَا فِيهَا رَبِيعٌ وَنَمَاءْ
هَذِهِ الأَطْيَافُ فِي جَنَّاتِهَا
أَرْيِحَيَّاتُ الجُدُودِ القُدَمَاءْ

هَمَسَ الفِرْدَوْسُ هَلْ مِنْ نَبَأٍ
عَنْ رُبَى الغُوطَةِ مَعْسُولِ الرَجَاءْ
وَنَعَمْ عِنْدِيَ بُشْرَى عَطَّرَتْ
بالزَغَارِيدِ وُجُوهَ البُشَرَاءْ

إنْتَـزَعْنَـا المُلْـكَ مِـنْ غَـاصِبِيـهِ
وَكَتَبْنَـا بالـدَمِ الغَمْـرِ الجَـلاَءْ
وَسَـقَـانَـا كَأْسَـهُ مُـتْـرَعَـةً
وَسَـقَيْنَـاهُ وَفِـي الـكَـأْسِ امْتِـلاَءْ
واقْتَحَمْنَـاهُ حَـدِيـداً وَلَظَـىً
وَجَـزَيْنَـاهُ اعْتِـدَاءً باعْتِـدَاءْ
سَكِـرَتْ مِمَّـا ارْتَـوَتْ مِـنْ دَمِـهِ
غُصَـصٌ حَـرَّى وَثَـاراتٌ ظِمَـاءْ

كُلَّمَـا جُـدِّلَ مِنَّـا بَطَـلٌ
زَغْـرَدَتْ فِـي زَحْمَـةِ الهَـوْلِ النِسَـاءْ
الـظِبَـاءُ الأُمَـوِيَّـاتُ وَفِـي
خِـدْرِهَـا الـدُنْيَـا : حَمَـى اللَّـهُ الظِبَـاءْ

كَلَّمـا نَادَيْـنَ فِتْيَـانَ الحِـمَـى
كَـبَّـرَ الفِتْيَـانُ وارْتَـدَّ النِـدَاءْ
نَـحْـنُ لِلْغُـوطَـةِ فِـي الجُـلَّى فِـدَىً
وَلِهَـذَا الـكُحْـلِ فـي العَيْـنِ فِـدَاءْ
سَقَـتِ الجَـرْحَـى فَلَـمْ يَظْمَـأْ فَتَـىً
رَشَـفَ الْـكَـوْثَـرَ مِـنْ هَـذا السِقَـاءْ
شُهَـدَاءَ الحَـقِّ لا أَبْكِيْـكُـمُ ...
جَـلَّـتِ الغُـوطَـةُ عِـنْ ضَعْـفِ البُكَـاءْ

جَـلَّ هَـذا الـدَمُ انْ يُـرْثَـى لَـــهُ
عَـــارُ سَفَّـاكِيـهِ أَوْلَـى بالرِثَـــاءْ
الـرُبَـى فِـي مَيْسَـلَـوْنَ اسْتَعْبَـــرَتْ
أَيْـنَ دَمْـعُ الحُـزْنِ مِـنْ دَمْـعِ الهَنَـــاءْ
أَقْبَـلَ الـدَّهْـرُ عَلَيْهَـا تَائِبـاً
وَعَفَـا يُـوسُـفُ[1] عَـنْ جَـوْرِ القَضَـــاءْ
يـا ظِبَـاءَ الأُمَـوِيِيـنَ اضْحَكِـــي
تَضْـحَـكِ الـدُنْيَـا وَيَغْمُـرْهَـا الصَفَـــاءْ
واغْمِـــزِي الأَنْجُـمَ هَـذِي أَعْيُـــنٌ
شَـأْنُهـا فِـي الـدَّهْـرِ لَمْـحٌ واجْتِـــلاَءْ
أَعْيُـــنٌ حُبُّـكِ قَـــدْ سَـــهَّـــدَهَـــا
فـاغْمُـرِيهـا بالمُنَـى تَغْـفُ السَمَـاءْ
وَعَلَـى السُـدَّةِ والنَقْـعُ دُجَـــىً
أُمَـوِيُ الفَتْـحِ مَـرْمُـوقُ البَهَـــاءْ
مِـنْ عَلـيٍّ فِيـهِ طُهْـرٌ وَهُـــدَىً
وَمِـنَ الفَـارُوقِ بَـأْسٌ وَمَضَـــاءْ
كَيْـفَ أَنْسَـى يـا زَعِيمِـي[2] لَيْلَـــةً
عَصَـفَـتْ نيْـرانُـهـا بالأَبْـرِيَـــاءْ
غُـوْطَـةُ الشَـامِ جَحِيـمٌ فَـائِـرٌ
والمَيَـادِيـنُ طِعَـانٌ وَرِمَـــاءْ

---

١) الشهيد يوسف العظمة
٢) الزعيم شكري القوتلي .

مَـا شَـكَى الشَـاكُـونَ فِيهـا ظَمَـأً
أُكـؤُسُ الحِقْـدِ رَوِيَّـاتٌ مِـلاَءْ
مَلَـكَ الـطَـاغِي الثَنَـايَـا عُنْـوَةً
واسْـتَـحَـرَّ القَتْـلُ واشْـتَـدَّ الْبَـلاَءْ
وَتَجَـارى الأُمَـوِيُّـونَ إِلَـى
غَمْـرَةِ الـمَـوتِ وَفَـازَ السُعَـدَاءْ

***

جُنَّـتِ النَخْـوَةُ قَحْطانِـيَّـةً
وَهْـيَ عَزْلاءُ وَجُـنَّ الأَقْوِيـاءْ

* * *

تَخْـرَسُ الانْبـاءُ مِـمَّـا حَمَلَـتْ
فَهْـيَ هَمْـسٌ فـي شِفـاهِ السُفَـراءْ[1]

* * *

عُنْفُ بَارِيـسَ شَجَـانـي أَمْـرُهُ
بِـدْعَـةُ الأَقْـدارِ عُنْفُ الجُبَنَـاءْ
قَـدْ عَذَرْنَـاهُـمْ على غَدْرِهِـمُ
واسْتَـرَحْنَـا واسْـتَـراحَ الطُلَقَـاءْ
سَهَّـلَ الغَـدْرَ علـى صاحِبِـهِ
أَنَّـهُ مِـنْ كُلَـفِ المَجْـدِ بَـراءْ

لَمْ يَنَلْ مِنْ عَزْمِكَ اليَأْسُ وَلا
عَنَتُ الدَهْرِ ولا الداءُ العَيَاءْ
بُورِكَ الإيمانُ نُوراً وهُدىً
نِعْمَةُ اللهِ وسِرُّ العُظَمَاءْ
يَصْنَعُ الدُنْيَا ولا تَصْنَعُها
صُوَرُ العَقْلِ وألْوانُ الدَهَاءْ
كَتَبَ اللهُ لَكَ النَصْرَ بِهِ
فَعَلى الظُلاَّمِ والظُلْمِ العَفَاءْ
حَقُّ يَوْمِ الشامِ أنْ تَكْتُبَهُ
قُدْرَةُ اللهِ على وَجْهِ ذُكَاءْ
هَذِهِ الارضُ لِفُرْسانِكُمُ ...
ولِعِقْبانِكُمُ هَذا الفَضَاءْ
مُلْكُ مَرْوانَ لَكُمْ وَحْدَكُمُ
قَدْ جلا الإيمانُ كُلَّ الشُرَكَاءْ
ألغد الميمون في الدنيا لكم
فاقتحم يا جيشُ واخفق يا لواء

* * *

١٩٤٦

---

(١) هذه الابيات تصف المعركة الاخيرة التي انتهت بالاستقلال التام وقد جن جنون الفرنسيين فصبوا مدافعهم على البرلمان وعلى المدينة وجاء سفراء الدول الاجنبية الى قصر الرئيس القوتلي وهو مريض بقرحة المعدة والنزيف لا ينقطع عنه فعرضوا عليه ان يقبل بمعاهدة مع الفرنسيين تضمن لهم بعض الحقوق وتجنب البلاد كارثة لا تُعرف حدودها ولكن الرئيس رغم مرضه، واخوانه حوله أبى ذلك كل الاباء وقال للسفراء: اذا لم تتدخل دولكم لاعادة الحق الى نصابه فسأنقل سريري الى ساحة المرجة لأستشهد مع افراد الشعب .

بدعة الذل

إلى روح ابراهيم هنانو

عاصِـــفُ بَـــادَه الـــرُبَـــى ودُخَـــانُ
أَيْـــنَ مِنْـكَ الشَـقِيـــقُ والأُقْحُـــوانُ
أَيْـــنَ مِنْـــكَ الـــرَبِيـــعُ يَنْفَـــحُ بالعِطْـــرِ
وأَيْـــنَ السُـــلافُ والنُدْمـــــانُ
بُـــورِكَ الفَـــرْدُ حِيـــنَ يَدْمَـــى فُـــؤادُ
عَبْقَـــرِيٌّ أَوْ حِيـــنَ تَدْمَـــى بَنـــانُ
مُحِيَـــتْ أَشْـــهُـــرُ الـــرَبيـــعِ فَلا أَيَّـــارُ
مِـنْ دَهْـــرِنـا ولا نَيْســـانُ
لا شَقِيـــقُ النُعْمـــانِ فـــي غُوطَـــةِ الشـــامِ
ولا عطـــره ولا النُعْمـــانُ
يَعْـــرِفُ الفَجْـــرُ أَنَّ دَمْعِـــيَ أَصْفَـــى
مِـــنْ نَـــداهُ ويَعْـــرِفُ الـــرَيحْـــانُ
هَـــبْ نَـــدَى الفَجْـــرِ كالـدُمـــوعِ صَفـاءً
أَيْـــنَ مِنْـــهُ البَلْـــوَى وأَيْـــنَ الحَنَـــانُ
يَعْـــرِفُ الـــطِيـــبُ أَنَّ دَمْعِـــيَ أَذْكَـــى
مِنْـــهُ عِطْـــراً وتَعْـــرِفُ الأَرْدانُ ..
تَعْـــرِفُ الـــراحُ أَنَّ دَمْعِـــي سُـــلافُ
وَجُفُـــونـي كُؤوسُـــهـــا والدِنَـــانُ

أنـا أبْـكِـي لِلَّيْـلِ أَوْحَشَـهُ البَـدْرُ
وللْقَلْـبِ هَـدَّهُ الحِرْمـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلْهَـمِّ يَأْوِي إلـى القَلْـبِ
فَيَقْسـو عَلـى الغَـريـبِ المَكَـانُ
أنـا أبْكِـي لِكُـلِّ طـاغٍ فمـا يَسْتُـرُ
إلاَّ الضَـراعَـةَ الطُغْيـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلْعَيْـنِ لا تُدْرِكُ الحُسْـنَ
وللْحُسْـنِ فاتَـهُ الإحْسـانُ
أنـا أرْثـي لِلْمُتْـرَفِيـنَ فَمـا يُبْـدِعُ
الا الشَـقـاءُ والاحـزانُ

وأنَـا المُتْـرَفُ الأنِيـقُ ولَكِـنْ
تَـرفـي صَـاغَ فَنَّـهُ الرَحْمـنُ
أنـا أبْـكِـي لِكُـلِّ قَيْـدٍ فَأبْكِـي
لِقَـريضـي تَغُلُّـهُ الأَوْزانُ

أدْمُعِـي فـي السَـمـاءِ أنْجُمُهـا
الـزُهْـرُ وفـي البِحْـرِ دُرُّهُ والجُمـانُ
أيُّهـا الـكَافِـرُونَ هَـذي دُموعـي
مِـنْ رِسـالاتِ وَحْيِهـا الإيمـانُ
أيُّهـا المُذْنِبُـونَ هَـذا فُـؤادي
مِـنْ مَعَـاني جِراحِـهِ الغُفْـرانُ

مِنْ هُمومِي ما يَنْعُمُ العَقْلُ في
دُنْيا أساهُ وَيَهْنَأُ الوِجْدانُ

مِنْ هُمومِي مالا يُفِيقُ عَلَى
البَعْثِ ومِنْها المُدَلَّهُ السَهْرَانُ

مِنْ هُمومِي ما يَغْمُرُ الكَوْنَ بالعِطْرِ
وَمِنْها مَزاهِرٌ وَقِيانُ

وَهُمومي مُعَطَّرَاتٌ عَلَيْها
مِنْ شَبابِي الطُموحُ والرَيْعانُ

كالغَوانِي ، لِكُلٍّ عَذْراءَ لَوْنٌ
مِنْ جَمالٍ وَنَفْحَةٌ وافْتِتانُ

لَمْ أضِقْ بالهُمومِ قَلْباً وَهَلْ
ضَاقَ بِشَتَّى عُطورِهِ البُسْتانُ

والهُمومُ الحِسانُ تَفْعَلُ في الأنْفُس
ما تَفْعَلُ الغَوانِي الحِسانُ

وأنَا الوَالِدُ الرَحِيمُ وأبْنائِي
هُمومُ الحَياةِ والأشْجَانُ

إنَّ حُلْمِي حُلْمُ النُجومِ وَمَا
زَوَّقَ في الحُلْمِ نُورُها الوَسْنانُ

وأُعِيرُ الحَزِينَ سِحْرَ بَيانِي
فَيُعَزِّيهِ لَوْ يُعارُ البَيانُ

عَقَّنِـــي الأَقْـرَبـــونَ فـي غَمْـــرَةِ الخَطْـــبِ
وَعَـــقَّ اللِّـــداتُ والإِخْـــوانُ
سَوْفَ يُمْلِـــي التَاريـــخُ عَنِّـــيَ مـا يُمْلِـــي
فَتَخْـزَى بِظُلْمِـــيَ الأَوْطـــانُ
يُنْصِـــفُ العَبْقَـــرِيَّ دَهْـــرٌ فَسِيَّـــانِ
وَفَـــى أَصْـفِيـــاؤُهُ أَمْ خَانُـــوا
نِعْمَـــةُ الشِـعْـــرِ نِعْمَـــةُ الشَـــمْسِ لا يُعْـذَرُ
فِيهـــا الجُحـــودُ والنُكْـــرَانُ
وَأُسِـــرُّ الشَـكْـــوى حَيـاءً وَكِبْـــراً
رُبَّ شَكْـــوى إِسْـــرارُهـا إِعْـــلانُ

* * *

كَيْـفَ أُغْضِـي عَلـى الهَـوانِ لِجَبَّـارٍ
وعنـــدي الشَبـــابُ والعُنْفُـــوانُ
ما لِسُلْطـانِهِـــمْ على الحُـــرِّ حُكْـــمٌ
كُـلُّ نَفْسٍ إِبـاؤُهـا سُلْطـــانُ
فَلَـكِي ثَابِـتٌ ولا خَيْـرَ في الأَفْـلاكِ
يُمْلِـــي نِظَـامَهـــا الـــدَوَرانُ
لامَنِـــي الـلاَّئِمُـــونَ فـي الصَمْـتِ
والصَـــمْـتُ على القَبْـــرِ لَوْعـةٌ لا هَوانُ
كَيْـفَ تَشْـــدو بَـــلابِـــلُ الـــدَّوْحِ
لِلْفَجْـرِ وفـي الـــدَوْحِ عاصِـــفٌ مِرْنَـــانُ

أخرَسَتْنِي الشآمُ تُحْفَرُ للقَبْرِ عَلَيْها
الطيوبُ والأكفانُ
يا لَها مِيْتَةٌ وَمِنْ صُوَرِ المَوْتِ
هُمودُ الإباءِ والإذْعَانُ
إنَّهُ المَوْتُ لا اخْتِلافَ عَلَيْهِ
فَعَزاءً بالشامِ يا مَرْوانُ
لَمْ تُمَيِّزْ مُحَبَّباً مِنْ بَغِيضٍ
في الدُجَى لا تُمَيِّزُ الأَلْوانُ

* * *

بِدْعَةُ الذُلِّ حِينَ لا يَذْكُرُ الانـ
سانُ في الشامِ أنَّهُ إنْسانُ
بِدْعَةُ الذُلِّ أنْ يُصاغَ مِنَ الـ
فَرْدِ إلَهٌ مُهَيْمِنٌ دَيَّانُ
أيُّها الحاكِمُونَ ما ضاعَتِ الحُجَّةُ
مِنْكُمْ ولا انْطَوى البُرْهَانُ
حَقُّ هَذِي النُفوسِ أن تُرْفَعَ
الاصْنامُ فيها وتُعْبَدَ الأوْثانُ

* * *

يا لَها دَوْلَةً تُعاقَبُ فِيهَا
كالجُنَاةِ العُقولُ والأذْهانُ

أيْـنَ حُـرِّيَّتـي فَلَـمْ يَبْـق حُـرّاً
مِـنْ جَهيـرِ النِـداءِ إلاَّ الأَذَانُ
سُبَّـةُ الـدَهْـرِ أنْ يُحـاسَـبَ فِكْـرٌ
في هَـوَاهُ وَأنْ يُغَـلَّ لِسـانُ
أَلضُـحـى والشُـجـاعُ حِلْفَـا كِفَـاحٍ
مـا احْتَمـى بالـظَـلامِ إلاَّ جَبانُ
حَـرَنُـوا والشُـعُـوبُ في مَوْكـبِ السَّبْقِ
وَمِـنْ شِيَمَـةِ الهَجِيـنُ الحِـرانُ
يَعْثُـرُ الـدَهْـرُ والشُـعـوبُ وتَشْقَـى
بالمَنـاكِيـرِ أمَّـةٌ وَزَمَـانُ
قُبِـرُوا فـي المُهـودِ ما سُـلَّ سَيْـفٌ
في رَدَاهُـمْ ولا تَعَـرَّى سِنـانُ
لَـمْ تَنَلْهُـمْ يَـدُ المَنِيَّةِ ظُلْمـاً
وُلِـدُوا قَبْـلَ أنْ يَحِيـنَ الأَوَانُ
سائِلُـوا زَحْمَـةَ العَـواصِـفِ لَمّـا
رُجَّـتِ الأَرْضُ أيْـنَ كُنَّـا وكَانُـوا
وَسَـلُـوا ظُلْمَـةَ السُـجـونِ فَلَـنْ
يُنْبِـيءَ عَنْهُـمْ سِجْـنٌ ولا سَجَّـانُ
كَتَـبَ المَجْـدُ ما اشْـتَهَـتْ غُرَرُ المَجْـدِ
وَنَحْـنُ الـكِتَـابُ والعُنْـوانُ

نَحْـنُ تارِيـخُ هَـذِهِ الأُمَّـةِ الفَخْـمُ
وَنَحْـنُ المَكـانُ والسُكَّـانُ
شَـرَفُ الشَـوْطِ بالمُجَلِّـي مِنَ الخَيْـلِ
وَيَخْـزَى بِغَيْـرِهِ المَيْـدانُ

مِـنْ غَوالِـي دُمـوعِنـا الخَمْـرُ والعِطْـرُ
وَنُعْمـى دِمـائِنـا الأُرْجُـوانُ
قَدْ سَقَيْنـا مِنْ قَلْبِنـا المَوْتَ حَـتَّى
نَبَـتَ الضَـرْبُ في الـرُبـى والطِعـانُ

تَخْجَـلُ الخَيْـلُ بالـذَلِيـلِ اذا صَالَـتْ
وَيَشْـقَـى سَـرْجٌ وَيَشْـكُـو عِنـانُ
يَتَلَـوَّى علـى الحِبـالِ فُنونـاً
أَوَزِيـرٌ في الـدَسْـتِ أَمْ بَهْلَـوانُ ؟

أَنِسُـوا مِنْـهُ بالنُعـومَـةِ واللِّيـنِ
ولا بِـدْعَ إِنَّـهُ أُفْعُـوانُ
لَيْـسَ خَلْـفَ البُـرودِ إلاَّ هَبـاءٌ
فاحْـكُـمِ النَـاسَ أَيُّهـا الطَيْلَسـانُ

ما عَلـى الحُـكْـمِ وَهْـوَ مَرْعـىً وَمَـاءُ
أَنْ تَعُـودَ الخِمـاصُ وَهْـيَ بِطـانُ
يُظْلِـمُ القَلْـبُ لا مُـروءَةَ فِيـهِ
فَهْـوَ كالقَبْـرِ مُوحِـشٌ حَـرَّانُ

كَيْفَ تَسْمو القُلوبُ لَوْلا المُروءاتُ
وَتَغْفُو على المُنى الأَجْفانُ
حَسِبُوا ضِحْكَةَ الشُعوبِ ارْتياحاً
واللظى حِينَ يَضْحَكُ البُرْكانُ
لا يُهِينُ الشُعوبَ إلاَّ رِضَاهَا
رَضِيَ النَاسُ بالهَوانِ فَهانُوا
ما لِشُمِّ الذُرَى تَغُضُّ مِنَ الذُلِّ
فَأَيْنَ النُسورُ والعِقْبانُ

* * *

يا وَزِيراً يُطِلُّ بَعْدَ وَزيرٍ
والعُلى في رِكابِهِ والزَمانُ
رُبَّ نُعْمى تَضِيعُ مِنَّا إذَا
زُرْتَ ولا ضَجَّةٌ ولا دَنْدَبانُ
وإذَا فُتَّ أَعْيُنَ النَاسِ دَلاًّ
فَلِمَنْ صَاغَ حُسْنَكَ الرَحْمَنُ
أيُّ بِدْعٍ في المِهْرَجَاناتِ يُصْنَعْنَ
فَحَقُّ المُتَوَّجِ المِهْرَجَانُ ....
وَلِمَنْ تُحْشَدُ الجُمُوعُ فَهَلْ زَارَ
ولاياتِ مُلْكِهِ الخَاقَانُ
لَكُمُ لا لِقَيْصَرٍ أَوْ لِكِسْرَى
رُصِّعَ التَاجُ وازْدَهى الإيوانُ

وَكَفَـى هَـذِهِ الـرَعِيَّـةَ عِـزّاً
أنَّهـا فـي رِحـابِـكُـمْ ضِيفـانُ

* * *

قَلْبِـيَ الـواحَـةُ الـطَـرُوب بِصَحْـراءَ
جَفَتْهَـا الـظِـلالُ والغُـدْرانُ
تَتـراءَى الأفيـاءُ يُـومِئْـنَ للـ
ـرُكْـبِ وتَحْنُـو على الـوَنَـى الأَفْنـانُ
وَيَعُـلُّ الهَجِـيرُ ما شَاءَ مِنْ قَلْبِي
فَقَلْبِـي المُعَـطَّرُ الرَيَّـانُ
جَنَّتِـي نِعْمَـةُ السَـكِينَـةِ والدُنْيـا
جَحِيـمٌ والحَـرْبُ حَـرْبٌ عَـوانُ
جَنَّتِـي الـزَهْـوُ والنَعِيمُ فَفِـي النَـ
ـفْـسِ وُثـوقٌ باللـهِ واطْمِئْنـانُ
الغَـوالِي أَدِيُمُهـا والـلآلِـي
وَحَصَـاهـا اليـاقُـوتُ والمَـرْجَـانُ
وَرَحِيـقٌ تَكـادُ تَشْتَـفُّـهُ العَيْـنُ
وَيَـرْوَى بِلَمْحِـهِ الظَمْـآنُ
وَتَمَـنٍّ كَمـا تَشـاءُ الخَيـالاتُ
وَطَـوْعُ الأُمنيَّـةِ الإمْكَـانُ
هَـذِهِ جَنَّتِي فَـلاَ تَخْـدَعِ الـرَكْـبَ
فَـرادِيـسُ زُوِّرَتْ وَجِنـانُ

إنَّ للشَـرِّ جَـنَّـةً يَغْمِـزُ الإغْـراءُ
فِيهـا وَيَضْـحَـكُ الشَيْطـانُ
جَنَّـةُ الشَرِّ لا تخُادِعْكَ رَيَّاهَا
فَفِي كُـلِّ أيْكَـةٍ ثُعْبـانُ
لا يَغُـرَّنْـكَ سِحْـرُهـا وَرُوَاهَـا
جَنَّتِـي وَحْـدَهَـا الـرِضَـى والأمَـانُ

***

يـا أبـا طَـارِقٍ تَحِيَّـةَ شَعْـبٍ
زَلْـزَلَتْـهُ الخُـطـوبُ والحَـدَثـانُ
زَحَـفَ البَحْـرُ بالجِبـالِ مِـنَ المَـوْجِ
دِرَاكـا وَجَـرْجَـرَ الطُـوفـانُ
لَطَـفَ اللَّـهُ بالسَـفِينَـةِ لَـمْ يَسْلَـمْ
شِـراعٌ ولا نَجَـا سُكَّـانُ
تَخْبِـطُ اللَّيْـلَ والعَـواصِـفَ والـرَكْـبُ
حَيـارَى دَلِيـلُهُـمْ حَيْـرَانُ
حَوْلَهَـا اليَـمُّ كالجِبـالِ وأطْيَـا
فُ الـرَدَى والبُـروقُ واللَّمعَـانُ
وَظَـلامٌ غَمْـرٌ رَهِيـبٌ فَمـا
تَبْـصِـرُ الا الـظنـونُ والآذانُ ....
وَعَـزِيـفٌ للجِـنِّ تَنْقُلُـهُ الـرِيـحُ
وَأدَّى الأمَـانَـةَ التَـرْجُمُـانُ

وانْـطَـوى تَحْتَهـا الجَحِيـمُ فَلِلأَمْـواجِ
مِـنْ حَـرِّ نـارِهِ فَـوَرَانُ
سَخِـرَتْ بالسَـفِينَـةِ اللُّجَّـةُ
الخَضْـراءُ واخْتـارَ قَبْـرَهُ الـرُّبَّـانُ
واطْمَـأَنَّـتْ الـى القُنُـوطِ فَما تُلْمَحُ
حَتَّـى بالخـاطِـرِ الشُـطْآنُ
أَنْـتَ أَقْـوى مِنَ المَنـايـا وأَقْـوى
مِـنْ أَذَى الـدَهْـرِ فاسْـتَفِـقْ يـا هَنـانُو

* * *

١٩٥٠/١١/٢٤

جَلَوْنا الفاتحين

تَمَنَّى الرَكْبُ وَجْهَكَ والصَباحا
فَجُنَّ اللَيلُ مِنْ فَجْرين لاحا
وحَنَّ إلى ظِلالِكَ عَبْدُ شَمْسٍ
يريحُ شجونَهُ ظمأى طِلاحَا
حمى اللهُ الكواكِبَ مِنْ مَعَدٍّ
وصانَكَ بَيْنَهَا قَمراً لَياحا
وطمأنَ للجواري كُلَّ بَحْرٍ
وبَلَّغَها السعادةَ والنجاحا
بطاحُ القُدْسِ دنَّسَها مُغِيرٌ
فهل صانت كتائِبُنا البِطاحا
وهل جَبَهتْ بِحَدِّ السَيْفِ دعوى
كَعِرْضِ القومِ فاجِرَةً وَقَاحا
ولَم نغضبْ لها أيام كانتْ
حمىً نهباً وشعباً مُستباحا
ولا صَدَّتْ سرايانا عدواً
ولا هاجتْ حَمِيَّتُنا كِفاحا
ولا اهتزَّت صوارمُنا انتخاءً
ولا صَهَلتْ صوافِنُنَا مِراحا

نُجـابَـهُ باليَهُـودِ دمـاً ونـاراً
فنُغضـي لا إبـاءَ ولا طِمـاحـا

***

جَلَـوْنـا الفـاتحيـنَ فـلا غُـدُواً
نَـرى للفـاتحيـنَ ولا رَواحَـا
إذا انقصـفَـتْ أسِـنَّتُنـا وَصَلْنـا
بـأيـدينـا الأسِـنَّـةَ والصِفـاحَـا

إذا خـرِس الفصيـحُ فقـد لقينـا
مـن النيـرانِ ألسـنـةً فِصَـاحَـا
زمـاجِـرُ دكَّـتِ الـطغيـانَ دَكـاً
وأَخْـرسَـتِ الـزلازلَ والـريـاحـا
وتعـرفُ هـذه الحصـبـاءُ مِنَّـا
دَمـاً سَكْبـاً وهـامـاتٍ وَراحـا
وأشـلاءً مبعـثـرةً تَمَنَّـتْ
علـى البِيـدِ الشـقـائِـقَ والأقـاحـا
تتيـه بهـا الـرمـالُ وتصطفيهـا
مـن الفِـرْدَوْسِ ريحـانـاً وَراحـا
يـرفُّ علـى خمـائِـلِ غـوطَتَيْهـا
هـوى بطـلٍ على الغَمـراتِ طـاحـا
فـألمـحُ فـي السـراب مُنـى شهيـدٍ
تخَيَّـلَ فـي الـوغـى المَـاءَ القَـراحـا

فـلا حُـرِمَ الشـهيـدُ بِـرَوْضِ عَـدْنٍ
علـى بَـردَى غُبـوقـاً واصْطِبـاحـا

***

حَمَـى دُنْيـا أُمَيَّـةَ أَرْيحَـيٌّ
مَتيـنُ الأَسْـرِ قـد فَرع الرِمـاحـا
أبـو حسَّـان[1] إن طَغَـتِ الرزايـا
تحـدَّى الـدهْـرَ والقَـدَرَ المُتـاحـا
أَشَـمُّ الأنْـفِ أَبْـلَـجُ سَمْهـرِيٌّ
كـأنَّ علـى مُحَـيَّاهُ صَبـاحـا
تمـرَّسَ بالخـطـوبِ فمـا شكـاهـا
ولـولا كِبْـرُهُ لشـكـا وبـاحـا
تَـذكَّـرتِ الشـآمُ أخـاكَ سَعْـداً[2]
ومـن ذَكَـرَ الحبيـبَ فـلا جُنـاحَـا
أَرقَّ النـاسِ عاطِفـةً وطبْعـاً
وأَعْنفَهُـمْ علـى الـطـاغـي جِماحـا
يُنـافِحُ، لا تُـروِّعُـهُ المَنـايـا
فـإن شَتَـم اللئِـيمُ فـلا نِفـاحـا
إذا بكَـتِ الشـآمُ أخـاكَ سعداً
فقـد بكتِ المـروءَةَ والسَمـاحـا

---

١) أبو حسان الرئيس الزعيم شكري القوتلي.
٢) المغفور له الزعيم سعد الله الجابري.

زَحَمْنـا النَجْـمَ منـه على جَنـاح
وفَيَّـأنـا مـروءتَـهُ جَنـاحـا
ولـو نَعَـتِ النُعـاةُ أخـاك سعداً
إلـى قمر السـمـاءِ بكـى وناحـا
ولـو فَـدَّيْتُـهُ بضيـاءِ عينـي
لَقَـلَّ مـروءةً وهـوىً صُـراحـا

***

جِـراحٌ فـي سريـرتِـكَ اطمـأنَّتْ
لقـد أكـرمْـتَ بالصَـبْـرِ الجِـراحـا
كـأنَّ الهـمَّ ضَيْفُـكَ فَهْـوَ يَلْقـى
علـى القَسَـمـات بِشْـراً وارتيـاحـا
وقَبْلَـكَ مـا رأتْ عينـي هُمـوماً
مُـدَلَّلَـةً وأحْـزانـاً مِـلاحَـا
وقـد تَـرِدُ الهمـومُ علـى كريـمٍ
فتَـرجِـعُ مِـنْ صَبـاحَتِـهِ صِبـاحـا
ويـا دنيـا أمَيَّـةَ لا تُـراعـي
شـبـابُـكِ يغْمُـرُ الـرُحْـبَ الفِساحـا
طلعْـتِ على العصـور هُدَىً وخيـراً
غـداةَ طلعـتِ غَـزْواً وافتتاحـا
ومـا نَبُـلَ الصَـلاحُ علـى ضعيـفٍ
فَبعْـضُ الـذُلِّ تَحْسَـبُـهُ صَـلاحـا

وعلَّمْـــتِ الحَضـــارَةَ فَهْـــيَ فَجْـــرُ
على الأكـــوانِ ينســـاح انسيـــاحـــا
ورُبَّ حضـــارةٍ طَـــهُـــرَتْ وطابتْ
ورُبَّ حضـــارةٍ وُلـــدت سِفـاحـــا
وعلَّمْـــتِ المـــروءَةَ فهـــي عِطْـــرُ
مـــن الفـردوس يُسْـــكِـــرُنـــا نِفَـــاحـــا
وعلّمـــتِ العـــروبـــةَ فهـــي عِرْضُ
لربِـــكِ لن يهـــان ولن يُبـــاحـــا
أســـاحَ المجـدِ حســـبُـــكِ لـــن تكـــونـــي
لغير شبـــابِـــكِ المـــأمـــولِ ســـاحـــا
خـــذي ما شئـــتِ واقتـــرحـــي علينـــا
كـــرائـــمَ هـــذه الـــدنيـــا اقتـــراحـــا
***
أبـــا حسَّـــانَ رفَّ كـــريـــمُ وُدِّي
علـــى نُعمـــاكَ فخـــراً وامتـــداحـــا
بـــلائـــي مـــا شَهِـــدْتَ وليـــس مَنّـــاً
إذا عـــدَّدْتُهـــا غُـــرَراً وِضـــاحـــا
إذا زحَمَتْنِـــيَ الجُـــلَّـــى بِـــرَوْعٍ
جمَعْـــتُ لهـــا الإبـــاءَ فـــلاَ بَـــراحـــا
ولـــو زحمـــتْ ثبـــيراً حيـــن شَـــدَّتْ
علـــيَّ لَضَـــجَّ غـــارِبُـــهُ وزاحـــا

وأَوْجَعُ مِنْ مصَائِبها خليلٌ
أَغارَ على المروءةِ واسْتَباحا
يُكَتِّمُ بُغْضَهُ حِقْداً وجَمْراً
ويُسْمِعُني حنيناً والتياحا
ويزعُمُ كَيْدَهُ سِرّاً خَفِيّاً
لقد جَهَرَ الزَمانُ بِه افْتضاحا
تنكَّرَ وهو لو كَشَّفْتَ عنه
أَسَفَّ مجانةً وهَوىَ مُزاحا
وذَلَّ فلا نسمِّيه عِداءً
وهانَ فلا نُسمِّيهِ نِطاحا
ولو شِئنا جزيناهُ ونُرْضي
شمائِلَنا فنوسِعُهُ سَماحا

***

أَتُنْكِرُني الشآمُ وفي فؤادي
تلقَّيْتُ الصوارِمَ والرِماحا
إذا نَسِيَتْ على الجُلَّى وفائي
فقد عذروا على الغَدْرِ الملاحا
وغَنَّيْتُ الشآمَ دَماً وثأراً
فلا شكوى عَرَفْتُ ولا نُواحا
وأَكْرَمَ عَهْدَكَ الميمونَ شعري
فقلَّده جواهِرِي الصِحاحا

***

نم بقلبي

في ذكرى المغفور له الزعيم سعد الله الجابري

أَدُمُـــوعـاً تُرِيـدُهَـــا أَمْ رَحِيقَـــا
لاَ وَنُعْمَـــاكَ مَـا عَـرَفْـتُ العُقُـوقَـا

تَتَجَلَّـى عِنْـدَ المَغِيـبِ لِعَيْنَـيَّ
ضِيَـــاءً عَـذْبَ الحَنَـــانِ رَفِيقَـــا

وَجَـلاَكَ الشُـرُوقُ حَـتَّـى تَبَيَّنْـتُ
مُحَـيَّاكَ فَـاحْتَضَـنْـتُ الشُـروقَـا

وَتَـزُورُ البُـروقُ تُخْبِـرُنـي عَنْـكَ
وَلَـوْلاَكَ مَـا اسْـتَـزَرْتُ البُـروقَـا

كُـلُّ حُسْـنٍ أَرَى مُحَيَّـاكَ فِيـهِ
فَـأُطِيـلُ الإِمْعَـانَ والتَحْدِيقَـا

طَـرَقَ الـطَيْـفُ بَعْـدَ أَنْ غَـابَ وَهْنَـاً
أَنْـتَ أَحْلَـى مِـنَ النَعِيـمِ طُروقَـا

مَـرَّ فِـي وَحْشَـتِـي نَعِيمَـاً وَأُنْسَـاً
وَمَحَـا أَدْمُعِـي رَحِيمَـاً شَفِيقَـا

كُلَّمَـا غِبْـتُ عَنْـهُ أَوْ غَـابَ عَنِّـي
لاَحَ فِـي خَـاطِـرِي وَسِيمَـاً أَنِيقَـا

إِنْ رَعَـى صُحْبَتِي وأَوْرَدَهَـا الصَفْـوَ
فَقَـدْ كَـانَ بالمَعَـالِي خَلِيقَـا

نَـمْ بِقَلْبِـي وَلَـوْ قَـدَرْتُ مَنَعْـتُ الـ
ـقَـلْـبَ حَـتَّـى تَقَـرَّ فِيـهِ الخُفـوقَـا
نَمْ بِقَلْبِـي وَحُـرْمَـةٌ لَـكَ لَـنْ
تَسْـمَـعَ مِـنِّـي تَأَوُّهَـاً وَشَهِيقَـا
نَـمْ بِعَيْنِـي فَقَـدْ فَـرَشْـتُ لَـك الأَحْـلامَ
مُخْضَـلَّـةَ الـوُرودِ طَرِيقَـا
نَـمْ بِعَيْنِـي إِذَا اصْـطَفَيْـتَ رُؤَاهَـا
هَـمُّ عَيْنِـي أَنْ تُصْطَفَـى وَتَـرُوقَـا
زَيَّـنَ الجَفْـنُ دَمْعَـهُ لَـكَ فانْهَـلَّ
سُـلافَـاً عَذْبَـاً وَمِسْكَـاً فَتِيقَـا

* * *

إِنَّ قَلْبِـي خَمِيلَـةٌ تُنْبِـتُ الأَحْـزانَ
وَرْدَاً وَنَـرْجِسَـاً وَشَقِيقَـا
لَـوْ عَلَـى الصَّـخْـرِ نَهْلَـةٌ مِـنْ جِرَاحِـي
رَاحَ مُخْضَوْضِـلَ الظِّـلالِ وَرِيقَـا
هَـمِّيَ الهَـمُّ لَـوْ تَكَـشَّفَ للنَّـاسِ
لأَغْـرَى حُسْـنَـاً وَرَاعَ بَرِيقَـا
أَتْـرَعَ الـكَأْسَ للـرَّبِيـعِ فَغَنَّـى
وانْتَشَـى بانُـهُ فَمَـاسَ رَشِيقَـا
نَجْمَتِـي والطَّـرِيـقُ تِيـهُ وَلَيْـلٌ
وَرَفِيقِـي إِذَا فَقَـدْتُ الرَّفِيقَـا

إنَّ بَعْضَ الأَحْزَانِ يُخْطَبُ بالمَجْدِ
وَبَعْضَ الأَحْزانِ يُشْرَى رَقِيقَا
مِنْ جِراحِ الضُحَى سَنَىً أَرِيجِيٌّ
نَضَّرَ الكَائِنَاتِ حِينَ هُرِيقَا
أَنا والهَمُّ كُلَّمَا أَقْبَلَ الهَمُّ
مَشُوقٌ يَلْقَى أَخَاهُ المَشُوقَا
أَيُّهَا النَاعِمَانِ فِي الغَفْوَةِ النَشْوى
أَفِيقَا عَلَى الصَبَاحِ أَفِيقَا
سَكِرَ الشِعْرُ مِنْ سُلافِي وَعَبَّتْ
مِن دِنَانِي فَجُنَّتِ المُوسِيقَا

* * *

وَحْدَتِي عَالَمٌ مِنَ السِحْرِ والفِتْنَةِ
حُلْوُ القِطَافِ خَمْراً وَرِيقَا
وَأَدِيمٌ يَغْفُو ثَراهُ عَلَى العِطْرِ
وَيُغْرِيهِ عَنْبَراً مَسْحُوقَا
طُفْ بِقَلْبِي تَجِدْ بِهِ أَلْفَ دُنْيَا
لاَ يُلاقِي الشَقِيقُ فِيها الشَقِيقَا
سَكَنَتْهُ الشُمُوسُ مِنْ كُلِّ أُفْقٍ
وَتَحَدَّى أَشْتَاتَها أَنْ يَضِيقَا
حَفِيَ الفِكْرُ فِي عَوالِمِهَا الفِيحِ
وَلَمْ يَبْلُغِ المَكَانَ السَحِيقَا

كُـلُّ أُفْـقٍ تَضِيـقُ فِيهِ أَسِيـراً
سَـعَـةُ الأُفُـقِ أَنْ تَكُـونَ طَلِيقَـا

* * *

لاَ تَلُمْنَـا إِذَا تَرَكْنَـا المَـيادِيـنَ
سُـمُّـوا بِحَقِّنَـا وَوُثُـوقَـا
فالأَصِيـلُ العَتِيـقُ يَأْنَـفُ شَـوْطَـاً
لَـمْ يُشَـاهِدْ فِيـهِ أَصِيـلاً عَتِيقَـا
ذَلَّ شَـوْطٌ يَكُـونُ بَيْـنَ البَـراذِيـنِ
فَـلا سـابِقـاً وَلا مَسْبُـوقَا
لَـمْ تُحْمِحِـمْ تَخْتَـالُ بالحُسْـنِ والقُـوَّةِ
بِـلْ حَمْحَمَـتْ تُـرِيـدُ العَلِيقَـا
مَا نَزَلْنَـا عَـنِ السُـروجِ عَيَـاءً
لَـوْ رَكِبْنَـا لَمَـا أَطَـاقُـوا اللُحُوقَـا
وَلَنَـا السَـبْـقُ فامْسَـحُـوا غُـرَرَ
الخَيْـلِ بِأَيْمَانِـكُـمْ تَشُـمُّـوا الخَلُـوقَا
أَيُّهَـا الـزاعِمـونَ انَّـا فَرِقْنَـا
صـائِـدُ اللَيْـثِ لا يَكُـونُ فَرُوقَـا
كَيْـفَ يُرْمَـى بالخَـوْفِ مَـنْ زَحَـمَ
الأُسْـدَ وأَعْيَـا أَنْيابَهَـا والحُلوقَـا
أَنْكِـرُونـا يَشْـهَـدْ حَطِيـمُ قُيـودٍ
وَسَـمَـتْ مِنْـكُـمُ رِقَـابـاً وَسُـوقَـا

سُـدَّةُ الحُـكْـمِ بَعْـدَ آسـادِ خَفَّانَ
تَضُـمُّ الأَحْـلافَ شـاءً ونُوقَـا
أَبْـطَـرَ الحَـاقِـدينَ حِلْـمُ أَبِـي حَسَّـانَ[1]
والحِلْـمُ أَنْ تُقِيـلَ الصَدِيقَـا
جَحَـدُوا فَضْـلَـهُ ولا لَـوْمَ عِنْـدِي
إنَّ فَضْـلَ الـرَئيـسِ ضَـلَّ الطَرِيقَـا
إنَّ نُعْمَـى الـكَرِيـمِ دَيْـنٌ علـى
الحُـرِّ وَتُجْـزَى مِـنَ اللئِيـمِ عُقوقَا
نامَـتِ الشـامُ فاسـتغِـلُّـوا كَراهَـا
مَـوْعِـدُ الهَـوْلِ بَيْنَـنَـا أَنْ تُفِيقَـا
لاَ أُغـالِـي بِلَـوْمِهَـا فَهْـيَ حَسْنَـاءُ
تُحِـبُّ الـدَلالَ والتَمْلِيقَـا
إنَّ عُنْـفَ العِتَـابِ يُـؤْذِي أَحِبَّـا
يَ وأَحْـلاهُ ما يَكُـونُ رَقِيقَـا

* * *

جَمْـرَةُ الحِقْـدِ فـي السرَائِـرِ لَـوْلاَ
ذُلُّ أَصْحـابِهـا لَشَـبَّـتْ حَرِيقَـا
قَـدْ أَرَقْنـا دِمـاءَنـا فَسَلُـوهُ
أَيُّ دَمْـعٍ مِنْ مُقْلَتَيْـهِ أُرِيقَـا

---

١) ابو حسان: الرئيس شكري القوتلي

حَمَّلُوهُ ما لا يُطِيقُ وكانَتْ
بِدْعَةً تُخْجِلُ العُلَى أنْ يُطِيقَا
دَعْكَ مِنْ زَحْمَةِ العَواصِفِ واتْرُكْ
للعُقابِ السَماءَ والتَحْلِيقَا
خَلَقَ اللهُ لِلْعَظائِمِ والمَجْدِ
فَرِيقاً وللصَّغارِ فَرِيقَا
يا زَعِيمي عِنْدَ الدُعاءِ وَلَوْ شِئْتُ
لَنادَيْتُ في الزَعِيمِ الصَدِيقَا
كَيْفَ تَغْفُو أَلَمْ تَرَ الشَامَ في
النَزْعِ وَتَشْهَدْ لِواءَها المَخْنُوقَا
مَزِّقِ القَبْرَ فالشآمُ تُنادِيكَ
وَتَبْكِي مَكانَكَ المَرْمُوقَا
مَزِّقِ القَبْرَ فالجَلاءُ يتِيمُ
بَدَّدُوا إرْثَهُ وَغالُوا الحُقوقَا
أَلسَّرِيُّ العَرِيقُ هَانَ عَلى
الدَهْرِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ سرِيًّا عَرِيقَا

* * *

مَنْ رأى في السَقامِ سَعْداً رَأى
الفَجْرَ وَدِيعَ السَنا وَسِيماً طَلِيقَا
يَتَنَزَّى ولا يُطِيقُ وُثُوباً
حَسْرَةَ الشَمْسِ لا تُطِيقُ الشُروقَا

سَـأَلـوا يَـوْمَ سَبْقِـهِ كَيْـفَ جَلَّـى
مِـنْ سَجـايـاهُ أَنْ يَكُـونَ سَبُـوقَـا

رَاوَدَتْـكَ الـدُّنْيَـا علـى الحُـسْنِ
والجَـاهِ فَكُنْـتَ المُبَـرَّأَ الصِـدِّيقَـا

سَـأَلَتْنِـي عَنْـكَ الخَمـائِـلُ فـي الـغُوطَـةِ
تَشْـتـاقُ عِطْـرَكَ المَـرْمـوقَـا

وَدُروبٌ خُضْـرٌ عَلَيْهـا خُطَـى
الشَـاءِ تُعِيـدُ التَغْـرِيـبَ والتَشْـرِيقَـا

وَظِـلالٌ سَكْـرَى وَفَـوْضَى مِنَ الـزَهْـرِ
تَحَـدَّى جَمَـالُهُـا التَنْسِيـقَـا

مـا تَبـرَّجْـنَ للعُيـونِ فَغَـالِـي
الحُسْـنِ يَـأْبَـى الإِغْـرَاءَ والتَشْـوِيقَـا

وَدَّتِ الـوُرْقُ[1] لَوْ خَلَعْـنَ مِـنَ الحُـزْنِ
عَلَيْـكَ البَيـاضَ والتَطـوِيقَـا

* * *

تَيَّمَـتْ قَلْبَـكَ الطَبِيعَـةُ
بـالحُسْـنِ بَـرِيئـاً مُعَـطَّـراً مَـوْثُـوقَـا

كَـرَّمَ اللـهُ دَنَّهـا والنَـدامَـى
وَصَـبُـوحـاً علـى الهَـوى وَغَبُـوقَـا

---

١) الحمائم .

للنَّبِـــيِّ الإشْـــراقُ مِـنْ حُسْنِهـا
السَـمْـحِ وأرْضَـى مِنْـهُ الخَفِـيَّ الـدَقِيقَـا
حَمَلَـتْ قَـوْسَـهـا فَهَيَّـأْتُ قَلْبِـي
وَتَـرقَّبْـتُ سَهْمَهَـا المَـرْشُـوقَـا

* * *

مُـرْ أُرَنِّـحْ عِطْفَيْـكَ بالشِـعْرِ
مِـنْ عَيْنِـي وَقَلْبِـي مُنَمْنَمَـاً مَنْسُوقَـا
حَضَـرِيُّ الخَيـالِ إنْ ذُكِـرَ المَنْبِـتُ
سَـمَّـى نَجْـدَاً وَسَـمَّـى العَقِيقَـا
عِنْـدِيَ الـكَنْـزُ لا يَضِـيرُ غِنَـاهُ
أنْ يَكُـونَ المَنْهُـوبَ والمَسْـرُوقَـا
وَكُـؤُوسٌ مِـنَ السَـمـاءِ تَشَهَّـتْ
حُـورُ رِضْـوانَ عِطْـرَهَـا والـرَحِيقَـا
عَـابَ كَأسِي وَلَـمْ يَذُقْ عِطْـرَ كَأسِي
لاَ تَعِبْهـا باللـهِ حَتَّـى تَـذُوقَـا
يَـا صَحِيحَ الإخَـاءِ قَـدْ كُشِفَ النَاسُ
إخَـاءً مُـمَـوَّهَـاً مَمْـذُوقَـا
أتَمَـنَّـى اللَّحـاقَ فِيـكَ وأشْكُـو
لِلقَضَـاءِ التَـأخِيـرَ والتَعْـوِيـقَـا

* * *

يا وحشة الثـــأر!

قيلت في تتويج الملك فيصل الثاني

شَـــادٍ علـــى الأَيْـكِ غَـــنَّـانَـــا فَأَشْجَـانَـا
تَبـــارَكَ الشِـــعْـــرُ أَطْيـــابـاً وَأَلْحَـــانَـــا
تَـرَنَّـحَ البَـانُ واخْضَـــلَّـــتْ شَمـائِلُـــهُ
فَهَـلْ سَقَـى الشِعْـــرُ مِنْ صَهْبَائِـــهِ البَانَا
هَـلْ كُنْـــتُ أَمْلِكُ لَـوْلاَ عِطْـرُ نِعْمَتِـهِ
قَلْبـــاً عـلى الـــوَهَـجِ القُـــدْسِيِّ نَـدْيَـانَـــا
أَيَطْمَـعُ الشِـــعْـــرُ بالإِحْســـانِ يَغْمُـــرُهُ
والشِـــعْـــرُ يَغْمُـــرُ دُنْيـا اللـــهِ إِحْسَـــانَـا
لَـوْشَـاءَ عَـــطَّـرَ هذا اللَّيْـــلَ غَالِيـــةً
وَنَضَّـــرَ الـرَمْـلَ أَشـــواقَـــاً وريْحَـانَـــا
لَـوْ شَاءَ نَمْنَـمَ هَذا النَجْـمَ قَافِيـةً
وَنَغَّـــمَ الفَجْـــرَ أَحْـلامـاً وَأَوْزَانَـــا
لَـوْ شَـــاءَ أَنْـزَلَ بَـدْرَ التِـــمّ فاحْتَفَلَـــتْ
بِـهِ النَـدامَـــى سِـــراجـاًفـــي زَوايانَـــا
وَلَـوْ سَقَـــى الشَـــمْـسَ مِنْ أَحْـــزانِـهِ نَدِيَـتْ
عَـلى هَجيـرِ الضُـــحَـــى حُبّـاً وتَحْنَـانَا

* * *

تَضِيعُ فـي نَفْسِيَ الجُـلَّ وَقَـدْ نَـزلَـتْ
مِـنْ كِبْـرِيـائِـيَ آفـاقـاً وأكـوانَـا
وَمَـا رَضِيـتُ بِغَيْـرِ اللـهِ مُعْتَصَمَـاً
وَلا رَأَيْـتُ لغيـرِ اللـهِ سُلْطـانَـا
وَلا عَكَفْـتُ بِقُـرْبـانِـي عَلـى صَنَـمٍ
أَكْـرَمْـتُ شِعْـرِي لِنُـورِ اللـهِ قُـرْبـانَـا
تَبَـرَّجَـتْ للشَـذَى الأَعْلـى مجَـامِـرُنَـا
وَزُيِّنَـتْ لِلْهَـوى الأَغْلَـى خَفـايَـانَـا
نَبْـعٌ مِـنَ النُـورِ عَـرَّانَـا لِمَوْجَتِـهِ
فَـكَحَّـلَ النُـورُ أَجْفـانـاً وَوِجْـدَانَـا
تَفَـجَّـرَ الحُسْـنُ فـي دُنْيَـا سَـرائِـرِنَـا
هَـلْ عِنْـدَ رَبِّـكَ مِنْ دُنْيَا كَـدُنيانَا
حَضَـارَةُ الـدَهْـرِ طِيـبٌ مِنْ خَلاعَتِنَـا
وَجَنَّـةُ اللـهِ عِطْـرٌ مِـنْ خَطايَـانَـا
مِـنَ الغِـوايَةِ سَلْسَـلْنَـا هِـدَايَتَنَـا
فَـكَـانَ أَرْشَـدَنـا للنـور أَغْـوانَـا

* * *

يا وَحْشَـة الـكَوْنِ لَـوْلا لَحْـنُ سامِرِنَـا
علـى النَـدِيِّ المُصَـفَّـى مِنْ حُمَيَّـانـا
نُشـارِكُ اللـهَ ـ جَلَّ اللـهُ ـ قُدْرَتَهُ
وَلا نَضِيـقُ بِهـا خَلْقـاً وإِتْقانَا

وَأَيْـنَ إِنْسـانُـهُ المَصْـنُـوعُ مِنْ حَمَـأٍ
مِمَّـنْ خَلَقْنـاهُ أَطْيـاباً وأَلْحَـانَـا
وَلَـوْ جَـلاَ حُسْـنَـهُ إِنْسـانُ قُـدْرَتِنَـا
لَـوَدَّ جِبْـرِيـلُ لَـوْ صُغْنَـاهُ إِنْسـانَـا
وَلَـوْ غَمَـزْنَـا نُجـومَ اللَّيْـلِ مُغْفِيـةً
أَفـاقَ أَتْـرَفُهـا حُسْـنـاً وَغَنَّـانَـا
نَـاجَـى عَـلى الـطُّـورِ مُـوسـى والنِـدامُ لنـا
فَـكَيْـفَ أَغْفَـلَ مُوسى حِـينَ نَـاجَـانـا
إِنْ آنَـسَ النَـارَ بالـوادِي فَقَـدْ شَهِدَتْ
عَيْنِـي مِـن اللَهَـبِ القُـدْسِيِّ نِيـرانَا
نُطِـلُّ مِـنْ أُفُـقِ الـدُّنْيا علـى غَـدِهـا
فَتَنْجَلِـي الـراسِيـاتُ الشُـمُّ كُثْبـانَـا
وَمـا دَهَتْنَـا مِـنَ الجَبَّـارِ عَادِيَـةٌ
إِلاَّ جَـزَيْنـا عَلـى الـطُّغْيـانِ طُغْيَـانـا
أَدِيـمُ حَصْـبـائِنـا دُرٌّ وَغَالِيـةٌ
مـا أَفْقَـرَ النَـاسَ للنُعْمَـى وأَغْنـانَـا
وَأَيُّ نُعْمَـى نُرَجِّيهـا لَـدَى بَشَـرٍ
واللـهُ قَـرَّبَنـا مِنْـهُ وأَدْنَـانَـا
تَبْـكِـي السَـمـاءُ وتَبْـكِي حُـورُهـا جَزَعـاً
للحُسْـنِ والشِـعْـرِ فـي الـدُّنْيـا إِذا هَـانـا

* * *

يـا خَالِـقَ القَلْـبِ : أَبْـدَعْنَـا صَبَـابَتَـهُ
يـا خَالِـقَ الحُسْـنِ : أَبْـدَعْنـاهُ أَلْوانَـا

أَلْقَلْـبُ قَصْـرُكَ زَيَّنَّـا عَـوارِيَـهُ
بِـالحُسْـنِ حِيناً وبِـالإِحْسَـانِ أَحْيَـانَا

أَلْعَـاطِـلاتُ مِـنِ الأَبْهَـاءِ قَـدْ كُسِـيَتْ
شَـتَّـى اللُّبَانَـاتِ أَصْنَـامـاً وأَوْثَـانَـا

قَلْـبٌ شَكَـا لِلْخَيَـالِ السَمْـحِ وَحْشَتَـهُ
فَـراحَ يَغْمُـرُهُ نُعْمَـى وأَشْجَانَـا

يَا سَيِّـدَ القَصْـرِ لَوْلانَـا لَمَـا عَرَفَتْ
أَفْيَـاؤُهُ الخُضْرُ سُمَّـاراً وَنُدْمَانَـا

يُمْنَـى السَـرابِ على الصَـحْـراءِ حَانِيَـةٌ
تُضَـاحِـكُ الـرَّكْـبَ واحـاتٍ وَغُدْرانَـا

قَـاعُ البِحَـارِ أَضَـاءَتْـهُ عرائِسُنَـا
وَنَـدَّتِ العَـدَمَ القَـاسِـي عَذَارانَـا

نُنَضِّـرُ البُـؤْسَ عِـنْـدَ البَـائِسِينَ مُنَـىً
والعَـقْـلَ عاطِفَـةً والشُـكْـلَ إِيمَـانَا

وَكُلُّ ذَنْـبٍ سِـوَى الـطُغْيَـانِ نُنْزِلُـهُ
علـى جَوانِحِنَـا حُبّـاً وغُفْرَانَـا

وَهَـمٌّ كُـلِّ عُفـاةِ الأَرْضِ نَحْمِلُـهُ
كأَنَّنـا أَهْلُـهُ هَمّـاً وَحِرْمانَـا

نُشـارِكُ النـاسَ بلواهُـمْ وإِنْ بعُـدوا
ولا نُشـارك أدنـاهُـم ببـلوانـا

ضَمَّـتْ مَحَبَّتُنـا الأَشْـتَـاتَ واتَّسَعَـتْ
تَحْنُـو على الـكَـوْنِ أَجْنـاسـاً وأَدْيانَـا

سُبْحَـانَ مَنْ أَبْـدَعَ الـدُّنْيَـا فَكَـانَ لَنَا
أَشْـهـى القَـوارِيـرِ مِنْ أَطْيـابِ سُبْحانَـا

سَتَنْـطـوِي الجَنَّـةُ النَشْـوى فَلا مَلَكـاً
وَلا نَعِيمـاً ولا حُـوراً وَوِلْدانَـا

يَفْنَـى الجَمِيـعُ وَيبْقَـى اللـهُ مُنْفَرِداً
فَـلا أَنِيـسَ لِنُـورِ اللـهِ لَوْلاَنـا

لَنـا كِلَيْنـا بَقـاءٌ لا انْتِهـاءَ لَـهُ
وَسَـوْفَ يَشْـكُـو الخُلُـودَ المُرَّ أَبْقانَـا

* * *

تَأَنَّـقَ الشِـعْـرُ للأَعْيـادِ حَـالِيَـةً
وَقـطَّـفَ الـوَرْدَ مِـنْ عَـدْنٍ وَحَيَّانَـا

سَمْـحٌ فبالـريقَـةِ العَـذْراءِ نَادَمَنـا
نَهْـلاً وبالشَـفَـةِ اللَمْيـاءِ عَاطَانَـا

صَـاغَ الهِـلاَلَ لِتـاجِ المُلْكِ لُؤْلُـؤَةً
وأَنْجُـمَ اللَيْـلِ يَاقُـوتـاً وَمَرْجانَـا

يا صَاحِبَ التَاجِ لا تاجِ العِراقِ عَلى
كَريمِ أَمْجَادِهِ بَلْ تَاجِ عَدْنَانَا

جِبْرِيلُ حَوَّطَهُ باللهِ فانْسَكَبَتْ
عُطُورُ جِبْرِيلَ أَوْراداً وَقُرْآنَا

لَكَ الكُنُوزُ فُتُوحاتٍ مُنَضَّرَةً
فاغْمُرْ مِنَ الفَتْحِ يُمْنانَا وَيُسْرَانَا

سُدْتَ الغَطَارِيفَ فِتْياناً وَسادَهُمُ
أَبُوكَ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فِتْيانَا

تَبارَكَ اللهُ ما أَسْمَى شَمائِلَكُمْ
لَكُمْ زَعامَةُ دُنْيانَا وأُخْرانَا

فَتَحْتُ عَيْنِي عَلى حُبٍّ صَفَا وَزَكا
فَصُنْتُهُ لِضِيَاءِ العَيْنِ إِنْسَانَا

وَفِي ظِلالِ أَبِي غَازِي مُنَضَّرَةً
مَرَّ الشَبابُ مُرورَ الطَيْفِ عَجْلانَا

نُعْمَى لِصَقْرِ قُرَيْشٍ طَوَّقَتْ عُنُقِي
فَكَيْفَ أُوسِعُ نُعْمَى اللهِ نُكْرانَا

وَحِينَ شَرَّدَنَا الطاغِي وأَرْخَصَنا
حَنَا العِراقُ فَآوَانا وأَغْلانَا

وَمَنْ تَفَيَّأَ نَعْمَاءَ العِراقِ رَأَى
بِالأَهْلِ أَهْلاً وَبالجِيرانِ جِيرانَا

إذَا العَـواصِفُ جُنَّـتْ فيـهِ هَدْهَدَهَـا
عَبْـدُ الإلـهِ وأرْسَـى المُلْكَ أرْكانَـا
نُعْمَـى الوَصِـيِّ كَنُعْمَـى جَدِّهِ حَلِيَـتْ
عَلـى ضُحَـى النُـورِ أفْيـاءً وَأفْنانَـا

* * *

يا صاحِـبَ التـاجِ دُنْيَـا اللـهِ ما عَرَفَـتْ
إلاَّ عَمائِمَـكُـمْ في الشَـرْقِ تِيجانَـا
لَمْ يَقْبَـلِ اللـهُ إلاَّ فـي مَحَبَّتِكُـمْ
يا آلَ فاطِـمَ إسْـلاماً وإيمانَـا
غَنَّيْـتُ جَـدَّكَ أشْـعـارِي وَنُحْـتُ بِهَا
في مَصْـرَعِ الشَـمْـسِ إعْـوالاً وَإرْنانَا[1]
أصْـفَيْـتُ آلَ رَسُـولِ اللـهِ عاطِفَتـي
وَكُنْـتُ شـاعِـرَكُمْ نُعْمَـى وَأحْزَانَـا
وَمـا رَضِيـتُ جَـزاءً فـي مَوَدَّتِكُـمْ
لا يَعْـدَمُ الحُـرُّ أقْـواتـاً وأكفانَـا

* * *

أيُكْـرِمُ العِيـدُ شَكْوانـا فَقَـدْ نَزَلَـتْ
عَلَيْـكَ يا ابْـنَ رَسُـولِ اللـهِ شَكْـوانَـا
نَدَّى شَمائِلَنـا بالـذِكْرَيـاتِ كَمَـا
نَـدَّى الخَيـالُ بِنُعْمَـى المَـاءِ ظَمـآنَـا

---

١) في تأبين الملك غازي

يَرُوعُنِـــي العِيـــدُ دَيَّـــانـــاً لأُمَّتِـــهِ
مَـــنْ أَغْضَـــبَ العِيـــدَ حَتَّـــى صارَ دَيَّانَـــا

تَغَـــرَّبَ العِيـــدُ فـي قَوْمِـــي وأَنْكَرَهُـــمْ
عَلَـــى المَيَادِيـــــنِ أَحْـــراراً وَعُبْدَانـا

مـالِـي أَرى الشُـــمَّ فـي لُبْنـــانَ مُغْضِـيةً
تَطـــامَنَـــتْ للـــرَزَايـا شُـــمُّ لُبْنانَـــا

لا صِيـــدُ غَسَّـــانَ والهَيْجَـــاءُ ضارِيَـــةٌ
على السُـــروجِ ولا أَقْيـــالُ مَرْوانَـــا

وَأُكْـــرِمُ العِيـــدَ عنْ عَتْـــبٍ هَمَمْـــتُ بِهِ
لـــو شِئْـــتُ أَوْسَـــعْتُـــهُ جهـــراً وَتَبْيـــانَـا

قَـــدِ اسْـــتَـــرَدَّ السَبـــايـا كُـــلُّ مُنْهَـــزِمٍ
لَـــمْ تَبْـــقَ فـي رِقِّهـــا إلاَّ سَبايَانَـــا

دَمٌ بِتُـــونـــسَ لَمْ يُثْـــأَرْ لَـــهُ وَدَمٌ
بالقُـــدْسِ ـ هـــانَ على الأَيَّامِ ـ لا هَانَـا

وَمـا لَمَحْـــتُ سِيـــاطَ الظُـــلْـــمِ دَامِيَـةً
الا عَـــرَفْـــتُ عليـــهـــا لحمَ أسرانـا

ولا نَمـوتُ على حـــدِّ الظُـبَـــى أَنَفـــاً
حَتَّـــى لَقَـــدْ خَجِلَـــتْ مِنَّـــا مَنـايَـــانَـا

لَـوْ يَعْلَـمُ البَـــدْرُ فـــي شَعْبـــانَ مِحْنَتَنَا
لَـا أَطَـــلَّ حَيـــاءً بَـــدْرُ شَعْبَانَـــا

لَـوْ كَـانَ يَعْلَـمُ قَتْـلانَـا ، بَكَـتْ مِـزَقُ
عَلـى الصَـحـاصِـحِ مِـنْ أشْـلاءِ قَتْلانَـا

تَهَلْهَلَـتْ أُمَّتِـي حَتَّـى غَدَتْ أُمَمـاً
وَزُوِّرَ الـوَطَـنُ المَسْـلـوبُ أوْطَانَـا

وَقَـدْ عَرَفْـتُ الـرَزايـا وَهْـيَ مُنْجَبَـةٌ
فَـكَيـفَ لَـمْ تَلِـدِ الجُلَّـى رَزايَانَـا

كَفَـرْتُ بالحَسَـبِ السَـامِـي إلَـى مُضَـرٍ
أسْـتَغْفِـرُ المجْـدَ إنْـكـاراً وَكُفْرانَـا

تُطْـوَى القُبـورُ على المَوْتـى فَتَسْتُرُهُـمْ
وَفـي القُصـورِ وفـي السُلْـطـانِ مَوْتَانَـا

دَعُـوا الجِـراحَ لِوَهْـجِ النَـار سَافِـرَةً
فالجُـرْحُ يَقْتُـلُ إنْـكـاراً وكتمـانَـا

ذَلَّ الـدَهَـاءُ أكـاذِيبـاً مُزَوَّقَـةً
فَـكانَ أكْذَبَنـا بالقَـوْلِ أدْهَانَـا

ثَاراتُ يَعْـرُبَ ظَمْـأى فـي مَصارِعِهَـا
تَجَـاوَزَتْهَـا سُقـاةُ الحَـيِّ نِسْيانَـا

يا وَحْشَـةَ الثَـأرِ لَمْ يَنْهَـدْ لَـهُ أحَدٌ
فاسْـتَنْجَـدَ الثـأرُ أجْداثـاً وأكْفانَـا

أفْـدِي شَمائِـلَ قَوْمِـي ثَوْرَةً ولَظـىً
وعاصِـفـاً زَحَـمَ الـدُنْيَـا وَبُرْكانَـا

مَنْ أَطْفَأَ الجُذْوَةَ الكُبْرى بأَنْفُسِنَا
أَدَهْرُنَا حَالَ أَمْ حَالَتْ سَجايَانَا
هِيَ الكُؤوسُ ولَكِنْ أَيْنَ نَشْوَتُنَا
وَهْيَ الحُروفُ وَلَكِنْ أَيْنَ مَعْنَانَا

* * *

ما للرِمالِ الصَوادِي لا نَباتَ بِهَا
وَتُنْبِتُ المَجْدَ هِنْدِيّاً وَمُرَّانَا
عَبَدْتُ فِيها إِلَهَ الشَمْسِ مُنْتَقِماً
مُعَذِّباً وإِلَهَ اللَّيْلِ رَحْمَانَا
أَلليْلُ يَخْلُقُ فِيها الحُورَ مُتْرَفَةً
وَتَخْلُقُ الشَمْسُ جِنَّاناً وغِيلانَا
عَلى الرِمالِ طُيوفٌ مِنْ كَتائِبِنا
نَشْوى الفُتوحِ ونَفْحٌ مِنْ سرَايانَا
لابْنِ الوَليدِ على كُثْبانِها عَبَقٌ
سَقَى الهَجِيرَ مِنَ الذِكْرى فَنَدَّانَا
وَفِي النَسيمِ عَلى الصَحْراءِ نَرْشُفُهُ
طِيبُ المُثَنَّى على رايَاتِ شَيْبانَا

* * *

يا فَيْصلاً في يَمِينِ اللهِ تَحْسُدُهُ
بِيضُ الظُبَى هاشِمِيَّ الفَتْحِ رَيَّانَا

يا فَيْصَلاً في يَمينِ اللهِ مُنْسَكِباً
كَجَدِّهِ المُرْتَضى يُمْناً وإيمانَا
يا فَيْصلاً وَحَنَتْ في الخُلْدِ فاطِمَةٌ
تَوَدُّ لَوْ قَبَّلَتْ خَدّاً وأجْفانَا
يَا فَيْصَلاً وانْتَخَتْ كِبْراً صَوارِمُنَا
وَزَغْرَدَتْ باسْمِكَ الحَالِي صَبايَانَا
يا فَيْصَلاً وَرَنا نَجْمٌ لِصاحِبِهِ
يَقُولُ : فَيْصَلُ أحْلانا وأسْمانَا
كَتائِبُ اللهِ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِ
فَعَطِّرِ المَجْدَ مَيْدَاناً فَمَيْدانَا
لِواءُ عَدْنانَ أنْتَ اليَوْمَ صاحِبُهُ
فاقْحَمْ بِهِ الشَرْقَ : هَذا الشَرْقُ دُنْيانَا
ما فِي العِراقِ ولا في الشَامِ مَوْعِدُنَا
عَلى الثَنِيَّةِ مِنْ حِطِّينَ لُقْيانَا

١٩٥٣ * * *

جمرة الدنيا

مهداة الى الرئيس شكري القوتلي

عَهْـدٌ عَلَيْـهِ مـــن الضَـحـايـا رَوْنَـقُ
أَلْحَـقُ مِـنْ لَبِنَـاتِـهِ والمَنْطِـقُ
بَنَـتِ الـدُمـوعُ بِـهِ فَمَـكَّـنَ صَرْحَـهُ
جُـرْحٌ يَنِـزُّ وَعَبْـرَةٌ تَتَـرَقْـرَقُ
وَدَمٌ سَقَـى ظَمَـأَ الصَـبـاحِ فَفَجْرُهُ
ثَمِـلٌ وَمَشْـرِقُـهُ نَـدِيٌّ مُشْـرِقُ
وَزَكـا فَعِنْـدَ الغُـوطَتَيْـنِ تَحِيَّـةٌ
مِنْـهُ تَـمُـرُّ على الصُـخُـورِ فَتُـورِقُ
مِـنْ خَالِـدٍ أَوْ مِنْ عُهـودِ أُمَيَّـةٍ
مـا انْفَـكَّ يَزْكُـو بـالشَـآمِ وَيَعْبَـقُ
وَحَلَـفْـتُ قَـدْ كَتَـبَ البَقـاءَ لَهَـا دَمٌ
قَـانٍ وَعَهْـدٌ للحَلِيـفِ وَمَوْثِـقُ

* * *

رَافَقْتَهـا مِـنْ أَرْبعِـينَ تَصُـونُـها
وَتَـرُدُّ عَنْهـا النـازِلاتِ وتُشْفِـقُ
تُفْنِـي شَبـابَـكَ فـي الشَـآمِ وَحُبُّهَـا
وشَـبـابُهـا فِـي جِـدَّةٍ لا تَخْلُـقُ

غَسَّانُ جُنَّ بِها وَهَامَ أُمَيَّةٌ
وَهَفا إِلَيْها الهاشِمِيُّ المُعْرِقُ
لَمْ يُنْصِفُوا لَمَّا شَكَوْا نَزَواتِها
هِيَ جَمْرَةُ الدُّنْيَا تُضِيءُ وَتُحْرِقُ
تَبْغِي المَزِيدَ مِنَ الصَّبَابَةِ والهَوى
وَتُلِحُّ لا تَحْنُو ولا تَتَرَفَّقُ
فَاعْذُرْ إِذا مَلَكَتْ هَوَاكَ فإِنَّها
وَأَبِيكَ أَمْلَحُ مَنْ يُحَبُّ وَيُعْشَقُ

* * *

مَنْ مُبْلِغُ عَنِّي الرَّئِيسَ قَصِيدةً
تَحْمِي الثُغورَ فَكُلُّ بَيْتٍ فَيْلَقُ
وأَنَا الذي غَنَّى الشَآمَ فَهَزَّهَا
مِنْهُ البَيانُ العَبْقَرِيُّ المُونِقُ
دَلَّلْتُ مِحْنَتَها بِسِحْرِ قَصائِدِي
أَيَّامَ يَسْتَخْذِي الكَمِيُّ فَيُطْرِقُ
وَجَبَهْتُ بالحَقِّ العَنِيفِ عَدُوَّهَا
وَعَدُوُّهَا ثَمِلُ الضَّغائِنِ أَخْرَقُ
أَلْقَى الأَذَى فِيها وأَطْرَبُ للأَذَى
فَمُشَرَّدٌ حِيناً وحيناً مُوثَقُ

* * *

رَنَتِ العُيونُ الى جَلالِكَ خُشَّعاً
والبَدْرُ يُلْثَمُ في العُيونِ ويُرْمَقُ
حَوَّطْتُهُ باسْمِ النَبِيِّ وآلِهِ
مِمَّنْ يَفِيءُ الى الظَلامِ وَيَرْشُقُ
في مَوْكبٍ تَتَدَفَّقُ الذِكْرى بِهِ
والخَيْلُ في جَنَباتِهِ تَتَدَفَّقُ
مَرْوانُ آبَ الى الحِمى فَتَزَيَّنَتْ
لِلِقائِهِ بَعْدَ القَطيعَةِ جِلِّقُ
وكَأَنَّ فَتْحاً مِنْ فُتوحِ أُمَيَّةٍ
حَمَلَتْ بشائِرَهُ الجِيادُ السُبَّقُ

* * *

ذاكَ البِناءُ تَكامَلَتْ أَجْزاؤُهُ
إلاَّ طرائِفَ في يَدَيْكَ تُنَسَّقُ
وَيَزِيدُ في حُسْنِ القُصورِ وسِحْرِها
فَنٌّ يَرِفُّ إطارُها وَيُزَوِّقُ
إنْ تَعْيَ بالزَمَنِ الطَويلِ فَرُبَّما
صَحِبَ الأَناةَ الصانِعُ المُتأَنِّقُ
وأُعِيذُ عَهْدَكَ أَنْ يُقَرِّبَ خائِنٌ
فِيهِ وَيَظْفَرَ بالرِضى مُتَمَلِّقُ
إنَّ الأُلَى مَحَضُوكَ صَفْوَ ولائِهِمْ
غَيْرُ الأُلَى مَحَضُوهُ وَهْوَ مُرَنَّقُ

مَـنْ عَرَفْـتَ بَـلاءَهُ وَوفَـاءَهُ
أَهْـوىَ فَـأُسْـرِفُ فـي هَوايَ وَأَصْـدُقُ

* * *

تحية فيصل الصغير[1]

رَمَقَتْـكَ العُيـونُ حُبّـاً وَوَجْـدَا
وَفَتَحْنَـا قُلـوبَنَـا لَـكَ مَهْـدَا
رَنَـواتٌ مِـنْ مُقْلَتَيْـكَ الـى الصَحْـراءِ
رَفَّـتْ بِهـا عُطـوراً وَوَرْدَا ...
نَـوَّرتْ ضِحْـكـةُ الـطُفـولَـةِ والمُلْـكِ
بـأحْلَـى مِـنَ النَعيـمِ وأنْـدَى

* * *

ضَجَّـتِ البِيـدُ بالسُـؤَالِ فَنَجْـدُ
مِـنْ ذُراهـا العَـذْراءِ يَسْـأَلُ نَجْـدَا
لِـنِ الـرَكْـبُ كالنُبُـوَّةِ عِطْـراً
وَكَنْعمـائِهـا فُتوحـاً ورُشْـدَا
بُورِكَ الـطِفْـلُ يُعْشِـبُ الـرَمْـلُ يُمْنـاً
وَيَضـوعُ الهَجِيـرُ ظِـلاً وبَـرْدَا
نَفْحَـةُ المُلْـكِ والنُبُـوَّةِ والفَتْـحِ
فَمَـنْ ساقَهـا إلَيْنـا وأَهْـدَى

* * *

---

١) لمناسبة زيارته دمشق سنة ١٩٣٩

مَوكبٌ مَرَّ فالرِّمالُ عُيُون
تَنْسُبُ القادِمينَ خَالاً وجَدَّا
واذا مُشْرِفٌ مِنَ الرَمْلِ عالٍ
شَهِدَ الفاتِحِين جُنْداً فَجُنْدا
مَرَّ في جَفْنِهِ سَنا المَلِكِ الطِفْلِ
فَتَنَّى بِلَمْحَةٍ واسْتَرَدَّا
عَرَفَ الأَصْيَدَ المُتَوَّجَ نُوراً
مِنْ أَبِيهِ الهَادي وَفَرْقاً وخَدَّا
فَدَوَتْ في الظَلامِ زَغْرَدَةُ البُشْرَى
تَجُوبُ الصَحْراءَ قُرْباً وبُعْدَا
وأَفاقَ الغُزَاةُ فالفارِسُ المُعْلَمُ
يَبْلُو سَيْفاً ويَمْسَحُ غِمْدا
وَحَنا عالَمٌ مِنَ الفَتْحِ والذِكْرى
عَلى فَيْصَلٍ وَحَيَّا ومَدَّى

* * *

يا بُناةَ الحُدودِ لا تَعْرِفُ الصَحْراءُ
في زَحْمَةِ الأَعاصيرِ حَدَّا
لا تُغَرُّوا فإنَّ في النَفْسِ كِبْراً
يَتَنَزَّى وإنَّ في الصَدْرِ حِقْدَا
وسَجَايا الرِمالِ فينا فَما
يُرْقَبُ إلاَّ طُغْيانُها حين تَهْدا

الـرِمـالُ السمـراءُ ظَمْأى الـى
المـاء وتَسْـقِـي الـدُنْيـا إبـاءً ومَجْـدَا

* * *

مَلِـكَ الشـامِ لاَ أُداري عَـدُوّاً
جمَعَـتْ كَفُّـهُ الحُتـوفَ فَشَـدَّا
زَيِّـنِ القَصْـرَ قَصْـرَ جَدِّكَ واطْلَـعْ
فـي الـرِحـابِ الـزَهْـراءِ يُمْنـاً وسَعْـدَا
وَأْذَنِ الشِـعْـرَ يَسْكُـبِ العِـطْـرَ فـي
القَصْـرِ وَفـاءً وكبـريـاءً وحَمْـدَا
زَغْـرَدَتْ باسْـمِـكَ النـدِيِّ العَـذَارى
فَجَـرى فـي الشِـفـاهِ خَمْراً وشَهْـدَا
هاشِـمٌ والعَـزيزُ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـسٍ
هَيَّـآ حُلْـمَ فَيْصَـلٍ وأَعَـدَّا

* * *

كافور

كَافُورُ قَدْ جُنَّ الزَمَانُ وإِلَيْكَ آلَ الصَوْلَجَانُ
خَجِلَ السَرِيرُ مِنَ الدَّعِيِّ وَكَادَ يَبْكِي الأُرْجُوانُ
أَيْنَ الأَهِلَّةُ والكَواكِبُ والشَوامِخُ والرِعَانُ ؟
الهَاشِمِيونَ انْطَوَوْا وأُمَيَّةٌ كَانُوا فَبَانُوا
كَافُورُ جَمِّعْ حَوْلَ عَرْشِكَ كُلَّ مَنْ حَقَدُوْا وهَانُوا
مَجْدُ البَغِيِّ تَعَافُ بَهْرَجَهُ المُخَدَّرَةُ الْرَزَانُ
حَرِّكْ دُمَاكَ فَإِنْ أردتَ قَسَوْا وإِنْ آثَرْتَ لاَنُوا
الخَاضِعُونَ لِمَا تَشَاءُ وَمَا دَرَوْهُ وَمَا اسْتَبَانُوا
النَاعمونَ عَلى اليَهُودِ عَلى رَعِيَّتِكَ الخِشَانُ
لِلْعَفِّ تَخْوِينٌ بِدَوْلَتِهِمْ وَلِلِصِ ائْتِمَانُ

* * *

أَشْبَعْتَ بِالْخُطَبِ الجِيَاعَ فَكُلُّ هَادِرَةٍ خِوَانُ
حَفَلَ السِمَاطُ وَمِنْ فَرَائِدِكَ الموائِدُ والجِفَانُ
خُطَبُ الرئيسِ هِيَ الكَرَامَةُ والعُلَى ، وَهْيَ الضَمَانُ
هِي لِلْجِيَاعِ الطَيِّبَاتُ وَلِلْعُرَاةِ الطَيْلَسَانُ
هِيَ لِلْعُفَاةِ النَازِحِينَ لُبَانَةٌ وَهَوَىً وَحَانُ
خُطَبٌ مُصَبَّغَةٌ وَتُعْرَفُ مِنْ مَبَاذِلِهَا القِيَانُ
مِنْ كُلِّ عَاهِرَةٍ وَتَحْلِفُ أَنَّهَا الخَوْدُ الحَصَانُ
إِلْحَنْ وَكَرِّرْ مَا تَشَاءُ فَإِنَّهَا الخُطَبُ الحِسَانُ

وَإذا رَطَنْتَ فَإنَّهَا عَرْبَاءُ خَالِصَةٌ هِجَانُ[1]
كَافُورُ قَدْ عَنَتِ الوُجُوهُ فَكَيْفَ لا يَعْنُو البَيَانُ ؟

* * *

الفِكْرُ مِنْ صَرْعَى هَواكَ وَمِنْ ضَحَايَاكَ الحَنَانُ
يُغْنِي الشَآمَ عَنِ الكَرَامَةِ والنعِيمِ المِهْرَجَانُ
حُشِدَتْ لِطَلْعَتِكَ الجُمُوعُ فَهَوَّنَ الخَبَرَ العِيَانُ
هَتَفُوا فَبَيْنَ شِفَاهِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ حَرْبٌ عَوَانُ
غَرْثَى وَيَتْخَمُ مِنْ لُحُومِ الأَبْرِيَاءِ الخَيْزُرَانُ
عَضَّتْ ظُهُورَهُمُ السِيَاطُ فَكُلُّ سَوْطٍ أُفْعُوَانُ
الرَاكِعُونَ ، السَاجِدُونَ عَنَوْا لِوَجْهِكَ واسْتَكَانُوا
الجَائِعُونَ وَزَرْعُهُمْ لكَ والمناهلُ والجِنَانُ
القَاطِفُونَ كُرومَهُمْ وَلَكَ السُلاَفَةُ والدِنَانُ
الحَاضِنُونَ شَقَاءَهُمْ وَلَكَ المَتَارِفُ واللَّيَانُ
الظَامئونَ ويومُهُمْ شَرِسُ الهَوَاجِرِ إضْحِيَانُ
المالكونَ قُبورَهُمْ لَمَّا عَصَفْتَ بهم فَحَانُوا
لَكَ عُذْرَةُ العُرْسِ الحزينِ فَمَا تُعَزُ ولا تُصانُ
وَلَكَ الظِلالُ فَبَعْضُ جُودِكَ أَنْ يُفَيِّئَهُمْ مكانُ
وَدِماؤهم لَكَ والبَنونَ فما الأباطح والرِعانُ
ولك العِبادَةُ لا لِغَيْرِكَ والتشَهُّدُ والأذان
كافورُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمْ كونوا ـ هَتَفْتَ بِهِمْ ـ فكانوا

(١) الهجان : الكريمة الخالصة .

كافـورُ مِـنْ بَعْضِ الإمـاءِ زُبَيْـدَةٌ ... والخَيْـزُرانُ
مَـرْوَانُ عَبْدٌ مِـنْ عَبيـدِكَ لاَ يُـزَانُ وَلاَ ... يُشَـانُ
لِلسَّـوْطِ جَبْهَتُـهُ إذا اسْـتَعْلَـى وَلِلْقَيْـدِ البَنَـانُ
يـا مُكْـرِمَ الغُـرَبَـاءِ والعَـرَبـيُ مُحْتَقَـرٌ ... مُهَـانُ
تـاريـخُ قَـوْمِـيَ فـي يَدَيْـكَ يُـدَانُ حَسْـبُـكَ مـا يُـدَانُ
زَوَّرْتَـهُ وسـطـا علـى الأَقْـدَاسِ أَرْعَـنُ أُلْعُبَـانُ
مـا عَـفَّ فـي الموتـى هَـوَاهُ ولا الضَـمـيـرُ ولا اللِّسَـانُ
يَـا عَبْقَـرِيَ الـظُّلْـمِ فيـهِ لـكَ ابْتِـدَاعٌ وافْتِنَـانُ

* * *

نَحْـنُ العَبِيْـدُ فَـلاَ تُحَـرِّكْنَـا الضَـغِينَـةُ واللِعَـانُ
لاَ الْفَقْـرُ يُلْهِـبُ فـي جَـوَانِحِنـا الإبـاءَ ولا الهَـوانُ
فـاسْـجُـنْ وَعَـذِّبْ واسـتَبِـحْ حُرُمـاتِنـا وَلَكَ الأَمـانُ
هَمَـدَتْ حَمِـيَّتُنَـا عـلى الجُـلَّى ومـاتَ العُنْفُـوانُ
مِـنْ رِقِّ فَتْحِـكَ حَـازَنَـا سَيْـفٌ وأَحْـرَزَنـا سِنَـانُ
والـذُلُّ أطْيَـابُ العبيـدِ فمـا البَخُـورُ ومـا اللُّبَـانُ
والـظُـلْـمُ مِـنْ طَبْـعِ الجَبَـانِ وكـلُ طاغيـةٍ جَبـانُ

* * *

يا أيهـا الصَـنَـمُ المُدِلُّ فَمـا مَنـاةُ ومـا المَـدَانُ
إنْ الَّـهُـوكَ فَـرُبَّمـا فَضَـحَ الأُلـوهَـةَ ثَعْلَبَـانُ

* * *

بأبـي السُـهـولُ جَمَّـالُهـا كَـرَمٌ وَنِعْمَتُهَـا اخْتِـزَانُ

المُذْهَبَاتُ كَمَا تَمَوَّجَ في الضِّيَاءِ الزَعْفَرَانُ
عَهْدِي بِهَا أُخْتَ الرَبِيعِ وللمُهُورِ بِهَا إِرَانُ
تِلْكَ المُرُوجُ شَذاً وافيَاءٌ وسَاجِعَةٌ وَبَانُ
وَسَنَابِلٌ لِلْطَيْرِ يَنْقُدُهَا فَيَنْفَرِطُ الجُمَانُ
وَثُغَاءُ ماشِيَةٍ وَيَصْهِلُ فِي مراعِيهَا .. حِصَانُ
لاَ خِصْبُهَا غِبٌّ وَلاَ سُقْيَا غَمامَتِها .. دِهَانُ
زَهْرَاءُ تُجْدِبُ كُلُ أَرْضٍ وَهْيَ مُخْصِبَةٌ عَوَانُ
وَشْيُ الغَمَامِ فَمَا الطَنَافِسُ والحَرِيرُ وأَصْفَهَانُ
سَلِمَتْ جُبَاتُكَ ، قُطْنُنَا عَافٍ وَحِنْطَتُنَا .. زُوَانُ
جُعْنَا وَيَسْلَمُ لِلإِذَاعَةِ هَيْلُهَا وَالهَيْلَمَانُ
سَلِمَتْ جُبَاتُكَ لاَ الخِماصُ مِنَ الشِيَاهِ ولاَ السِمَانُ
أَغْلى من الفَرَسِ الجَوادِ ـ وَلاَ شَمَاتَ بِهِ ـ العِنَانُ
لاَ الزَرْعُ يَضْحَكُ فِي المُروجِ وَلاَ يَضُوعُ الأُقْحُوَانُ
خُرْسُ البَلابِلِ والجَدَاوِلِ دُلَّهُ الشَكْوَى حِزَانُ

* * *

الضارِعَاتُ إلى السَمَاءِ وَلاَ تُجَابُ وَلاَ تُعَانُ
كالأُمَهَاتِ الثَّاكِلاَتِ فَعَزَّ شَمٌ ... واحْتِضَانُ
وَأَدَ الهَجِيرُ بَنَاتِهِنَّ فَكُلُ رَوْضٍ صَحْصَحَانُ
بَيْنَ السَمَاءِ وَبَيْنَهَا ثَدْيُ الأُمُومَةِ واللِبَانُ
نَسِيَتْ أُمومَتَهَا السَمَاءُ فَمَا يُلِمُّ بِهَا حَنَانُ

* * *

أُمَـمَـزِّقَ الأَرْحَـامِ لاَ يُبْنَـى عَلـى الحِقْـدِ الكِيَـانُ
غَـرِّبْ وَشَـرِّقْ فِـي هَـواكَ وَخُـنْ فَمِثْلُهُـمُ يُخَـانُ
واغْـزُ الـكَـواكِـبَ بالغُـرورِ فَـأَنْـتَ مَنْصُـورٌ مُعَـانُ
بالخُـطْبَـةِ العَصْـمَـاءِ تُقْتَحَـمُ المَعَـاقِـلُ والقِنَـانُ
والشَـتْـمُ مِـنْ آلاتِ نَصْـرِكَ لاَ الضِـرَابُ وَلاَ الطِعَـانُ
وَلَـكَ الفُتـوحُ المُعْلَمَـاتُ وَمِـنْ بَشَـائِـرِهَـا عُمَـانُ
كَـافُـورُ طَاغِيَـةٌ وَفِـي بَعْضِ المَشَـاهِـدِ بَهْلَـوَانُ
مَـنْ أَنْـتَ فِـي الحَلَبَـاتِ تَقْحَمُهَـا إِذَا احْتَـدَمَ الـرِهَـانُ
فَضَـحَ الهَجِيـنَ بِشَـوْطِهِ لُـؤْمُ المَنـابِـتِ والحِـرَانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟ عَـاصِفَـةٌ وَتَذْهَـبُ مِثْلَمَـا انْقَشَـعَ الـدُخَـانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟ لاَ المَجْـدُ الأَصِيـلُ وَلاَ شَمَائِلُـهُ اللِّـدانُ
لاَ العَبْـقَـرِيَـةُ فِيكَ مُشْرِقَـةٌ وَلاَ الـخُـلُـقُ الحُسَـانُ
لاَ الفِـكْـرُ مُـؤْتَنِـفُ العُـطُـورِ وَلا البَيَـانُ وَلاَ الجِنَـانُ
لاَ السِّـرُّ عَنْـدكَ أَرْيَحِـيٌّ المَكْرُمَـاتِ وَلاَ العِـلانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟ .. إِنْ ذُكِـرَ العِظَـامُ وَرَنَّـحَ الـدُنْيَـا افْتِنَـانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟.. لَـوْلاَ صَـوْلَـةُ الـطُغْيَـانِ ، أَنْـتَ إِذَنْ فُـلاَنُ

* * *

كَافُـورُ عَـرْشُـكَ لِلْفَنَـاءِ وَرُبَّمَـا آنَ الأَوانُ
الخَـالِـدَانِ ـ وَلاَ أَعُـدُّ الشَـمْسَ ـ شِعْـرِي والـزَمَـانُ

* * *

فرعون

يـا نَجْـدُ جَنَّـاتٌ وبيـدٌ بِكلَيْهمـا سَكِـرَ النشيـدُ
ألـرملـةُ الـظمـأى حنيـنُ الشـوقِ والـرَوْضُ المجُودُ
أرِجَـتْ صَبـاكِ . يجِيدُ ـ حيـنَ يَشـمُّهـا ـ مـنْ لا يجُيـدُ
وعـرائـسُ الأحـلامِ نُعْمـانُ الجـزيـرةِ والنَفُـودُ
وقـوافِـلٌ بمتَـاهَـةٍ ، أَلنَجْـمُ قـائـدُهـا الـوحيـدُ
وهـوادِجٌ لِحِمـى السيـوف وحَـوْلَهـا العَـددُ العـديدُ
رنَّ الحِلِـيُّ بهـا وجَـرْجَـرَ فـي مبَـاركـهِ قَعُـودُ
أَلجُهْـدُ هَـدَّ قَـلُوصَـهـا بـالـرَمْـلِ والمـرْعَـى الجَهيـدُ
والشيـحُ قـاطَعَـهُ النسيـمُ فَـلاَ يَمِيـلُ ولا يميـدُ
وأَشِـعَّـةٌ كالنـارِ . تِبْـرٌ ، مـا لِسـائِلِـهِ جُمُـودُ
ثَـمَّ الضُـحـى فـاذا عَيَـوْا فَبِـظِـلٍّ عيسـهِـمُ الـرُقـودُ
حتَّـى إذا أخْـفـى الضِيَـاءَ غـدائِـرُ لِلَـيْـل سُـودُ
فالبَـدْرُ والحـادي وخَـطْـوٌ بَيْـنَ سِحْـرِهمـا وَئِيـدُ
وعلـى الـربـي النيـرانُ عَطَّـرَ وَهْجَهـا غـارٌ وعُـودُ
هِـي والصَـبـاحُ لـه عمـودٌ ضـاحِـكٌ ولهـا عَمُـودُ
وصـهـيـلُ أفـراسٍ وراغِيـةٌ واضْيـافٌ وَجـودُ
ونُسَيْمَـةٌ هَفَهـافَـةٌ ثم المنـاهِـلُ والـوِرُودُ
ومُـدَهَّـانِ نَـأَتْ ديـارُهُما ومـا نأتِ الكُبـودُ
حَـمَلَـتْ حنينَهُـما الصَبـا بِـأبـي الـرِسـالـةُ والبَـريـدُ

رَضْـوى خَيـالُ قصـائدي وطيـوفُ أجْفـانـي زَرُودُ
أنـا مِلْكُ إلهـامـي فـلا أُبـدي هُنـاكَ ولا أُعيدُ
مـا رُحْـتُ أَحْـكُـمُ بالقصيـدِ وراح يحَـكمنـي القَصِيـدُ
إنْ شـاءَ تَـمَّ لنـا اللقـاءُ وإنْ يشَـأْ كُتِـبَ الصُـدودُ
والأمْـرُ مـا يختـارُهُ هُـو سَيِّـدٌ وأنـا المَسُـودُ
وأريـدُهُ فيفـوتُنـي ويـزورُ سـاعَـةَ لا أُريـدُ
سِـرِّي واجْهَـلُ كُنْهَـهُ فقـديـمُ صُحْبَتِنـا جـديـدُ
والـروحُ أقْـرَبُ مـا إليْـكَ وغَيْبُهـا الـداني البَعيـدُ

* * *

أَلشِـعْـرُ أَنْغـامٌ مُعْـطَـرَةٌ ولُـؤْلـؤةٌ وجيـدُ
فِيـهِ الهـوى والأريحيـةُ والسُـلافَـةُ والمـزَيـدُ
فَـرَحٌ مُقِيـمٌ فـي سرَائِـرِنـا وقـافِيـةٌ شَـرودُ
أوزانُـهُ عقـد الحـريـر على العـرائـس لا القُيـودُ
الصـائنـاتُ لـه كمـا صيـنَـتْ بِعفَّتهـا النُهـودُ
نـورٌ تحُـدِّدُهُ الحـروف وتُخْطـىءُ النُـورَ الحُـدودُ
أَحْلـى الصِـعـابِ قصـائِـدٌ ونـواعِـمٌ كالـوَرْدِ خُـودُ
ومِـنَ التَمنُّـعِ مـا يُـدَلِّـهُ بالجَمـالِ ومـا يـزيـدُ
الشِـعْـرُ والحُسْـنُ المُـدلُّ كِلاهُمـا طاغٍ عَنيـدُ

* * *

أنـا مَـنْ تُغَنِّيـهِ النُجـومُ علـى السُـلافِ فيستعيـدُ
وعلـى المَشيـبِ وعُبْئـهِ مِمَّـا يـؤودُ ولا يَـؤُودُ
لَتصِيـدُنـي نُجْـلُ العُيـونِ وقـد أُغِيـرُ وقـد أَصِيـدُ
مـا كـان يُقْنِعُنـي اللقـاءُ فَصِـرْتُ تُقْنِعُنـي الـوُعُـودُ
عـاد الـربيـعُ فيـا شَبـابُ : أَلا تجِـنُّ ؟ أَلا تَعُـودُ ؟
لـي فـي ظِـلالِ الأَرْزِ تَقْتَـطِـفُ الـوُرودَ بِـهِ الـوُرودُ
سَمْـراءُ كـالأحـلامِ : جَفْنُـاهـا وجَفْـنُ الليـل سُـودُ
أَلحُسْـنُ يَحْـسُـدُ نَفْسَـهُ فيهـا ، لقد كَـرُمَ الحَسُـودُ
ويَغـارُ مـن شُهْـدِيِّهـا جـاراهُ : سـالِفَـةٌ وجِيـدُ

* * *

سمـراءُ حُبُّـكِ صَحْـوِيَ السَـكْـرانُ والغَـيُّ الـرشيـدُ
لُفِّـي عـلى الجَسَـدِ البُـرودَ تُـؤَرِجِ الـدُنْيـا البُرودُ
أَلـروحُ فيـكِ فريـدةٌ يَـزْهـو بها جَـسَـدٌ فـريـدُ
ذكـراكِ إنْ عـزَّ اللِقـاءُ لِلَـوْعتـي كـأسٌ وعُـودُ

* * *

أنـا سـاحِـرٌ لَمَـسَ الغُصـونَ وضَـمَّهـا فَهِـيَ القُـدودُ
ومِـنَ الشـقـائِـقِ حيـن أقـطِفُهـا المَـراشِـفُ والخُـدودُ
ومـن الـدمـوعِ وقـد ضَنَنتُ بها الـلآلـيءُ والعُقـودُ
وغَمَـزْتُ عِطْـرَ الأُقحُـوانِ فَنَـوَّرَتْ شَـفَـةٌ بَـرودُ

عندي الكنوزُ فكيف تسألُني النُجومُ ولا أَجودُ
أُعْطي وتَسألُ ـ لا نَمَلٌ ـ فتستزيدُ وأستزيدُ
شُهْبُ السماءِ تفرَّقتْ في الأفق تَنْقُصُ أو تَزيدُ
كُتِبَ الضياءُ لِبَعْضِها ولِبَعْضِها كُتِبَ الهُمودُ
والعبقريةُ كالضُحى من بعض نِعْمَتِهِ الوجُودُ
وأنا الغريب بِموطني وأنا المُشرَّدُ والطريدُ

* * *

قُلْ لِلِّداتِ بتدْمُرٍ[1] عَزَّ المُفاخِرُ والنَديدُ
سِجْنٌ تَضِيقُ كُهوفُهُ والسَهْلُ مُنْبَسِطٌ مديدُ
أَلدَهْرُ أَقْعَدني ولم يَكُ من شمائِلِيَ القُعودُ
والسُقْمُ فَوَّتَ أن أُشارِكَكُمْ وذُرْوَتُهُ كَؤُودُ
شَرَفاً على عَضِّ القُيودِ فَشارةُ الشَرَفِ القُيودُ
أَسْمى القُلوبِ هُوَ الرحيبُ على النَوازِلِ والجَليدُ
نحنُ الحُماةُ الأوَّلونَ . قُبورُ صَرْعانا الشهودُ
نحنُ العقيدةُ والرسالةُ والمعارِكُ والحُشودُ
إنْ يُصْرَعِ البَطَلُ النجيدُ تَقدَّمَ البَطَلُ النَجيدُ
وتفاسمَ الكوخُ الوديعُ النَصْرَ والقصْرُ المشيدُ
أَيَّامَ لا الطَبقاتُ مَزَّقَتِ الصُفوفَ ولا الحُقودُ
كُفِرَتْ جُهودٌ كالضحى لِلّهِ والوَطَنِ الجُهودُ

---

١ ـ تدمر معقل الاحرار .

أنا والعهود فلم يَضِعْ حُبٌّ ولم تُنكث عهودُ
عيني الضنينةُ بالدموعِ وقلبي المُضْنَى العميدُ
ماد الطغاةُ بكم ، فيا فَلَكَ السماءِ ألا تميدُ ؟
فلكٌ يدورُ ولم اجدْ فَلَكاً أُتيحَ له الركودُ
بيني وبَيْنَ الظلم نار وغَىً يُشَبُّ لها وَقُودُ
أَلحبُّ عُدَّتيَ الوحيدةُ لا السلاحُ ولا الجنودُ
وتَهونُ عندي النائباتُ فلا أَلينُ ولا أَحِيدُ
يا ربِّ عَفوَكَ إنْ سألْتُ وأَنْتَ تعلَمُ مَنْ أُريدُ
مِنْ أي طينٍ أُنْشِىءَ الظمآنُ للدمِ والحَقُودُ
أَللَّينونَ على العَدُوِّ وبَأْسُهُمْ فينا شديدُ
جَلَّ الوِدادُ فكان من أَسماءِ عِزَّتِكَ الوَدُودُ
أَلِغَيرِ وجْهِكَ في كنائَتِكَ العِبادَةُ والسجودُ
فِرْعَوْنُ عاد فكيف كيف وقد عَصَفْتَ به يَعودُ ؟
ما للطغاةِ سيادةٌ ، يُخْشَى الظَلامُ ولا يَسُودُ
دنيا العروبةِ رَجَّها بالهَوْلِ شيطانٌ مَريدُ
صُبغَتْ بألوانِ الأذى فَخُطوبُها حُمْرٌ وسُودُ
أَرْضُ الكِنَانةِ ما بها إلاَّ المُتَوَّجُ والعبيدُ

* * *

فِرْعَوْنَ مِصْرَ : وأَنْتَ من رشقَ المصاحِفَ لا الوليدُ
فرعونَ مِصْرَ : وأَنْتَ مَنْ قَتَلَ الهواشِمَ لا يزيدُ
سُمِّيتَ فِرْعَوْنَ الكِنانَةِ وهي تسميةٌ كَنُودُ

فِـرْعَـوْنُ ذَلَّ بـه اليـهـودُ وأنْـتَ عَـزَّ بِـكَ اليـهودُ
طـامِـنْ غُـرورَكَ . لـم تَـدُمْ عـادٌ ولا بَقِيـتْ ثَمُـودُ
ولَـئـنْ ذُكِـرْتَ فـإنَّ ذِكْـرَكَ لا الـزَكـيُّ ولا الحميـدُ
ولَـئـن حَكَمْـتَ فـإنَّ عَيْشَكَ لاَ الهنـيُّ ولا الرغيـدُ
تَتناهَـبُ الأشلاءُ نَـوْمَـكَ والعـواصِـفُ والرُعـودُ
وهـواجِـسُ اليمَـنِ السـعيـد . ورَجَّـكَ اليَمَـنُ السعيـدُ

* * *

مُغْـرَىً بِـحُـبِّ الإمَّعَـاتِ طـريـفُ حُكْمِـكَ والتليـدُ
مِـنْ كُـلِّ أبْلَـهَ عـاثـرٍ وغْـدٍ يَـضُـرُّ ولا يُفيـدُ
الغَـدْرُ طَبْعُـكَ والـدسـائـس والخيـانَـةُ والجحـودُ
يتسـلَّـلُ النَـذْلُ الجبـانُ دُجـىً وتَقتحِـمُ الأسُودُ

* * *

أمُيَتِّـمَ الأطفـالِ : لا جَـدٌّ عَنـاكَ ولا حَفيـدُ
أُمٌّ مُـزَّقَـةٌ وفـي أحْضـانِهـا هُشِـمَ الوَليـدُ
شَـكَـتِ الأرامِـلُ والثـكـالـى والـطفـولـةُ والمُهـودُ
يـا قـاتـلاً بـأخٍ أخـاهُ . كـلا قتيلَيْـكَ الشهيـدُ
أولاَ تخَـافُ علـى بَنيـكَ وقـد تَعْثَـرتِ الجـدودُ
أنْ يُسْـتَجـابَ دُعـاءُ ثـاكِلـةٍ وأدْمُعُهـا تجـودُ
فَتـرى بَنِيـكَ مُصَرَّعيـنَ ولا تَضُـمُّهُـمُ اللـحـودُ

* * *

كِـبْ للنبـيِّ ودِينـهِ أللـهُ فَـوْقَـكَ إذْ تكِيـدُ
بـادَ الـطُّغـاةُ جميعهُـمْ أمّـا الشعـوبُ فـلا تَبِيـدُ
خَـلَّ الـكِـرامَ وشـأنَهُـمْ خُلِـقَ الـكِـرامُ لكـي يسـودوا

١٩٦٦

البلبل الغريب

مهداة الى حفيدي محمد

سَلِي الجَمْرَ هَلْ غَالَى وَجُنَّ وَعَذَّبَا
كَفَرْتُ بِهِ حَتَّى يَشُوقَ وَيَعْذُبَا
ولا تَحْرِمِيني جُذْوَةً بَعْدَ جُذْوَةٍ
فما اخْضَلَّ هذا القَلْبُ حَتَّى تَلَهَّبَا
وَما نَالَ مَعْنَى القَلْبِ إلاَّ لأَنَّهُ
تَمَرَّغَ في سَكْبِ اللَّظَى وَتَقَلَّبَا
هَبِينِيَ حُزْناً لَمْ يَمُرَّ بِمُهْجَةٍ
فَما كُنْتُ أَرْضَى مِنْكِ حُزْناً مُجَرَّبَا
وَصُوغِيه لِي وَحْدِي فَرِيداً وأَشْفِقِي
على سِرِّهِ المَكْنُونِ أَنْ يَتَسَرَّبَا
مَصُوناً كأَغْلى الدُّرِّ عَزَّ يَتِيمُهُ
فَأُودِعَ في أَخْفَى الكُنُوزِ وغُيِّبَا
وَصُوغِيهِ مَشْبُوبَ اللَّظَى وَتَخَيَّرِي
لآلامِهِ ما كانَ أَقْسَى وأَغْرَبَا
وَصُوغِيه كالفَنَّانِ يُبْدِعُ تُحْفَةً
وَيَرْمُقُهَا نَشْوانَ هَيْمانَ مُعْجَبَا
فما الحُزْنُ إلاَّ كالجَمالِ ، أَحَبُّهُ
وأَتْرَفُهُ ، ما كان أَنْأَى وأَصْعَبَا

* * *

خَيالُكِ يا سَمْراءُ ، مَرَّ بِغُرْبَتِي
فَحَيَّا وَرَحَّبْنَا طَويلاً وَرَحَّبَا
جَلاكِ لِعَيْنِي مُقْلَتَيْنِ وناهِداً
وَثَغْراً كَمَطْلولِ الرَياحِينِ أَشْنَبَا

فَصَانَكِ حُبِّي في الخَيالِ كَرامةً
وَهَمَّ بِما يَهْواهُ لَكِنْ تَهَيَّبَا
وَبَعْضُ الهَوى كالنُورِ إنْ فَاضَ يَأْتَلِقْ
وَبَعضُ الهَوى كالغَيْثِ إنْ فَاضَ خَرَّبَا

أَرَى طَيْفَكِ المَعْسُولَ في كُلِّ ما أَرَى
وَجِدْتُ ولَكِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْه مَهْرَبَا
سَقانِي الهَوى كأْسَيْنِ : يَأْساً وَنِعْمَةً
فَيالَكَ مِنْ طَيْفٍ أَراحَ وأَتْعَبَا

وَخَالَطَ أَجْفانِي على السُهْدِ والكَرى
فَكانَ إلى عَيْنِي مِنَ الجَفْنِ أَقْرَبَا
شَكَوْنَا لَهُ السَمْراءَ حَتَّى رَثَى لَنَا
وَجَرَّأَنَا حَتَّى عَتَبْنَا فَأَعْتَبَا

وَنَاوَلَنِي مِنْ أَرْزِ لُبْنَانَ نَفْحَةً
فَعَطَّرَ أَحْزَانِي وَنَدَّى وَخَضَّبَا
وَثَنَّى بِرَيَّا الغُوطَتَيْنِ يُذِيعُهَا
فَهَدْهَدَ أَحْلامِي وأَغْلَى وَطَيَّبَا

وَهَلْ دَلَّلَتْ لِي الغُوْطَتَانِ لُبَانَةً
أَحَبَّ مِنَ النُعْمَى وأَحْلَى وأَعْذَبَا
وَسِيماً مِنَ الأَطْفَالِ لَوْلاَهُ لَمْ أَخَفْ
ـ عَلى الشَيْبِ ـ أَنْ أَنْأَى وأَنْ أَتَغَرَّبَا

تَوَدُّ النُجُومُ الزُهْرُ لَوْ أَنَّهَا دُمَىً
لِيَخْتَارَ مِنْهَا المُتْرَفَاتِ وَيَلْعَبَا
وَعِنْدِي كُنوزٌ مِنْ حَنَانٍ وَرَحْمَةٍ
نَعِيمِيَ أَنْ يُغْرَى بِهِنَّ وَيَنْهَبَا
يَجُور وَبَعْضُ الجَوْرِ حُلْوٌ مُحَبَّبٌ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ الطِفْلِ ظُلْماً مُحَبَّبَا
وَيَغْضَبُ أَحْياناً وَيَرْضَى وَحَسْبُنَا
مِنَ الصَفْوِ أَنْ يَرْضَى عَلَيْنَا وَيَغْضَبَا

وَإِنْ نَالَهُ سُقْمٌ تَمَنَّيْتُ أَنَّنِي
فِداءً لَهُ كُنْتُ السَقِيمَ المُعَذَّبَا
وَيُوجِزُ فيما يَشْتَهِي وَكَأَنَّهُ
بِإِيجَازِهِ دَلاًّ أَعَادَ وأَسْهَبَا

يَزُفُّ لَنا الأَعْيادَ عِيداً إذا خَطَا
وَعِيداً إذَا نَاغَى وَعِيداً إذَا حَبَا
كَزُغْبِ القَطَا لَوْ أَنَّهُ راحَ صَادِياً
سَكَبْتُ لَهُ عَيْنِي وَقَلْبِي لِيَشْرَبَا

وَأُوثِرُ أَنْ يَرْوَى وَيَشْبَعَ نَاعِماً
وَأَظْمَأَ فِي النُعْمَى عَلَيْهِ وأَسْغَبَا
وَأَلْثِمُ فِي دَاجٍ مِنَ الخَطْبِ ثَغْرَهُ
فَأَقْطِفُ مِنْهُ كَوْكَباً ثُمَّ كَوْكَبَا
يَنَامُ عَلَى أَشْوَاقِ قَلْبِي بِمِهْدِهِ
حَرِيراً مِنَ الوَشْيِ اليَمَانِيِّ مُذْهَبَا
وَأُسْدِلُ أَجْفَانِي غِطَاءً يُظِلُّهُ
وَيَالَيْتَهَا كَانَتْ أَحَنَّ وَأَحْدَبَا
وَحَمَّلَنِي أَنْ أَقْبَلَ الضَيْمَ صَابِراً
وَأَرْغَبَ تَحْنَاناً عَلَيْهِ وَأَرْهَبَا
فَأَعْطَيْتُ أَهْوَاءَ الخُطُوبِ أَعِنَّتِي
كَمَا اقْتَدْتَ فَحْلاً مُعْرِقَ الزَهْوِ مَصْعَبَا
تَأَبَّى طَوِيلاً أَنْ يُقَادَ .. وَرَاضَهُ
زَمَانٌ فَرَاخَى مَنْ جِمَاحٍ وَأَصْحَبَا
تَدَلَّهْتُ بِالإِيثَارِ كَهْلاً وَيَافِعَاً
فَدَلَّلْتُهُ جَدّاً وَأَرْضَيْتُهُ أَبَا
وَتَخْفُقُ فِي قَلْبِي قُلُوبٌ عَدِيدَةٌ
لَقَدْ كَانَ شِعْبَاً وَاحِداً فَتَشَعَّبَا

* * *

وَ يَا رَبِّ مِنْ أَجْلِ الطُفُولَةِ وَحْدَهَا
أَفِضْ بَرَكَاتِ السِلْمِ شَرْقَاً وَمَغْرِبَا

وَرُدَّ الأَذَى عَـنْ كُـلِّ شَعْـبٍ وَإِنْ يَكُـنْ
كَفُـوراً وَأَحْبِبْـهُ وَإِنْ كَـانَ مُذْنِبَـا
وَصُـنْ ضِحْـكَـةَ الأَطْفَـالِ يَـا رَبِّ إِنَّهَـا
إِذَا غَـرَّدَتْ فِـي مُـوحِشِ الـرَمْـلِ أَعْشَبَـا
مَلائِـكُ لاَ الجَنَّـاتُ أَنْجَبْـنَ مِثْلَهُـمْ
وَلاَ خُلْـدُهَـا ـ أَسْـتَغْفِـرُ اللَّـهَ ـ أَنْجَبَـا
وَيَـا رَبِّ حَبِّـبْ كُـلَّ طِفْـلٍ فَـلاَ يَـرَى
وإن لَـجَّ في الإعنـاتِ وجهـاً مُقَطِّبَـا
وَهيِّـئْ لـهُ فـي كُـلِّ قلـبٍ صبـابةً
وفِي كُـلِّ لُقْيَـا مَـرْحَبَـاً ثُـمَّ مَـرْحَبَـا
وَيَـا رَبِّ : إِنَّ القَلْـبَ مِلْـكُـكَ إِنْ تَشَـأْ
رَدَدْتَ مُحِيـلَ القَلْـبِ رَيَّـانَ مُخْصِبَـا

* * *

وَيَـا رَبِّ فِـي ضِيـقِ الـزَمَـانِ وَعُسْـرِهِ
أَرَى الصَبْـرَ آفَـاقَـاً أَعَـزَّ وَأَرْحَبَـا
صَلِيـبٌ عَلـى غَمْـزِ الخُـطـوبَ وَعَسْفِهَـا
وَلَـوْلاَ زَغَـالِيلُ القَـطَـا كُنْـتُ أَصْلَبَـا
وَلِـي صَـاحِـبٌ أَعْفَيْتُـهُ مِـنْ مَوَدَّتِـي
وَمَـا كَـانَ مَجْنُـونُ الغُـرُورِ لِيُصْحَبَـا
غَرِيبَـانِ لَكِنِّـي وَفَيْـتُ وَمَـا وَفَـى
وَنَـازَعَ حَبْـلَ الـوُدِّ حَتَّـى تَقَضَّبَـا

وَيَـا رَبِّ هَـذِي مُهْجَتِـي وَجِـراحُهَـا
سَيَبْقَيْـنَ إلاَّ عَنْـكَ سِـرّاً مُحَجَّبَـا
وَيَـارَبِّ : إنْ هَـانَـتْ دُمُـوعُ فَأَدْمُعِـي
حَـرائِـرُ شَـاءَتْ أنْ تُصَـانَ وَتُحْجَبَـا

فَمَـا عَـرَفـتْ إلاَّ قُـبورَ أَحِبَّتِـي
وَإلاَّ لِـدَاتِـي فِـي دُجَـى المَـوْتِ غُيَّبَـا
وَمَـا لُـمْـتُ فِـي سَكْـبِ الـدُمُـوعِ فَلَـمْ تَكُـنْ
خَلَقْـتَ دُمُـوعَ العَيْـنِ إلاَّ لَتُسْكَبَـا
وَلَـكِـنَّ لِـي فِـي صَـوْنِ دَمْعِـيَ مَذْهَبَـاً
فَمَـنْ شَـاءَ عَـانَـاهُ وَمَـنْ شَـاءَ نَكَّبَـا

* * *

وَيَـا رَبِّ أَحْـزَانِـي وِضَـاءٌ كَـأَنَّنِـي
سَكَبْـتُ عَلَيْهِـنَّ الأَصِيـلَ المُذَهَّبَـا
تَرَصَّـدَ نَجْـمُ الصُـبْـحِ مِنْهُـنَّ نَظْـرَةً
وَأَشْـرَفَ مِـنْ عَلْيَـائِـهِ وَتَرَقَّبَـا
فَأَرْخَيْـتُ آلافَ السُـتـورِ كَأَنَّنِـي
أَمُـدُّ عَلـى حَـالٍ مِـنَ النُـورِ غَيْهَبَـا
فَغَـوَّرَ نَجْـمُ الصُـبْـحِ يَـأْسَـاً ومَـا رَأَى
عَلـى طُهْـرِهِ ـ حَـتَّـى بَنَـانَـاً مُخَضَّبَـا

وَقَـدْ تَبْـهَـرُ الأَحْـزَانُ وَهْـيَ سَـوافِـرُ
وَلَـكِـنَّ أَحْـلاَهُـنَّ حُـزْنٌ تَنَقَّبَـا

* * *

وَيَـا رَبِّ : دَرْبٌ فِـي الحَيَـاةِ سَلَكْتُـهُ
وَمَـا حِدْتُ عَنْـهُ لَـو عَرَفْـتُ المُغَيَّبَـا
وَلِـي وَطَـنٌ أَكْبَـرْتُـهُ عَـنْ مَـلاَمَـةٍ
وَأُغْلِيـهِ أَنْ يُدْعَـى ـ عَلَـى الـذَنْـبِ مُذْنِبَـا
وَأُغْلِيـهِ حَـتَّى قَـدْ فَتَحْـتُ جَوانِحِـي
أُدَلِّـلُ فِيهِـنَّ الـرَجَـاءَ المُخَيَّبَـا
تَنَكَّـرَ لِـي عِنْـدَ المَشِيـبِ ـ ولا قِلَـىً ـ
فَمِـنْ بَعْضِ نُعْمَـاهُ الكُهولَـةُ والصِبَـا
وَمِـنْ حَقِّـهِ أَنْ أَحْمِلَ الجُـرْحَ راضِيـاً
وَمِـنْ حَقِّـهِ أَنْ لاَ أَلُـومَ وَأَعْتُبَـا

ومـا ضِقْـتُ ذَرْعـاً بالمَشيـبِ فإننـي
رأَيـتُ الضُـحـى كالسيفِ عُـرْيانَ أَشْيَبَـا
يُمَـزِّقُ قَلبـي البُعْـدُ عَمَّـنْ أُحِبُّهُـمْ
ولـكِـنْ رأَيْـتُ الـذُلَّ أَخْشَـنَ مَرْكَبَـا
وَأَسْتَعْـطِـفُ التـارِيخَ ضَنّـاً بِأُمَّتِـي
لِيَمْحُـوَ مـا أُجْـزَى بِهِ لا لِيَكْتُبَـا

* * *

ويـا ربِّ : عِـزٌّ مِـنْ أُمَيَّـةَ لا انْطَـوى
ويـا ربِّ : نُـورٌ وَهَّـجَ الشَرْقَ لا خَبَـا
وَأَعْشَـقُ بَـرْقَ الشـام إنْ كان مُمْطِراً
حَنُـونـاً بِسُـقْيـاهُ وإنْ كـان خُلَّبَـا
وَأَهْـوَى الاديِـمَ السَـمْـحَ رَيَّانَ مُخْصِـباً
سَنـابِلُـهُ نَشْـوَى وأَهْـواهُ مُجْدِبَـا
مـآرِبُ لـي في الرَبْـوَتَيْـنِ وَدُمَّـرٍ
فَمَـنْ شَـمَّ عِطْـراً شَـمَّ لِيْ فِيهِ مَأْرَبَـا

* * *

سَقَـى اللـهُ عِنْـدَ الـلاذِقِـيَّةِ شاطِئاً
مُـرَاحـاً لأَحْـلامِـي وَمغْنَـىً وَمَلْعَبَـا
وَأَرْضَـى ذُرَى الـطَّـوْدِ الأَشَـمِّ فَطالَمَـا
تَحَـدَّى وسامـى كُلَّ نَجْـمٍ وَأَتْعَبَـا
وَجـادَ ثَـرى الشَـهْبَـاءِ عِطْـراً كأَنَّهُ
عَلـى القَبْـرِ[1] مِنْ قَلْبِـي أُرِيقَ وَذُوِّبَـا
وَحَيَّـا فَلَـمْ يُخْطِـىءْ حَمَـاةَ غَمـامُـهُ
وَزَفَّ لِحِمْـصَ العَيْـشَ رَيَّـانَ طَيِّبَـا
وَنَضَّـرَ في حَـوْرَانَ سَهْـلاً وشَـاهِقاً
وبـاكَـرَ بالنُّعمـىَ غَنِيَّـاً وَمُتْرِبَـا

١) قبر لمرحوم سعد الله الجابري

وَجَلْجَـلَ فـي أَرْضِ الجَـزيرَةِ صَيِّـبُ
يُـزاحِـمُ في السُـقْيَـا وفي الحُسْـنِ صَيِّبـا
سَحـائِـبُ مِنْ شَـرْقٍ وَغَـرْبٍ يَلُمُّهـا
مِـنَ الـرِيـحِ راعٍ أَهْـوَجَ العُنْـفِ مُغْضَبَـا
لَـهُ البَـرْقُ سَـوْطٌ لا تَنِـدُّ غَمامَةٌ
لِتَشْـرُدَ الا حَـزَّ فِيهَـا وَأَلْهَبَـا
يُـؤَلِّفُهـا حِينـاً وَتَـطْفِـرُ جُفَّـلاً
وَحـاوَلَ لَـمْ يَقْنَـطْ إلىَ أَنْ تَغَلَّبَـا
أَنَخْـنَ علـى طُولِ السَـمـاءِ وَعَرْضِهَـا
يُزاحِـمُ مِنْهَـا المَنْـكِـبُ الضَـخْـمُ مَنْكِبَـا
فَلَـمْ أَدْرِ هَـلْ أَمَّ السَـمـاءَ قَطِيعُهُ
مِـنْ الغَيْـمِ أَوْ أَمَّ الخِبـاءَ المُطَنَّبـا
تَبَـرَّجَ للصَـحْـراءِ قَبْـلَ انْسِكابِـهِ
فَلَـوْ كانَ للصَـحْـراءِ رِيقٌ تَحَلَّبَـا
وَتَعْـذِرُ طَـلَّ الفَجْـرِ لَمْ يُرْوِ صَادِيـاً
ولـكِنَّـهُ بَـلَّ الـرِمَـالَ وَرَطَّبَـا
وَيُسْكِـرُهَـا أَنْ تَشْـهَـدَ الغَيْـمَ مُقْبِـلاً
وأَنْ تَتَمَـلاَّهُ وَأَنْ تَتَرَقَّبَـا
كَـأَنَّ طِبـاعَ الغِيـدِ فِيهِ فَـإِنْ دَنَـا
قَلِيـلاً . نَأَى حَتَّـى لَقَـدْ عَزَّ مَطْلَبَـا

وَيُطْمِعُهَا حَتَّى اذا جُنَّ شَوْقُهَا
إِلَيْهِ انْثَنَى عَنْ دَرْبِهَا وَتَجَنَّبَا
تَعُدُّ لَيالِي هَجْرِهِ وَسَجِيَّةٌ
بِكُلِّ مَشُوقٍ أَنْ يَعُدَّ وَيَحْسُبَا
وَيَبْدَهُ بالسُقْيَا على غَيرِ مَوْعِدٍ
فَمَا هِيَ الا لَمْحَةٌ وتَصَبَّبَا
كَذلِكَ لُطْفُ اللهِ في كُلِّ مِحْنَةٍ
وَإِنْ حَشَدَ الدَهْرُ القُنُوطَ وأَلَّبَا
إِلَى أَنْ جَلاَهَا كالكَعَابِ تَزَيَّنَتْ
لِتُحْسَدَ مِنْ أَتْرابِهَا أَوْ لِتُخْطَبَا

* * *

وَمَرَّتْ عَلى سُمْرِ الخِيامِ غَمامَةٌ
تَجُرُّ على صَادٍ مِنَ الرَمْلِ هَيْدَبَا[1]
نِطافٌ عِذَابٌ رَشَّهَا الغَيْمُ لُؤْلُؤاً
وَتِبْراً فَما أَغْنَى وأَزْهَى وأَعْجَبَا
حَبَتْ كُلَّ ذِي رُوحٍ كَرِيمَ عَطائِهَا
فَلَمْ تَنْسَ آراماً وَلَمْ تَنْسَ أَذْؤُبَا
وَجُنَّتْ مَهاةُ الرَمْلِ حَتَّى لَغَازَلَتْ
وَجُنَّ حَمَامُ الأَيْكِ حَتَّى لَشَبَّبَا

---

١) الهيدب : السحاب المتدلي

وطَـافَ الغَمـامُ السَـمْـحُ في البيدِ ناسِكاً
إلـى اللـهِ في سُقْيَا الـظِمَـاء تَقَرَّبا
عواطِـلُ مَـرَّ المُزْنُ فِيهِـنَّ صائِغاً
فَفضَّـضَ في تِلْـك السُـهـولِ وذَهَّبَـا
وَرَدَّ الـرِمـالَ السُمْـرَ خُضْـراً وَحاكَهـا
سَـمـاءً وأَغْنـاهَـا وَرَشَّ وَكـوْكَبَـا
وَرَدَّ ضُـروعَ الشَـاءِ بالـدَّرِّ حُفَّـلاً
لِتُـرْضِـعَ حُمْـلانـاً جِيـاعـاً وَتُحْلَبَا
وَحَـرَّكَ فـي البِيـدِ الحَياةَ وسِـرَّهَا
فَمـا هامـدٌ في البِيـدِ إلاَّ تَوَثَّبـا
ولاعَـبَ فِي حَـالٍ من الـرَمْـلِ رَبْربـاً
وضـاحَـكَ في غـالٍ مِنَ الـوَشْـيِ رَبْرَبَـا (١)
وَجَمَّـعَ أَلْـوانَ الضِيـاءِ وَرَشَّهَـا
فـأَحْمَـرَ وَرْدِيّـاً وأَشْـقَـرَ أَصْهَبَـا
وَأَخْضَـرَ بَـيْنَ الأَيْـكِ والبَحْـر حائِـراً
وأَبْيَـضَ بالـوَهْـجِ السَـمـاوِيِّ مُشْـرَبَا
وَلَـوْنَـاً مِـنَ السَـمْـراءِ صيـغَـتْ فُتُـونُـهُ
بَيَـاضَـاً نَعَمْ لَكِـنْ بَيَـاضَـاً تَعَـرَّبَـا
أَتَـدْرِي الـرُبَـى أَنَّ السَـمَـاواتِ سَـافَـرَتْ
لِتَشْـهَـدَ دُنْيَـانـا فَأَغْفَتْ عَلى الرُبَـى

١) القطيع من بقر الوحش

أَلُـمُّ بِـكَـفَّـيَّ النُجـومَ وأَنْتَقِـي
مُـزَرَّرَهـا فِـي بَـاقَـتِـي والمُعَصَّبَـا
دِيَـارِي وَأَهْـلِي بَـارَكَ اللَّـهُ فِيهِمَـا
وَرَدَّ الـرِيَـاحَ الهُـوجَ أَحْنَـى مِـنَ الصَبَـا
وَأُقْسِـمُ أَنِّـي مَـا سَأَلْـتُ بِحُبِّهَـا
جَـزاءً وَلاَ أَغْلَيْـتُ جَـاهـاً وَمَنْصِبَـا
وَلاَ كَـانَ قَلْبِـي مَنْـزِلَ الحِقْـدِ والأَذَى
فَـإِنِّـي رَأَيْـتُ الحِقْدَ خَـزْيَـانَ مُتْعَبَـا

* * *

تَغَـرَّبَ عَـنْ مُخْضَـلَّةِ الـدَوْحِ بُلْبُـلٌ
فَشَـرَّقَ فِـي الـدُنْيَـا وَحِيـداً وَغَـرَّبَـا
وَغَمَّـسَ فِـي العِـطْـرِ الإِلَهِـيِّ جَـانِحَـاً
وَزَفَّ مِـنَ النُـورِ الإِلَهِـيِّ مَـوْكِبَـا
تَحَمَّـلَ جُـرْحَـاً دَامِيَـاً فِـي فُؤَادِهِ
وَغَـنَّـى عَلَـى نَـأْيٍ فَأَشْجَـى وَأَطْرَبَـا

فيينا في ٣١ آب ١٩٦٣

عاد الغريب

نظمت على اثر العودة من الغربة القسرية التي فرضها الطغاة

حَلَفْتُ بالشَامِ هَذا القَلْبُ ما هَمَدَا
عِنْدِي بَقَايا مِنَ الجَمْرِ الذِي اتَّقَدَا
لَثَمْتُ فِيهَا الأَدِيمَ السَمْحَ فالْتَهَبَتْ
مَراشِفُ الحُورِ مِنْ حَصْبَائِهَا حَسَدَا
قَدْ ضَمَّ هَذا الثَرَى مِنْ صِيدهَا مِزَقاً
إِرْثَ الفُتوحِ وَمِنْ مُرَّانِهَا قِصَدَا[1]
أُلَمْلِمُ الجَمَراتِ الخُضْرَ مِنْ كَبِدِي
وَأَسْتَرِدُّ الصِبَا والحُبَّ والكَبِدَا
وَأَرْشِفُ الكَأْسَ مِنْ عِطْرٍ وَمِنْ غَيَدٍ
فَأُسْكِرُ المُتْرَفِينَ العِطْرَ والغَيَدَا
فَدَيْتُ سَمْراءَ مِنْ لُبْنَانَ سَاقِيَةً
حَنَانُهَا مَا اخْتَفَى مِنْ غُرْبَتِي وَبَدا
تَحْنُو عَلى اليَأسِ فِي قَلْبِي فَتَغْمُرُهُ
نُورَا وَتُبْدِعُ فِيهِ الصَبْرَ والجَلَدَا
حُورِيَّةٌ طَافَ جِبْرِيلُ بِجَنَّتِهِ
يُرِيدُ نِدَّاً لِرَيَّاهَا فَمَا وَجَدَا

---

١) جمع قصدة : وهي القطعة من كل ما يُكسر

فَدَيْتُ جَفْنَيْنِ مِنْ سَكْبِ الدُجَى اكْتَحَلاَ
إِذَا سَهِدْتُ عَلى جَمْرِ الغَضَا سَهِدَا

* * *

سَقَيْتُ خَمْرَةَ أَشْعَارِي لَمَى شَفَةٍ
بَخِيلَةٍ فَسَقَتْنِي الشَهْدَ والبَرَدَا
وَإِنْ كَبِرْتُ فَلِي كَنْزا هَوىً وصِبَاً
نَهْدَانِ مِنْ نُعْمَيَاتِ اللَّهِ قَدْ نَهَدَا
أَوْدَعْتُ عِنْدَهُمَا بَعْضَ الشَبَابِ فَمَا
خَانَا وَدِيعَةَ أَيَّامِي وَلاَ جَحَدَا
قَدِ ادَّخَرْتُ لِقَلْبِي عِنْدَ كِبْرَتِهِ
ما صَانَهُ كَادِحٌ للشَيْبِ واجْتَهَدَا
كَنْزاً يَضُمُّ لُبَانَاتِي مُنَوَّرَةً
ومَا اطْمَأَنَّ مِنَ النُعْمَى وما شَرَدَا
أَمُدُّ كَفِّي إلى كَنْزِي فَيَغْمُرُهَا
بِمَا أُحِبُّ شَبَاباً جَامِحاً وَدَدَا
عَادَ الغَرِيبُ وَلَمْ تَظْمَأْ سَرِيرَتُهُ
فَقَدْ حَمَلْتُ بِهَا فِي غُرْبَتِي بَرَدَى
مَنْ رَوَّعَ البُلْبُلَ الهَانِي وأَجْفَلَهُ
عَنْ أَيْكِهِ وَسَقَاهُ الحَتْفَ لَوْ وَرَدَا
جَلاَنِيَ الظُلْمُ أَشْلاءً مُمَزَّقَةً
واحْتَزَّ أَكْرَمَهُنَّ : القَلْبَ والوَلَدَا

تُصْغِي النُجومُ إلى نَوْحِي فَيُسْكِرُهَا
يَبْكِي الهَزارُ وَيَبْقَى مُسْكِراً غَرِدَا
أَلْحَانِيَيْنِ عَلى قَلْبِي وَلَوْعَتِهِ
يُبَدِّدَانِ مِنَ الأَحْزَانِ ما احْتَشَدَا
قَلْبِي الذِي نَضَّرَ الدُنْيَا بِنِعْمَتِهِ
رَأى مِنَ الحِقْدِ أَقْسَاهُ وما حَقَدَا
فَيا لَقَلْبٍ غَنِيٍّ النُورِ مَزَّقَهُ
عَلى النَوى حِقْدُ أَحْبَابٍ وَحِقْدُ عِدَى
إِنِّي لأَرْحَمُ خَصْمِي حِينَ يَشْتُمُنِي
وَكُنْتُ أُكْبِرُهُ لَوْ عَفَّ مُنْتَقِدَا
عَانَيْتُ جَهْدَ مُحِبٍّ فِي الوَفَاءِ لَهُ
والغَدْرُ بِي كُلُّ ما عانَى وَمَا جَهَدَا
قَرَّتْ عُيُونُ العِدَى والأَصْفِيَاءِ مَعَاً
فَلَسْتُ أَمْلِكُ إلاَّ العِطْرَ والشَّهَدا

* * *

دَعُوا كَرَامَتِيَ العَصْمَاءَ نازِلَةً
عَلى الشُمُوسِ تُذِيعُ الحُسْنَ والرَّأدَا
كَرَامَتِي الحَجَرُ الصَوَّانُ ما ازْدُرِدَتْ
إلاَّ لِتَهْشِمَ أَنْيَابَ الذِي ازْدَرَدَا
كَغَابَةِ اللَيْثِ إنْ مَرَّ العَدُوُّ بِهَا
رَأى الزَماجِرَ والأَظْفَارَ واللِّبَدَا

وَكَيْفَ أَعْنُو لِجَبَّارٍ وقَدْ مَلَكَتْ
يَمِينِيَ القَمَرَيْنِ : الشِعْرَ والصَيْدَا
إِذَا دَجَا النُورُ فِي غَمْرِ الضُحَى ائْتَلَقَا
وَإِنْ سَطَا الظُلْمُ مَخْمُورَ الظُبَى صَمَدَا
عُروبَتِي فَوْقَ فَرْقِ الشَمْسِ سَاخِرَةٌ
مِنْ لُؤْمِ ما زَوَّرَ الوَاشِي وَمَا سَرَدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأَرْواحِ يُبْدِعُها
مِنْ سِرِّهِ لَمْ يُشارِكْ غَيْبَهُ أَحَدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأَرْواحِ لا مَلأً
جلا لَهُ سِرَّها الأَعْلى ولا بَلَدا
وَمَيَّزَ الشامَ بالنُعْمَى ودَلَّلَها
فَمِنْ ثَرى الشَامِ صاغَ الرُوحَ والجَسَدا
أُولى المَدائِنِ أُخْتُ الشَمْسِ قَدْ شَهِدَتْ
رُوما وغارَ الضُحَى مِنْها فَما شَهِدا
ثَراكِ والدُرُّ ما هَانا وإِنْ ظُلِمَا
وأَنْتِ والنورُ ما ضاعا وان جُحِدَا

* * *

يَسُومُنا الصَنَمُ الطَاغِي عِبادَتَهُ
لَنْ تَعْبُدَ الشامُ الا الواحِدَ الأَحَدا
وَجْهُ الشآمِ الذي رَفَّتْ بَشاشَتُهُ
مِنَ النَعيمِ لِغَيرِ اللهِ ما سَجَدَا

تَفَنَّنَ الصَنَمُ الطاغِي فَأَلْفُ أَذىً
وَأَلْفُ لَوْنٍ مِنَ البَلْوَى وأَلْفُ رَدَى
أَنْحَى عَلى الشَامِ أَرْيَافاً وحاضِرةً
فَلَمْ يَدَعْ سَبَداً فيها ولا لَبَدا
جُهْدُ العُفاةِ مِنَ العُمَّالِ جِزْيَتُهُ
وكلُّ ما قَطَفَ الفَلاَّحُ أَوْ حَصَدا
هَذا المُدِلُّ على الدُنْيَا بِصَوْلَتِهِ
ما صَالَ إلاَّ عَلى قَوْمِي ولا حَشَدا
وَمُرْعِدٍ مُبْرِقٍ ضَجَّتْ صَواعِقُهُ
حَتَّى إذَا قامَتِ الجُلَّى لَهُ قَعَدا
الظامِىءُ القَلْبِ مِنْ خَيرٍ وَمَرْحَمَةٍ
فإنْ أَلَحَّ سَقَاهُ الحِقْدَ والحَسَدا
لَوِ اسْتَطاعَ مَحَا أَمْجادَنَا بَطَراً
لَمْ يُبْقِ منهُنَّ لا بَدْراً ولا أُحُدَا

***

دَعِ الشآمَ فَجَيْشُ اللهِ حارِسُهَا
مَنْ يَقْحَمِ الغَابَ يَلْقَ الضَيْغَمَ الحَرِدَا
عَزَّتْ على كُلِّ فِرْعَوْنٍ عَرِينَتُها
ما رُوِّضَتْ ويروضُ القانِصُ الأَسَدا
إذَا العَدُوُّ تَحَدَّاها بِصَوْلَتِهِ
نَهَدْتُ أُرْخِصُ رُوحِي كُلَّما نَهَدا

تَفَحَّمَتْ كِبْرِيائِي يَوْمَ مِحْنَتِها
ماسامِعُ المِحْنَةِ الكُبْرى كَمَنْ شَهِدا
أَهْوالَ ما أَوْعَدَ الطاغِي لِيَصْرِفَني
عَنِ الشآمِ وَنُعْمَى كُلَّ ما وَعَدا

* * *

مَاذا يُرِيدُ الأُلَى أَصْفَوْهُ وُدَّهُمُ
وَسَخَّرُوا لِهَواهُ المَالَ والعُدَدَا
يَكادُ تِمْثالُهُمْ يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ
وَقَدْ غَدا لِلطُغَاةِ العَوْنَ والمَدَدَا
يا مِشْعَلَ النُورِ كَمْ حُرِّيَّةٍ ذُبِحَتْ
عَلى يَدَيْكَ وَنُورٍ مَاتَ بَلْ وُئِدَا
قَدْ أَنْكَرَ المِشْعَلُ الهادِي رِسالَتَهُ
فَإِنْ يُماجِدْ خَصِيماً بَعْدَهَا مُجِدَا
يَبْكِي لِحُرِّيَّةِ الدُنْيَا وَيَذْبَحُها
عَلى هَواهُ ولا ثَأْراً ولا قَوَدا
وَمَنْ حَمَى ظُلْمَ فِرْعَونٍ لأُمَّتِهِ
فَقَدْ تَفَرْعَنَ طُغْيَاناً وَمُعْتَقَدَا
تَحَمَّلُوا وِزْرَ هذا الشَرْقِ مَزَّقَهُ
جُنُونُ طاغٍ فأَضْحَى شَمْلُهُ بَدَدا
لاَ أَكْذِبُ اللهَ قَدْ أَضْحَتْ كُنوزُكُمُ
لِصَرْحِ طُغْيانِهِ الأَرْكانَ والعُمُدَا

لا أكْـذِبُ اللـهَ مِـنْ أَمْوالِـكُـمْ صُقِلَـتْ
خَنـاجِـرُ طَعَنَـتْ حُرِيَّتـي وَمُـدَى

* * *

يا رَاقِـدَ الثَـأْرِ لَـمْ يَأْرَقْ لِجَمْـرَتِهِ
جَيْـشُ الشـآمِ عَنِ الثَـاراتِ ما رَقَـدَا
جَيْشـي وَفَـوْقَ ذُرَى حِطِّيـنَ رَايَتُـهُ
غَـداً وَيُمْلِـي عَلى الـدُنْيَـا الفُتـوحَ غَـدا
أَلْمُطْمَئِـنُّ وَجَمْـرُ الثَـأْرِ في دَمِـهِ
خـابَـتْ رِياحُـكَ هذا الجَمْـرُ ما هَمَـدا
أَلْحـامِـلُ الغَـارَ أَمْجـاداً مُنَضَّـرَةً
والمُـدْرِكُ الثَـأْرَ لا زُوراً ولا فَنَـدَا
تَبَـرَّجَـتْ في السـمـاءِ الشَـمْـسُ حالِيَـةً
لِتَشْـهَـدَ العُـدَّةَ الشَـهْبـاءَ والعَـدَدا
جَيْشِـي وإِيمـانُـهُ بالحُـكْـمِ مُجْتَمِعـاً
شُـورى وَقَـدْ داسَ حُكْـمَ الفَـرْدِ مُنْفَـرِدَا
لَبَّـى الشَـآمَ وقـد رِيعَـتْ كَرامَتُهـا
وَثـارَ للشَـعْـبِ مَنْهُـوبـاً وَمُضْطَهَـدا
إِنَّ الـكَرامَـةَ والحُـرِّيَـةَ احْتَلَفـا
وَلَـنْ يُفـارِقَ حِلْـفٌ حِلْفَـهُ أَبَـدا
مِنْ هَـدْيِهِ صاغَـهـا الإِسْـلامُ فانْسَكَبَـتْ
تُـوَزِّعُ النُـورَ والنَعْمَـاءَ والرَشَـدا

هَـذِي الحَنِيفِيَّـةُ السَـمْحـاءُ قاهِـرَةٌ
لا الـلاتُ عَـزَّتْ ولا فِرْعَـوْنُهـا عُبِـدَا
تَأَلَّـهَ الفَـرْدُ حِينـاً ثُـمَّ عاصِفَـةٌ
هَـدَّارَةٌ فكـأَنَّ الفَـرْدَ ما وُجِـدَا
كَنْـزُ الحَنِيفَـةِ مِنْ حُـبٍّ وَمَرْحَمَـةٍ
كالنُّـورِ قد غَمَـرَ الـدُنْيـا ومـا نَفَـدَا
نَبْـعٌ مِنَ الحُـبِّ لَوْ مَـرَّ الجحيـمُ بِهِ
لقـطَّـفَ الـظِـلَّ مِنْ رَيَّـاهُ وابْتَـرَدا
لا الفَقْـرُ حِقْـدٌ ولا النَعْمَـاءُ غاشِمَـةٌ
كِلاهُمـا انْسَـجَمـا بالحُـبِّ واتَّحَـدا
كِلاهُـما أَمْلَـتِ السَـمْحـاءُ حُرْمَتَـهُ
عَلى أَخِيـه فَمـا ابْتَـزَّا ولا حَقَـدَا
تُبْنَـى الشُـعُـوبُ عَلى قُرْبَـى وَمَرْحَمَـةٍ
ومـا بَنَـى الحِقْـدُ لا شَعْبـاً ولا رَغَـدَا
آمَنْـتُ بالفَـرْدِ حُـرّاً في عَقِيدَتِـهِ
وَكـلُّ فَرْدٍ ومـا وَالى ومـا اعْتَقَـدا
أَفْـدِي الشَـآمَ لِنُعْمـاهَـا وَعِزَّتِهَـا
مِـنْ أَرْبَعِيـنَ أُقَـاسِـي الهَـوْلَ والنَكَـدا

* * *

ضَـمَّ الثَـرى مِنْ أَحِبَّائـي لُيـوثَ شرًى
وَغـابَ تَحْتَ الثَـرى مِنْهُـمْ شُـمـوسُ هُـدَى

لِداتِـيَ الصيـدُ ، شَـلَّ المَوْتُ سَـرْحَهُمُ
لَيْـتَ النُجـومَ وَرُوحِـي لِلِّـداتِ فِـدَى

الـراقِـدُونَ وَجَفْنِـي مِـنْ طُيوفِهِـمُ
في سـامِـرٍ ضَـجَّ في جَفْنِـي فَما رَقَـدا

قُبـورُ أَهْلِـي وإِخْـوانـي وَغافِيَـةٌ
مِـنَ الـطُيـوفِ وأَسْـرارٌ ورَجْـعُ صَـدَى

والليْـلُ والصَـمْـتُ والـذِكرى وَكَنْـزُ رُؤىً
لَمَحْـتُ مَارِدَ جِـنٍّ حَـوْلَـهُ رُصِـدَا

وَوَحْشَـةُ لَفَّـتِ الـدُنْيـا بِرَهْبَتِهـا
وَلَفَّـتِ الغَيْـبَ والأَحْـلاَم والأَبَـدَا

أَلحـانِيـاتُ علـى تِلْـكَ القُبـورِ معـي
وَنَبَّـهَ الفَجْـرُ طَيْـراً غافِياً فَشَـدا

حَتَّـى بَكَيْـتُ فَذابَـتْ كُلُّ واحِـدَةٍ
مِنْهُـنَّ فِي أَدْمُـعِ النَـائـي الـذِي وَفَـدا

هَشَّـتْ إِلـيَّ قُبـورٌ ، أَدْمُعِـي عَبَقٌ
عَلَـى الـرَياحِيـنِ في أَفْيائِهـا وَنَـدَى

ضَمَّتْنِـيَ الشـامُ بَعْـدَ النَـأْيِ حَانِيَـةً
كالأُمِّ تَحْضُـنُ بَعْـدَ الفُـرْقَـةِ الوَلَـدا

رَدَّتْ إِلَـيَّ شَبَـابـي فـي مَتارِفِـهِ
وَهَيَّـأَتْ للصِيـالِ الفَـارِسَ النَجِـدَا

أَنَــا الــوَفِيُّ وَتــأْبَــى الغُــرُّ مِنْ شِيَمــي
كُفْــرانَ نِعْمَــةِ مَنْ أَسْــدَى إِلَيَّ يَــدا

* * *

حنين الغريب

وَفَـاءٌ كَمُزْنِ الغُـوطَتَيْـنِ كَرِيـمُ
وَحُـبٌّ كَنَعْمَـاءِ الشَـآمِ قَـدِيمُ
وَشِـعْـرٌ كَآفَـاقِ السَـمَـاءِ تَبَـرَّجَـتْ
شُـمُـوسٌ عَلَـى أَنْغَـامِـهِ وَنُجُـومُ
يَـلُـمُّ (شَـفِيـقٌ)[1] كَوْكَبـاً بَعْدَ كَوْكَـبٍ
وَنَـسَّـقَ مِنْهَـا العِقْـدَ فَهْـوَ نَظِيـمُ
مَعَـانٍ بِأَلْـوَانِ الجَمَـالِ غَنِيَّـةٌ
كَمَـا زَفَّ أَلْـوانَ الـطيـوبِ نَسِيـمُ
وَوَشْـيٌ كَأَحْـلامِ الشَـبَـابِ يَصُـوغُـهُ
أَنِيـقٌ بِأَسْـرارِ البَيَـانِ عَلِيـمُ
سَقَـانِـي سُـلَافَ الشِعْـرِ حَـتَّـى تَـرَنَّحَـتْ
دُمُـوعٌ وَغَنَّـتْ لَـوْعَـةٌ وَكُلُـومُ
فَفِـي كُـلِّ بَيْـتٍ رِيـقَـةٌ أَوْ سُـلَافَـةٌ
وَرَيْحَـانَـةٌ شَـامِيَّـةٌ وَنَـدِيـمُ

***

تُطَـوِّحُنِـي الأَسْـفَـارُ شَـرْقَـاً وَمَغْـرِبَـاً
وَلَـكِـنَّ قَلْبِـي بالـشَـآمِ مُقِيـمُ

---

(١) شفيق جبري الشاعر الكبير . وقد اطلع على قصيدة (البلبل الغريب) فنظم قصيدة رائعة بعث بها الى الشاعر في جنيف .

وَأَسْمَعُ نَجْواهَا عَلى غَيْرِ رُؤْيَةٍ
كَأَنِّي عَلى طُور الجَلالِ (كَلِيمُ)
وَمَا نَالَ مِنْ إِيمَانِيَ السَّمْحِ أَنَّنِي
أُصَلِّي لَهَا فِي غُرْبَتِي وَأَصُومُ
وَلاَ نَالَ مِنْ قَدْري اغْتِرابٌ وَعُسْرَةٌ
يُصَانُ وَيُغْلَى الدُّرُّ وَهْوَ يَتِيمُ
وِلِلْمَجْدِ أَعْبَاءٌ وَلَكِنَّهَا مُنَىً
وَلِلْمَكْرُمَاتِ الغَالِيَاتِ هُمُومُ
وَخَاصَمَنِي مَنْ كُنْتُ أَرْجُو وَفَاءَهُ
وللشَّمْسِ بَيْنَ النَيِّراتِ خُصُومُ
يُلاقِي العَظِيمُ الحقد فِي كُلِّ أُمَّةٍ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْ حقدِ الطَّغَامِ عظيمُ
ويَقَذى بِنُورِ العَبْقَرِيَّةِ حَاسِدٌ
وَيَخْزَى بِمَجْد اِلْعَبْقَرِيِّ لَئِيمُ
وَتَشْقَى عَلى الحِقْدِ اِلْنُفُوسُ كَمَا انْطَوتْ
قُلوبٌ عَلى جَمْرِ الغَضَا وَحُلُومُ
وَلَمْ يدْرِ نَعْمَاءَ الكَرى جَفْنُ حَاقِدٍ
وَهَلْ قَرَّ عَيْناً بالرُّقَادِ سليمُ(١)
وَيَزْعَمُ أَنَّ الحقدَ يُبدِعُ نِعْمَةً
وَهَيْهَاتَ مِنْ نُعْمَى البَنِينَ عَقِيمُ

---

(١) اللديغ

وَمَـا بُنِيَـتْ إلاَّ عَلـى الحُـبِّ أُمَّـةٌ
وَلاَ عَـزَّ إلاَّ بالجَنَـانِ زَعِيـم
وَلاَ فَـوْقَ نعمـاءِ المَحَبَّـةِ جَنَّـةٌ
وَلاَ فَـوْقَ أَحْقَـادِ النُفـوسِ جَحِيـمُ
هُـوَ الحُـبُّ حَتَّـى يُكْـرِمَ العُدْمَ مُـوسِرٌ
وَيَـأْسَـى لأَحْـزَانِ الغَنِـيِّ عـديـمُ
وَحَتَّـى يُرِيـحَ الـذنـبَ مِـنْ حَمْـلِ وِزْرِهِ
حَنَـانٌ بِغُفْـرانِ الـذنـوبِ زَعِـيـمُ
وَيَـا رَبِّ قَلْبِـي مَـا عَلِمْـتَ. مَحَبَّـةٌ
وَعِـطْـرٌ وَوَهْـجٌ مِـنْ سَنَـاكَ صَمِيـمُ

وَآمَنْـتُ حَتَّـى لاَ أَرُومَ لُبَـانَـةً
تُخَـالِـفُ مـا تَخْتَـارُهُ وَتَـرُومُ
جَـلاَ نُـورُكَ الـدُنْيَـا لِعَيْنِـي وَسِيمَـةً
فَلَـمْ يَبْـقَ حَتَّـى فِـي الهُمـومِ دَمِيـمُ
وَسَلَّمْـتُ أَمْـرِي لا مِنَ اليَأس بَلْ هَوىً
أَصِيلٌ وَإِرْثٌ طاهِـرٌ وأَرُومُ[1]

فَرَرْتُ إلـى قَلْبـي مِـنَ العَقْـلِ خَـائِفَـاً
كَمـا فَـرَّ مِـنْ عَـدْوَى المَرِيـضِ سَلِيـمُ

---

١) الاحساب واصل الشيء .

تَأَلَّـهَ عَقْـلٌ أَنْـتَ يَـا رَبِّ صُغْتَـهُ
وَكَـادَ يَـرُدُّ المَيْـتَ وَهْـوَ رَمِيـمُ

وَضَاقَـتْ بِهِ الـدُّنْيَا فَفِـي كُلِّ مُهْجَةٍ
هَـوَاجِسُ مِنْ كُفْرَانِـهِ وَغُمُومُ

وَأَبْـدَعْـتَ هَـذَا العَقْـلَ نُعْمَـى قِطَـافُهَـا
فُنُـونٌ كَأَطْيَـابِ الهَـوى وَعُلُـومُ

تَـرِفُّ حَضَـارَاتٌ عَلَيْـهِ وَضِيئَـةٌ
وَخَيْـرٌ كَإِغْـدَاقِ السَّـمَـاءِ عَمِيـمُ

وَغَـرَّدَ فِـي عَـدْنٍ لِجُـورِكَ شَـاعِـرٌ
وغَـازَلَ أَسْـرَارَ السَّـمَـاءِ حَكِيـمُ

فَمَـا بَـالُ هَـذَا العَقْـلِ جُـنَّ جُنُـونُـهُ
فَـرَدَّ مَـلاكَ الـطُّهْـرِ وَهْـوَ أَثِيـمُ

وَزَلْـزَلَ مِنْـهُ البَـرَّ والبَحْـرَ كَـافِـرٌ
بِنُعْمَـاكَ مَـرْهُـوبُ الحُتُـوفِ غَشُـومُ

وَفِـي كَـأْسِـهِ عِنْـدَ الصَّبَـاحِ سُـلاَفَـةٌ
وَفِـي كَـأْسِـهِ عِنْـدَ المساءِ سُمُـومُ

وَيُعْـطِـي المُنَـى مـا تَشْـتَهِـي فَهْـوَ مُحْسِـنٌ
وَيَنْهَـبُ مـا أَعْـطَـاهُ فَهْـوَ غَـرِيـمُ

تَحَّـداكَ حَـتَّـى كَـادَ يَزْعَـمُ أَنَّـهُ
شَرِيـكٌ لِجَبَّـارِ السَّـمَـاءِ قَسِيـمُ

وَحـاوَلَ غَـزْوَ النَـيِّرَيْـنِ فَـرُدَّهُ
عَـنِ الـذُرْوَةِ العَصْـمَـاءِ وَهْـوَ رَجِيـمُ
وَكُـفَّ عِنـانَ العَقْـلِ قَسْـراً فَرُبَّمَـا
أُثِيـرَ بِإلْحَـاحِ السَـفِيـهِ حَلِيـمُ
جَـلَـتْ هَـذِهِ الـدُنْيَـا لِعَيْنِـي كُنُـوزَهَـا
لَـوامِـعَ يُغْـرِي بَـرْقُهَـا فَأَشِيـمُ
أَفَـانِيـنُ مِـنْ حُسـنٍ وَجَـاهٍ وَنِعْمَـةٍ
مَعَـادِنُ نُـورٍ كُلُّهُـنَّ كَرِيـمُ
وَوَشْـيٌ بِـهِ الأَلْـوانُ حَيْـرَى كَأَنَّهَـا
سَـمَـاءٌ فَتَصْـحُـو لَمحـةً وَتَغِيـمُ
وَلَـمْ أَتَـرَدَّدْ وانْتَقَيْـتُ .. وَحُـبُّهَـا
وَأَحْـلامُهَـا مـا اخْتَـرْتُ حِيـنَ تَسُـومُ
قَـدِ اخْتُصِرت دُنيـا بِقَلْبِـي وَعَـالَـمٌ
كَمَـا اخْتَصَـرَ العِلْـمَ الشَـتِيـتَ رَقِيـمُ[1]
وَتُـوجَـزُ فِـي قَـارُورَةِ العِـطْـرِ روضَـةٌ
وَتُـوجَـزُ فِـي كَـأسِ الـرَحِيـقِ كُـرُومُ
وَأُعْـرِضُ إِعْـراضَ الخَـلِـيِّ مِـنَ الهَـوى
وَبِـي مِـنْ هَـوَاهَـا مُقْعِـدٌ وَمُقِيـمُ
وَمَـا حِيلَتِـي إِنْ نَـمَّ عَـنْ نَفْسِـهِ الهَـوَى
هُـوَ العِطْـرُ والعِطْـرُ الـزَكِـيُّ نَمُـومُ

---

١) كتاب .

تَشـابَهَـتِ السَـمْـراءُ والـدَهْـرُ شِيمَـةً
كِـلاَ القَـادِرَيْـنِ القَـاهِرَيْـنِ ظَـلُـومُ
وَأُكْـرِمُهَـا عَـنْ كُـلِّ لَـوْمٍ وَأَنْثَنـي
أُعَـاتِـبُ قَلْبِـي وَحْـدَهُ وأُلُـومُ
وَلَـوْ أَنَّ شِعْـرِي دَلَّـلَ الـرِيـمَ نَافِـراً
تَلَـفَّـتَ يَجْـزِينِـي الصَبَـابَةَ رِيـمُ

* * *

تُبَـادِهُنِـي عِنْـدَ البُحَيْـرَةِ دُمَّـرُ
وَرَوْضٌ عَلـى أَفْيَـائِهَـا وَشَمِيـمُ
وَوُرْقٌ عَلـى شَـطِّ البُحَيْـرَةِ حُـوَّمٌ
وَوُرْقٌ عَلـى قَلْـبِ الغَـرِيـبِ تَحُـومُ

خَيَـالٌ جَلا لِـي الشَـامَ حَـتَّـى إِذَا انْطَـوَى
تَنَـازَعَ قَلْبِـي عَبْـرَةٌ وَوُجُـومُ
وَقَـرَّبَهَـا مَـا شِئْـتُ حَـتَّـى احْتَضَنْتُهَـا
وغَـابَـتْ بِحَـارٌ بَيْنَنَـا وَتُخُـومُ

وَحَيَّـتْ مَـنِ الـرَّوْحِ الشَـآمِـيِّ نَفْحَةٌ
وَلَـوْحٌ بِـأَشْـتَـاتِ الـطِّيـوبِ لَمـومُ
وَلاحَ صِغَـارِي كَـالفِـرَاخِ وَأُمُّهُـمْ
حَنُـونٌ كَـوَرْقَـاءِ الغُصُـونِ رَؤُومُ

فِـرَاخُ وَإِنْ طَارُوا وللرِيحِ ضَجَّةُ
وللرَعْدِ زَأْرٌ في الدُجَى وَهَزِيمُ
فُطِرْنَا على حُبِّ البَنِينَ ، سَجِيَّةٌ
تَلاقَى عَلَيْهَا عَاذِرٌ وَمُلِيمُ
يَشِيبُ الفَتَى مِنْهُمْ وَيَبْقَى لِرَحْمَتِي
كَما كَانَ في عَيْنَيَّ وَهْوَ فَطِيمُ
وَهَانٍ[1] بِنَعْمَاءِ الطُفُولَةِ مادَرى
أَهادَنَ دَهْرٌ أَمْ أَلَحَّ خَصِيمُ
غَرِيرٌ يُبِينُ القَوْلَ بَلْ لايُبِينُهُ
طَفُورٌ كَأَطْلاءِ الظِباءِ بَغُومُ
نَزَعْتُ سِهامَ القَلْبِ لَمَّا خَلَعْتُهُ
عَلَيْهِ وَنَزْعُ المُصْمِياتِ أَلِيمُ
وَجُرْتُ على قَلْبِي فَأَخْفَيْتُ أَنَّهُ
مُدَمَّىً بِأَنْواعِ السِهامِ كَلِيمُ
وَلَوْلاَهُمُ مَارَوَّضَتْنِي شَكِيمَةٌ
ولا لانَ مِنِّي في الصِعَابِ شكِيمُ

* * *

وَهَيْهَاتَ مِنِّي في البُحَيْرَةِ دُمَّرٌ
وَسَجْعٌ بِوَادِي الرَبْوَتَيْنِ رَخِيمُ

---

١) حفيده محمد

إذَا لاحَ لِي وَجْهُ البُحَيْرَةِ قَائِماً
أَلَحَّ عَلَيْهِ عاصِفٌ وَغُيُومُ
فَوَجْهُ أَدِيمِ الشامِ طَلْقٌ مُنَوَّرٌ
وَوَجْهُ بُحَيْراتِ السَماءِ قَسِيمُ
تَعَلَّلْتُ لا أَشْكُو سَقاماً ولا أَذىً
بَلى كلُّ ناءٍ عَنْ هَوَاهُ سَقِيمُ
وَيُحْزِنُنِي دَوْحُ البُحَيْرَةِ عارِياً
وَأَوْراقُهُ الخَضْراءُ وَهْيَ هَشِيمُ
وَأَبْسُطُ كَفِّي أَقْطِفُ المَاءَ عابِثاً
كَأَنَّ المُوَيْجَاتِ الصِغَارَ جَمِيمُ[1]
وَتِلْكَ الظِلالُ الحَالِياتُ عَواطِلُ
عَلى كُلِّ أَيْكٍ وَحْشَةٌ وسُهُومُ
تَعَرَّتْ مِنَ الغِيدِ المِلاحِ وَطَالَمَا
تَغَطَّى بِأَسْرَابِ المِلاَحِ أَدِيمُ
رُسُومُ هَوىً ما اسْتَوْقَفَتْ خَطْوَ عَابِرٍ
كَما اسْتَوْقَفَتْ رَكْبَ الفَلاةِ رُسومُ
وَلا لَثَمَ الحَصْبَاءَ فِيهَا مُتَيَّمٌ
يَشُمُّ الهَوى مِنْ عِطْرِهَا فَيَهِيمُ
يُجَلِّلُهَا اللَيْلُ البَهِيمُ وَمِثْلُهُ
ضُحىً كالدُجَى غَمْرُ السَوَادِ بَهِيمُ

---

١) النَبْتُ يغطي الارض .

وَشَـمْسُ الضُـحَـى خَوْدٌ كَعـابُ يَضُمُّهـا
لِغَيْـرانَ مِـنْ صِيدِ المُلـوكِ حَـرِيـمُ
يُـرَدُّ وَيُجْلَـى عَنْ كُـوىَ الغَيْـمِ وَجْهُهَـا
كمـا رُدَّ عَـنْ بَـابِ البَخِيـلِ يَتِيـمُ
وَيَشْـكُو الضُـحَـى مِنْ هَجْـرِهـا مُتَـوجِّعـاً
وَيُـوحِشُـهُ هِجْـرَانُهـا وَيَضِيـمُ
تَـأَبَّـتْ على جُهْـدِ الضُـحَـى فَكَـأَنَّهَـا
مِـنَ الغِيـدِ مِكْسَـالُ الـدَلالِ نَـؤُومُ
وَضَـمَّ الـظَـلامُ السَـكْبُ ظِـلاًّ لِجَـارِهِ
كَـأَنَ الـظِـلالَ المُغْفِيَـاتِ جُسُـومُ

***

يُطـارِحُنِـي دَوْحُ البُحَيْـرَةِ شَجْـوهُ
كِـلانَـا مُغَنًّـىً بـالـزَمَـانِ هَضِيـمُ
وَأَشْـكُـو لَـهُ البلـوى وَيَشْـكُـو كأَنَّنَـا
حَمِيـمٌ يُسَـاقِيـهِ العَـزَاءَ حَمِيـمُ
أَتَشْـكُـو وَلَـكِـنْ عِنْـدَكَ الـرِيـحُ والدُجَى
وللجِـنِّ مِنْ شَتَّـى الـظِـلالِ نُجُـومُ
وَعِنْـدَكَ آلافُ الـطُيـوفِ حَـوائِـمٌ
رَوانٍ لأَسْـرارِ البُحَيْـرَةِ هِيـمُ
تُلَمْلِـمُ أَسْـرارَ البُحيـرة شُـرَّداً
وَيَفْتِنُهَـا سَكْـبُ الشَـذَا فَتَرِيـمُ

هُنَا كُلُّ أَسْرارِ البُحَيْرةِ والرُّوَى
طَوافِرُ في دُنْيا الخَفَاءِ تَهيمُ
هُنَا عُرُسُ الأَطْيافِ يَفْتَرِشُ الدُجَى
ويقعُدُ في أَحْضَانِهِ وَيَقُومُ
خَفَاءٌ يَضِجُّ الصَمْتُ فيهِ وَبُلْبُلٌ
تَحَدَّى ضَجِيجَ الصَمْتِ فَهْوَ نَغُومُ
وَلَفَّ الخَفَاءُ الحُسْنَ حَتَّى شَكَى الهَوى
وَغارَ حَرِيرٌ مُتْرَفٌ وَرُقُومُ
فَدَعْ لَوْمَهُ إِنْ لَمْ يَلُحْ لَكَ سِحْرُهُ
خيالُكَ لا سِحْرُ الخَفَاءِ مَلُومُ
هُنَا أَلَّفَ الأَطْيارَ والناسَ رَحْمَةٌ
فللطَيْرِ أُنْسٌ فِيهِمُ وَلُزُومُ
إِذَا انْبَسَطَتْ رَاحٌ فللطَيْرِ فَوْقَها
حَنِينٌ الى سَمْحِ القِرَى وَجُثُومُ
فَيا خَجْلَةَ الصَحْرَاءِ لَمْ يَنْجُ جُؤْذُرٌ
ولا قَرَّ عَيْناً بالأَمانِ ظَلِيمُ[1]
وَلَمْ تَهْنَ بالعُشِّ البَعِيدِ حَمَامَةٌ
فَصَيَّادُهَا صَعْبُ المِرَاسِ عَزُومُ
شَكَا الطَيْرُ مِنْ ظُلْمِ الأَنَاسِيِّ واشْتَكَتْ
ظِباءٌ وَعُشْبٌ في الفَلاةِ نَجِيمُ

---

١) الظَليم ذكر النعام

فَيـا رَبِّ لا أَقْـوَى مِنَ الـطَيْـرِ عُشُّـهُ
وَلا رَاعَ أَسْـرَابَ الـظِبَـاءِ غَرِيـمُ
وَلا أَوْحَشَـتْ رَمْـلَ الفَـلاةِ جَآذِرٌ
وَوَرْدٌ يُنَـدِّي حَـرَّهَـا وَفُغُـومُ
وَكُـلُّ غَمـامٍ مرَّ في الـرَمْـلِ دِيمَـةٌ
وكـلُّ كِنَـاسٍ للـظِبـاءِ مَـدِيـمُ(١)
رِمـالُ كَبُـرْدٍ عاطِـلِ الـوَشْـيِ حَاكَـهُ
صَـنـاعٌ مُعَـنّـىً بالبُـرودِ سَـؤُومُ
فَزَوَّقَـهُ بالـوَشْـيِ غَـادٍ وَرائِـحٌ
وَعَـدْوٌ جِيَـادٍ ضُمَّـرٍ وَرَسِيـمُ
ويـا رَبِّ في الانْسـانِ والـطَيْـرِ لا احْتَمَـى
بِغَيْـرِكَ مَقْصُـوصُ الجَنـاحِ ظَلِيـمُ
وَصُـنْ كُـلَّ زَرْعٍ أَنْ يُنـازِعَ خِصْبَـهُ
هَجِيـرٌ وَرِيـحٌ - لا تَرِقُّ - حَطُـومُ
سَنـابِـلُ وَفَّـتْ للـطُيـورِ زَكاتَهَـا
فَحَنَّـتْ إِلَيْهـا جَنَّـةٌ وَنَعِيـمُ
ويـا رَبِّ تَـدْرِي الشـامُ أَنِّـي أُحِبُّهـا
وأَفْنَـى وَحُبِّـي للشَـآمِ يَـدُومُ
وَلِـي في ثَـراهـا من لِـداتِـي أَعِـزَّةٌ
حُمـاةٌ اذا اسْـتَخْـذَى الشُـجـاعُ قُـرومُ

---

١) المديم ما اصابته الديمة وهي المطر الدائم في سكون .

تَهـاوَوْا تِبَـاعـاً واحِـداً بَعْـدَ وَاحِـدٍ
عَلَيْـهِ انْفِـراطَ العِقْـدِ وَهْـوَ نَظِيـمُ
تَسـاقَـوْا مَنايَـاهُـمْ ضُحَـى العُمْـرِ وانْطَـوى
شَبَـابُهُـمُ الـرَيَّـانُ وَهْـوَ تَمِيمُ
وأُسْـرِفُ في الـذِكْـرَى لأَنْـزَحَ نَبْعَهَـا
وَلـكِـنَّ نَبْـعَ الـذِكْرَيـاتِ جَمُـومُ[1]
إذَا قُلْـتُ غاضَـتْ بَعْـدَ لأْيٍ تَدَفَّقَـتْ
وَلِلْـمَـوْجِ فِيهـا كَـرَّةٌ وَهُجُـومُ
وَتُسْـدِلُ أَحْيـانـاً شَفِيـفَ لِثـامِهَـا
كَمـا لَثَـمَ الفَجْـرَ الضَـحُـوكَ سَـدِيمُ
وَفِي كُـلِّ أَيْـكٍ لِي عَلـى الشَـامِ مَنْسَـكٌ
وفي كـلِّ دَوْحٍ زَمْـزَمٌ وَحَطِيـمُ
وَكُـلُّ مَقَـامٍ فيكِ حتى علـى الأَذَى
حَمِيـدٌ وكـلُّ النَـأْيِ عَنْـكِ ذَمِيـمُ
حَـوَالـي الصِـبـا إنْ لَمْ تَـرِدْكِ عواطِلٌ
وريـحُ الصَـبـا ما لَمْ تَـزُرْكِ سَمُـومُ
ويـا ربِّ إنْ سَبَّحْـتُ والشَـامُ قِبْلَتِـي
فـأَنْـتَ غَفُـورٌ للـذُنـوبِ رَحِيـمُ
تَهَلَّـلَ عَفْـوُ اللـهِ للـذَنْـبِ عِنْـدَما
أَطَـلَّ عليـهِ الـذَنْـبُ وَهْـوَ وَسِيمُ

جنيف ١٩٦٣/١١/١

١) تجمّع ماؤها وكثر

من وحي الهزيمة

الى ابطال تشرين التحرير الذين حلمت بهم هذه القصيدة كما حلم بهم الوطن المنكوب فكانوا له ولها فجرين من ثأر وامل .

رَمْلُ سيناءَ قَبْرُنا المحفورُ
وعلى القَبْرِ مُنْكَرٌ ونَكيرُ
كِبْرِياءُ الصحراءِ مرَّغها الذُلُّ
فَغَابَ الضُحى وغار الزئيرُ
لا شهيدٌ يُرْضي الصحارى ، وجَلَّ
هاربٌ في رمالِها وأسيرُ
ايُّها المستعيرُ ألْفَ عتادٍ
لأعاديكَ كلُّ ما تستعيرُ
هدَّكَ الذُعْرُ لا الحديدُ ولا النارُ ،
وعِبءُ على الوغى المذْعورُ
أغُرورٌ على الفِرارِ ؟! لقد ذابَ
حياءً من الغُرورِ الغُرورُ !
أَلقِلاعُ المُحَصَّناتُ - إذا الجُبْنُ
حَماها - خَوَرْنَقٌ وسديرُ !
لم يُعانِ الوغى « لِواءٌ » ولا عانى
« فريقٌ » أهواهَا و« مُشِيرُ »
رُتَبٌ صُنْعَةُ الدواوين .. ماشاركَ
فيها قَرُّ الوغى والهجيرُ

وتـطيرُ النُسـورُ فـي زَحْمَـةِ النَجْـمِ ،
وفـي عُشِّـهِ البُغـاثُ يَطيـرُ
جَبُـنَ القـادَةُ الـكِبـارُ وفَـرُّوا
وبـكـى للفِـرارِ جَيْـشٌ جَسُـورُ
تـركـوه فَـوْضـى الى الـدُورِ ، فيحاءَ ،
لقـد ضَمَّـتِ النسـاءَ الخُـدورُ !
هُـزِمَ الحـاكمـون - والشـعبُ فـي
الأصـفـادِ ، فالحُـكْـمُ وحـده المكسـورُ
هُـزِمَ الحاكمـونَ . لم يَحْـزَنِ الشعبُ
عليهـم ، ولا انتخـى الجمهـورُ
يسـتجيـرونَ ! والـكريمُ لدى الغَمْرَةِ
يَلْقَـى الـردى ولا يستـجيـرُ !

***

لا تَسَـلْ عن نَميـرها غُوطَـةَ الشـامِ
أَلَـحَّ الصَـدى وغـاضَ النَميـرُ
وانْـسَ عِـطْـرَ الشآمِ ، حيـثُ يُقيـمُ
الـظُلْـمُ تَنْـأى .. ولا تُقيـمُ العُطـورُ
أَطْبِقـوا .. لا ترى الضِيـاءَ جُفوني
فَجفـونـي عـن الضِيـاءِ سُتـورُ
بعضُ حريتـي السماواتُ والأنجـمُ
والشـمـسُ والضُـحـى والبُـدورُ

بعض حريتي المَلائِكُ والجَنَّةُ
والراحُ والشذا والحُبورُ
بعضُ حريتي الجمالُ الإلهيُّ
ومنه المكشوفُ والمستورُ
بعض حريتي ويكتحِلُ العَقْلُ
بنورِ الإلهام ، والتفكيرُ
بعضُ حريتي . ونحن القرابينُ
لمحرابها ، ونحن النُذورُ
بعضُ حريتي ، من الصُبْحِ أطيابُ
ومن رِقَّةِ النسيم حريرُ
ثَمَّ أمْلى الطُغاةُ أن يُبْغَضَ النورُ
علينا ويُعْشَقَ الديجورُ

***

نحنُ أسرى ، ولو شَمَسْنا على القَيْدِ
لَما نالنا العَدُوُّ المُغِيرُ
لاقْتَحَمْنا على الغُزاةِ لَهيباً
وعَبَرْنا وما استحال العبورُ
سألوني عن الغُزاةِ فجاوَبْتُ :
رياحٌ هَبَّتْ ونحن ثبيرُ
سألوني عن الغزاةِ فجاوبْتُ :
رِمالٌ تُسْفَى ونحن الصخورُ

سألوني عن الغزاةِ فجاوبْتُ :
ليالٍ تمضي ونحنُ الدهورُ !

***

هلْ دَرَتْ عَدْنُ أن مَسْجِدَها الأقصى
مكانٌ من أهلهِ مهجورُ
أيْنَ مسرْى البُراقِ ، والقُدْسُ والمَهْدُ
وبيْتٌ مُقَدَّسٌ معمورُ ؟
لم يُرَتَّلْ قُرآنُ أحْمَدَ فيه
ويُزارُ المَبْكى ويُتْلى الزَبُورُ
طُويَ المُصْحَفُ الكريمُ ، وراحَتْ
تتشاكى آياتُهُ والسطورُ
تُسْتَبى المُدْنُ والقُرى هاتفاتٍ
أين ... أين الرشيدُ والمنصورُ !
يالَذُلِّ الإسلامِ . إرْثُ أبي
حَفْصٍ بديدُ مُضَيَّعٌ مغمورُ
يا لَذُلِّ الإسْلامِ : لا الجُمْعَةُ الزهـ
ـراءُ نُعْمى ، ولا الأذانُ جَهيرُ
كلُّ دنيا للمسلمين مَنَاحاتٌ
وويْلٌ لأهْلِها وثُبورُ
لَبِستْ مَكَّةُ السوادَ ، وابْكَتْ
مَشْهَدَ المُرْتضى ودُكَّ الطُورُ

هـل دَرى جَعْفَـرٌ ؟ فـرفَّ جَناحـاهُ
الى المَسْـجِـدِ الحـزيـنِ يطيـرُ !
نـاجَـتِ المَسْـجـدَ الـطَهْـورَ وحنَّتْ
سِـدرةُ المُنْتهـى وظِـلُّ طَهورُ
أيْـنَ قَبْـرُ الحُسَـيْـنِ ؟[1] قَبْـرٌ غريبٌ!
مـن يضُـمُّ الغـريب او مَنْ يـزورُ
أينَ آيُ القُـرآنِ تُتْلى على الجَمْعِ
وأيْنَ التهليـلُ والتكبيـرُ ؟
أيْنَ آيُ الإنجيلِ ؟ فاحَ من الإنجيلِ
عـطـرٌ وضَـوَّأَ الـكـوْنَ نُـورُ
أيْنَ رومـا ؟ وجَـلَّ حَبْـرٌ بروما
مَهْـدُ عيسى يشـكو ويشـكو البَخـورُ
أَلنصـارى والمسـلمـون أسـارَى
وحبيـبٌ الـى الأسيـرِ الأسيـرُ
صَلَـبَ الـرُوحَ مرَّتـينِ الـطواغِيـتُ !
جِـراحٌ كمـا يضـوعُ العبيرُ
يـا لَـذُلِّ الإسـلامِ والقُـدْسُ نَهْـبٌ
هُتِـكَتْ أرْضُـهُ فأيْـنَ الغَيـورُ
قـد تطـولُ الأعمـارُ لا نَجْـدَ فيهـا
ويَضُـمُّ الأمجـادَ يـومٌ قصيـرُ

***

(١) الحسين بن علي زعيم الثورة العربية مدفون في جوار الأقصى .

مَنْ عَذُولي على الدُمـوعِ؟ وفي المَرْوَةِ
والـرُكْـنِ والصَـفـا لـي عـذيـرُ
وحـرامٌ علـيَّ أن ينـزِلَ البشْـرُ
بقلبـي وأنْ يُلـمَّ الحبُـورُ
كُحِلَـتْ بالثـرى الخضيـبِ جُفـونٌ
وهفـتْ للثـرى الحبيـبِ ثُغـورُ
لا تُشَـقُّ الجيـوبُ في محِنَـةِ القُـدسِ
ولـكنَّهـا تُشَـقُّ الصُـدورُ
حُبِسـت أدْمُعُ الأُبـاةِ من الخَوْفِ
ويبـكـي الشـذا وتبـكـي الطيـورُ
أنـا حُـزنٌ شخـصٌ يـروحُ ويغـدو
ومسـائـي مع الأسـى والبُكـورُ
أنـا حـزنٌ يمـرُّ فـي كـل بـابٍ
سـائـلٌ مُثقَـلُ الخُـطـى مَنـهورُ
طَرَدَتْني الأكـواخ ، والبُـؤسُ قُرْبى
وتعـالـتْ على شقـائـي القُصـورُ
يحتـويـني الهجيـرُ حينـاً ، ولا يَرْحَمُ
أسْـمـالَ فَقْـرِيَ الزَمهَـريـرُ
وعلـى الجُـوعِ والضَـنـى والـرزايـا
فـي دُروبـي أسيـرُ ثُـمَّ أسيـرُ

نَقَلَتْني الصحراءُ حيناً ... وحيناً
نَقَلَتْني الى الشعوبِ البُحورُ
حامِلاً محنتي أُجَرِّرُ اقدامي
ويَوْمي سَمْحُ الغَمامِ مَطيرُ
حاملاً محنتي اوزعها فيَ
كل دنيا وشرُها مُستطِيرُ
مِحْنتي الغَيْثُ إنْ أرادوا وإلاَّ
فهديرُ البُرْكانِ والتدميرُ
حامِلاً مِحْنةَ الخِيامِ ، فَتَزْوَرُّ
وجوهٌ عني وتُغْلَقُ دورُ !
أَلخِيامُ المُمزَّقاتُ وأُمٌ
في الزوايا وكسْرةٌ وحَصيرُ
وفتاةٌ أذهَلَها العُرْيُ والجوعُ
ويلهو بالرَمْلِ طِفْلٌ صغيرُ
كُلما أنَّ في الخِيامِ شريدٌ
خَجِلَ القصرُ والفِراشُ الوثيرُ
خَجِلَ الحاكمونَ شَرْقاً وغَرْباً
ورئيسٌ مُسَيْطِرٌ ووزيرُ
هيئةٌ[1] للشُعوبِ تُمعِنُ في الذنْبِ
ولا تَوْبَةٌ ولا تكفيرُ

(١) هيئة الامم المتحدة المسؤولة عن نكبة فلسطين .

شاركَ القومُ كُلُّهُمْ في أذانا
ومن القَوْمِ غُيَّبٌ وحُضورُ
من قوانينها المُداراةُ للظُلْمِ
ومنها التغريبُ والتهجيرُ
ويُقامُ الدستورُ، اضحوكة الساخِرِ
مِنَّا ويُوأدُ الدُسْتُورُ
كلُّ عِلْمٍ يغزو النجومَ ويغزو
بالمَنايا الشعوبَ عِلْمٌ حقيرُ
والحضاراتُ بَعضُهُنَّ بشيرٌ
يتهادى وبَعْضُهُنَّ نذيرُ
نُعْمَيَاتُ الشعوبِ شَتَّى، فَنُعْمى
حَمِدَتْ رَبَّها ونُعْمى كَفُورُ

***

لن يعيشَ الغازي وفي الأَنْفُسِ
الحِقْدُ عليه، وفي النفوسِ السعيرُ
يحرقُ المدنَ، والعذارى سبايا
وصغيرٌ لذبحه وكبيرُ
دينُهُ الحَرْقُ والإبادَةُ والحقدُ
وشَتْمُ الأعراضِ والتشهيرُ
صوَّرته التوراةُ بالفتكِ والتدمير
حتى لَيفزَعَ التصويرُ

مِنْ طِبَاعِ الحُروبِ كَرٌّ وفَرٌّ
والمُجَلِّي هُوَ الشُجاعُ الصَبُورُ
ليس يُبْنَى على الفُجاءَاتِ فَتْحٌ
عَلَمِي في غَدٍ هُوَ المَنْشورُ
تنتخي للوغى سُيوفُ مَعَدٍّ
ويقومُ المَوْتى وتمشي القُبورُ
عربيٌّ فلا حِمايَ مُباحٌ
- عند حِقْدي - ولا دمي مهدورُ

***

نحنُ أسْرى ، وحين ضِيمَ حِمانا
كاد يَقْضي من حُزْنِهِ المَأْسورُ
كُلُّ فَرْدٍ من الرعيةِ عَبْدٌ
ومِنَ الحُكْمِ كلُّ فَرْدٍ أميرُ
ومَعَ الأَسْرِ نحن نستشرِفُ الأفلاكَ
والدائراتِ كَيْفَ تَدورُ
نحنُ مَوْتى ! وشَرُّ ما ابْتَدَعَ الطغيانُ
موْتى على الدروبِ تسيرُ
نحنُ موتى ! وإن غدونا ورُحْنا
والبيوتُ المُزَوَّقاتُ قُبورُ
نحن موتى . يُسِرُّ جارٌ لجارٍ
مستريباً : متى يكونُ النشورُ

بَقِيتْ سُبَّةُ الزمانِ على الطاغي
ويبقى لنا العُلى والضميرُ

***

سألوا عن ضَنَايَ ، مَحْضَ تَشَفٍّ ،
هَلْ يَصِحُّ المُعَذَّبُ الموتورُ
أمِنَ العَدْلِ أيُّها الشاتِمُ التاريخَ
أنْ تَلْعَنَ العُصورَ العُصورُ ؟
أمِنَ النُبْلِ أيُّها الشاتِمُ الآباءَ
أنْ يَشْتُمَ الكبيرَ الصغيرُ
وإذا رفَّتِ الغصونُ اخْضِراراً
فالذي أبْدَعَ الغصونَ الجذُورُ
إشْتراكِيَّةٌ ؟! وكَنْزٌ من الدُرِّ
وزهْوٌ ومِنْبَرٌ وسريرُ
إشتراكيَّةٌ تعالِيمُها : الإثراءُ
والظُّلْمُ والخَنا والفجورُ
إشتراكِيَّةٌ ! فإن مَرَّ طاغٍ
صُفَّ جُنْدٌ له ودَوَّى نَفِيرُ
كلُّ وغْدٍ مُصَعِّرِ الخَدِ لا سابورُ
في زهوهِ ولا أزدشِيرُ
يغضَبُ القاهِرُ المُسَلَّحُ بالنارِ
إذا أنَّ أو شكا المَقْهورُ

يُنْكِرُ الطَبْعُ فلسفاتِ عقولٍ
شأنُهُنَّ التعقيدُ والتعسيرُ
كُلُّ شيءٍ مُتَمِّمٌ لِسواهُ
ليس فينا مستأجِرٌ وأجيرُ
بارَكَ اللهُ في الحنيفيةِ السمحاءِ
فيها التسهيلُ والتيسيرُ

***

ورقيبٍ على الخَيالِ .. فَهَلْ يَسْلَمُ
منه المسموعُ والمنْظورُ ؟
عازِفٍ عن حقائِقِ الأمْرِ لُؤْماً
وكفى أن يُلَفِّق التقرير
فَيُجافي أَخُ أخاهُ ويشقَى
بالجواسيسِ زائِرٌ ومَزُورُ
لصِغارِ النفوس كانت صغيراتُ
الاماني وللخطيرِ الخطيرُ
يَنْدُرُ المَجْدُ ، والدروبُ الى المجدِ
صِعَابٌ ، ويكثُرُ التزويرُ
عَلِموا أنَّه عسيرٌ فهابوهُ
ولا بِدْعَ فالنفيسُ عسيرُ
مِحْنَةُ الحاكِمينَ جَهْلٌ ودَعْوى
جُبْنٌ فاضِحٌ ومَجْدٌ عَثُورُ

نهبوا الشَعْبَ ، واستباحَ حِمى المالِ
جنونُ النعيمِ والتبذيرُ
كيف يَغْشى الوغى ويظْفَرُ فيها
حاكِمٌ مُتْرَفٌ وشعْبٌ فقيرُ
مَزَّقوهُ ، ولن يُمَزَّقَ ، فالشَعْبُ
عليمٌ بما أرادوا خبيرُ
حَكموهُ بالنارِ فالسيفُ مصقولٌ ،
على الشَعْبِ حَدُّهُ مشهورُ
مِحْنَةُ العُرْبِ أُمَّةٌ لم تُهادِنْ
فاتحيها وحاكِمٌ مَأْجورُ

***

هتكوا حُرْمَةَ المساجِدِ لاجِنكيزُ
باراهُمُ ولا تَيْمورُ
قحموها على المُصَلِّينَ بالنارِ
فشِلْوٌ يعلو وشِلْوٌ يغورُ
أمْعَنوا في مصَاحِفِ اللهِ تمزيقاً
ويبدو على الوجوهِ السرورُ
فُقِئَتْ أعْيُنُ المُصَلِّينَ تعذيباً
وديسَتْ مناكِبٌ وصُدورُ
ثم سيقوا الى السجونِ ، ولا تسألْ ،
فَسَجَّانُها عنيفٌ مريرُ

يُشْبِعُ السَوْطَ من لحُوم الضحايا
وتأبَّى دُموعُهُمْ والزفيرُ

مُؤْمِنٌ بين آلتيْنِ من الفولاذِ
دامٍ ، مُزَّقٌ ، مَعصورُ

هتفوا باسْمِ أَحْمَدٍ فعلى الأصواتِ
عطرٌ وفي الأساريرِ نُورُ

هتفوا باسْمِ أَحْمَدٍ فالسياطُ الحُمْرُ
نُعْمى وجَنَّةٌ وحريرُ

طَرْفُ اتباعِ أَحمدٍ في السماواتِ
وطَرْفُ الطاغي كليلٌ حسيرُ

***

عِبْرَةٌ للطُغاةِ مَصْرَعُ طاغٍ
وانتقامٌ من عادلٍ لا يَجُورُ

أَلمُصَلُّونَ في حِمى اللهِ يُرْديهِمْ
مُدِلٌّ بِجُنْدِهِ مخمورُ

جامِعٌ شاده على النُورِ فَحْلٌ
أَمَوِيٌّ مُعَرِّقٌ منصورُ

لم تُرَعْ فيه قبل حُكْمِ الطواغِيتـ
ـطيورٌ ولا استبيحتْ وكُورُ

مُطْلِـقُ النـارِ فيه ، في الجُمَعْـةِ الزهراء
شِـــلْـوُ دامٍ وعَظْـمُ كَسيـرُ
والــذي عذَّبَ الأُبـــاةَ رأى التعذيبَ
حتـى اســتجارَ مَنْ لا يجُيـرُ[1]
قـدمـاه لم تحَمِـــلاهُ الـى الموتِ
فَـزَحْـفُ على الثَـرى لا مسيـرُ
وخَـــزَتْـــهُ الحِـرابُ وهْـوَ مســوقٌ
لِـــرداهُ ، مُحَـطَّـمٌ مجـرورُ
ويجُيـلُ العيْنَيْـنِ فـي إخْـوَةِ الحُكْـمِ
وأين الحـانـي وأيـن النصيـرُ ؟
كـلُّ فَـرْدٍ منهم لِقَتْـلِ أخِيـهِ
يَصْـدُرُ الـرأيُ منـه والتدبيـرُ
وغـداً يَـذْبـحُ الـرفيـقَ رفيـقٌ
مِنْهُـمُ والعشيـــرَ فيهم عشيـرُ
يأكـلُ الـذِئْـبَ ، حيـن يَـرْدى ، أخـوهُ
ويَعـضُّ العقُـورَ كَلْـبٌ عقُـورُ

***

إرجعـوا للشُّعـوبِ يا حاكميهـا
لَـنْ يُفيـدَ التهـويـلُ والتغـريـرُ

(١) الطاغية الذي اقترف الآثام انتهى به الامر الى ان يحاكم ويقتل .

صـــارحُـــوهـا ... فقـــد تبدَّلَـــتِ الدنيـا
وجـــــدَّتْ بعـــد الأمـورِ أُمـورُ
لا يقـــودُ الشعـــوبَ ظُلْـمٌ وفَقْـــرٌ
وسِـــبـابٌ مُكَـــرَّرٌ مَسْعـــورُ
والإذاعـاتُ ! هل تخَلَّـعَـتِ العاهِـرُ ؟
أمْ هـل تَقيَّـأَ السِكيِّـرُ ؟!
صـارِحـوهـا .. ولا يُـغَـطِّ على الصِـدْقِ
ضـجيـجٌ مُـزَوّرٌ وهـــديـــرُ
واتَّقـوا ساعَـةَ الحِسـابِ إذا دَقَّتْ
فيـوْمُ الحِسـاب يـومٌ عسيـرُ
يَقِـفُ المُتهمـانِ وجهـاً لِوجْـهٍ
حـاكـمٌ ظالـمٌ وشعـبٌ صبـورُ
كـلُّ حُكْـمٍ لـه - وإنْ طالـتِ
الايـامُ - يـومـان : أَوَّلٌ وأخيـرُ
كـلُّ طاغٍ - مهما اسْتَبـدَّ - ضعيفُ
كلُّ شعْـبٍ - مهمـا استـكان - قديرُ
وهَـبَ اللـهُ بعْـضَ اسمـائِـهِ
للشـعـب ، فهـو القـديـرُ وهْـوَ الغَفـورُ

***

يُبْغِـضُ الظُلْـمُ ناصـحيهِ ، وإنّـي
لَلـومُ فـي نُصْحِـكُمْ مَعْـذورُ !

يشْـهَـدُ الـلهُ ما بِقَلْبـيَ حقْـدُ
شـَـفَّ قلبـي كما يشـفُّ الغديـرُ
وجِـراحـي ينـطِفْـنَ شَـهْداً وعِطْـراً
أدْمُعـي رَحْمَـةٌ وشـعـري شعـورُ
يُرْشـف النـورُ من بياني فـإنْ
غَنَّيْـتُ فهـو المُـدَلَّـهُ المخمـورُ
وطبـاعـي ـ علـى ازدحـام الرزايـا ـ
لـم ينلهـا التبـديـلُ والتغييـرُ
مُسْـلِمٌ .. كُلَّما سَجَـدْتُ لِرَبِّي
فـاحَ مِنْ سَجْدتـي الهُـدى والعبيرُ
ومَـعَ الشَيْبِ والكُهولَـةِ قلبي
ـ كَعُهـودِ الصِـبـا ـ بَرِيءٌ غـريـرُ
لِـيَ حُـرِّيَّتـي وإيمانـيَ السَمْـحُ
فَحُلْمـي هـانٍ وجَفنـي قـريـرُ !
لم أُهـادِنْ ظُلْماً وتـدري الليالـي
فـي غـدٍ أيُّنـا هُـوَ الـمَدْحـورُ !

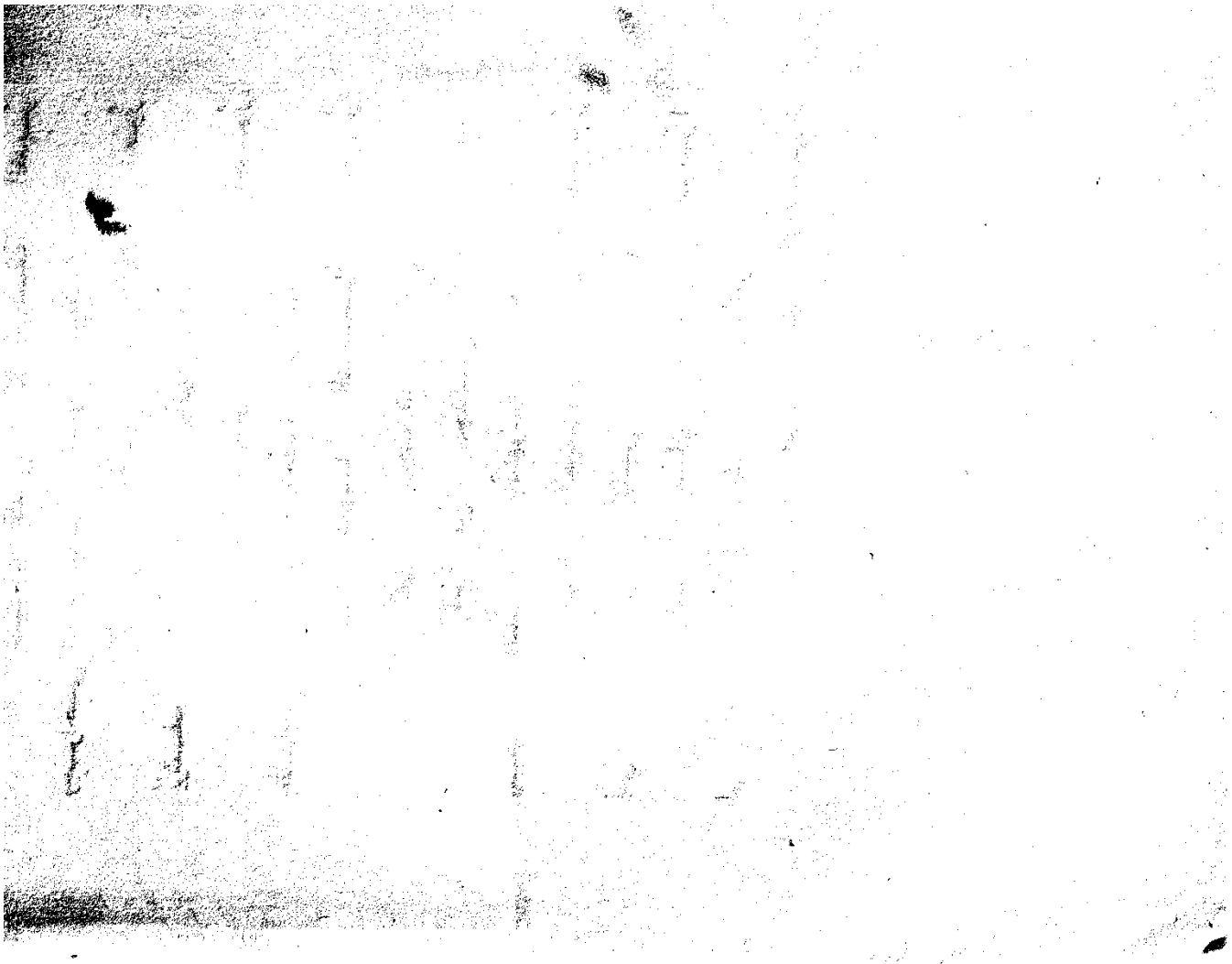

مصرع الشمس

تأبين الملك غازي عام ١٩٣٩

زَهْـــوةُ الفَتْـــحِ والشَـبـــابِ النَجيـــدِ ،
مَـنْ سَقَـــى الفَجْـرَ مِنْ دِمـــاءِ الشَهِيدِ !
خَضَـبَـــتْ غُرَّةَ الصَـبـــاح فَقَـــدْ
نَـــمَّ عَلَيْهـــا بالعِـــطْـــرِ والتَوْريـــدِ
قَـــدَرٌ أَنْـــزلَ الـــكَمِـــيَّ عن السَـــرْجِ
وأَلْـــوَى بالفـــارِسِ المَعْـــدُودِ
مَصْـــرعُ الشَـــمْسِ فـي الضُحـــى هَلْ يَنالُ
الشـــمسَ في أُفِقْهـــا عِثـــارُ الجُـــدودِ
دَمُ غَازي يا حُمْـــرَةَ الفَجْـرِ فاسْقِـي
وارْشُفِـــي مِنْ ضِيائِـــهِ واستَـــزِيـــــدِي
عُرُسٌ في الجِنـانِ فـالحُـورُ يَطْفُـــرْنَ
على مَيْعَـــةِ الضِيـاءِ البديـــدِ
سِدْرَةُ المُنْتَـــهـــى نَعِيمٌ وأَفْيـــاءٌ
وأغـــرودةٌ علـــى أُمْلـــــــودِ
وَحَنَـــتْ فاطِـــمٌ تَضُـــمُّ فَتاهَـــا
لَهْفَـــةَ الأمِّ فُوجِئَـــتْ بالوَحِيـــدِ
مَنْ رأى رَوْعَـــةَ الحَنـــانِ أَطَلَّـــتْ
مِـــنْ عُيـونٍ ولأْلأَتْ فـــي خُـــدودِ

وهَفا بالنَعيمِ غازي لِبَغْدادَ
وللجُنْدِ والقَنا والبُنُودِ

* * *

إيه دُنْيا الرشيدِ تَفْنَى الحَضَاراتُ
وتَبْقى ، كالدهْرِ دُنْيا الرَشيدِ
صُوَرٌ للعُلى القَديم وضَاءُ
زَوَّقَتْها رُؤى الخيَالِ الشَرُودِ
صُوَرٌ للقَديمِ تَعْرِضُها الدُنْيا
ضِياءً وروْعةً في الجَديدِ
هَذِه دِجْلَةٌ وهذي البساتينُ
وشدْوُ القُمْرِيَّةِ الغِرِّيدِ
والاماسِيُّ والنخيلُ ومَلاَّحُ
طَروبُ الحُداءِ حُلْوُ النَشيدِ
والليالي القَمْراءُ في النَهْرِ
والانغامُ أَصْداءُ زَوْرَةٍ وصُدودِ
والقِيانُ المِلاحُ يَخْطُرْنَ في
الشطِّ سُكارى مُرَنَّحاتِ القُدودِ
آهَةٌ بَعْدَ آهَةٍ من عَريبٍ[1]
تَخْلقُ الظلَّ للضُحَى المَكْدُودِ

---

١) المغنية العباسية وقد خصص لها ابو الفرج الاصفهاني في كتابه العظيم (الاغاني) صفحات عديدة .

كُلَّما هَلْهَلَتْ صَباً أَوْ حِجَازاً
ضَاعَ حُلْمُ المُتَوَّجِ المَحْسُودِ
وَجَوارٍ يَمْرَحْنَ في الزورق الساجي
ويضحكْنَ عن نديٍّ بَرودِ
رفَّ مِجْدافُهُ على الماءِ وانْسابَ
بأحْلى مَعاصمٍ وزُنُودِ
فانْتَشى من طُيوفِهِنَّ وجُنَّتْ
قطراتٌ عَلِقْنَ بين النُهودِ
والقُصورُ البَيضاءُ والحُلُمُ
اللذُّ جلاَهُ دُخانُ نَدٍّ وعُودِ
حَمَلَتْهُ هفْهافَةُ العِطْرِ نَشْوانَ
الى جَنَّةِ الخَيالِ البَعيدِ
هَمَدَتْ ثَوْرَةُ الشهيدِ وَقَرَّتْ
يا دَوِيّاً مُجَلْجِلاً في الهُمودِ

* * *

إيهِ دُنْيا الرَشيدِ تَفْنَى الحَضاراتُ
وَتَبْقَيْنَ من لِداتِ الخُلُودِ
قَصْرُ هارونَ ما عَهِدْتِ من اللأْلاءِ
والعِزِّ وازْدِحامِ الوُفودِ

حَمَـلَ التـاجَ مَفْـرِقُ المَلِـكِ الطِفْـلِ
ومـا نـاءَ بالجَليـلِ الشَـديدِ
تـاجَ بَغْـدادَ والشـآمِ ولُبنـانَ
وبَحْـرٍ للـرومِ طَـاغٍ عَنيـدِ
أيُّهـا البَحْـرُ ! بَعْضَ تِيهِـكَ واذْكُـرْ
نَسـبـاً بيننـا قَدِيـمَ العُهـودِ
لَسْـتَ للـرومِ أنْـتَ للمَلِكِ الطِفْـلِ
نُضـارٌ فـي تاجِـهِ المَعْقُـودِ
أيُّهـا البَحْـرُ ! أنْـتَ مَهْمـا أفترقْنـا
ملْـكُ آبـائِنـا وملـكُ الجُـدودِ

* * *

وانْحَنـى الـكَـوْنُ يَلْثِـمُ المَلِـكَ الطِفْـ
ـلَ وَيفْـدِيـهِ بالـطـريـفِ التَلِيـدِ

* * *

صاحِـبَ التـاجِ ! دَمْعَـةٌ مِن دُمـوعِ
الشـامِ ذَوَّبْـتُ عِطْـرَهـا فـي قَصيدي
وأنَـا الشـاعِـرُ المُـدِلُّ علـى الدنيـا
بِغَيْـبٍ فـي حُبِّـكُـم وشُهـودِ
هاشِـمِـيُّ الهَـوى أحَـبَّ فما دَارى
وعـادَى علـى هواكُـمْ وعُـودي

حَلِيتْ في نَعيمِ جَدِّكَ اشْعاري
ونمنمْتُ في ذَراهُ عُقودِي
حاطَني بالحَنانِ صَقْرُ قُرَيْشٍ
وسَقى دَوْحَتي وَنَضَّرَ عُودي
لَكُمُ نِعْمَةٌ عليَّ وما كُنْتُ
لِنَعْماءِ بَيْتِكم بالجَحُودِ
فَيَئِ الشامَ باللِواءِ ونَضِّرْ
شاطِئَيْها بِظِلِّكَ المَمْدُودِ
لَيْسَ بَيْنَ العِراقِ والشامِ حَدٌّ
هَدَمَ اللهُ ما بَنَوْا مِنْ حُدودِ
بايَعَتْ جَدَّكَ الشآمُ فَسَلْهَا
تَتَحَدَّثْ عَنْ يَوْمِهِ المَشْهُودِ
بَيْعَةٌ في رِقابِنا لأَبي غَازي
ولِلإبْنِ بَعْدَهُ والحَفيدِ

* * *

قُلْ كَما قالَ للغَمامَةِ هارونُ
وفي الجَوِّ زَمْزَماتُ الرُعودِ
قُلْ لها : أَيُّها الغَمامَةُ جُودي
شاطِئَيَ الرافِدَيْنِ أو لا تَجُودي
حَوِّمي ما أَرَدْتِ شَرْقاً وغَرْباً
في تُخُومِ الكَوْنِ الفسيحِ المَدِيدِ

سَتَـرِفُـينَ مُخْصِـبـــاً مِـنْ سُفُوحـــي
أَوْ تُرَوِّيـنَ ظامِـئـاً مـن نُجُـودي
أَمْـطـري حَيْـثُ شِئْـتِ فالـكَوْنُ مُلْكـي
وَبَنُـــوهُ قَبـائِلـــي وجُنُـــودي

***

لا تَسَـلْنِـي عَـنِ الشـأْمِ فَقَـدْ حَـزَّ
بِجيـدِ الشـأْمِ عَـــضُّ الحَـديدِ
لَوَّحُـوا بالقُيـودِ فابْتَـدرَ المَـوْتَ
أُبـــاةٌ تَنَمّـــرُوا لِلْقُيـــودِ

رَوَّعُـوا الأُمَّهـاتِ فـي حَلَـكِ اللَيْـلِ
وراعُـوا صِغـارَهـا فـي المُهـودِ

فَتَنَمَّـرْ واغْضَـبْ لِقَـوْمِـكَ وارْجُـمْ
بالشِـهـابِ اللَّمَّـاحِ كُـلَّ مَـرِيـدِ

واغْـزُ بالجَيْـشِ قُبَّـةَ الفَلَـكِ الـدائِرِ
واقْحَـمْ بِـهِ عَريـنَ الأُسـودِ

جَيْشُـكَ الجَيْـشُ لَو تَنـكَّـرَ للنَـوْمِ
لَضـاقَـتْ بِـهِ جُفـونُ الرُقـودِ

فإذا هِجْتَـهُ تَرَنَّحَـتِ الأَعْـلامُ
وازَّيَّنَـتْ لِفَتْـحٍ جَدِيـدِ

وإذا هِجْتَـــهُ تَلَفَّتَـــتِ الدُنيـــا
وَهَمَّـــــتْ أفـــلاكُهـــــا بالسُجُـــــودَ

* * *

شَقِيَـــتْ باليَهُـــودِ أرْضُ فِلَسْطِيـــــنَ
وضـــاقَـــــتْ رِحـــابُهُـــــا باليهـــودِ
بِنَفَـــايـــا الـــدُنْيـــا ، على كـــلِّ وَجْـــهٍ
مِنْهُـــمُ ، سُبَّـــةُ اللَعيـــنِ الطَريـــدِ
أدَّبِ القَـــوْمَ بالسِيـــاطِ ونَـــزِّهْ
سَيْـــفَ هـــارونَ عَنْ دِمـــاءِ العَبِيـــدِ

* * *

بِنْـــتَ مَـــرْوانَ لا تُـــراعِـــي وخَلِّـــي
عَنْـــكِ تَهْـــويـــلَ عُـــدَّةٍ وعَدِيـــدِ
أنْـــتِ في ذِمَّـــةِ الـــوَصِـــيِّ علـــى التـــاجِ
وفـــي ذمـــة المليـــكِ الوَليـــدِ
أنْـــتِ في ذِمَّـــةِ العِـــراقِ وفـــي
ذِمَّـــةِ أنْجـــادِهِ الأُبـــــاةِ الصِيـــدِ

* * *

قِيـــلَ مَـــنْ للشَـــآمِ ؟ قالَـــتْ : أعَـــزُّ
العُـــرْبِ جـــاراً وأوْمـــأتْ « للسَعيـــدِ »

ـ هكذا كان اليهود من الذل والهوان يومئذ

آلآم ...[1]

في تأبين ابراهيم هنانو

أَلِفْتُ حَرَّكِ لاَ شَكْوى وَلاَ سَهَدُ
يا جَمْرَةً فِي حَنَايَا الصَدْرِ تَتَّقِدُ
مُرِّي عَلى كَبِدِي حَمْرَاءَ دَامِيَةً
يَبْقَى الحَنِينُ إِذَا لَمْ تَسْلَمِ الكَبِدُ
وَمَا أَضِيقُ بِهَمٍّ حِينَ يَطْرُقُنِي
لَقَدْ تَقَاسَمَ حُبِّي البُؤْسُ والرَغَدُ
إِنِّي أُدَلِّلُ آلاَمِي وأَمْسَحُهَا
مَسْحَ الشَفِيقِ وأَجْلُوهَا وأَنْتَقِدُ
حَتَّى تُطِلَّ عَلى الدُنْيَا بِزِينَتِهَا
حَسْنَاءَ تَبْدُو عَلَيْهَا نِعْمَةٌ وَدَدُ
بَعْضُ الخُطوبِ ظَلامٌ لاَ صَبَاحَ لَهُ
وَبَعْضُهَا الفَجْرُ فِيهِ النُورُ والرَشَدُ
تَفَجَّرَ الخَيْرُ مِنْهُ رَوْضَةً أُنُفاً
تَدْعُو إِلى ظِلِّهَا وَانِينَ قَدْ جَهِدُوا
إِذَا هُمُ جَرَعُوا مِنْ مَائِهَا جُرَعاً
تَوَثَّبَتْ عَزَمَاتٌ فِيهِمُ جُدُدُ

١) القيت هذه القصيدة في حفلة اقامتها الكتلة الوطنية في حلب لذكرى المغفور له هنانو سنة ١٩٤٢ وفي البلاد ثلاثة جيوش محتلة : الانكليز والاميركان والفرنسيون ، والحكم العرفي معلن وقد اقيمت هذه الحفلة يومئذ لاستئناف النشاط القومي العربي .

وَمُدْلِجِيـنَ أضَـاءَ الحُـزْنُ لَيْلَهُـمُ
حَتَّـى إذَا انْطَفَـأتْ أَحْـزَانُهُـمْ قَعَـدُوا
حَـادُوا عَـنِ المِحْنَـةِ الكُبْـرَى وَلَـوْ صَحِـبُوا
نِيـرانَهَـا الحُمْـرَ مـا ضَـلُّـوا وَلاَ انْفَـرَدُوا

فِيـمَ التَنَـكُّـرُ للآلامِ قَـاسِيَـةً
إذَا تَبَـاعَـدَ فِـي مَيْـدَانِهـا الأَمَـدُ
أَلطَـالِعُـونَ عَلـى الـدُنْيَـا بِنَصرِهِـمُ
لَـوْلاَ الفَـواجِعُ هَـلْ شَـدُّوا وَهَـلْ نَهَـدُوا

إذَا وَنَـوْا رَاحَ يُذْكِـي مِـنْ عَـزائِمِهِـمْ
حِقْـدٌ هُـوَ العُـدَّةُ الشَـهْبَـاءُ والعَـدَدُ
سَقَـاهُـمُ خَمْـرَةَ الآلامِ فاضْـطَـرَمُـوا
يَسْـتَلْهِمُـونَ مِـنْ الآلامِ واحْتَشَـدُوا

أَمَّـا الشُعـوبُ وَقَـدْ ضَجَّـتْ عَـواصِفُهَـا
فَصـاحِبُ النَصْـرِ فِيهـا الثـاكِـلُ الحَـرِدُ
لَقَـدْ تَـلاقَى عَلـى الغَـايَـاتِ مَـنْ ظَفِـرُوا
بـالمُلْـكِ فِـي زَحْمَـةِ الـدُنْيَا وَمَـنْ حَقَـدُوا

إنَّ الأُلَـى أَنْـكَـرَ الأحـزانَ سَـامِرُهُـمْ
لَغْـوٌ مِـنَ النَـاسِ لا ذُمُّـوا وَلاَ حُمِـدُوا
إذَا تَبَـاكَـوْا مِـنَ البَـلْـوَى فَمَـا عَـرَفُـوا
حُـزْنَ المُحِبِّيـنَ فِـي البَـلْـوَى وَلاَ وَجَـدُوا

الظَـامِئُـونَ وَظَنُّـوا أَنَّهُـمْ ثَمِـلُوا
والغَـائِبُـونَ وَظَنُّـوا أَنَّهُـمْ شَهِـدُوا

* * *

(١) لا يُبْعِـدِ اللَّـهُ أَحْبَابـاً فُجِعْـتُ بِهِـمْ
ومـا عُـلاَلَـةُ قَلْبِـي بَعْـدَمَـا بَعُـدوا
النـاشِـئُـونَ عَلـى نَعْمَـاءَ مُتْـرَفَـةٍ
تَقَيَّلُـوا الـرَمْـلَ فِـي الصَـحْـراءِ واتَّسَـدُوا
تِلْـكَ الجُسُـومُ التـي حَـزَّ الحَـرِيرُ بِهَـا
حَـرِيرُهَـا فِـي العَـراءِ المُوحِـشِ الـزَرَدُ
صَـادِيـنَ لِلْمَـوْتِ إِيمَانَـاً وَمَـوْجِـدَةً
فَـكُـلَّمَـا لاَحَ مِنْـهُ مَنْهَـلٌ وَرَدُوا
عَلـى الصَحاصِـحِ (٢) هَامَـاتٌ مُعَطَّـرَةٌ
وفِـي الـرِمَـالِ بَنَـانٌ أُفْـرِدَتْ وَيَـدُ
فِـي كُـلِّ مَنْـزِلَـةٍ قَبْـرٌ تُلِمُّ بِـهِ
هُـوجُ الـرِيَـاحِ وَيَنْـأَى الأَهْـلُ والوَلَـدُ
مُشَـتَّتِيـنَ فَـمِـنْ أَجْسَـادِهِـمْ مِـزَقٌ
عَلـى الأَدِيـمِ وَمِـنْ مُرَّانِهِـمْ قِصَـدُ
مَصَـارِعُ بِعُـطُـورِ الحَـقِّ زَاكِيَـةٌ
كَـأَنَّمَـا سَكَـبُـوا فِيهَـا الـذِي اعْتَقَـدُوا

---

١) شهداء الثورات السورية المتوالية .
٢)جمع الصَّحصاح وهو : مـا استوى من الارض

حَنَا السَرابُ عَلَيْهَا وَهْيَ ظَامِئَةٌ
حَرَّى الجَوانِحِ لاَ غَمْرٌ وَلاَ ثَمَدُ
بُموحِشٍ مِنْ رِمالِ البِيدِ مُنْبَسِطٍ
يَضِلُّ فِي شَاطِئَيْهِ الصَبْرُ والجَلَدُ
مَسَحْتُ دَمْعِيَ مِنْ ذِكْراهُمُ بِيَدٍ
وأَمْسَكَتْ كَبِدِي أَلاَّ تَذُوبَ يَدُ

***

يا خَمْرَةَ الحُزْنِ هَذِي الكَأْسُ مُتْرَعَةٌ
للشارِبين وهَذا الشَاعِرُ الغَرِدُ
إنَّ النَدامَى على عَهْدِ الحَبيبِ بِهِمْ
لا جَانَبُوا النَشْوَةَ الكبرى ولا زَهِدُوا
لاَ أَوْحَشَ اللهُ قلبي مِنْ مَواجِعِهِ
ولا تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمائِها الحَسَدُ
ولا شَفَى اللهُ جُرْحاً في سَرِيرتِهِ
نديانَ يَنْطِفُ منه الخَمْرُ والشَهَدُ
فَجَّرْتُ قلبي رِثاءً ما وَفَيْنَ بِهِ
حقَّ الزعيمِ قَوافٍ كالضُحَى شُرُدُ
الناقِلاتُ الى الأَجْيالِ ما ظَلَموا
من الأُباة وما راعُوا وما اضْطَهَدُوا
صَلَّى الالهُ على قَبْرٍ يَطُوفُ بِهِ
كَبَيْتِ مكةَ مَنْ حَجُّوا وَمَنَ قَصَدُوا

أَغْفى أَبُـو طارِقٍ[1] بَعْـدَ السُهـادِ بِهِ
وَخَلَّفَ الهَـمَّ والبَلْـوى لِمَـنْ سَهِـدُوا
ضَاوٍ مِـنَ السُـقْـمِ ضَجَّتْ فـي شَمائِلِهِ
عـواصِفُ الحَـقِّ والأَمْـواجُ والزَبَـدُ[2]
إِذَا أُثِيـرَ نَضَـا عَنْـهُ مَـواجِعَـهُ
كمـا تَفَلَّـتَ مِـنْ أَشْـراكِهِ الأَسَـدُ
يَـرُوعُ فـي مُقْلَتَيْـهِ بـارِقٌ عَجَـبٌ
وعـالَـمٌ عَبْقِـرِيٌّ السِـحْـرِ مُنْفَـرِدُ
يُغـالِـبُ البِشْـرُ أَسْـقـامـاً نَزَلْـنَ بِهِ
يَأْبَـى لَهُ الكِبْـرُ أَنْ يَـأْسَى لَهَـا أَحَدُ
دَاءٌ مُلِـحٌّ ونَفْـسٌ لا تَذِلُّ لَـهُ
حَـرْبٌ تَكَافَـأَ فِيهـا البَـأْسُ والعُـدَدُ
تِلْكَ البَشـاشَـةُ أَبْلـى الـدَاءُ نَضْـرَتَهـا
فَـراحَ يُلْمَـحُ في نَعْمـائِهـا الكَمَـدُ
كـالغَيْـمِ يَحْجُـبُ حُسْـنَ الشَـمْسِ طَالِعَـةً
ومـا تَحَـوَّلَ عَنْهـا الحُسْـنُ والـرَأَدُ
نَعِمْـتُ مِنْـكَ بِسـاعَـاتٍ مُعَطَّـرَةٍ
كـأَنـهـا الحُلْـمُ دانٍ وَهْـوَ مُبْتَعِـدُ

---

١) المغفور له ابراهيم هنانو .

٢) حمل المرحوم اعباء الثورة والزعامة والكفاح ضد المستعمر ٢٠ عاماً وهو يعاني مرضاً هضالاً والشاعر يصف في هذه الابيات جبروت هنانو امام المرض والاستعمار معاً .

وَصُـحْبَـةٍ كَقديـمِ الـراحِ لَـوْ جُلِيَـتْ
لِليـائِسـينَ حُمَيَّـا كَأْسِـهـا سَعِـدُوا

* * *

يـا هُـدْنَـةً مِنْ قِـراعِ الدَهْـرِ دَامِيَةً
ألا يُهَـدْهِـدُ مِـنْ آلامِـكِ الأَبَـدُ
خَيْـلُ الـزَعيمِ تَنَـزَّى فـي شَكائمهـا
مـا فاتَهـا قَنَـصٌ فـي الحَـيِّ أَوْ طَرَدُ
عَرِينَـةُ الحَـقِّ فـي الشَـهْبـاءِ مُنْجِبَـةٌ
يَـرُوعُ أَنَّـى الْتَفَـتَّ الـظُفْـرُ واللُّبَـدُ
اذا الـزَعِيمُ تَـولىَّ عَـنْ شُبـولَتِهـا
حَمَـى الشُبولَـةَ إِخْـوانٌ لَهُ نُجُدُ ...
أَمَّـا الشَـبـابُ فَما خَانُـوا رِسالَتَـهُ
عِنْـدَ الـكِفـاحِ ولا حَادُوا ولا جَحَـدُوا
اذا دَجَـتْ ظُلُمـاتُ اليـأسِ حـالِكـةً
شَـقَّ الـدُجـى كَوْكَـبٌ مِـنْ ذِكْـرِهِ يَقِـدُ
حَـوْلَ الـزَعَـامَـةِ فِتْيـانٌ غَطـارِفَـةٌ
لاَ يَنْقُـضُ الـدَهْـرُ مـا شَـدُّوا ومـا عَقَدُوا
السـاخِـرُونَ مِـنَ الأَقْـزامِ يُضْحِكُهُـمْ
أَنْ رَاحَ يَلْبَـسُ جِلْـدَ الضَيْغَـمِ النَقَدُ[1]

---

١) النقد:الغنم الهزيل والشاعر يشير بهذا البيت الى الحكومة الهزيلة التي اقامها الفرنسيون يومئذ لضرب القضية الوطنية

المُؤْمِنُونَ إذا ما بَايَعُوا صَدَقُوا
والصابِرون فإنْ جَدَّ الوَغى صَمَدُوا

* * *

سَقَتْهُمُ كَفُّ إبراهيمَ صَافِيَةً
مِنْ خَمْرَةِ الحَقِّ تُرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ
فَفِي الدِماءِ سعِيرٌ مِنْ سُلافتِها
عَجْلانُ يَهْدَأُ احْياناً وَيَتَّئِدُ
بَيْنَ الجَوانِحِ إلاَّ أنَّهُ أنَفٌ
وفي الشَمائِلِ إلاَّ أنَّهُ صَيَدُ
أذْكى أبُو طَارِقٍ في الشَرْقِ جَمْرتها
• حَمْراءَ تَلْتَهِمُ الجُلَّى وتَزْدَرِدُ
إذا وَنَتْ وَهَتَفْنَا باسْمِهِ جَمَحَتْ
تُعِيدُ سِيرتَها الأُولى وتَطَّرِدُ
فَذِكْرُهُ الأَمَلُ الهادِي إذَا انْتَبَهُوا
وطَيْفُهُ الحُلُمُ الهَاني إذَا رَقَدُوا
زَعامَةُ الحَقِّ لا شَوْهاءُ يَرْفَعُها
عَلى الرِمالِ الهَوى والزُورُ والفَنَدُ

* * *

مالِي أرى الفَرَسَ الشَقْراءَ عارِيَةً
على المَرابِطِ لا تَطْغَى فتَنْجَرِدُ

آبَ المُغِيـرَونَ جُنَّـتْ خَيْلُهُـمْ مَـرَحَاً
وآنَ أنْ يستَـريـحَ الفـارِسُ النَجِـدُ

مَـنْ كسعـدٍ ؟

كان سعد الله الجابري دنيا من البطولة والوطنية والمروءة والصراحة والعفة والوفاء وكان بينه وبين الشاعر من الصداقة والود ما هو اقرب من كل قربى .

سَـأَلَ الصُـبْـحُ عَـنْ أَخِيـهِ المُفَـدَّى
أَيُّهـا الصُـبْـحُ لَـنْ تُشـاهِـدَ سَعْـدَا
غَيَّـبَ الـدَهْـرُ مِـنْ سُيـوفِ معَـدٍّ
مَشْـرَفِيّـاً حمَـى وَزانَ مَعَـدَّا
كُلَّمـا عَارَضُـوا الصَـوارِمَ فـيهِ
كـانَ امضـى شبـاً وأَصْـفـى فِرِنْـدَا

* * *

حاسَـنـوا غُـرَّةَ الصَـبـاحِ بِسَعْـدٍ
فَعَلِمْنـا أيَّ الصَبـاحَيْـنِ أَهْـدَى
طَلْعَـةٌ تُفْـرِحُ العُيـونَ وتَسْبيهـا
وَتَغـزو القُلـوبَ كِبْـراً ومَجْـدَا
وَحـديـثٌ كأَنَّـهُ قِطَـعُ الرَوْضِ
تَنَـوَّعْـنَ أُقْحُـوانـاً وَوَرْدَا .....
بِدْعَـةُ الـظَـرْفِ والأَنَـاقَـةِ يُرْضِيـكَ
دُعـابـاً عَفّـاً ويُرْضِيـكَ جِـدَّا

تَنْهَـــلُ العْـينُ مِـنْ بِشـاشَـــةِ سَعْـــدٍ
رِيَّهَـــا والعُيـــونُ تَرْوَى وتَصْـــدَى
الحَضـارَاتُ فـي شَمـائِـلِ سَعْـــدٍ
فـإِذَا سِمْتَـــهُ الهَـــوانَ تَبَـــدَّى

مُتْـــرَفٌ فـي رُجـولَـــةٍ واعْتِـــدادٍ
رَاعَ زِيّـــاً وَراعَ وَجْـهـاً وَقَـــدَّا
زَعَـمَ الخَصْـــمُ أَنَّـــهُ مُسْتَبِـــدٌّ
حَبَّـــذَا الحُـكْـــمُ عَادِلاً مُسْتَبِـــدَّا

إِنَّ شَـــرَّ الأُمـورِ ظُلْـــمُ الجَماهيـــرِ
وَأَهْـــوِنْ بالـظُّلْـــمِ إِنْ كَانَ فَـــرْدَا

* * *

مَـنْ كَسَـعْـــدٍ وللشَـبـــاب هَـــواهُ
قُـــدرةً تُتْعِـــبُ الخَيـالَ وَزُهْـــدَا
يا صَفِـــيَّ الأَحْـــزانِ تَسْـــقـي البَـــرايـا
كأَسَـهـــا مُرَّةً وَتَسْـقِيـــكَ شَهْـــدَا

رَضِيَـــتْ نَفْسُـــكَ الهُمـــومَ رَفِيقـــاً
ارْيحِيّـــاً علَـى الشَـدائِـــدِ جَلْـــدَا
بُـــورِكَ الهَـــمُّ عَبْقَـرِيّـــاً جَـــوادَاً
لا كَهَـــمٍّ أَعْـطـى قَلِيـلاً وَأَكْـــدَى

قُــلْ لِمَــنْ يَحْسُــدُ العَــظِيــمَ تَرَفَّــقْ
إنَّ خَلْــفَ الأَمْجَــادِ هَمّــاً وَسُهْــدَا

* * *

مَــنْ كَسَــعْــدٍ إذَا المَلاحِــمُ جُنَّــتْ
وَتلَقَّــى حَــدٌّ مِــنَ الهَــوْلِ حَــدَّا
وَعَلَــى رايَــةِ الشــآمِ كَمِــيٌّ
يُقْحِــمُ الــدارِعيــنَ أَشْــقَــرَ نَهْــدَا

هَتَــكُــوا حُرْمَــةَ العَــريــنِ فَهــاجُــوا
أَسَــداً دامِــيَ البَــراثــنِ وَرْدَا
حَشَــدُوا جُنْــدَهُــمْ وأَقْبَــلَ سَعْــدٌ
يَحْشُــدُ البَــأْسَ والعَقِيــدَةَ جُنْــدَا

ضــاحِــكَ الثَغْــرِ والضُــحَــى مُكْفَــهِرٌّ
رَوَّعُــوهُ قَصْــفــاً وبَــرْقــاً وَرَعْــدَا
والْتَقَيْنَــا فَلا وإيمــانِ سَعْــدٍ
مــا تَحَــدَّوْا بالمَوْتِ إلاَّ تَحَــدَّى

ضَــرَبَ الــظُّلْــمَ ضَرْبَــةً زَلْزَلَتْــهُ
فَتَــدَاعَــى مُزَمْجِــراً فَتَــرَدَّى
زَعَمُــوا أَنَّــهُ جَــلاءٌ ومــا كــانَ
جَــلاءً بَــلْ كانَ خِزْيــاً وَطَــرْدَا

مـا عَلـى العَبْـدِ أنْ يُسَـوَّدَ عَـارٌ
بِـدُعَـةُ العَـارِ أنْ تَرَى الحُـرَّ عَبْـدَا

* * *

مَـنْ كَسَـعْـدٍ ولِـلنَـدِيِّ[1] احْتِـدامُ
جَـمْـرَةُ الحَـرْبِ عُنْفُـوانـاً وَوَقْـدَا
حُمَـمٌ كالجَحيـمِ مُسْتَعِـراتٌ
رَدَّهـا حِلْمُـهُ سَلامـاً وَبَـرْدَا
ما حَمَلْـتَ الجِـراحَ دَاءً مُلِحّـاً
بَـلْ حَمَلْـتَ الجراحَ غَـدْراً وَصَـدَّا
حَزَّ فـي قَلْبِـكَ الـوَفِـيِّ صَديـقٌ
صَـارَ فـي النُـدْوَةِ الخَصِيـمَ الأَلَـدَّا

* * *

مَـنْ يَهُـزُّ النَـدِيَّ بَعْـدَكَ بالخُطْبَـة
عَصْـمَاءَ تَحْشُـدُ البَـأْسَ حَشْـدَا
مُلْهَـمٌ حـاضِـرُ البَـدِيهَـةِ تُغْـرِيـهِ
بِـأَحْلـى مِـماً اصْـطَفـى وأَعَـدَّا
مُتْـرَفُ الفِـكْـرِ والبَيـانِ غَنِـيٌّ
بـالـلآلِـي يَصُـوغُ عِقْـداً فَعِقْـدَا

---

١) مجلس النواب

يَجْمَعُ الحَقَّ والبَيانَ على الخَصْمِ
فَلَمَّا تَمَلَّكَ الامْرَ شَدَّا
يَطْعَنُ الطَعْنَةَ العَفِيفَةَ لا
تُدمي ولَكِنَّهُ أبادَ وأَرْدَى

* * *

بَرَّأَ اللهُ قَلْبَ سَعْدٍ مِنَ الحِقْدِ
وفاءً لِلكِبْرياءِ وَحَمْدَا
خَدَعَ الحِقْدُ أَهْلَهُ فَهْوَ ذُلٌّ
نَكَّرُوا وَجْهَهُ وسَمَّوْهُ حِقْدا
وَبَناتُ الصُدورِ يُتْعِبُها الذُ
لُّ خَفاءً عَنِ العُيونِ وَوَأْدَا
والقَوِيُّ النَبِيلُ يَحْنو على الدُنْيا
وَيَسْمو بِها وَفاءً وَوُدَّا
حَنَّتِ الغُوطَةُ الرَؤُومُ لِسَعْدٍ
وَرَواحٍ لَهُ عَلَيْها وَمَغْدَى
طَالَما باكَرَ الرَياحِينَ فيها
وَسَقاها النَدى حَنِيناً وَوَجْدَا
وَشَكَى هَمَّهُ فَيا لَكِ شَكْوَى
نَوَّرَتْ في الرُبى أَقاحاً وَرَنْدَا
قَالَ لِي والرَبِيعُ غافٍ عَلى الزَهْرِ
يُذِيعُ الأَحْلامَ عِطْراً وَنَدَّا

والغُـروبُ النَـدْيانُ فـي الغُـوطَـةِ المِعْطـارِ
يَحْـنُـو عَـلى الـظِـلالِ فَتَنْـدَى

وقَـطِيـعٌ مِـنَ الشِيـاهِ وَرُعْيَـانٌ
وأُغْنِيَّـةٌ تَـرِقُّ فَتَـرْدَى

مـا أَحَـبَّ الحَيـاةَ في غُوطَـةِ الشَامِ
وأَفْجِع بالمَـوْتِ هَـجْراً وَفَقْـدَا

أيُّ وِرْدٍ للحُـسْـنِ تَشْـتَفُّـهُ عَيْنِـي
وَيَبْقَـى بِقُـدْرَةِ اللـهِ وِرْدَا ..

هَـلْ رَأَتْ هَـذِهِ الخَمـائِلُ قَبْلـي
مَـنْ رَآهـا عَيْنـاً وَثَغْـراً وَخَـدَّا

هِـيَ عِنْـدي شَمـائِلُ وعُطـورٌ
وَقُلـوبٌ تَهْـوَى وَدَلٌّ يُفَـدَّى

أَعْشَـقُ الحُسْـنَ دَوْحَـةً وَغـدِيراً
وَبَيـانـاً سَمْحـاً وَفَجْـراً مُنَـدَّى

* * *

مـا رَأى السُـقْـمُ قَبْـلَ سَعْـدٍ حَنـانـاً
وَحَيـاءً مِـنَ السَـقـامِ وَرِفْـدَا

كَبَقـايَـا السَيْـفِ اطْمَـأَنَّـتْ إلى الجَفْـنِ
وَرَاحَـتْ تَبْلَـى الهُـوَيْنـى وَتَصْـدَا

رَوْعَـــةُ الشَـمْـس ِ في الغُـروبِ ولا أَعْشَقُ
للشَـمْـــس ِ عُنْفُـــوانَـــاً وَرأْدَا

* * *

رَنَّـــحَ الشِـعْـــرَ والـكَـرِيمُ طَـرُوبُ
ذِكْـرُ سَعْـدٍ لا يُبْعِـدِ اللهُ سَعْـدَا
وَحَـدَوْنَـا بِـهِ المَعـانِـي فَحَـنَّـتْ
حَـــنَّـــةَ العِيْـس ِ بالأَغَـارِيـدِ تُحْـدَى
مـا لِسَـعْـدٍ فـي المَـوْتِ يَزْدَادُ قُرْباً
مِـنْ فُـؤَادِي مـا ازْدادَ هَجْـراً وَبُعْدَا
وَإِذَا رَفَّ طَيْفُـهُ فـي خَيَالِـي
رَفَّ رَيْحَـانَـةً مِـنَ اللَّـهِ تُهْـدَى
أَنْـتَ فـي خاطِـري وَعَيْنِـي وَقَلْبِـي
وَعَلـى الهَجْـرِ لا أرى مِنْـكَ بُدَّا
صُـوَرٌ لَوْ يَنـالُ مِنْ حُسْـنِهـا النُـورُ
لَـكـانَـتْ بِنُـورِ عَيْنَـيَّ تُفْـدَى
وَأَصُـوْنُ الـطُيُـوفَ بَيْـنَ جُنُـونِـي
لَـوْ تُطِيـقُ الجُفـونُ لِلـطَّيْـفِ رَدَّا
وأَنَـا الصَـاحِـبُ الـوَفِـيُّ فَمـا خُنْـتُ
حَبِيبـاً ولا تَنـاسَيْـتُ عَهْـدَا

* * *

لَـم يَـرُعْـكَ الـزَمـانُ فـي حالَتَيْـهِ
وَتَحَـدَّيْتَـهُ وَعِيـداً وَوَعْـدَا

مَـا وَفَيْنَـاكَ بَعْـضَ حَقِّكَ فاعْـذُرْ
إنَّ عُـذْرَ الـكَرِيـمِ أَسْـمَى وأَجْـدَى
إنَّ دَيْـنَ العَـظِيـمِ فِـي كُـلِّ شَعْـبٍ
لا يُوَفَّـى وَحَقَّـهُ لاَ يُـؤَدَّى ...
شُغِـلَ النَـاسُ بالعَـظِيـمِ وأَرْضَـوْا
نَـزَواتِ النُفـوسِ هَدْمَـاً وَنَقْـدا
حَسَـدُوهُ عَلـى المَـزايَـا فَكَـانَ الـ
مَـوْتُ بَيْـنَ الأَهْـواءِ والحَـقِّ حَـدَّا
إنَّ مَـنْ يُنْـكِرُونَـهُ وَهْـوَ حَـيٌّ
رُبَّـمَـا أَلَّـهُـوهُ رَمْـزاً وَلَـحْـدا

* * *

عَيَّـرُوا بالمَشِيـبِ إخْـوانِـيَ الصِيـدَ
سَـفَـاهَـاً وَهَـلْ عَـنِ الشَيْـبِ مَعْـدَى
أيُّ لَـوْمٍ عَلـى الـكُهـولِ وَخَـاضُـوا
غَمَـراتِ العُـلى شُبُـولاً وَأُسْـدَا
مَـا لأَبْنَـا ئِنَـا تَجَنَّـوا عَلَيْنَـا
وَغَفَـرْنَـا مـا كَـان سَهْـواً وَعَمْـدَا
أَنْـكَـرُونـا عَلـى المَشِيـبِ كَـأَنَّـا
لَـمْ نَكُـنْ قَبْلَهُـمْ غَـرانِيـقَ مُـرْدَا

حَـاسَبُـونـا عَلـى هَنَـاتِ المَعَـالي
ثُـمَّ غَـالَـوْا بِهَـا حِسَـابـاً وَعَـدَّا
نَحْـنُ رُوَّادُكُـمْ طَلَعْنَـا الثَنَـايـا
وَزَحَمْنَـا الصِـعَـابَ غَـوْراً ونَجْـدَا
وَبنينـا لَكُـمْ وَنَعْلَـمُ أَنَّـا
لَـنْ نُمَـلَّى بِـهِ بَقَـاءً وَخُلْـدَا
أَيُّهَـا النَـازلُ المُقِيـمُ تَعَهَّـدْ
بـالـرِضَـى والحَنَـانِ رَكْبَـاً مجُـدَّا

* * *

قُـلْ لِشُكْـرِي العَـظِيـمِ أَشْـرَقْـتَ فِـي
السُـدَّةِ يُمْنَـاً وكِبْـرِيَـاءً وَرُشْـدَا
يـا أَبَـا الـدَوْلَـةِ الفَتِيَّـةِ تَبْنِيهَـا
وَيَلْقَـى البَـانِـي عَنَـاءً وَجَهْـدَا
إِنْ حَضَـنْـتَ اسْتِقْـلالَهَـا وَهْـوَ فِـي
المَهْـدِ فَمَـا اخْتَـارَ غَيْـرَ نُعْمَـاكَ مَهْـدَا
لاَ تَخَـفْ عَثْـرَةً عَلَيْـهِ وَوَهْنَـاً
بَلَـغَ الـطِفْـلُ فِـي حِمَـاكَ الأَشُـدَّا
يـا وَرِيـثَ الشُمُـوسِ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـسٍ
مَلَـكُـوا العَـالَمَـيْنِ رُومـاً وَهِنْـدَا
بِفُتُـوحٍ هُـنَّ المُلُـوكُ مِـنَ العِـزِّ
وَبَعْـضُ الفُتُـوحِ غَـرْثَـى عِبِـدَّى

أسْلَمَ القُدْسَ مَنْ يَحُجُّ الى القُدْسِ
وَيَتْلو الإنْجِيلَ وِرْداً فَوِرْدَا
إنْ يَنَامُوا عَنْهَا فقد نبَّهَ الثَأْرُ
عَلى الغُوطَتَيْنِ أرْوَعَ نَجْدَا
مُدُنُ القُدْسِ كالعَذَارَى سَبَوْهَا
وأرادُوا لِكُلِّ عَذْراءَ وَغْدَا
كالسَبَايا لَطَمْنَ خَدّاً وَمَزَّقْنَ
شُفوفَ الحَرِيرِ بُرْداً فَبُرْدَا
ضَجَّ سُوقُ الرَقِيقِ فِي نُدْوَةِ القَوْمِ (١)
وَنَخَّاسُهُ طَغَى واسْتَبَدَّا
يَعْرِضُونَ الشُعُوبَ عَرْضَ الجَوارِي
عُرِّيَتْ للعُيونِ نَحْراً وَنَهْدَا
غَيْرَةَ اللَّهِ ! أيْنَ قَوْمِي وَعَهْدِي
بِهِمُ يَنْهَدُونَ للشَرِّ نَهْدَا
نَعْشَقُ القَدَّ لِلْعَوالِي وأحْبَبْنَا
لِهِنْدِيَّةِ الصَوارِمِ هِنْدَا
وَدَفَنَّا الكُنوزَ يَوْمَ دَفَنَّا
فِي ثَراهَا الآباءَ جَدّاً فَجَدَّا

* * *

١) يشير الى جمعية الامم المتحدة واستبداد الدول القوية فيها بالشعوب الضعيفة .

رَضِـيَ اللَّـهُ عَـنْ أَخٍ لَـكَ كالسَّيْـفِ
المُحَـلَّى يَـرُوعُ نَصْـلاً وَغِـمْـدَا
أيْـنَ سَعْـدٌ ؟ وَلاَ أَلُـومُ اللَّيـالِـي
وَهَـبَ الـدَّهْـرُ غَالِيـاً واسْتَـرَدَّا
أيُّ بِـدْعٍ إذَا بَكَيْـتُ لِسَعْـدٍ
إنْ بَـكَى السَّيْـفُ حَـدَّهُ مـا تَعَـدَّى
لَـوْ رَأى هَـذِهِ الـدُّمـوعَ الغَـوالِـي
لَبَـكَـى رَحْمَـةً وَحَيَّـا وَفَـدَّى
غَـابَ سَعْـدٌ عَـنِ العُيـونِ وَمَـا
غَـابَ ضِيَـاءً يَهْـدِي القُلـوبَ فَتُهْـدَى
ثَـوْرَةٌ فِـي الحَيَـاةِ والمَـوْتِ جَـلَّتْ
ثَـوْرَةُ الحَـقِّ أنْ تَقَـرَّ وَتَهْـدَا

أين أين الرعيل من أهل بدرٍ ؟

في رثاء الزعيم رياض الصلح

لاَ تَسَلْهَا فَلَنْ تُجِيبَ الطُّلُولُ
أَلْمَغَاوِيرُ مُثْخَنٌ أَوْ قَتِيلُ
مُوحِشَاتٌ يَطُوفُ فِي صَمْتِهَا
الدَهْرُ فَلِلدَّهْرِ وَحْشَةٌ وَذُهُولُ
غَابَ عِنْدَ الثَرى أَحِبَّاءُ قَلْبِي
فَالثَرى وَحْدَهُ الحَبِيبُ الخَلِيلُ

* * *

وَسَقَوْنِي على الفِراقِ دُمُوعِي
كَيْفَ يَرْوَى مِنَ الجَحِيمِ الغَلِيلُ
خَيَّمَتْ وَحْشَةُ الفَراغِ عَلَى
الأَحْيَاءِ فالقَبْرُ وَحْدَهُ المَأْهُولُ
فِي الثَرى مِنْ أَحِبَّتِي ولِداتِي
ظَفَرٌ أَبْلَجٌ وَفَتْحٌ جَلِيلُ
نَزَلَتْ بالقُبُورِ أَسْمَى اللُّبَانَاتِ
وَطَافَ الرَجَاءُ والتَأْمِيلُ
وَتَهُبُّ القَبُولُ[1] تَحْمِلُ أَشْوَاقِي
فَهَلْ رَشَّتِ الطُّيُوبَ القَبُولُ

---

١) ريح الصبا

الـدِي نَـالَ جَبْهَـةَ اللَّيْـثِ في
غَمْـرِ الضُـحَـى نَالَـهُ جَبـانٌ ذَلِيـلُ

يا أخـا الفَتْـكَـةِ الصُـراحِ كَـأَنَّ
الشَـمْـسَ مِـنْ فَوْقِ فَـرْعِهـا إِكْلِيـلُ

لَـمْ تُفـاجِـىءْ بِهـا عَدُوّاً فَقَـدْ
أنـذرَ مِنْهـا زَمـاجِـرٌ وَصَهِيـلُ

وَزُحـوفٌ علـى العَـدُوِّ كَمـا تَخْبِـطُ
بالعـاصِـفِ المُـرِنِّ السُـيولُ

أَلْـفُ هَيْجـاءَ خُضْـتَهـا لَمْ تُجَدِّلْـكَ
أَحَقّـاً أَنْـتَ الصرِيـعُ الجَدِيـلُ

سَيْفُـكَ السيْـفُ لا يُخـاتِـلُ فـي
الـرَوْعِ وَزَّكـاهُ أَنَّـهُ المَخْتُـولُ

وإِذَا النَصْـرُ كـانَ عـاراً فَأَرْضَـى
للمُـرُوءاتِ أَنَّـكَ المَخْـذُولُ

لِقِـطـافِ الـوَغَـى شَمائِـلُ كالنَـاسِ
فَنَصْـرٌ وَغْـدٌ وَنَصْـرٌ نَبِيـلُ

هَتَـفَ الهَـاتِفُـونَ : أَيْـنَ رِيـاضٌ
فـانْتَخَـى فـي الثَـرى حُسـامٌ صَقِيـلُ

وَبَـكَـتْ أُمَّـةٌ وأَجْهَـشَ تَاريـخٌ
وَنـاحَ القـرآنُ والإِنْجيـلُ

يَـا لَسِتِّيـــنَ فـي الـكِفـاحِ طِـوالٍ
حـاليـــاتٍ وكـلٌّ جُـلِّيَ تَطُـولُ
مَـنْ راهُ يَخِـرُّ في فَجْـأَةِ الغَـدْرِ
رَأَى الـراسِيَـاتِ كَيْـفَ تَمِيـلُ
إنَّ مَـوْتَ العَـظيـمِ مِحْنَـةُ تَاريـخٍ
وَدُنْيَـا تَفْنَـى وَكَـوْنٌ يَـزُولُ

* * *

إنَّ سَيْفـاً أردَاكَ غَـدْراً وَحِقْـداً
لَهْـوَ بَيْـنَ الـظُبَـى دَعِـيٌّ دَخِيـلُ
لَـمْ يَـذُدْ في الـوَغـى عَدُوّاً وَلَمْ
يَهْـزُزْهُ في الـرَوْعِ ساعِـدٌ مَفْتُـولُ
مُغْمَـدٌ فـي مَعـارِكِ الحَـقِّ نَـابٍ
وعلـى الحَـقِّ مُصْـلَـتٌ مَصْقُـولُ
شَـاهَـتِ العُـرْبُ تَحْـتَ كُـلِّ سَمـاءٍ
حِيـنَ أَغْضَـتْ وَشِـلْـوُكَ المَـأْكولُ
يا لَـذُلِّ العُلَـى فَهَـلْ هَجَـعَ الثَـأْرُ
وَطـاحَ الـدَمُ الـزَكـيُّ الطَلِيـلُ
عَقَـرَ اللـهُ بَعْـدَ فارِسِـهَـا الخَيْـلَ
ولا عَطَّـرَ الفُتـوحَ الصَهِيـلُ
يُنْـكِـرُ الشَـوْطُ نَفْسَـهُ حِـينَ تَجْـرِي
عَـارِيـاتٍ مِـنَ الـكُمـاةِ الخُيـولُ

ما لأمجادِنا وما لِعَبيدِ
ألأَساطِيرُ مَجْدُهُمْ والطُلولُ

بِئْسَ قَوْمِيَّةٌ يُؤَرِّخُهَا
الظَنُّ وَيَبْنِي أَحْسابَهَا التَأْوِيلُ

كَيْفَ تَسْمُو بَيْنَ الشُعوبِ
ثُمالاتُ شُعوبٍ وعَابِرونَ فُلولُ

أَبْغَضُونا على العُروبَةِ والفَتْـ
ـحِ وَيُقْلَى عِنْدَ الهجِينِ الأَصِيلُ

وَسَبايَا الفُتوحِ لا بِدْعَ إنْ
هَرَّ على الفَتْحِ حِقْدُهَا والذُحُولُ[1]

* * *

نَحْنُ كَوْنٌ لا كائِنَانِ ضَعِيفانِ
أَلَحَّ الهَوى وَتَمَّ الوصول

سالِفُ الشَرْقِ مِلْكُ قَحْطَانَ
واليومُ لِقَحْطانَ والغَدُ المأْمُولُ

وَلَهُ هَذِه الجِبالُ المُنيفاتُ
وَتِلكَ الرُبى وهَذِي السُهولُ

والسماواتُ والكَواكِبُ في الشَرْقِ
لِقَحْطانَ مَوْطِنٌ وقَبِيلُ

---

١) الذحول : العداوات والاحقاد

والنُبُـــوَّاتُ والفُنـــونُ وَمِلْـــكُ
فـــيْ شَبَـابِ الـدُنْيـا عَـريـــضٌ طَـــوِيـــلُ
أَرْيحَـــيٌّ تَكـــادُ تُـــورِقُ بالنُعْمَـــى
لأعـــدائـــهِ القَنَـــا والنُصُـــولُ
قَـــدْ وَرِثْنـــا البِحـــارَ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـــسٍ
وَعَلَيْهـــا الغُـــزاةُ والأُسْطُـــولُ
أَرْزُ لُبْنـــانَ أَيْكَـــةٌ فـي ذُرانَـــا
والفُـراتـــانِ مَـــاؤُنَـــا والنِيـــلُ
ورَيَـــاحِينُنَـــا علَـى تُونـــسَ الخَضْـــراءِ
خَضْـــراءُ أَيْـــنَ مِنْهَـــا الذُبُـــولُ
ما شَكَـــتْ جُرْحَهـــا على البُعْـــدِ إلاَّ
رَفَّ قَلْبِـــي عَلَـــى الجِـــراحِ يَسِيـــلُ
وَلَثَمْـــتُ الجِـــراحَ فَهْـــيَ ثُغُـــورٌ
يَتَشَـهَّـــى عُطُـــورَهـا التَقْبِيـــلُ
هـادِراتٌ بِخُـطْبَـــةِ المَجْـدِ بَتْـــراءَ
وَيُـــؤْذِي البَـلاغَـــةَ التَطْوِيـــلُ
حَلَفَ القَيْـــدُ أَنَّـــهُ مِـنْ نُضـــارٍ
كُـــلُّ قَيْـــدٍ على الـرِقَـــابِ ثَقِيـــلُ
يا صَدِيـــدَ الجِـــراحِ بُورِكْـتَ طِيبـــاً
يَتَمَلَّـــى ريَّـــاهُ جِيـــلٌ فَجِـيلُ

* * *

كُـلُّ رَوْضٍ فـي الشَـرْقِ مِـنْ
دَمِ آبـائـي مُنَـدًّى مُعَـطَّـرُ مَطْلُـولُ
ولُبانَـاتُهُـمْ علـى كُـلِّ صَحْـراءَ
غَـدِيـرٌ صَـافٍ وَظِـلٌّ ظَلِيـلُ
حَيْـثُ يَحْنُـو الصَـفْصـافُ نُعْمَـى
علـى الـوَانـي وَيَبْكِـي على الشَـهِيـدِ النَخِيلُ
كُـلُّ تَكْبِيـرَةٍ علـى الـرمْـلِ نَفْـحٌ
وَعَبِيـرٌ سَكْـبٌ وَأَيْـكٌ بَلِيـلُ
ذُكِـرَ اللـهُ فالهَجِيـرُ شِفـاهُ
قَـانِيَـاتٌ والليـلُ طَرْفٌ كَحِيـلُ

* * *

لَفَّنِـي والـدُجـى علـى هَـذِهِ الصَـحْـ
ـراءِ سِـحْـرٌ مُنَمْنَـمٌ مَجْهُـولُ
لَفَّنِـي والـدُجَـى فَـأَفْنَـتْ كِلَيْنَـا
سَـعَـةٌ مِـنْ جَـلالِـهِ وَشُمُـولُ
أَيّ سِـرٍّ نُرِيـدُ فـي الكَـوْنِ
والـكـونُ مُعَـنًّىً بِسِـرِّنـا مَشْغُـولُ
تِلْـكَ وَاحـاتُهـا الظَلِيلَـةُ
والـظِـلُّ غَرِيـبٌ علـى الـرِمَـالِ نَزِيـلُ
زَهَـراتُ السَـمـاءِ حَيَّـا بِهَـا
قَـوْمِـي مِـنَ الحُـورِ فـي السَـمـاءِ رَسُـولُ

فَعَلَـــى كُـــلِّ نَهْلَـــةٍ مِـنْ شَذاهَـا
شَـفَـةٌ عَنْـدَمٌ وَخَـــدٌّ أَسِيـــــلُ

وحَنِيـــنٌ إلـــى السَـمـــاءِ كَمـا حَـنَّ
إلـــى نِعْمَـــةِ الشِـفَـــاءِ العليـــلُ

رَبِّ روحـــي طَلِيـــقَـــةٌ فـي سَماواتِـك
والجِسْـمُ مُوثَـــقٌ مَغْلُـــولُ

بَعُـــدَ الفـــرْقُ بَيْـنَ رُوحِـــي وَجِسْمـــي
جَسَـــدِي آثِـــمٌ وَرُوحِـــيْ بَتُـــولُ

أَنْـــتَ يـا رَبِّ غايَـــةٌ وإلـــى
الغَـايَـــةِ أَنْـتَ الهُـدَى وأَنْـتَ السَبِيـلُ

لَـكَ حُبِّـي وَمِنْـكَ حُبِّـي فَهَـلْ
يُعْطَـــى مِـــنَ السائِـلِ الكَرِيـــمُ المُنِيـــلُ

لَـكَ حُبِّـي فَهَـلْ لِفَقْـــرِي إذَا
أَهْـدَى إلـى كَنْـزِكَ الغَنِـــيِّ قُبـــولُ

عَبـــراتـي عِبـادَةٌ وابْتِهَـــالٌ
وَشَهِيـــقـي التَـكْبِيـــرُ والتَهْلِيـــلُ

وَصَـــــلاتِـي تَـأَمُّـــلٌ وَمُنَـاجَـاتِـــي
خُشُـوعٌ وَزَفْـــرَتِـــي تَرْتِيـــلُ

وَبَـلائِـي أَنَّ النَعِيـمَ الـذِي
أَرْجُـو نَعِيـمٌ مُسَـوَّفٌ مَمْطُـــولُ

لَمْ يَضِعْ فِي الظَّلامِ نُورُكَ عَنْ
قَلْبِي فَقَلْبِي إِلَى سَنَاكَ الدَلِيلُ

مَعْدِنُ الخَيْرِ والجَمَالِ المُصَفَّى
وَجْهُكَ الخَيِّرُ الكَرِيمُ الجَمِيلُ
وأَنا السَائِلُ المُلِحُّ وَيَجْلُو
وَحْشَةَ الذُلِّ أَنَّكَ المَسْؤُولُ

وَبِيُمْنَايَ أَلْفُ كَنْزٍ عَطَايَاكَ
وما فِي يَدَيَّ إِلاَّ القَلِيلُ
رَبِّ ! نُعْمَاكَ أَنْ تُنَضِّرَ قَلْبِي
بِمُحَيَّاكَ فَهْوَ صَادٍ مَحِيلُ

رَبِّ ! قَلْبِي زَيَّنْتُهُ لِمُحَيَّاكَ
فَمُرْ تَنْسَكِبْ بِقَلْبِي الشَمُولُ
هُيِّئَتْ فِي سَرِيرَتِي لَكَ رَبِّي
سِدْرَةُ المُنْتَهَى وَطَابَ النُزولُ
جَوْهَرُ القَلْبِ وَهْوَ إِبْداعُ كَفَّيْكَ
عَلَى مَا بِهِ كَرِيمٌ أَصِيلُ
وَبِقَلْبِي رِضْوانُ يَهْفُو لِمَرْآكَ
وَنَدَّى سَرِيرَتِي جِبْرِيلُ

يَالِدَاتِ الشَبَابِ لَوْ يَنْفَعُ الدَمْـ
ـعُ جَزَتْكُمْ مَدَامِعِي والعَوِيلُ

وَكُهولاً أَبْلَتْ شَبَابَهُمُ الجُلَّى
فَهُمْ فِي الصِبَا الوَسِيمِ كُهُولُ
رَوَّعَتْ سِرْبَنَا المَنَايَا وَأُمُّ
المَجْدِ فِي الغُوطَتَيْنِ أُمٌّ ثَكُولُ
رَاعَ قَلْبِي الرَحِيلُ حَتَّى تَوَلَّيْتُمْ
فَأَشْهَى المُنَى إِلَيَّ الرَحِيلُ
لَوْعَتِي - والثَرى يُهَالُ عَلَيْكُمْ -
كَوَفَائِي ، مُقِيمَةٌ لاَ تَحُولُ
لَوْعَةُ الحُرِّ حِينَ أَفْرَدَهُ الدَّهْرُ
فَمَنْ يَتَّقِيهِ حِينَ يَصُولُ
وَأُناجِي قُبُورَكُمْ أَعْذَبَ النَجْ
وى وأَشْكو مُعَاتِبَا وأُطِيلُ
وَكَأَنَّ القُبُورَ تَسْمَعُ شَكْوايَ ..
وَتَدْرِي حَصْبَاؤُهَا ما أَقُولُ
عَيَّرُوا بالفُلُولِ بِيضَ ظُبَانَا
مِن قِرَاعِ الزَمَانِ هَذِي الفُلُولُ
وَإِذَا السَيْفُ كَلَّ مِنْ هَبْرِهِ الهَامَ
فَقَدْ شَرَّفَ السِيُوفَ الكَلِيلُ
الدُجَى عُذْرُ مُنْكِرِينَا وتَخْفَى
غُرَرُ الخَيْلِ فِي الدُجَى والحُجُولُ
ذَلَّ مَجْدٌ لَمْ يَنْتَسِبْ لِكِفَاحٍ
فَهْوَ مَجْدٌ رَثُّ المَعَالِي هَزِيلُ

* * *

غُـوطَـةَ الشَـامِ هَـلْ شَجَـاكِ بَيَـانُ
مِـنْ قَرِيضِـي كَأَنَّـهُ التَنْزِيـلُ
وَعِتَـابٌ كالجَمْـرِ صُنْتُـكِ عَنْـهُ
جَـزَعـاً أَنْ يَنَـالَ مِنْـكِ عَـذُولُ
كُـلُّ مَجْـدٍ يَفْنَـى وَيَبْقَـى لِشِعْـرِي
شَـرَفٌ بَـاذِخٌ وَمَجْـدٌ أَثِيـلُ

***

غُوطَـةَ الشـامِ مِنْـكِ صَـدٌّ وَحِـرْمـ
ـانُ وَمِنَّـا العَـطَـاءُ والتَنْـوِيـلُ
أَلَـذِي شَـرَّدَتْـهُ عَنْـكِ المَعَـالِـي
آبَ وَهْـو المُكَفَّـنُ المَحْمُـولُ[1]
غُـرْبَـةٌ فِـي العُلَـى وَيَنْـأَى عَـنِ
الغِمْـدِ فَيَبْلَـى المُهَـنَّـدُ المَسْلُـولُ
مُثْخَـنٌ بالجِـراحِ يَهْفُـو إِلَـى
الأُمِّ فَأَيْـنَ التَـرْحِيـبُ والتَأْهِيـلُ
رُبَّ فَتْـحٍ تَرْوِيـهِ لِلدَّهْـرِ
أَشْـلاءُ قَنَـاةٍ وَصَـارِمٌ مَفْلُـولُ
ضَنَّـتِ الشَـامُ بالـوَفَـاءِ عَلَيْنَـا
طَلْعَـةٌ سَمْحَـةٌ وَوُدٌّ بَخِيـلُ

---

١) المرحوم عادل العظمة

أَيْسَـرُ الجُهْـدِ أَنْ تَضِجِّـي وَتَشْكـي
قَـد يَـرُجُّ الـطُغْيـانَ قَـالُ وَقِيـلُ
واعذري الهَـامِسيـنَ خَـوْفـاً فَمـا يَهْـدِرُ
عِنْـدَ الصِيـالِ إلاَّ الفُحُـولُ
لاَمَنـا الـلائمُـونَ في حُـبِّ حَسْنَـاءَ
مَلُـولٍ وَكُـلُّ نُعْمَـى مَلُـولُ
لاَ تُحَـاسِـبْ أَخـا هَـوىً فـي هَـواهُ
كُـلُّ ثَغْـرٍ على الهَـوى مَعْسُـولُ
أَيُّ بِدْعٍ فـي ثَـوْرَةٍ مِـنْ مُحِـبٍّ
قَـدْ يَثُـورُ المُقَيَّـدُ المَكْبُـولُ
لَـكِ مِـنِّي الهَـوى كَما رَنَّـحَ الفَجْـرَ
نَسِيـمٌ فـي غُوطَتَيْـكِ عَلِيـلُ

* * *

يَا رِفـاقـي بَكَيْـتُ فِيكُـمْ شَبابِـي
كُـلُّ عَيْـشٍ بَعْـدَ الشَبـابِ فُضـولُ
مَنْ تَمَلَّـى بِقَلْبِـهِ الضَـاحِـكِ الهَانِي
فَقَلْبِـي المُمَـزَّقُ المَتْبُـولُ
أَيْـنَ سَعْـدٌ وَعـادِلٌ وَرِيـاضٌ .[1]
مـا لِـرَكْبِ الـرَدى المُجِـدِّ قُفُـولُ

---

١) سعد الله الجابري وعادل العظمة ورياض الصلح

وَنَجِيبٌ [1] وَأَيْنَ مِنِّي نَجِيبُ
غَالَ قَوْمِي مِنَ المَنِيَّةِ غُولُ
كَيْفَ أَغْفَى أَبُو رِياضٍ [1] وَحَقِّي
فِي الشَّآمِ المُضَيَّعُ المَخْذُولُ
وَتَلاقَيْتُمُ على البُعْدِ في قَلْبِي
فَلا رَوَّعَ اللِدَاتَ رَحِيلُ

* * *

حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ دُنْيايَ أَنِّي
بِكُمُ في سَرِيرَتِي مَشْغُولُ
وَأَرَاكُمْ حَتَّى لأَسْأَلُ نَفْسِي
أَيَقِينٌ رُؤايَ أَمْ تَخْيِيلُ
بُورِكَتْ نِعْمَةُ الخَيالِ وَيُرْضِينِي
خِداعُ الخَيالِ والتَعْلِيلُ
أَجْهَدَتْنَا الضُحَى على زَحْمَةِ الرَوْعِ
فَهَلْ يُسْعِدُ الطِلاحَ الأَصِيلُ
أَيْنَ أَيْنَ الرَعِيلُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ
طُوِيَ الفَتْحُ واسْتُبِيحَ الرَعِيلُ

* * *

(١٩٥٢/٥/٢٠)

---

١) نجيب الريس

غربة الروح

في رثاء الفقيد العظيم فارس الخوري

أتْرِعي الكَأسَ أدْمُعاً وَرَحيقا
حَقُّ بَعْضِ الهُمومِ أنْ لا نُفيقَا
سَلِمَ الجَمْرُ لي وَعاشَ بِقَلْبي
أرْيحِيَّ اللهيبِ عَذْباً أنِيقَا
يَا شَآمِي يا قِبْلَةَ اللهِ للدُنْيَا
ويا راحَها المُصَفَّى العَتِيقَا
أتْرِعُ الكَأسَ مِنْ هَواكِ لِتَرْوَى
كبِدي مِنْ هَواكِ لا لِتَذُوقَا
مَزِّقِيها تَغْمُرْكِ طِيباً وَنُوراً
لا تَمَلِّي الطُيوبَ والتَمْزِيقَا
لَمَلَمَ الفَجْرُ ذِكْرياتي دَماً سَكْباً
وَمَجْداً غَمْراً وَعَهْداً وَثيقَا
لَمَلَمَ الفَجْرُ ذِكْرَياتي فَما لَمَلَمَ
إلاَّ أقاحِياً وَشَقِيقَا
كِبْرِيائي فَوْقَ النُجومِ وَلَوْلاهَا
لَما كُنْتُ بالنُجومِ خَلِيقَا
جِلَّ شِعْري - أقِيهِ بالرُوحِ مِنْ كُلِّ
هَوانٍ - والشِعْرُ كالعِرْضِ يُوقَى

ما شَكَـوْتُ العَـدُوَّ كِبْـراً ولكِنِّـي
شَـكَـوْتُ المُبَـرَّأَ المَوْثُوقَـا
وأَخـاً لِي سَقَيْتُـهُ الـوُدَّ صِـرْفاً
فَسَقَـانـي مِـنْ وُدِّهِ المَمْـذُوقَـا
طَبْعِـيَ الحُـبُّ والحَنـانُ فَما أَعْـرِفُ
لِلْمَجْـدِ غَيْـرَ حُبِّـي طَرِيقَـا
وَكُنـوزي - وَلَيْـسَ تَحْرِسُهـا الجِـنُّ
تُنـادِي المَحْـرُومَ والمَرْزُوقَـا
لَـمْ يَضِـقْ بالعَـدُوِّ حِلْمـيْ وغُفْرَانـي
وأَفْـدِي بِـمُقْلَتَـي الصـديقَـا
لا أُرِيـدُ الإِنْسـانَ إِلاَّ رحيمـاً
بـاخْتِـلافِ الهَـوى وإِلاَّ شَفِيقَـا

* * *

لِي قُبـورٌ كَنَـزْتُ فِيهـا شَبابـي
وَصَبُـوحـي عَلـى المُنَـى والغَبُوقَـا
يا قُبـورَ اللِـداتِ : كُـلُّ شَقِيـقٍ
حـاضِـنٌ في الثـرى أَخـاهُ الشَقِيـقا
وَسِـعَـتْ هَـذِهِ القُبـورُ فُـؤادي
كيـفَ تشـكو - وَهْـيَ السَـمـاوَاتُ - ضِيقَا
كَيْـفَ لا تُنْبِـتُ الرَيـاحِيـنَ والشَـوْقَ
وَقَلْبِـي علـى ثَـراهـا أُرِيقَـا

مُقْلَتِـي يَسْـتَحِـمُّ في دَمْعِهَـا الطَيْـفُ
وتَحْنُـو فـلا يَمـوتُ غَرِيقَـا
يَنْـزِلُ الجُـرْحُ مِنْ فُؤَادِي علـى الحُـبِّ
وَيَلْقَـى التَـدْلِيـلَ والتَشْوِيقَـا

* * *

شـامَـةَ الفَتْـحِ نامَ (فارسُـكِ) النَجْـدُ
وَحَـقُّ الـوَفـاءِ أنْ يَسْتَفِيقَـا
سَبَقَتْـهُ أحْبـابُـهُ للمَنـايَـا
فَـرَحِمْـتُ المُجَلِّـيَ المَسْـبُوقَـا

وَنَعَـمْ عُـدْتُ (للعَقيـقِ) ولكِـنْ
فـارَقَ الأَهْـلُ واللِـداتُ (العَقِيقـا)
أنـا كـالـطَيْـرِ أَلْـفُ صَحْـراءَ لَفَّتْـهُ
مَهِيـضَ الجَنـاحِ شِلْـواً مَزِيقَـا

ماتَ أَيْكِـي ومَـات وِرْدِي فَـلا تَعْجِيـلَ
أُعْنَـى بـه ولا تَعْوِيقَـا
غُـرْبَتِـي قَـدْ سَئِمْـتُ غُرْبَـةَ روحـي
وَمَلَلْـتُ التَغْـرِيـبَ والتَشْـرِيقـا
غُرْبَتِـي غُرْبَتِـي عَلى النَـأْيِ والقُـرْبِ
أَرَانـي إلـى دُجَـاهـا مَسُـوقَا

حِـدْتُ عَنْهـا غَرْبـاً وَشَرْقـاً وَطَوَّفْتُ
فَمـا اجْتَـزْتُ سَهْمَهَـا المَرْشُـوقا

***

(فـارِسُ) المَجْـدِ لَـمْ تُزَغْـرِدْ
عَـذارى المَجْـدِ إلاَّ انْتَخـى وكان السَبُوقا
وَلَـهُ الـطُـرْفَـةُ المَلِيـحَـةُ تُغْنِـي
عَـنْ نِقـاشٍ وَتُسْـكِـتُ المِنْطِيقَـا
وَبيـانٌ تَخَـالُـهُ الـوَشْـيَ والأَطْيـا
بَ شَتَّـى واللـؤْلُـؤَ المَنْسُـوقَـا
فِيـه عُمْـقُ البِحـارِ تَزْخَـرُ بالـدُرِّ
وفيـهِ مَتـارِفُ المُـوسِيقَـا
وَضَـمِيـرٌ يكـادُ يُسْرِفُ في الحِـسِّ
فَيَجْـزِي حتَّـى الخَفِـيَّ الـدَقِيقَـا
عـالِـمٌ يَسْكُبُ العُـذوبَـةَ فـي العِلْـمِ
فَتَسـتـافُ عَنْبـراً مَسْحُـوقَـا
يَـا لَنَـسرٍ تَقَـحَّـمَ الشَـمْـسَ حَـتَّى
مَـلَّ عِـزَّ الشُـمـوسِ والتَحْلِيـقَـا
حَـقُّ عِبْئَيْـنِ مِـنْ سِنِيـنَ ومَجْـدٍ
أَنْ يَكُـفَّـا مِـنْ شَـأْوِهِ وَيَعُـوقَـا
يَهْـرَمُ النَسْـرُ فالـطـريـقُ عِثـارٌ
ذِكْـرَيـاتُ الصِبـا زَحَمْـنَ الطَـرِيقَـا

عَبَّ مِنْهـا النَسْـرُ الحَبِيسُ فَـرَدَّتْـهُ
لـدُنْيـا الشُـمـوسِ حُـرّاً طَلِيقَـا
غَمَـرتْ قَلْبَـهُ حَنِينـاً وأَشْـواقـاً
وَيُمْنـاهُ لُـؤْلُـؤاً وَعَقِيقَـا
عـالَـمُ الـذِكْـرياتِ نَمْنَمـهُ الخـالِـقُ
حَتَّـى يُـدَلِّـلَ المَخْلـوقـا
هُـوَ مِـنْ أَرْيحِيَّـةِ اللـهِ ما شِئْنـا
رَحِيقـاً صَفْـواً ومِسْـكـاً فَتِيـقَا

* * *

حـالَ بَيْنـي وبَيْـنَ لُقْيـاكَ دَهْـرُ
سـامَنِـي عِبْئَـهُ فَكُنْـتُ المُطِيقَـا
أَنْـزَلَتْنِـي عَـلى فَـرُوقَ رَزايَـاهُ
فَحَـيَّا عِطْـرُ السَـمـاءِ (فَرُوقَا)
ضَـاقَ لُبْنـانُ بِـي وكـانَ رَحِيبـاً
وَتَنَـزى حِقْـداً وكان رَفِيقَـا
مـا لِلُبْنـانَ رُحْـتُ أَسْـقِيـهِ حُبِّـي
وَسَـقـانِـي مَـرارةً وعُقـوقَـا
أَنـا أَغْلَيْتُـهُ بِـلُـؤْلُـؤِ أَشْعـارِي
وَطَـوَّقْـتُ جِيـدَهُ تَطْوِيقَـا
وَزَرَعْـتُ النُجـومَ فـي لَيْـلِ لُبْنـانَ
فَـرَفَّ الـدُجـى نَدِيَّـاً وَرِيقَـا

دَهَّتْنِـــي (سَـــمْـراءُ لبْنـــانَ) أطْيابـاً
وَقَـــدّاً مُهَفْهَفـاً مَمْشُـــوقَـــا

وَجَمَـــالاً غَـــالـــى بِـــزِينَتِـــهِ اللـــهُ
وَثَـــنَّـــى وثَلَّـــثَ التَـــدْقِيقَـــا

وَعَفـــافـــاً ذَادَ الشِـــفـــاهَ وَخـــلىً
لِلْعُيـــونِ السُـــلافَ والتَـــحْـــدِيقَـــا

جُنَّ قَلْبُ الـــدُجى بأَهْـدابِهـــا الوُطْـفِ
فَـــأَغْنَـى جَفْنـــاً وَكَحَّـــلَ مُـوقَـــا

* * *

قَـدْ أرادُوا لُبْنـــانَ سَفْحـاً ذَلِيـلاً
وَأَردْنـــاهُ شـــامِخِـــاً مَـرمُوقَـــا

وَحَمَـدْتُ الجُـــلىَّ بِلُبْنَـــانَ لَمَّـــا
كَشَـــفَـتْ لِـي اليَقِيـــنَ والتَلْفيقَـــا

إنْ عَتَبْنـــا علـى الـــكِنـانَـةِ إدْلالاً
فَقَـدْ يُعْتِـــبُ الصَـــديـقُ الصَـدِيقَـــا

وَهَبَتْنـــا فِـــرْعَـــوْنَهَـــا وَوَهَبْنَـــاهَـــا
علـــى العُسْـــرِ يُـــوسُـــفَ الصِـــدِّيقَـــا

كَيْـفَ يشْـــرِي العَبِيـــدَ كـــافـــورُ
بـــالمَـــالِ وكافـورُ كَـان عَبْـــداً رَقِيقَـــا

أَرْزُ لُبْنـانَ لَـنْ يَكُـونَ لِكَافُـورَ
مَتـاعـاً ولـلأَرقَّـاءِ سُـوقَـا

* * *

يـاقُبـوراً في الشامِ رُبَّ قُبـورٍ
أَنْـزَلَتْهـا النَـوىَ مَكـانـاً سَحِيـقا

مُـوحِشـاتٍ : إلاَّ عَزِيفـاً مِـنَ الجِـ
ـنِّ يَـرُجُّ الـدُجَـى وإلاَّ نَعِيقَـا
هَـائِمـاتٍ كالنُـورِ طَـارَتْ صَبَـابَـا
تِـي إِلَيْهـا فمـا اسْتَـطَعْـنَ اللُـحُـوقَـا
غَـرَّبَتْنَـا العُـلىَ قُبـوراً وأَحْيـاءَ
وعـاثَـتْ بِشَـمِلِـنـا تَفْـرِيقَـا
واغْتِـرابُ القُبـورِ مِـنْ حِيَـلِ المَـ
ـوْتِ لِيُخْفِـي كُنُـوزَهُ والعُلُـوقَـا
تَسْـمَـعُ الـرِيحُ حيـن تُصْغِـي حَنِينَـاً
مِـنْ فُـؤادي على الثَـرى وشهيقـا
مـا لِقَـوْمـي غَـالَ الحِمامُ فَـرِيقـاً
مِنْهُـمُ والعُقُـوقُ غَـال فَرِيقَـا
ظَلَـمَ الـكَنْـزَ أَهْلُـهُ فَتَمنَّـى
أَنْ يَكُـونَ المُـبَـدَّدَ المَسْـرُوقَـا

فارَقُـونـي مُعَـطَّـرِينَ مِـنَ الفَتْـحِ
وَخَلَّـوا لِـيَ الأَسَـى والشَهِيقَـا
أظْمَأَتْنِـي وُجُـوهُهُـمْ حِيـنَ غابِـتْ
فَـأَدَرْتُ الـذِكْـرى سُـلافـاً وَرِيقَـا
عَهْـدُهَـا بالخُـلُـوقِ عَهْـدٌ قَدِيـمُ
أَلِفَـتْ غُـرَّةُ المُجَلِّـي الخَلُوقَـا

* * *

يا لِـداتَ الفُتـوحِ ، نَسْـقِـي مَنايَانَا
وَيسْـقِيْنَنَـا الهَـوى تَرْنِيقَـا
بَيْنَنَـا صُحْبَـةُ الآبـاءِ وعِـزٌّ
أُمَـوِيٌّ يُطـاوِلُ العَيُّـوقَـا[1]
وَكفـاحٌ كَعـاصِـفٍ ضَـجَّ في الدُنْيَـا
رُعـوداً هَـدَّارَةً وَبُـروقَـا
والمُـروءاتُ كالغَـرائِـرِ فـي الريـفِ
مِـلاحٌ لاَ تَعْـرِفُ التَزْوِيقَـا
وَعُقـودٌ مِـنَ السِنيـنَ نَظَمْنَاهَـا
سُجُـونـاً وكَبْـرِيـاءً وَضِيقَـا
نَحْـنُ كُـنَّـا الزِلْـزَالَ نَعْصِـفُ بالشَـرْقِ
نَـرُجُّ الشُـعـوبَ حَتَّـى تُفِيقَـا

---

١) العيوق : نجم مضيء في طرف المجرة .

فابْتَدَعْنا من ألرُّؤى واقِعَ الحَقِّ
وَمِنْ غَمْرَةِ الظَلامِ البَرِيقَا
نَقْحَمُ الغامِضَ الأشَمَّ مِنَ المَجْدِ
وَنأبَى المُمَهَّدَ المَطْرُوقَا
نَحنُ عِطْرُ السُجونِ عِطْرُ المَنايَا
نَحْمِلُ الجُرْحَ مُطْمَئِنّاً عَمِيقَا
نَحْنُ كالشَمْسِ جُرْحُهَا وَهَّجَ الدُنْيَا
غُروباً مُنَوَّرا وَشُروقَا

نَحْنُ والشَامُ والفُتوحاتُ والأَحْزانُ
دُنْيَا تَزَيَّنَتْ لِتَرُوقَا
ما دَرَى الشَرْقُ قَبْلَنا سَكْرَةَ الحَقِّ
ولا خَمْرَها ولا الرَاوُوقَا
نَحْنُ عِشْقٌ للغُوطَتَيْنِ بَراهُ اللَّهُ
حَتَّى يُؤَلِّهَ المَعْشُوقَا

نَحْنُ في الكَأْسِ نَغْمَةٌ ، نَحْنُ في النَغْمَةِ صَهْباءُ : صُفِّقَتْ تصْفيقا

خَمْرَةُ النُورِ خَمْرَةُ الثَأْرِ والإيمانِ
طابَتْ بَرْداً وطابَتْ حَرِيقَا
يَعْرِفُ الحَقُّ قيمَةَ الجَوْهَرِ
الفَرْدِ ويُغْلي جَديدَهُ والعَتِيقَا

يُعْـذَرُ الحُـرُّ حِيـن لا يُـخْطِـىءُ العَـزْمَ
وإنْ كـانَ اخْـطـأَ التَـوْفِيقَـا

يا رَئِيـسي مِـنْ أَرْبَعِيـنَ زَحَمْنـاهَـا
إبـاءً مُـرّاً وبَـأْسـاً حَنِيقَـا

أَنْـتَ نَشَّـأْتَنِـي علـى الصَـبْـرِ والعِـزِّ
كَما تُرْهِـفُ الحُسـامَ الذَلِيقَـا (١)

مُنْتَدى الشَـامِ والـوِزارَةُ (٢) ضَمَّانـا عَريقـاً
يُصْـفِـي هَـواهُ عَرِيقَـا

وَهُمُـومٌ كَـأَنَّهُـن الأَمـانِـيُّ جَمَـ
ـالاً ونَشْـوَةً وَسُمـوقـا

مُتْـرفـاتٌ تَرعْـرَعَـتْ فـي فُؤادَيْنَـا
وطـابَـتْ شَمـائِـلاً وعُـروقَـا

يَـرِدُ الخَـطْـبُ مِنْـكَ قَلْبـاً سَـرِيّاً
وَبَيـانـاً عَفّـاً وَوَجْهـاً طَلِيقَـا

مَـنْ يَعُـلُّ النَـدِيَّ بَعْـدَكَ بالشَهْـ
ـدِ المُصَـفَّـى وَمَـنْ يَـسُـدُّ الفُتُـوقَـا

هَـدَرَتْ بالنَـدِيِّ خُطْبَتُـكَ الشَمَّـاءُ
والـرِيـقُ لاَ يَبُـلُّ الحُلـوقَا

أَنْـكَـرْتـكَ الحَيـاةُ بالشَيْـبِ والسُـقْـ
ـمِ فَهـيِّءْ للفـارِكِ (٣) التَطْلِيقَـا

---

١)الذليق : الحاد .

٢)كان الشاعر وزيرا في وزارة الرئيس فارس الخوري

٣)المرأة تبغض زوجها .

حَمَـلَ المَـوْتُ مِن لِداتِـكَ شَـوْقاً
يَسْـتَحِـثُّ الخُـطَـى وَعتْبـاً رَقِيقَـا
وَكتـابـاً مِـنَ الهَـوى ثَمَّقُـوهُ
فـأَجَـادُوا البَيـانَ والتَنْمِيقَـا
وَطُيـوفـاً تَبَـرَّجَـتْ لِكَـرى جَفْنَيْـكَ
حَـتَّـى يَـرْضَـى وَحَـتَّـى تَلِيقَـا

* * *

غَيَّـبَ القَبْـرُ مِنْـكَ شَمَّاءَ مَجْـدٍ
وَعْـرَةً تَزْحَـمُ النُجـومَ سَحُوقَـا
يَتَلَقَّـاكَ (هاشِـمٌ)[1] في رُبَـى عَدْنٍ
وَيَسْـتَقْبِـلُ المَشُـوقُ المَشُـوقَا
حَـيٌّ عَـنِّـي سَعْـداً[2] وَقَبِّـلْ مُحَيّـاً
كـالضُـحَـى باهِـرَ السَـنـى مَـرْمُـوقَـا
وَأَبَـا أَسْـعَـدٍ[3] سَقَتْـهُ دُمُـوعي
وَسُلَيْمـانَ[4] (والنَدِيـمَ)[5] الصَـدُوقَـا

---

١) هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية . والآتون من اركان الكتلة الوطنية الراحلين .
٢) سعدالله الجابري .
٣) ابو أسعد هارون : عبد الواحد هارون زعم اللاذقية
٤) سليمان المعصراني المجاهد المعروف
٥) نديم الموصلي الوطني المعروف

واسْقِ (قَدْرِي)[1] و (عادِلاً)[2] و (جَمِيلاً)[3]
مِـنْ حَنِينِـي طِيبَ الهَـوى والرَحِيقَـا
واشْـكُ حُزْنِـي (لِمَظْهَـرٍ)[4] (وَنَجِيـبٍ)[5]
رَاعَ دَهْـرٌ أَخَـاكُمـا فَأَفِيقَـا
لِي حُقُـوقٌ علـى القُبُـورِ الغَوالِـي
وَيُـوَفِّي قَبْـرُ الـكَرِيـمِ الحُقُوقَـا

* * *

١٩٦٢/١١/١٨

---

١) الدكتور احمد قدري من زعماء القضية العربية
٢) عادل العظمة
٣) جميل مردم بك : الزعيم الوطني الكبير
٤) مظهر رسلان
٥) نجيب الريس ـ صاحب جريدة القبس

الشهيد

في حفلة ذكرى هنانو بعام ١٩٤٥

وفـاؤُكَ لا عُسْـرُ الحَياةِ ولا اليُسْـرُ
وَهَمُّـكَ لا الـدَاءُ المُلِـحُّ ولا العُمْـرُ
إذَا المَرْءُ لَـم يَمْلِـكْ وُثُوبـاً على الأَذى
فَمِـنْ بَعْضِ أَسْماءِ الـرَدى الحَـقُّ والصَبْرُ
إذَا مَلَـكُـوا الـدُنْيا على الحُـرِّ عُنْـوَةً
فَفـي نَفْسِـهِ دُنْيَـا هِيَ العِـزُّ والكِبْرُ
وإنْ حَجَبُـوا عَنْ عَيْنِـهِ الـكَوْنَ ضَاحِكاً
أَضـاءَ لَهُ كَوْنٌ بَعِيـدٌ هُـوَ الفِكْـرُ
فَلَيْلَتُـهُ صُبْـح وَعُسْرَتُـهُ غِنَـىً
وَأَحْـزانُـهُ نُعْمَى وآهـاتُـهُ شِعْـرُ
أُنَـزِّهُ آلامـي عَـنِ الـدَمْـعِ والأَسـى
فَتُؤْنِسُـهـا مِنِّـي الطَـلاقَـةُ والبِشْـرُ
وأَضْـحَـكُ سُخْـراً بالـطُغَـاةِ وَرَحْمَـةً
وَفـي كَبِـدِي جُرْحٌ وفـي أَضْـلُعِـي جَمْرُ
كِفَـاءُ لِعَسْفِ الدَهْـرِ أَنِّـيَ مُؤْمِـنٌ
وَعَـدْلٌ لِطُغْيـانِ الـوَرى أَنَّني حُـرُّ
وَمـا ضَرَّنِـي أَسْرٌ وَنَفْسِـي طَلِيقَـةٌ
مُجَنَّحَـةٌ مـا كَفَّ مِـنْ شَأْوِهـا أَسْـرُ

أُهَدْهِـدُ مِـنْ أَحْـزانِهـا كُلَّمـا وَنَتْ
وَيُسْـلِـسُ بَعْـدَ المَرْيِ لِلْحَـالِـبِ الدَرُّ
أُطِـلُّ عَلـى الـدُنْيـا عَزِيـزاً : أَضَمَّنِـي
إِلَيْهِ ظَـلامُ السِـجْـنِ أَمْ ضَمَّنِـي القَصْـرُ

ومـا حَاجَتِـي للنُـورِ والنُـورُ كامِـنٌ
بِنَفْسِـيَ لا ظِـلٌّ عَلَيْـهِ ولا سِتْـرُ
وَمـا حَاجَتِـي للأُفْـقِ ضَحْيَـانَ مُشرِقـاً
وَنَفْسِـي الضُـحَـى والأُفْـقُ والشَـمْسُ والبَدْرُ

وَمـا حَاجَتِـي للـكائِنـاتِ بِأَسْـرِهَـا
وَفِـيْ نَفْسِـيَ الـدُنْيَـا وَفِـيْ نَفْسِـيَ الدَهْـرُ
يُرِيدُونَ أَسْـرارِي وللَّيْـلِ سِـرُّهُ
إِذَا نَقَّبُـوا عَنْـهُ ومـا لِلضُّـحـى سِـرُّ

لَعَمْـرُكَ للضَـعْـفِ الخَفَـاءُ وَكَيْـدُهُ
وللْقُـوَّةِ الـكُبْـرى الصرَاحَـةُ والجَهْـرُ
وَمـا أَكْبَـرَتْ نفسـي سِـوى الحَـقِّ قُـوَّةً
وَإِنْ كـانَ فـي الـدُنْيـا لَهـا النَهْـيُ والأَمْرُ

وَكُنْـتُ إِذَا الـطَـاغِـي رَمـانِـي رَمَيْتُـهُ
فـلا نُصْرَتِـي هَمْـسٌ ولا غَضَـبِـي سِـرُّ
وَأَحْمِـلُ عَـنْ إِخْـوانِـيَ العُسْرَ هانِئـاً
وَيُبْعِـدُنِـي عَنْهُـمْ إِذَا أَيْسَرُوا اليُسْـرُ

فَلَيْتَ الذي عاطَيْتُهُ الوُدّ صافِياً
تَجاوَزَني مِنْ كَأْسِهِ الآجِنُ المُرُّ
وأَشْقَى إذَا أَعْرَضْتُ عَمَّنْ أُحِبُّهُ
وَلكنْ دَواءُ الكِبْرِ عِنْدي هُوَ الكِبْرُ
ونَفْسِي لَوَ انَّ الجَمْرَ مَسَّ إبَاءَهَا
على بِشْرِهَا الرَيَّانِ لاحْتَرَقَ الجَمْرُ
(١) ويا خيبة الطاغي يُدِلُّ بِنَصْرِهِ
وَمِنْ سَيْفِهِ لاَ رُوحِهِ انْبَثَقَ النَصْرُ
يُغَالِي بِدُنْياهُ ويَجْلُو فُتونَهَا
وَدُنْياهُ في عَيْنَيَّ مُوحِشَةٌ قَفْرُ
رَأَيْتُ بِزُهْدِي ما رَأَى بِغُرورِهِ
فَأَعْوامُهُ ساعٌ وآمادُهُ فِتْرُ
شَكَا حُبَّهُ لِي وَهْوَ رَيَّانُ مِنْ دَمِي
وأَنْيابُهُ حُمْرٌ وأَظْفَارُهُ حُمْرُ
وصَانَعَ يَسْتَجْدِي الوَلاءَ فيالَهُ
غِنىً مَلَكَ الدُنْيَا ومَعْدِنُهُ الفَقْرُ

* * *

تَلَفَّتُّ لا شَمْلِي جَمِيعٌ ولا الهَوى
قَرِيبٌ ولا فَرْعُ الصِبَى عَبِقٌ نَضْرُ

---

(١) يشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى انتصار الحلفاء في الحرب الاخيرة

وَيا سَامِـرَ الأَحْبَـابِ مالَك مُوحِشَـاً
مَعَـاذَ الهَـوى بَلْ أَنْتَ يُـؤْنِسُـكَ الذِكْـرُا
أديمُـكَ مِـنْ حَـبِّ القُـلـوبِ تَـمَـزَّقَـتْ
عَلَيْـهِ فَسـالَ الحُـبُّ والشَـوْقُ والطُهْـرُ
إِذَا ظَمِئَـتْ فـي قَطْعِهـا البِيـدَ نَسْمَـةٌ
أَلَـمَّـتْ بِهِ وَهْنـاً فَرَنَّحَهـا السُكْـر

فَيـا للصَّـبـا العَجْلَى إِذَا عَبَـرَتْ بِهِ
تَـأَنَّـتْ كَما يَرْتَـاحُ في الوَاحَـةِ السَّـفْرُ
تَمَنَّيْـتُ إِجْـلالاً لَـهُ وكَرامَةً
لَـو انَّ حَصـاهُ أَنْجُـمُ الفَلَكِ الزُهْرُ
وَأَجْـزَعُ إِنْ مَرَّتْ بِهِ الـرِيحُ زَعْزَعَاً
وأَسْرَفَ حَـتَّـى جَـاوَزَ الغَـايَةَ القَطْـرُ

فَلَيْـتَ الـرَبِيـعَ الـطَلْـقَ عَاطَـاهُ كَأْسَـهُ
مَـدَى الـدَهْـرِ لا بَـرْدٌ عَلَيْـهِ وَلا حَرُّ
لَقَـدْ سَاءَنِـي غَـادٍ عَلَيْـهِ وَرائِـحٌ
فَمِـنْ كَبِـدِي فَوْق الثَـرى قِطَـعٌ حُمْرُ

وَلَـوْ قَدَرَتْ صَانَتْـهُ عَيني كَـرامَـةً
كَما صِيـنَ فـي أَغْلـى خَزائِنِـهِ الـدُرُّ
تَطُـوفُ بِك الأَحْـلامُ سَكْـرى كَعَهْـدِهَـا
وَيَنْـطِـفُ مِـنْ أَفْيـائِـكَ الحُـبُّ والعِطْـرُ

وَيَضْحَكُ لي وَجْهُ نَدِيٌّ مُنَوَّرُ
كأنْ لَمْ يُغَيِّبْ مِنْ طَلاقَتِهِ القَبْرُ[1]
وَحَتَّى كَأنْ لَمْ يَطْوِهِ عَنِّيَ الرَدَى
فَهَلْ بُعِثَ الأَمْواتُ أَمْ رَدَّهُ السِحْرُ
تُلِمُّ بِهِ الذِكرى فَيَحْيَا كَبارِقٍ
طَواهُ الدُجَى عَنِّي لَيُطْلِعَهُ الفَجْرُ
وَيَبْعَثُهُ حُبِّي وفي كُلِّ خافِقٍ
صَحِيحِ الهَوى بَعْثُ الأَحِبَّةِ والنَشْرُ
فَيَا قَلْبُ فِيكَ الرَاحِلُونَ وإِنْ نَأَوْا
وَفِيكَ النَدامَى والرَيَاحِينُ والخَمْرُ
خَلَعْتَ على المَوتَى الحَياةَ وسِرَّها
وَطَالَعَهُمْ مِنْكَ القِيامَةُ والحَشْرُ
وَفاءٌ يَصُونُ الراحِلِينَ مِنَ الرَدى
إِذَا رَاحَ يُدْنِي مِنْ مَنايَاهُمُ الغَدْرُ
ويا سَامِرَ الأَحْبابِ طَيْفٌ ولا كَرىً
وَسُكْرٌ ولا راحٌ وَرَيَّا ولا زَهْرُ
كِلانا على ما كَلَّفَ النَفْسَ مِنْ رِضًى
أَضَرَّ بِهِ نَأْيُ الأَحِبَّةِ والهَجْرُ

***

أَبا طَارِقٍ[1] هَذِي سَرايَاكَ أَقْبَلَتْ
يَرِفُّ على أَعْلامِها العِزُّ والنَصْرُ

---

(١) المغفور له ابراهيم هنانو

لَقَدْ قُدْتَهـا حَيّاً ومَيْتـاً فَما ثَنَـى
شكيمتهـا عُنْـفٌ ولا هَـدَّهَـا ذُعْـرُ
فَمُـرْ تَسْـمَعِ الـدُّنْيـا هَـواكَ وَيَنْطَلِقْ
إلى الفَتـحِ بَعْـدَ الفَتْـحِ عَسْـكَرُكَ المَجْرُ
وَمُـرْ يَتَمَـزقْ كُـلُّ قَيْـدٍ أَبَيْتَـهُ
وَيُسْـرِفْ على طُغْيَـانِـهِ الحَطْـمُ والـكَسْـرُ
تبـرأْتَ (١) في دُنْيـاكَ مِنْ كُلِّ نَاكِثٍ
ذَلِيـلٍ فـلا عُرْفٌ لَدَيْـهِ ولا نُكْـرُ
وَمِـنْ زاهِـدٍ لَمَّا رأى الصَّيْـدَ مُكْثِبـاً (٢)
تَمَـزَّقَ عَنْـهُ الـزُّهْـدُ وافْتَضَـحَ المَكْـرُ
وَمِمَّـنْ يَظُـنُّ الفَقْـرَ عُـذْراً لِكُفْـرِهِ
وَمـا أَقْنَـعَ الإيمَـانَ إلاَّ الـرَدى عُذْرُ
يُـدِلُّ بِمـاضِيهِ فَهَـلْ رَاحَ شَافِعَـاً
بِـذِي رِدَّةٍ نُسْـكٌ تَقَـدَّمَ أَوْبِـرُّ
عِصـابَـةُ شَـرٍ راحَ يَبْـرَأُ مِنْهُـمُ
إلى اللَّـهِ إبْقـاءً عَلى نفسـهِ الشَـرُّ
رُوَيْـدَكَ شَـرُّ الْـكـافِـريـنَ مُـوحِّـدٌ
أَلَـحَّ عَلَيْـهِ بَعْـدَ إيمـانِـهِ الكُفْـرُ
عَبـادِيـدُ شَتَّـى أَلَّـفَ الـوِزْرُ بَيْنَهُـمْ
فَـلا رَحِـمٌ إلاَّ الضَـراعَـةُ والـوِزْرُ

(١) يريد الشاعر بهذا البيت وما بعده الحكومات التي كانت تفرضها الحكومة الفرنسية ايام انتدابها
(٢) دانيا منه .

وَبَيْـنَ اللِئـام العـاثِـريـنَ وإنْ نَأَتْ
مَنـاسِـبُهُـمْ قُـرْبَـى السَـجِيَّـةِ والصِهْـرُ

* * *

تَمَنَّيْتُ أنَّ الغَيْبَ شَفَّ فَلَـمْ يَعُقْ
عَـنِ المَلإِ الأَعْلـى حِجـابٌ ولا سِتْرُ
وَلُحْـتَ لَنَـا في عالَـمِ الحَـقِّ والتُقَـى
عَلـى المَـوْعِـدِ الهـانِـي المُقِيمُـونَ والسَفْـرُ
فَقَـرَّتْ بِمـا تَلْقَـاهُ عَيْنـاكَ وانْطَوَتْ
على النَشْـوَةِ الكُـبْـرى الجَـوانِـحُ والصَدْرُ
أَتَعْـلَـمُ أنَّ الشـامَ فَكَّـتْ إسـارَهَـا
فَـلا قَيْدَ بَعْـدَ اليَوْمِ فيهـا ولا أَسْرُ
يُصَـرِّفُ أَمْـرَ النَـاسِ فِيـهـا مُـوَفَّقَـاً
مُعَـاوِيَـةُ الـدُنْيَـا وصَـاحِبُـهُ عَمْـرُو
وَأَنَّ رِيَـاضَـاً[1] هَـزَّ لُبْنَـانَ فَانْتَخَـتْ
شَمَـائِـلُ فِـي لُبْنَـانَ مَيْمُـونَـةٌ غُـرُّ
رَمـى كُـلَّ بُـرْدٍ أَجْنَبِـيٍّ مُـزَوَّرٍ
وَعَـادَتْ لِقَحْـطَـانَ المَنَـاسِـبُ والنَجْـرُ[2]
وَلَّـا شَكَـى لُبْنَـانُ ضَجَّـتْ أُمَـيَّـةٌ
وَجُنَّـتْ لَـهُ بَغْـدادُ والْتَهَبَـتْ مِصْـرُ

(١) رياض الصلح .
(٢) النجر : الحسب .

أَنَـا طَـارِقٍ أَبْقَيْـتَ لِلْحَـقِّ سُنَّـــــةً
هِـيَ العِـزَّةُ القَعْسَـاءُ والفَتْـكَـةُ البِكْـــرُ
بَنَيْـتَ عَلَيْهَـا كُتْلَـةً وَطَنِيَّـــــةً
مِـنَ الصِيـدِ مـا خَـانُـوا هَـواكَ ولاَ فَـــرُّوا
لَقَـدْ حَمَلُـوا عَنْـكَ الجِهَـــادَ ومـا وَنَـــى
وَحَقِّـكَ نَـابٌ للخُـطُـــوبِ وَلاَ ظُفْـــرُ
فَإِنْ أَقْسَـمُـوا أَنْ يَفْتَـدُوا بِنُفُـوسِهِـمْ
أَمَـانَتَـكَ الـكُبْـرَى لَدَيْـهِـمْ فَقَد بَـــرُّوا
نَمَـاكَ وَسَيْـفَ الـدَوْلَـةِ الـدارُ والهَـــوى
وَغَنَّـاكُـمـا أَنْـدَى مَـلاَحِـمـهِ الشِعْـــــرُ
وأُقْسِـمُ بالبَيْـتِ المُحَـرَّمِ مـا احْتَمَـــتْ
بِـأَمْنَـعَ مِـنْ كَفَّيْكُمَـا البِيـضُ والسُمْـــرُ
فَإِنْ تَفْخَـــرِ الشَهْبَـــاءُ فالكَـوْنُ مُنْصِـــتٌ
وَحَـقَّ بِسَيْفَـيْ دَوْلَتَيْهَـا لهـا الفخْـرُ

* * *

أَحِبَّـايَ لَـوْ غَيْـرُ الـرَدَى حَـالَ بَيْنَنَـــا
دَنَـا البَـرُّ فـي عَيْنَـيَّ وانْـكَشَـفَ البَحْـرُ
بِأَسْماعِـكُـمْ وَقْـرٌ وَقَـدْ رُحْـتُ شَـاكِيَـاً
وَحَـاشَـا فَفِـي سَمْـعِ الثَـرى وَحْـدَهُ الوَقْـرُ
وَأَوْحَشْـتُـمُ الـدُنْيَـا كَأَن لَـمْ تَدُسْ بِكُـمْ
عَلَـى الهَـامِ فِـي الـرَوْعِ المُحَجَّلَـةُ الشُقْـرُ

وَحَتَّى كَأَنَّ الرَمْلَ لَمْ يُرْوِهِ دَمٌ
كَرِيمُ المُصَفَّى لاَ أُجَاجٌ وَلاَ نَزِرُ
فَوارَحْمَتَا لِلنَّائِمِينَ عَلَى الطَوَى
وَأُتخِمَ مِنْ قَتْلاهُمُ الذِئْبُ والنَسْرُ
تَهُدُّهُمُ الصَحْراءُ هَدّاً وللرَّدَى
سِلاحَانِ فِي البِيدِ : الهَواجِرُ والقَرُّ
وَلاَ مَاءَ إلاَّ ما يُزَوِّرُهُ بِهَا
سَرابٌ نَدِيُّ اللَّمْحِ مُنْبَسِطُ غَمْرُ
إذَا سَقَطُوا صَرْعَى الجِراحِ تَحَامَلُوا
عَلَى نَفْسِهِمْ واسْتُؤْنِفَ الكَرُّ والفَرُّ
وَلَوْ آثَرُوا الدُنْيَا لَقَدْ كَانَ جَاهُهَا
تَلِيداً لَدَيْهِمْ والقَسَامَةُ والوَفْرُ

* * *

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الشَبَابَ قصيدةً
يُحَلَّى بِهَا مُلْكٌ ويُحْمَى بِهَا ثَغْرُ
تُطَوِّفُ فِي الدُنْيَا الوَسَاعِ كَأَنَّمَا
هِيَ الخِضْرُ أَوْ يَرْوِي شَوارِدَهَا الخِضْرُ
هَزَزْتُ بِهَا نُوَّامَهُمْ مُتَرَفِّقَا
وَيُؤْذِي الشَبَابَ المُرْتَجَى اللَّوْمُ والزَجْرُ
إذَا كُنْتُ فِي نُصْحِي لَهُمْ غَيْرَ مُوجِعٍ
فَلِي بالذِي يُرْضِي شَمَائِلَهُمْ خُبْرُ

وَعِنْـدِيَ مِـنْ زَهْـوِ الشَّـبَـابِ بَقِـيَّـةٌ
يَـرِفُّ الصِـبَـا فِيهَـا وأَفْيَاؤُهُ الخُضْـرُ
أَلَمَّتْ بِيَ الأَيَّـامُ حُمْـراً نُيوبُهَـا
فَمَـا شَـابَ لِـي قَلْـبٌ وَلاَ شَـابَ لِي شَعْـرُ
دُرُوبُ العُلَـى للسَالِـكِيـنَ عَديـدَةٌ
وأَقْـرَبُهَـا لِلْغَـايَـةِ المُـوحِـشُ الـوَعْـرُ
فَـلا تَقْنَـطُـوا مِـنْ غَايَـةِ المَجْـدِ لاَ يَـرَى
لَهَـا العَقْـلُ إِمْكَانَـاً فَقَدْ يَنْبُعُ الصَخْـرُ

* * *

أُعِيـذُ مِـنَ اليَأْسِ المَـرِيرِ نُفُـوسَكُـمْ
تَـلاقَى عَلَـى إِعْنَـاتِهَـا الـظُّلْمُ والقَـهْـرُ
إِذَا رَكَـدَتْ بَعْـدَ الهُـبـوبِ فَإِنَّهَـا
لَـكالْبَحْـرِ مِـنْ أَخْـلاقِـهِ المَـدُّ والجَـزْرُ
أَرَى العَفْـوَ والنِسْيَـانَ مِـنْ خُـلُقِ الصِبَـا
وَلَـمْ يُنْـسَ عِنْـدَ الشَّيْـبِ حِقْـدٌ وَلاَ ثَـأْرُ
وَمَـا أَكْـرَمَ النِسْيَـانَ والعَفْـوَ مِنْكُـمُ
إِذا لَـمْ يَضِـعْ حَـقٌ وَلَـمْ يُحْتَسَـبْ وِتْـرُ
وَأَنْتُـمْ عَـلى دَلِّ الشَـبَـابِ وَزَهْـوِهِ
وأَهْـوائِـهِ رُكْـنُ القَضِيَّـةِ والذُخْـرُ

وفاء القبور

الى ابنتي (جُهَيْنة) الوَرْدَةِ النَقِيَّةِ الندية التي استأثَرَ بِها اللهُ في ربيعِ صِباها فهي بين يَدَيْه في جَنَّةِ الخُلود عُطـورٌ ـ ونَغَمٌ ـ وَجَمال .

إنِّـي أُكَـرِّمُ شِعْـرِي فـي مَتـارِفِـهِ
كَمَـا تُكَـرَّمُ عِنْـدَ المُؤْمِـنِ السُـوَرُ
هَـدِيَّـةُ اللـهِ فِيهـا عِطْـرُ جَنَّتِـهِ
والخَمْـرُ واللَّعَـسُ النَشْـوانُ والحَـوَرُ
وَقَـدْ أَحِـنُّ الـى حُسْـنٍ يُـدَلِّلُنِـي
كمـا يَحِـنُّ الـى أَنْـدائِـهِ الزَهَـرُ
وَبُلْبُـلُ الـدَوْحِ تُـرْضِيـهِ بِـأَيْكَتِـهِ
نُعْمَـى الجَمـالِ ويُـرْضِـي غَيْـرَهُ الثَمَـرُ
أُرِيـدُ حُبّـاً كَنـارِ الحَـقِّ مُلْتَهِبـاً
كَمُـزْبِـدِ المَـوْجِ مِـنْ شَمَّـاءَ يَنْحَـدِرُ
نَـزْرُ الهَـوى لَيْسَ يُرْضِـي جَائِعـاً شرِهاً
إلى الصَـبـابَـةِ لا يُبْقِـي وَلا يَـذَرُ
والعَبْـقَـرِيُّ وإنْ جَـلَّـتْ مَـواهِبُـهُ
طِفْـلُ السَّـرِيـرَةِ لا حِقْـدٌ ولا حَذَرُ
طِفْـلٌ فـإنْ نَـالَ ضَيْـمٌ مِـنْ كَـرامَتِـهِ
مـا البَحْـرُ يَـزْأَرُ. ما البُـرْكَانُ يِنْفَجِـرُ
ذُنُـوبُـهُ خَفِـراتٌ مِـنْ بَـراءَتِـهِ
أَحْلـى الغَـوايَـةِ ما يَنْـدَى بِـهِ الخَفَـرُ

ومـا تَمَنَّـى خَيـالـي أَنَّنِـي مَلَـكٌ
فَـوْقَ المَـلائِـكِ زَهْـواً أَنَّنِـي بَشَـرُ
أُقِيـمُ مـا شِئْـتُ فـي عَدْنٍ وَأَتْـرُكُهـا
وَأَخْلَـعُ الجِسْـمَ أَحْيـانـاً وأَتَّـزِرُ
أُطِـلُّ والشِـعْـرَ مِـنْ عَصْـمَـاءَ باذِخَـةٍ
وَفـي السُـفـوحِ غُـرورُ الحُـكْـمِ والبَطَـرُ
نَحْـنُ النسُـورُ وَمِـنْ نُعْمَى جَوانِحِنـا
أَنَّـا رأَيْنَـا صِغـاراً كُـلَّ مَـنْ كَـبُرُوا
وَرُبَّ هَجْـرٍ سَـواءٌ فـي مَواجِعِـهِ
أَكْبـادُ مَنْ هُجِـرُوا ظُلْمـاً وَمَـنْ هَجَـرُوا

* * *

أَدْعُـو قُبـورَ أَحِبَّـائـي لِتَسْمَعَنِـي
وَهَـلْ تُجِيـبُ دُعـاءَ الشَـاكِـلِ الحُفَـرُ
قَبْـرٌ بِضـاحِيَـةِ الشَـهْبـاءِ[1] طـافَ بِهِ
فَلَمْلَـمَ الـطِيـبَ مِنْ حَصْـبـائِـهِ السَحَـرُ
واسْتُـودِعَـتْ حِمْصُ[2] قَبْـراً لَوْ مَرَرْتُ بِهِ
لَهَـشَّ لِـي مِنْـهُ حُـبٌ مُتْـرَفٌ عَطِـرُ
وَلِـي قُبـورٌ عَلـى الفَيْحـاءِ[3] غـافِيَـةٌ
زُوَّارُهَـا الـطَيْـرُ والأَشْـواق والقَمَـرُ

---

١) سعد الله الجابري في حلب .
٢) مظهر رسلان من اقطاب الوطنية .
٣) نجيب الريس وعادل العظمة .

ظَمْأى وَيَنْدَى ثَراهَا لَوْعَةً وَهَوىً
إذَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ غُرْبَتِي خَبَرُ
تِلْكَ المَصارِعُ رَدَّ المَوْتُ نَجْدَتَها
عَنِّي فَكادَ الأَدِيمُ السَمْحُ يَعْتَذِرُ
طَاحَ الزَمانُ بِإِخْواني وَأَوْرَدَهُمْ
عَلى الحُتُوفِ فلا عَيْنٌ ولا أَثَرُ
أَصْبَحْتُ بَعْدَهُمُ حَيْرانَ مُنْفَرِداً
والرِيحُ مُعْوِلَةٌ واللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
أَحْنُو على كُلِّ قَبْرٍ مِنْ قُبورِهِمُ
أَبْكِيهِ .. حَتَّى بَكَى مِنْ لَوْعَتِي الحَجَرُ
قد عَقَّنِي الصَحْبُ حَتَّى لا أَضِيقُ بِهِ
إنْ عَقَّنِي الأَقْربانِ السَمْعُ والبَصَرُ
أُلَوِّنُ الخَطْبَ أَضْواءً وَغالِيَةً
وأُبْدِعُ الفَقْرَ عِزّاً حِينَ أَفْتَقِرُ
وَما وفى لِيَ مِمَّنْ كُنْتُ أُوثِرُهُمْ
إلاَّ القُبورُ والا الأَيْكُ والنَهَرُ

* * *

استنبول في ١٢ نيسان ١٩٥٨

خلع الحياة على البلى

في رثاء احمد شوقي

لا الأمْسُ يَسْلُبُـكَ الخُلـودَ ولا الغَـدُ
هَيْهـاتَ أَنْـتَ على الـزَمـانِ مُخَـلَّـدُ
تَتَجـدَّدُ الـدنيـا وَقَلْبُـكَ وَحْـدَهُ
دُنيـا تُعِيـدُ شَبَـابَـهـا وتُجَـدِّدُ
لَـكَ مِـنْ خَيـالِكَ عـالَـمٌ مُتَنـاسِقٌ
بَهَـجٌ تُعـاوِدُ خَلْقَـهُ وتُجَـوِّدُ
أَمَّـا البَسيـطَـةُ فَهْـيَ فِيهِ خَمِيـلَةٌ
وَلِـعَ الـربيعُ بِهـا ورُحْـتَ تُغَـرِّدُ
وَسَـكَبْـتَ في الانْغَـامِ قَلْبَـكَ دَمْعَـةً
لا كالـدُمـوعِ وَرَحْمَـةً تَتَنَهَّـدُ
خَلَـعَ الحَيـاةَ على البِلى فكـأَنَّـهُ
لِلْبعْـثِ مِـنْ قَبْـلِ الأَوَانِ يُمَـهِّدُ
قَيْـسٌ ولَيْلَـى بَعْـدَ طُولِ كَـراهُمـا
ثَغْـرٌ يَـرِفُّ ووجْنَـةٌ تَتَـوَرَّدُ
بُعِثَـا كَعَهْـدِهِمَـا القَـديم فَمَـنْ رَأَى
تِلْـكَ العُيـونَ يَـرِفُّ فيهـا الإِثْمِـدُ
فِـي كُـلِّ قَـافيـةٍ حَيـاةٌ تُجْتَلَـى
ومُنَـىً تَضـوعُ وزفْـرَةٌ تَتَـرَدَّدُ

صُـوَرُ الجَـزَيـرةِ ما جَلَـوْتَ مِنَ العُلى
والحُسْـنِ لا مـا أَوَّلَتْـهُ الحُسَّـدُ
الحُـبُّ والخِيَـمُ المُنيفَـةُ والقِـرى
ولُبـانـةُ عنـد الغـديـرِ ومَوْعِـدُ
وَسَـكِينَـةُ الصَـحْـراءِ الا هـازِجـاً
مَـرِحـاً يُعِيـدُ حُـداءَهُ ويُـرَدِّدُ

* * *

يـا شـاعِـرَ الـدنيـا لَقَـدْ أَسْكَـرْتَهـا
مـاذا تُغَنِّيـهـا ومـاذا تُنْشِـدُ
خَفَّـتْ بِزينَتِـهـا إِلَيْـكَ مَشُـوقَـةً
سَـكـرى تَعُـبُّ كـؤوسَـهـا وتُـعَرْبِـدُ
وَجَلَـتْ على الشُـعـراء قَبْلَكَ حُسْـنَهـا
لَـكِـنْ أَرَاكَ شَهِـدْتَ ما لم يَشْهَـدُوا
الـزاهِـديـنَ بِهـا ولـو كَشَـفَـتْ لَهُـمْ
سِـرَّ الحيـاةِ المُجْتلـى لَـمْ يَـزْهَـدُوا
نَظَـروا الى خَيْـرِ الـوُجـودِ وحُسْنِهِ
شَـزْرا كمـا نَظَـرَ الضِيـاءَ الأَرْمَـدُ
أَطْـرَيْـتَ فِتْنَتَهـا فَـدَعْ فـي غَيِّـهِ
مَـنْ راحَ يَعْـذِلُ حُسْنَـهـا ويُفَنِّـدُ
العَبْقَـرِيَّـةُ شُعْلَـةٌ مـن نـارِهَـا
حَمْـراءُ نـاضِـرَةُ الَّلـظـى تَتَوقَّـدُ

والشِّعْرُ والنَغَمُ الشَجِيُّ وَرَحْمَةٌ
تَسَعُ الوُجودَ ونَقْمَةٌ تَتَوعَّدُ

***

يا فِتْنَةَ الدنيا يَذُمُّكِ مَعْشَرٌ
والحَقُّ كُلُّ الحَقِّ في أَنْ يَحْمَدُوا
أَهْلِبْ نُبوغَكَ في الحَياةِ وحُبِّها
وانا الضَمينُ بأَنَّهُ لا يَخْمَدُ
الكَنْزُ بين يَدَيْكَ فانْثُرْ دُرَّهُ
إنّي أراهُ يزيدُ حين يُبَدَّدُ
ظَلَمَ الجَمالَ أبا عَلِيٍّ مَنْ رَأَى
أَنَّ الجَمالَ غَوايَةٌ تَتَوَدَّدُ
وَسَمَوْتَ في صُوَرِ النَعيمِ تَعُدُّهَا
مِنْ نِعْمَةِ اللهِ التي لا تُجْحَدُ
الحَقُّ والإبداعُ مِنْ نَفَحاتِهَا
والخَيرُ مِنْ أَسْمائِها والسُؤْدَدُ
حُبُّ الجَمالِ عِبادةٌ مقبولَةٌ
واللهُ يُلْمَحُ في الجمالِ ويُعْبَدُ

* * *

يا شاعِرَ الدُنيا نَدِيُّكَ حافِلٌ
والجَمْعُ مُصْغٍ والمَواكِبُ حُشَّدُ

يَتَنَـظَّـرُونَ السِحْـرَ مِنْ جَبَّـارِهِ
هَيْهَـاتَ دُونَ السِحْـرِ بابٌ مُـوصَـدُ
يُشْـكَـى إِلَيْـكَ وأَنْـتَ رَهْـنُ مَنِيَّـةٍ
وتُـزارُ فـي عَنَـتِ الخُـطُـوبِ وتُقْصَـدُ
وَلَقَـدْ يُـرَجَّـى السَيْـفُ وهـو مُثَلَّمٌ
ولَقَـدْ يُـهَـابُ الليـثُ وَهْـوَ مُصَـفَّـدُ
فاذْهَـبْ كما ذَهَـبَ الـربيعُ على الرُبى
مِنْـهُ يـدٌ وعلى القلـوبِ لَهُ يَدُ
وَلَـكَ الإمـارَةُ فـي البيـانِ يُقـرُّهَا
أَمْـسُ الـزَمَـانِ ولا يَضِيقُ بِهـا الغَدُ

* * *

دمعة على الشاعر عبد الحميد الرافعي

لا تُعِيـــدِي أَلْحَـانَـــهُ لا تُعِيـــدِي
جَـلَّ ذَاكَ الهَـــوى عَـــنِ التَقْلِيـــدِ
نـعِـمَ البُلْبُـلُ الاسِيـرُ فَقَـدْ عَـــادَ
إِلـــى أُفْقِـــهِ الفَسِيـحِ المَـدِيـــدِ
شَـاعِـرٌ لاَ يَحُـدُّهُ الـكَـوْنُ مَـــلَّتْ
نَفْسُـــهُ ضِيـقَ عَـالَـمٍ مَحْـــــدُودِ
وَرَأَتْ جِسْـمَـهُ علـى كَـرَمِ العُنْصُـــرِ
سَـجَّـــانَ كَنْـزِهَـا المَـرْصُـودِ
فَهْـيَ تَقْسُـو عَلَيْـهِ ، تُمْعِـنُ فِـي الهَـدْمِ
وَتَـأْسَـــى لِرُكْنِـــهِ المَهْـــدُودِ
فإِذَا هَـدَّهَـا الصِـراعُ اطْمَأَنَّـــتْ
وَنَجَـــتْ فـــي خَيَـالِهَـــا المَصْفُـــودِ
لَـمْ يَكُـنْ مَـوْتُـهُ فِـراقًـا وَلَكِـــنْ
هَـذِهِ أَوْبَـــةُ الخَيَـــالِ البَعِيـــدِ
عَـادَ للفَـنِّ ذَلِـكَ النَغَـمُ العَـذْبُ
وآبَـتْ حَنَّـانَـةُ التَغْرِيـــــدِ
وانْـطَـوَى فِـي شَـذَى الـرَبِيعِ وَقَـــدْ
ضَـمَّ فُـنُـونَ العَبِيـرِ عِطْـرُ الـــوُرودِ

قُـوَّةٌ مِـنْ هَـوىً وَسِـحْـرٍ رَمَتْهَـا
رَبَّـةُ الشِـعْـرِ فـي يَـدَيْ (كُوبيـدِ)
كُلَّمـا آذَنَ الفَنَـاءُ تَنَـادَتْ
بِـوُجُـودٍ يُطِـلُّ خَلْـفَ وُجُـودِ
مُلْهَـمَ الشِـعْـرِ مِـنْ هَـوى كُـلِّ نَفْـسٍ
وَلُبـانـاتِ كُـلِّ قَلْـبٍ عَمِيـدِ :
يَتِمَـتْ بَعْـدَكَ القَـوافي وَضَجَّـتْ
بَـاكِيـاتٍ بِيَـوْمِـكَ المَشْهُـودِ
بَعْـضَ نَجْـواكَ لِلْمَشِيـبِ وإِنْ
نَـزَّهْـتَ نَجْـواكَ عـنْ أَذىً وَحُقُـودِ
يَجْمَـعُ الـدَهْـرُ مِنْ غَـدائِـرَ بِيـضٍ
حِـينَ يَسْـطُـو وَمِـنْ غـدائـرَ سُـودِ
وَلَعَـلَّ الـرَدَى أَحَـنُّ عَلـى الشِعْـرِ
وأَحْنَـى عَـلى الصرِيـعِ الشَهِيـدِ

* * *

رُزِيءَ الشِـعْـرُ فَيـكَ عَبْـدَ الحَمِيـدِ
عَبْقَـرِيَّ القَـدِيـمِ عَـذْبَ الجَدِيـدِ
غَـزَلٌ يُسْـكِـرُ النُفـوسَ ويُـدْنِـي
مـا نـأَى مِـنْ خَيَـالِهـا المَنْشُـودِ
وَأَغَـانٍ تُعِيـدُ حُـبّـاً وَعِطْـراً
مـا رَوَتْـهُ العُصُـورُ عَـنْ دَاوُودِ

فَتَرَشَّفْ مِنْهُنَّ خَمْرَ ثُغُورٍ
وَتَنَشَّقْ فِيهِنَّ عِطْرَ خُدُودِ
مِنْ قَوافٍ كَأَنَّهَا بَسَمَاتٌ
حَالِيَاتٌ عَلَى شِفَاهِ الغِيدِ
قُيِّدَتْ بالرَوِيِّ بَعْدَ انْطِلاقٍ
نَزَواتُ الحَنِينِ والتَغْرِيدِ
كُلَّما رَدَّدَ المُغَنُّونَ رَقَّتْ
وَهَفَا السامِعُونَ للتَرْدِيدِ
وَأَطَلَّتْ مِنْها فُتُونُ ثُغُورٍ
وَلُبانَاتُ أَعْيُنٍ ونُهُودِ
وَجِراحَاتُ كُلِّ قَلْبٍ ظَمِيءٍ
وابْتِسامَاتُ كُلِّ ثَغْرٍ بَرُودِ
والمُنَى العَارِياتُ أَلْهَبَها
الشَوْقُ فَجُنَّتْ وَلَوَّحَتْ بالبُرُودِ
وَحَنَتْ تَنْشُدُ الخُلودَ لِيَغْفُو
بَيْنَ أَحْضَانِها إِلَهُ الخُلُودِ
عُمَرٌ في القَصِيدِ مِنْ آلِ نُعْمٍ
وَسُلَيْمَانُ قَبْلَهُ في النَشِيدِ
والمُحِبُّونَ بَسْمَةٌ عِنْدَ ثَغْرٍ
يَتَمَلَّى وَمِعْصَمٌ عِنْدَ جِيدِ
طَالَ عَهْدِي بالشِّعْرِ إِلاَّ لَمَاماً
زَوْرَةَ الطَيْفِ بَعْدَ طُولِ الصُدُودِ

وأَنَـا شـاعِـرُ الشـبـابِ وَعِنْـدِي
مـا يَشـاؤُونَ مِـنْ مُنَـىً وَقَصِيـدِ
لَـمْ أَخُـنْ عَهْـدَهُـمْ فَحُبِّـي عَلـى مَـا
أَلِفُـوهُ وَذِمَّتِـي وعُـهُـودِي
والمَيامِيـنُ آلُ جَفْنَـةَ والتَّـاجُ
عَلَيْهِـمْ أُبُـوَّتِـي وجُـدودِي
لاَ تَغُـرَّنْكَ ضِحْـكَـةٌ مِـنْ حَزِيـنٍ
ضَحِكَـاتُ البُـروقِ سِـرُّ الرُعُـودِ

* * *

حَبَّـذا عَهْـدُنَـا علـى الغُوطَـةِ الخَضْـراءِ
والحُسْـنُ دائِـمُ التَجْدِيـدِ
ولَيَـالٍ لنَـا عَلـى الـرَبْـوةِ المِئْنَـافِ
سَـكْـرى نَعِيمِهـا المَـوعُودِ
نَتَهـادَى عَلـى عُيـونِ الأَقَـاحِـيِّ
وَنَغْفُـو عَلـى شِفَـاهِ الـوُرودِ
أُنْشِـدُ الشِـعْـرَ والشَـبـابُ سُكَـارَى
مِـنْ مُعِيـدٍ مِنْهُـمْ وَمِـنْ مُسْتَـزِيدِ
لا أُبَـالِي وَقَـدْ قَسَـوْتُ عَلـى الظَالِـمِ
عَسْـفَ الـدُجَـى وَعَـضَّ الحَدِيـدِ
وَلَئِـنْ نَـالَنِـي الشَـبـابُ بِلَـوْمٍ
فَبِنُعْمَـى الشَبَـابِ أَوْرَقَ عُـودِي

الذكرى

رثى بهذه القصيدة ابن عمه المرحوم الشيخ علي محمد كامل . وقد كان في طليعة الزعماء الوطنيين في محافظة اللاذقية .

لَهِيبٌ مِنَ الذِكرى وَحَقِّكَ لا يَخْبُو
مَتَى يَتَلاقى بَعْدَ نَأْيِهِمُ الصَحْبُ
أَحِبَّةَ قَلْبِي إِنْ بَعُدْتُمْ فَما نَأى
عَنِ القَلْبِ لا الذِكْرُ المُلِحُّ ولا الحُبُّ
عَلى طَيْفِكُمْ أَغْمَضْتُ عَيْنِيَ والْتَقى
صِياناً له في مُقْلَتِي الهُدْبُ والهُدْبُ
جَلَوْتُ القَذى عَنْها وَفاءً لِطَيْفِكُمْ
فَأَحْلامُها نُعْمى ومَدْمَعُها عَذْبُ
نَزَلْتُمْ مِنَ الذِكرى بِقَلْبِيَ مَنْزِلاً
يَرِفُّ عليه النُورُ والظِلُّ والخِصْبُ
أَراكُمْ على بُعْدِ المَزارِ فَيالَهُ
حَنِيناً تَلاقى عِنْدَهُ البُعْدُ والقُرْبُ
ويُدنيكُمُ مِنْهُ خَيالٌ مُجَنَّحٌ
هَرَاقَتْ عَلَيْهِ نُورَها الأَنْجُمُ الشُهْبُ
خَيالٌ يَجوزُ الدهرَ والكَوْنَ والمُنى
وَيَطْوي الغُيوبَ النائياتِ ولا يَكْبُو
فَيا بُعْدَها مِنْ غايَةٍ لَمْ تُرَحْ بِها
مَطِيٌّ ولا حَطَّ الرِحَالَ بِها رَكْبُ

وللَّـــهِ مـا أوْفـــىَ الخيـالَ فَبيْنَنـا
وَبَيْنَـكُـمُ مِنْـهُ الرَسـائِـلُ والكُتْـبُ
يُلِـمُّ فَيلْقَـاكُـمْ ويَشْـكُـو اليكُـمُ
مِـنَ البُعْـدِ ما نَشْكـو ويَصْبُـو كما نَصْبُـو
ونَـظْمَـأُ لَوْلا نَهْلَـةٌ مِـنْ رَحيقِـهِ
أُدِيَـرتْ فـلا السـاقِـي أفـاقَ ولا الشَـرْبُ
سُلافُ مِـنَ الـذِكْـرى أُدِيَـرتْ كُؤوسُهـا
فمـا شَـرِبَ النُـدْمـانُ لَكِنَّهُـمْ عَبُّوا
نُعِيتُـمْ فَلَـمْ يَخْلُـصْ الـى القَلْـبِ نَعْيُكُـمْ
وَلَـمْ تَتَقَبَّلْـهُ البَصِيـرَةُ واللُّـبُّ
إذَا مَـرَّ وَجْـهُ عابِـرٌ رُحْـتُ أجْتَلـي
أَسـارِيرَهُ بِشْـرٌ عَلَيْـهِـنَّ أَمْ رُعْـبُ
لَعَـلَّ الـذِي يَنْعَـاكُـمُ كَانَ كاذِبـاً
فـيا نِعْمَـةً قَـدْ كـانَ يَحْمِلُهـا الكِذْبُ
يَجُـسُّ الـطَبِيبُ النَبْـضَ حَـيرْانَ ذاهِـلاً
وَهَيْهـاتَ لا يُغْنِـي الـطَبِيبُ ولا الطِـبُّ
ويَـرْجُـو علـى اليَأسِ المَريـرِ وَإِنَّـهُ
خِـداعُ الأَمـانِـي والتَعِلَّـةُ والحُـبُّ
ولِـلأَهْـلِ أَبْصـارٌ روانٍ تَعَلَّقَـتْ
بِعَيْنَيْـهِ إيجـابٌ هُنـالِكَ اَمْ سَلْبُ
وَصَـمْـتٌ مَريـرٌ دُونَ مـا فِيـهِ مـن أَسـىً
بُـكـاءُ الثَـكالـى والتَفَجُّـعُ والنَـدْبُ

فوارَحْمَتا للنَّاهِلاتِ مِنَ الصِبَى
أَلَمْ يَتَهَيَّبْ مِنْ بَراءَتِها الخَطْبُ
غَرائِرُ مِنْ نُعْمَى الدَلالِ تَلَفَّتَتْ
فَأَعْوَزَها عَطفُ الأُبُوَّةِ والحَدْبُ

فَيا لَلصِبَى الهانِي شَجانِيَ أَنَّهُ
حَزِينٌ وَمِنْ طَبْعِ الصِبَى اللَهْوُ واللَّعْبُ
فيا رَبِّ لا راعَ الطُفولَةَ رائِعٌ
ويا ربِّ لا أَلْوى بِنَعْمائِها كَرْبُ

ويا رَبِّ للاطْيارِ والفَجْرِ والنَدَى
إذا شِئْتَ لا لِلْعاصِفِ الغُصُنُ الرَطْبُ
إذا انْهَلَّ غَرْبٌ[1] مِنْ صَغيرٍ جَرى لَهُ
مِنَ الملإِ الأَعْلى علَى صَفْوِهِ غَرْبُ

إذَا عَبَراتُ الطِفْلِ مَرَّتْ بِمُجْدِبٍ
مِنَ النَفْسِ رَوَّتْهُ فَفارَقَهُ الجَدْبُ
دُموعُ كَعَفْوِ اللهِ لَوْ مَرَّ بَرْدُها
عَلى الرَمْلَةِ الحَرَّى لَنَضَّرَها العُشْبُ

ويا رَبِّ مُرْ تُصْبِحْ نَسِيماً مُعَطَّراً
عَلى كُلِّ مَحْزُونٍ زَعازِعُها النُكْبُ
ويا رَبِّ عِنْدي مِنْ كُنوزِكَ حَفْنَةٌ
مِنَ الحُبِّ أُذْرِيها ولَكِنَّها تَرْبُو

(١) الغربُ : الدمع

تَمَنَّيْتُ لَوْ فَاضَتْ حَنَانَاً وَرَحْمَةً
مِنَ الظالِمِينَ الخُنْزُوانَةُ[1] والعُجْبُ
فَلاَ يُعْوِزُ الإنْسانَ حُبٌّ ونِعْمَةٌ
ولا يُعْوِزُ الطَيْرَ الجَداوِلُ والحَبُّ
أرى الفَرْدَ لايَبْقَى وإنْ طَالَ حُكْمُهُ
وَيَبْقَى بَقَاءَ الحَقِّ والزَمَنِ الشَعْبُ
وأَشْهَدُ أَنَّ الظُلْمَ يُرْدِي فَلَوْطَغَى
على السَفْحِ هضْبٌ شَامِخٌ زُلْزِلَ الهَضْبُ
شَكَتْ جَبَرُوتَ الكُشْبِ حَبَّاتُ رَمْلِهَا
إلى اللهِ فانْهارَتْ مع العاصِفِ الكُثْبُ

* * *

أَبا أَحْمَدٍ هَلْ يُرْفَعُ السِتْرُ مَرَّةً
عَنِ المَلإِ الأَعْلَى وتَنْكَشِفُ الحُجْبُ
وَفُزْنَا مِنَ النُورِ المَصُونِ بِلَمْحَةٍ
تَقَرُّ بِهَا عَيْنٌ ويَنْدَى بِهَا قَلْبُ
وكُشِّفَ للأُخْرى صَفَاءٌ مُغَيَّبٌ
حَبِيبٌ إلى قَلْبِي ولكِنَّهُ صَعْبُ
وَلُحْتَ لَنا في عَالَمِ الحَقِّ بِدْعَةً
مِنَ النُورِ يَخْبُو كُلُّ حُسْنٍ وَلا تَخْبُو
فَرُحْنا نُحَيِّي مَنْ نُحِبُّ تَحِيَّةً
تَنَازَعَهَا الشَوْقُ المُبَرِّحُ والعَتْبُ

(١) الخُنْزُوانة : الكبر

أَتَنْـأى فَهَـلاً وَقْفَـةٌ يَشْـتَفِي بِهـا
خَلِيـلٌ وَيقْضِـي حَـقَّ لَـوْعَتِـهِ صَـبُّ
أَتَنْـأى ومـا وَدَّعْـتَ أَهْـلاً ولاَ حِمىً
فَـأَيْنَ الحَنـانُ السَـمْـحُ والخُلُـقُ الرَحْبُ

* * *

أَبـا أَحْمَـدٍ هَـذِي المَواكِـبُ أَقْبَلَـتْ
يَضِيـقُ بِهـا شَـرْقُ المَنـازِلِ والغَـرْبُ
رَأَتْ بِشْرَكَ المَرْمُـوقَ في وَجْـهِ أَحْمَدٍ
فَلِلْعَيْـنِ مِـنْ نُعْمَـى طَلاقَتِـهِ شُـرْبُ
أَبـا أَحْمَـدٍ فـي ذِمَّـةِ اللـهِ صَارِمٌ
مِـنَ الحَـقِّ لاَ يَشْـكُو الضِرَابَ ولا يَنْبُـو
يَمـانٍ مُحَـلىً فَهْـوَ في السِلْـمِ زِينَةٌ
وَتَـكْشِفُ عُنْفَ المَوْتِ في حَـدِّهِ الحَـرْبُ
سَقَـى اللـهُ بالـذِكْرى على غَيْـرِ حَاجَةٍ
ولاَ حَادَ عَنْ أَطْيابِهـا الغَـدِقُ السَكْبُ
عُهُـوداً لنـا كالنُـورِ أَمَّـا نَعِيمُهـا
فَسَـمْـحٌ لِمَـنْ يَهْـوَى مَفـاتِنَـهُ نَهْـبُ
لَبِسْـنَ الصِبَـى بُرْداً فلا خَـزٌّ[1] فَارِسٍ
يُـدِلُّ ولا الـدِيبـاجُ والـوَشْـيُ والعَصْـبُ

(١) الخزّ : الحرير

عُهــودُ نَجِيبــاتُ الأَصـائِـلِ والضُحَــى
وَإِنْ قَلَّ في الإِنْســانِ والزَمَــنِ النُجْبُ

* * *

ولِـلَّــهِ مـا أَحْلَـى مَرابِـعَ لَهْوِنَـا
يُنـادِمُ تِـرْبـاً في خَمـائِلِهَـا تِـرْبُ
يُنِيــخُ ذَوُو الحَــاجاتِ فيهــا رِحَـالَــهُـمْ
وَتَصْــهَــلُ في أَفْيـائِهـا الضُــمَّرُ القُـبُّ
أَحِــنُّ اذا فارقْتَنِــي بَعْضَ ســاعَـةٍ
وَتُحْمَـدُ فــي الحُــبِّ اللَّجاجَــةُ لا الغِبُّ
شَبَبْنــا علـى مَحْـضِ الــوَفـاءِ وَصَفْوِهِ
كـذلِكَ آبــائــي وآبــاؤُكُــمْ شَبُّـوا
وَيَجْمَعُنــا نَجْــرٌ قَريبٌ سَمَتْ بِهِ
لِغَــسَّــانَ أَقْيــالٌ غَطــارِفَــةٌ نُجْــبُ
وَحُــبٌ رَمَتْـهُ فـي اللَّهيـبِ لِصَهْـرِهِ
صُـروفُ الليــالـي والقَــطِيعَـةُ والــذَنْــبُ
وكــأسٍ تَسـاقَيْنــا ثَلاثِيـنَ حِجَّــةً
عُـذوبَتُهـا طَبْـعٌ وتَقْــطِيبُهــا كَسْـبُ
أَشُــمُّ عَبِيـراً مِنْ تُـرابِــكَ عَاطِــراً
أَمِنْـكَ اسْــتَعــارَ العِــطْـرَ والنَضْـرَةَ التُـرْبُ
فَحَيَّتْ ثَراكَ المُزْنُ كَفُّــكَ لا الحَيَا
وَجَـادَتْـهُ بالسُّقيــا يَمِينُـكَ لا السُحْــبُ

* * *

خمرة الاحزان

في رثاء الشاعر شبلي الملاط

لاَ الحِقْدُ خَمْرَةُ أَحْزانِي وَلاَ الحَسَدُ
مِنْ جَوْهَرِ اللَّهِ صِيغَ الشَاعِرُ الغَرِدُ
سَقَيْتُ أَحْزانَ قَلْبِي مِنْ عَقِيدَتِهِ
فَأَسْكَرَ الحُزْنَ مَا أُغْلِي وأَعْتَقِدُ
والهَمُّ يَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَهُ كَبِدي
وَكَيْفَ تُكْرِمُ جَمْرَ اللوْعَةِ الكَبِدُ
نِعْمَ العَطَاءُ وَحَسْبِي أَنَّهَا انْغَمَسَتْ
تُمَزِّقُ العِطْرَ مِنْ جُرْحِي يَدٌ وَيَدُ
يَا مَنْ أَلَحَّ عَلى قَلْبِي يُقَطِّعُهُ
أَلَحَّ مِنْهُ عَلَيْكَ الخَمْرُ والشَهَدُ
دامٍ وَيَعْبَقُ صَهْبَاءً وغَالِيَةً
سَجِيَّةٌ فِي الأَراكِ العِطْرُ والمَلَدُ
عِنْدِي الوَسِيمُ مِنَ الغُفْرانِ أَسْكُبُهُ
عِطْراً عَلى كُلِّ مَنْ آذَوْا وَمَنْ حَقَدُوا
أَكْبَرْتُ عَنْ أَدْمُعِي مَنْ كَانَ مُضْطَهَداً
وَرُحْتُ أَبْكِي لِمَنْ يَطْغَى وَيَضْطَهِدُ
الْحَاصِدُونَ مِنَ الدُنْيَا شَمَاتَتَهَا
لَوْلا الذِي زَرَعُوا بالأَمْسِ ما حَصَدُوا

* * *

ظَمِئْتُ والشَمْسَ مِنْ كِبْرٍ وَمِنْ أَنَفٍ
وَرُحْتُ والشَمْسَ لا نَعْنُو وَلاَ نَرِدُ
أَعُلُّهَا مِنْ فُؤَادِي بَعْضَ لَوْعَتِهِ
فَرنَّحَ الشَمْسَ ما أَشْكُو وما أَجِدُ
للشِعْرِ والشَمْسِ هَذا الكَوْنُ لاَ عَدَدُ
يَطْغَى عَلى النُورِ فِي الدُنْيَا ولا عُدَدُ
لَقَدْ حَلَفْنَا عَلى الجُلَّى وَزَحْمَتِهَا
أَنْ لاَ يُفَارِقَنَا عِزٌّ وَلاَ صَيَدُ
قِرَى الخُطوبِ إِذَا ضَجَّتْ زَعازِعُهَا
صَبْرُ الكَرِيمِ عَلى البَأْسَاءِ والجَلَدُ
وَضَاقَ قَوْمٌ بِأَشْعَارِي ومَوكِبِهَا
فِي مَوْكِبِ الشَمْسِ يَخْزَى الحِقْدُ والرَمَدُ

* * *

يُؤَنِّقُ الظُلْمُ مِنْ أَعْذَارِهِ نَفَراً
كَأَنَّهُمْ مِنْ هَوانِ الذُلِّ ما وُجِدُوا
الشَّاتِمِينَ مِنَ الأَعْرَاضِ مَا مَدَحُوا
والثَالِبِينَ مِنَ الطُغْيَانِ ما حَمَدُوا
البَائِعِينَ لَدى الجُلَّى وَلِيَّهُمُ
والرَائِجِينَ وَلَوْلاَ ذُلُّهُمْ كَسَدُوا
إِذَا المَغَانِمُ لاَحَتْ وَهْيَ آمِنَةٌ
هَبُّوا فَإِنْ حَمِيَتْ نَارُ الوَغَى هَمَدُوا

إذَا تَبَلَّجَ فَجْرُ النَصْرِ بَعْدَ دُجَىً
وَقَرَّ بَعْدَ الضِرابِ الصَارِمُ الفَرِدُ
طَوى الشُجَاعُ عَلى صَمْتٍ بُطولَتَهُ
وجَرْجَرَتْ نَاقَةٌ واسْتَأْسَدَتْ نَقَدُ

* * *

سَكَبْتُ فِي الكَأْسِ اشْجَانِي فَتِلْكَ يَدِي
مِنْ عِبْءِ مَا حَمَلَتْهُ الكَأْسُ تَرْتَعِدُ
أَيْنَ الذَوائِبُ مِنْ قَوْمِي وما اقْتَحَمُوا
مِنَ الفُتوحِ ومَا حَلُّوا وما عَقَدُوا
أَفْدِي القُبورَ التي طَافَ الرَجَاءُ بِهَا
يا لَلْقُبورِ غَدَتْ تُرْجَى وَتُفْتَقَدُ
وَلي قُبُورٌ على الصَحْراءِ مُوحِشَةٌ
فَلا تُزارُ وَلاَ يَدْرِي بِهَا أَحَدُ
الحَالِيَاتُ وَلاَ مَاءٌ وَلاَ زَهَرٌ
والشَاكِلاتُ وَلاَ ثَأْرٌ وَلاَ قَوَدُ

طَوَتْ جُفونُ الرَدى بِيضَاً غَطَارِفَةً
لَوْ أَنَّهُمْ ما جَدُوا شَمْسَ الضُحَى مَجَدُوا

لَمْ أَعْرِفِ الحِقْدَ إلاَّ فِي مَصَارِعِهِمْ
وَلَمْ أُجِزْ قَبْلَهَا أَعْذَارَ مَنْ حَقَدُوا

تِلْكَ القُبورُ وقَلْبِي لاَ يَضِيقُ بِهَا
ضَاقَتْ بِزَحْمَتِهَا الأَغْوارُ والنُجُدُ

مَصَـارِعُ الصِيـدِ مِـنْ قَـوْمِـي فَكُـلُّ ثَـرىً
بَـدْرٌ وكُـلُّ أَدِيـمٍ مُوحِـشٍ أُحُـدُ

لَـو كـانَ يَعْلَـمُ سَعْـدُ اللَّـهِ[1] مـا ابْتَدَعَـتْ
بِـيَ الخُـطـوبُ تَنـزَّى الفَـارسُ النَجِـدُ

وَلَـوْ دَرَى هـاشِـمٌ[2] حُـزْنـي لَدَلَّنِـي
وَرَدَّ عَـنِّـي العَـوادِي الضَيْغَـمُ الحَـرِدُ
أَحِبَّتِـي الصِيـدُ شَـلَّ المَوْتُ سَـرْحَهُمُ
وَقَـدْ حَنَنْـتُ الى الـوِرْدِ الـذي وَرَدُوا

ألسَّـالِـكُونَ مِـنَ العَلْيـاءِ أَخْشَنَهـا
والقـاحِمُـونَ وغَيْـرَ الشَـمْـسِ ما قَصَـدُوا
أُكـذِّبُ المَـوْتَ فِيهِـمْ حُرْمَـةً وهَـوىً
وللأَمَـانِـي طَـرِيقٌ هَـيِّنٌ جَـدَدُ

لَعَلَّهُـمْ مَـنْ عَنـاءِ الفَتْـحِ قَدْ نَزَلُـوا
عَـنِ الصَـوافِـنِ فَوْقَ الـرَمْـلِ واتَّسَـدوا
لَعَلَّهـا غَفْـوَةُ الـوَانـي فَإِنْ رَوِيَـتْ
جُفُـونُهُـمْ مِـنْ لُبانَـاتِ الـكَـرى نَهَـدُوا
تَرَفَّقِـي يا خُطـوبَ الـدَهْـرِ واتَّئِـدي
لا تُجْفِلِـي النَـوْمَ فِي أَجْفَـانِ مَنْ سَهِـدُوا

---

(١) سعد الله الجابري

(٢) الرئيس الزعيم هاشم الاتاسي

وَحــاذِري أنْ تُثِيــري مِــنْ مَواجِدِهِــمْ
لَــمْ يُصرَعــوا بالــرَدى لكِنَّهُــمْ رَقَــدُوا

يَصُــونُهُــمْ مِنْ حُتــوفِ النــاسِ مَجْدُهُــمُ
كأَنَّهُــمْ مِــنْ جَــلالِ المَجْــدِ ما فُقِــدُوا

طــالَ انْتِــظــارُ المَذاكِــي فِي مَرابِطِهــا
ألا يَــرقُّ لَهَــا فُرْسَــانُهــا النُجُــدُ

***

يا شــاعِــراً زَحَــمَ الــدُنْيــا بِمَنْكِبِــهِ
كالسَيْــلِ يَهْــدَأُ حِينــاً ثُــمَّ يَطَّــرِدُ

تَراقَصَــتْ في لَهَيــبٍ مِــنْ قَرِيحَتِــهِ
ثلــوجُ لبنــانَ والامــواجُ والزَبَــدُ

حُلْــوُ الشَمائــلِ لم يُجْهِــدْ بَشاشَتَهــا
عِــبْءُ السِــنيــنَ ولا أَزْرى بِهــا الكَمَــدُ

عَــرارُ نَجْــدٍ شَمِيــمٌ مِنْ سُــلافَتِهِ
والحُــورُ والــدَعَــجُ المَخْمُــورُ والغَيَــدُ

وللْهَــوى أَلْــفُ قَصْــرٍ في جَوانِحِــهِ
وَكُلُّ قَصْــرٍ لَــهُ مِنْ عَبْقَــرٍ رَصَــدُ

وَفي العَقِيــقِ علــى الــوادِي وَضَفَّتِــهِ
حَنَــتْ وَحَنَّــتْ قَوافٍ كالضُــحَــى شُــرُدُ

فَمِــنْ نَسيــبٍ كَما نَاحَــتْ مُطَوَّقَــةٌ
والفَجْــرُ يُسْــرِعُ والــظَلْمَــاءُ تَتَّئِــدُ

أَلْمُسْكِرُ القَدَّ حَتَّى كُلُّهُ هَيَفُ
والْمُسْكِرُ الرِيق حَتَّى كُلُّهُ بَرَدُ
عَلى نَهُودِ العَذَارى مِنْ فَرائِدِهِ
عِطْرٌ وفي الجيدِ مِنْ أَغْزالِهِ جَيَدُ
وَمِنْ حَماسٍ اذا رِيعَتْ عَرِينَتُهُ
كما يُزَمْجِرُ دُونَ الغَابَةِ الأَسَدُ
مِنْ كُلِّ مُبْرِقَةٍ بالحَقِّ مُرْعِدَةٍ
كالمَوْجِ في العاصِفِ المَجْنُونِ يَحْتَشِدُ
يُجَلْجِلُ الهَوْلُ فيها فالظُبَى مِزَقٌ
مِنَ الحَدِيدِ المُدَمَّى والقَنا قِصَدُ[1]
والصافِناتُ وقد ضَجَّتْ سَنابِكُهَا
وَضَجَّ فوق الجِيادِ الضُمَّرِ الزَرَدُ

* * *

أَبَا الكَواكِبِ مِنْ شِعْرٍ وَمِنْ وَلَدٍ
تَقاسَمَ النُورَ مِنْكَ الشِعْرُ والوَلَدُ
فَمِنْ قَوافٍ عَلى أَنْغامِها عَبَقٌ
وَمَنْ قَوافٍ عَلى غُرَّاتِها رَأَدُ
بَيْني وبيْنَكَ عَهْدُ الأَوْفياءِ فَهَلْ
أَدَّى المُحِبُّونَ للأَحْبابِ ما وَعَدُوا

(١) مفرد قِصَدة : القطعة المتكسرة

عَهْـدٌ علـى إهْـدِنَ[1] الخَضرْاءِ .. نَبْعَتُهـا
والشِـعْـرُ والبَـدْرُ حُفَّـاظٌ لِما شَهِـدُوا
بِتْنـا صَفِيَّيْـنِ لَـمْ نُسْـلِـفْ قَدِيمَ هَـوىً
بَشَـاشَـةُ النُـورِ تُغْـرِي كُـلَّ مَنْ يَرِدُ
أبـا الـكَواكِبِ عَهْـدِي أَنْـتَ تَعْرِفُـهُ
لا يَنْـطَـوِي العَهْـدُ حَتَّـى يَنْـطَـوي الأَبَدُ

* * *

مَنْ شـاعِـرٌ رَنَّـحَ الـدُنْيَا فَمـا ازْدَحَمَـتْ
إلاَّ بِـهِ وَلَـهُ الأَخْبـارُ والبُـرُدُ
غُضـونُ وَجْـهٍ .. سُطـورٌ خَطهَـا قَلَـمٌ
لاهٍ فَيُسْـرِفُ أَحْيـانـاً وَيَقْتَصِـدُ
وقَـامَـةٌ تَحْمِـلُ التِسْـعِيـنَ لا وَهَـنٌ
فِيهـا علـى الـرِحْلَـةِ الـكُبْـرَى ولا أَوَدُ
وَلِلْعُيـونِ بَرِيـقٌ كَـادَ يَحْسُـدُهُ
زَهْـوُ الشـبـابِ وأَبْـرادُ الصِـبـا الجَـدُدُ
والعَبْقَـرِيُّ شَبـابٌ عُمْـرُهُ وَهَـوىً
وَجُـذْوَةٌ فـي زَوايـا قَلْبِـهِ وَدَدُ
تِلْـكَ الـطيـوفُ كُنـوزٌ مِـنْ رُؤىً وَمُنَـىً
ألـروحُ مُشْـرِيَـةٌ والمُمْلِـقُ الجَسَـدُ

* * *

---

(١) مصيف في شمال لبنان

لُبْنـانُ يا حُلُـمَ الفِـرْدَوسِ أَبْدَعَـهُ
عَلـى غِـرارِ ذُراكَ الـوَاحِـدُ الصَمَـدُ
وزَاهِـديـن بِحُسْـنٍ أَنْـتَ غُرَّتُـهُ
لَـوْ آمَنُـوا بِجَمـالِ اللـهِ ما زَهِـدُوا
حُسْـنٌ أَتَـمَّ علـى لُبْنـانَ نِعْمَتَـهُ
مُحَسَّـدٌ وتَمـامُ النِعْمَـةِ الحَسَـدُ
يـا جَنَّـةَ الفِـكْـرِ يَسْـمُـو كَيْـفَ شَـاءَ ولا
أُفْـقٌ يَحُـدُّ ولا شَـأْوٌ ولا أَحَـدُ
يـا مُكْـرِمَ النَجْـمِ فـي مَعْسُـولِ غُرْبَتِـهِ
لِـكُـلِّ نَجْـمٍ ذُراكَ الأَهْـلُ والبَلَـدُ
كَأَنَّمـا الشُـمُّ مِـنْ لُبْنـانَ فـي سَفَـرٍ
البَـدْرُ يَقْـرُبُ والغَبْـراءُ تَبْتَعِـدُ
أَرائِـكٌ لِنُجَيْمـاتٍ مُدَلَّلَـةٍ
يُنـازِعُ النَـوْمَ فـي أَجْفـانِهـا السَهَـدُ
كَأَنَّهـا مِـنْ مُلـوكِ الجِـنِّ قـد سُجِـرُوا
وَهُـمْ قِيـامٌ فمـا هَمُّـوا ولا قَعَـدُوا
كأَنَّهـا هُجَّـدٌ طَـالَ الـوُقـوفُ بِهِـمْ
حَتـى انْجَلـى لِلْقُلـوبِ الـوَاحِـدُ الأَحَـدُ
كأَنَّهُـمْ مِـنْ جَـلالِ اللـه قـد شُـدِهُـوا
عِنْـدَ اللقـاء فمـا خَـرُّوا ولا سَجَـدُوا

أَلحُسْـــنُ مُنْسَـجِـــمٌ فيـــه وَمُخْتَلـــفٌ
والحُسْـــنُ مُجْتَمِـــعٌ فيـــه ومُنْفَـــرِدُ
جَـــرَى سَنَـــى البَـدْرِ مَـــاءً فـي خَمَائِلِـــهِ
فَـرُحْـــتُ بالمَوْجَـــةِ الـزَهْـــراءِ أَبْتَـــرِدُ

* * *

صانَـــتْ مُسوحُكُـــمُ الفُصْحَـــى وكـانَ لَهَـــا
مِنْـكُـــمْ بِمحْنَتِهَـــا الأَرْكَـــانُ والعُمُـــدُ
قَـــرَّتْ بِأَدْيِـــرَةِ الـــرُهْبَـانِ يَغْمُرُهَـــا
شَـــوْقُ البَنِيـــنَ وَحُـــبٌّ مُتْـــرَفٌ رَغِـــدُ
الـــزَاحِمُـــونَ بِهَـــا الـــدُنْيـــا إِذَا انْتَبَهُـــوا
والـــزاحِمُـــونَ بِهَـــا الأُخْـــرَى إذا هَجَـــدُوا
أَلْمُنْزِلُـــوهـــا علـــى أَنْـــدَى سرائرِهِـــمْ
كأنَّهَـــا عِطْـــرُ ما صَـــلَّـــوْا ومـــا عَبَـــدُوا
لَـــمْ يَخْـــذُلُـــوا لُغَـــةَ القـــرآنِ أُمَّهُـــمُ
وَكَيْـــفَ يَخْـــذُلُ قُرْبَـــى كَفِّـــهِ العَضُـــدُ
ولِـــلأَذانِ وللنَّـــاقُـوسِ مِـــنْ قِـــدَمٍ
عَهْـــدٌ على الحُـــبِّ والغُفْـــرانِ يَنْعَقِـــدُ
تَعـــانَقَـــتْ مَرْيَـــمُ فيـــهِ وَآمِنَـــةُ
وَحَـــنَّ للـــرَشَـــدِ الإيمـــانُ والرَشَـــدُ

***

أَبَـا الكَواكِـبِ هَـلْ فـي الخُلْـدِ مَكْرُمَـةٌ
أَوْ نِعْمَـةٌ كُنْـتَ تَرْجُـوهَـا وتَفْتَقِـدُ
تَنَحَّـتِ الحُـورُ إجْـلالاً لِشـاعِـرِهَـا
واسْـتَقْبَلَتْـكَ عَـذارَى شِعْـرِكَ الخُـرُدُ
مِـنْ كُـلِّ سَمْـراءَ مَعْسُـولٍ مَراشِفُهَـا
ولا تُلـوِّحُ بالسُـقْيَـا وَلا تَعِـدُ
لا تُخْـطِـئُ العَيْـنُ أَنَّ الأَرْزَ مَنْبِتُهَـا
وَأَنَّ وَالِـدَهَـا قَحْـطَـانُ أَوْ أَدَدُ
وَنَسْـمَـةٌ مِـنْ صَبـا لُبْنَـانَ أَوْفَدَهـا
لَـكَ الأَحِبَّـةُ والأَبْنـاءُ والحَفَـدُ
هَـلْ فـي رُبَى الخُلْدِ ما يُنْسِيـكَ أَرْزَتَـهُ
والنُـورُ والحُسْـنُ فـي أَفْيائِهَـا بَـدَدُ
أَحَـقٌّ بالشَـوْقِ للأَوْطـانِ مَـنْ نَزَحُـوا
وبـالحَنِيـنِ لِرَيَّاهَـا مَـنِ ابْتَعَـدُوا
يَـزيدُهـا أَلْـفَ حُسْـنٍ بَعْـدَ فُرْقَتِهَـا
قَلْـبٌ وَيَفْتَـنُّ فـي تلـوينِهـا خَلَـدُ
هَـلْ جَنَّـةُ اللـهِ عَـنْ لُبْنـانَ مُغْنِيَـةٌ
أَسْـتَغْفِـرُ اللَّـهَ لا كُفْـرٌ ولا فَنَـدُ

* * *

حَمَلْـتُ مِـنْ بَرَدى لِلأَرْزِ مُرْقِصَـةً
فِيهـا الصَبـابَـةُ والأَشْـواقُ تَحْتَشِـدُ

عُروبَـــةُ الشـامِ يا لُبْنـانُ صافِيَـــةٌ
سَـمْحَـاءُ كالنُـورِ لا مَكْـرٌ ولا عُقَـــدُ

تُنَـزَّهَ الحُـــبُّ عَـنْ مَـنٍّ وَعَـنْ نَكَـــدٍ
وَقَـــدْ يُنَغِّـــصُ حُسْـنَ النِعْمَـةِ النَكَـــدُ

نَحْـنُ المُحِبِّيـنَ نَهْـواكُـمْ وَنُؤْثِرُكُـــمْ
هَـلْ كـان مَـنْ دَلَّلُـوا القُرْبـى كَمَـــنْ وَأَدُوا

نَحْـــنُ الـظِمـاءَ ونَسْـقِـــي الحُـــبَّ أَرْزَكُـــمُ
أَلحُـــبُّ فـي الشـامِ لا نَزْرٌ ولا ثَمَـــدُ

* * *

١٢ كانون الاول ١٩٦١.

ثُكل الأمومة

الى روح أخي كامل مروة صاحب جريدة « الحياة »

مـــا لِلْمَنِيَّـــةِ أدعـــوهـــا وتبتعِـــدُ
أَمَـــرُّ مِنْ كلِ حَـتْفٍ بعضُ مـــا أَجِدُ
ظمـــآنُ أَشْـــهَـــدُ وِرْدَ المـــوتِ عن كَثَـــبٍ
والـــوارِدونَ أحبَّـــائـــي ولا أَرِدُ
عَلَّـــلْـــتُ بالصـــبـــر أحـــزانـــي فيـــا لَأَســـىً
بـــالجَمْـــرِ من نفحـــاتِ الجَمْـرِ يَبتـــرِدُ
دَعَـــوْتُ خِـــدْنَـــيَّ مِـــنْ دَمْـــعٍ ومِـــنْ جَلَـــدٍ
فأَسْـــبَعَـفَ الـــدَمْـعُ لكـنْ خاننـــي الجَلَـدُ
أَصْـــبَحْـــتُ أَعْـــزَلَ والهيجـــاءُ دائـــرةٌ
لا السيـفُ رَدَّ الأذى عَنِّـي ولا الزَرَدُ
أَرُدُّ رشْـقَ الـــظُبـــى عن مُهْجَتـي بيـــدٍ
وتَمْسَـــحُ الدَمْـــعَ مِنْ نَزْفِ الجِـراحِ يَدُ

***

أبـا جميـــلٍ[1] ســـلامُ اللـــه لا كُتُـــبٌ
إليـــكَ تَحْمِـــلُ أَشْـواقـــي ولا بُـرُدُ
لَقيـــتَ في الحـقِّ مـا لاقـى بـه نَفَـرٌ
مِـــن الهُـــداةِ ومـــا عـانَـوْا ومـا جَهَـدُوا

(١) الشهيد كامل مروة صاحب جريدة « الحياة »

والعبقـريُّ غـريـبٌ فـي مَـواطِنِـهِ
يَـدورُ حيثُ يـدورُ الحِقْـدُ والحَسَـدُ
وحـامليـنَ رِسـالاتٍ مُقَـدَّسـةً
تَـوَحَّـدُوا بالجهـاد السـمْـح وانْفردوا
مُشَـتَّتيـنَ بِعَصْـفِ الـريـح لا وَطَنٌ
يَلُـمُّ اشْـتَـاتَ بَلْـواهُـمُ ولا بَلَـدُ
مَعـارِكُ الحـقِّ من أَجْسـادِهـم مِزَقٌ
على ثَـراهـا ومِـنْ مُـرَّانِهِـمْ قِصَـدُ
ورُبَّ شـاكٍ فَسَادَ العصْـر يَظْلِمُـهُ
لَـمْ يَفْسُـدِ العَصْرُ لكنْ أَهْلُـهُ فَسَدُوا

***

أَذاكِـرُ لـي على صَيْداءَ هـائِئـةً
مِـنَ الـزمـانِ عليهـا نِعْمَـةٌ وَدَدُ[1]
يَمْشِـي بِـكَ المَجْـدُ في أفياءَ وارفةٍ
مِـنَ الأمـانـيِّ لا تُلْـوي بمـا تَعِـدُ
فيهـا صِبـاكَ عطـورٌ عبقـرِيَّتُـهُ
ولـي شَبـابٌ طـريـفُ العُمْـرِ مُتَّئِدُ
ونحـنُ بيـن الـدروب الحـاليـاتِ يَـدٌ
تَضُـمُّهـا فـي ظـلالِ البُـرْتُقـال يَـدُ
وأَسْـتَعيـدُكَ شعْـري حيـنَ تُنْشِـدُهُ
حَتّـى يُقَـوَّمَ فـي إنشـادِهِ الأَوَدُ

(١) الدد : اللهو واللعب

حُـــبٌّ أبـوكَ تَـولاَّهُ وَدَلَّـلَـهُ
وراحَ يُكْـرِمُ إرْثَ الـوالِـدِ الوَلَـدُ

***

يـا مُبْـدِعَ السِـحْـرِ إلاّ أنـه كَلِـمٌ
وسـاقـيَ الـرأي إلاّ أنَّـه شَهَـدُ
يـا نـاقِـداً ، حُبُّـهُ يُمْلِي فَـرائِـدَهُ
حَتَّى لَيَنْـدى حَنـانـاً حـين يَنْتَقِـدُ
يـا مانِـحَ النُـورِ من تـاهَـتْ دُروبُهُـمُ
ومـانِـحَ الحُـبِ والغُفْـرانِ مَـنْ حَقَـدوا
يَفْنَـى المُزَوَّرُ مِـنْ مَجْـدٍ ومَـنْ خُـدِعَتْ
بـه الشـعـوبُ وتَبْقـى أنْـتَ والأبَـدُ
لَـنْ يَعْـدَمَ القَبْـرُ لاريـاً ولا عَبقـاً
فَلـي جفـونٌ نَديَّـاتٌ ولـي كَبِـدُ
أحْنـو على دَمِـكَ المَطْلـولِ ألْثِمُـهُ
أزْكـى من الـوَرْدِ ما جـادتْ بـه الوُرُدُ[1]
دِمـاءُ قَلْبِـكَ إيمـانٌ وغالِيَـةٌ
فليـس يُنْـكِرُهـا بَـدْرٌ ولا أُحُـدُ
دِمـاءُ قَلْبِـكَ ما مِنْ قَطْـرَةٍ نَزَفَتْ
إلاّ تَمَنَّـتْ سَنـاهـا نجمـةٌ تَقِـدُ

***

(١) الورد جمع الوريد

يـا مَـنْ نُحِبُّ ولولا الحُبُّ لا لَعَسْ
ولا لَمَـىً عَبِقُ السُّقْيا ولا غَيَدُ
سَهِرْتُ في زَحْمَةِ الجُلَّى ومَزَّقَني
أَنِّي شَهِدْتُهُمُ أَغْفَوْا وما سَهِدُوا
وفي ضَنايَ وفي أَحْزانيَ ازْدَلَفُوا
يُحَرِّضونَ عليَّ الدَهْرَ واتَحَدُوا
حتى بكَتْ مِحْنَتي منْ ظُلْمِهِمْ وغَدتْ
بالدَمْعِ تَنْهَشُ مِنْ قلبي وتَزْدَرِدُ

***

أُمَّاهُ، دَمْعُكِ تَبْكي مِنْ مَواجِعِهِ
شُمُّ البَواذِخِ والأَفْلاكُ تَرتَعِدُ
أُمَّاهُ لم يَبْقَ لي روحٌ فأُغْدِقُهُ
على أَساكِ ولا دَمْعٌ ولا كَبِدُ
تَطوفُ عَيْنُكِ في الزُوارِ سائِلَةً
عن الحبيبِ الذي وَلَّى وتَفْتَقِدُ
وطافَ ثُكْلُكِ في عَدْنٍ فَهَلْ سألَتْ
مَساحِبُ النور أين النُورُ والرغَدُ
ثُكْلُ الأمومَةِ في التسعينَ حين بكى
عند المَلائِكِ في جَنَّاتِهِمْ سجدوا
ثُكْلُ الأمومةِ عند اللهِ حُرْمَتُهُ
كَحُرْمَةِ الحقِّ لاسِتْرٌ ولا بُعُدُ

ثُكْلُ الأمومةِ عند اللهِ فاتحةٌ
مِنَ الكِتابِ وإيمانٌ ومُعْتَقَدُ
ثُكْلُ الأمومةِ حفَّ الانبياءُ بِه
يُهَدْهِدونَ مِنَ الآلامِ واحتشدوا
يدعو فَتُفْتَحُ أبوابُ السماء لهُ
ويَمسَحُ الدَمْعَتَيْنِ الواحِدُ الأحدُ

***

وأنتِ أُمَّ جميلٍ أيُّ نازلةٍ
لم تُبْقِ رِفْداً لِحُزْنٍ جاءَ يرتفِدُ
ما قَبْلَ يومكِ يَوْمٌ رُحْتُ أشْهَدُهُ
لَهُ لِواءٌ على الأحْزانِ مُنْعقِدُ
لُبْنانُ أين ربيعٌ كُنْتُ أيْكَتَهُ
يُبْكَى الربيعُ إذا جافى ويُفْتَقَدُ
لا الشِمُّ كالعَهْدِ فيه لهْفَةً وقِرىً
على النُسورِ ولا الأمواجُ والزَبَدُ
لا الأرْزُ بَعْدَ توانا مائِسٌ عَطِرٌ
ولا الغصونُ عليها الطائِرُ الغَرِدُ
جيرانُكَ الأنَجْمُ الزهراءُ عاتِبةٌ
وكُلُّ نَجْمٍ حَزِينٌ ثاكِلٌ حَرِدُ
يُطَلُّ فيكَ دَمٌ للنورِ بَعْدَ دَمٍ
ولا حُماةٌ ولا ثأرٌ ولا قَوَدُ

لِـي فِيـكَ شِعْـرٌ رَواهُ العِطْـرُ فازْدَحَمَتْ
مِنْـكَ السُـفـوحُ علـى رَيَّـاهُ والنُجُـدُ
لُبنـانُ فيـكَ قُبـورٌ للسيـوف حمِـىً
هـانٍ ففـي كُـلِّ قَبْـرٍ صـارِمٌ فَـرِدُ
تـأَلَّـقـوا فـي سماءِ المَجْـدِ مـا خَمَـدَتْ
رَغْـمَ العَـواصِـفِ ذِكـراهـم ومـا خَمَـدُوا
حتـى إذا ضَفَـرَتْ غـاراً لِـفَرْقِهِـمْ
أَنـامِـلُ الخُـلْدِ زانَ الخُلْـدَ مَنْ خَلَـدوا

***

أَبـا جميلٍ .. وقـرْبـىَ بَيْنَنـا اتَّصَـلَـتْ
إلـى الجِنـانِ .. فَـدَانٍ وهْـوَ مُبْتَعِـدُ
عَـدْنـانُ[1] عِنْـدَكَ فـي النُعْمـى ولـي كَبِدُ
عَلَـيْهِ بالجَمْـرِ والأحْـزانِ يتَّقِـدُ
أَحْبـابُنـا فـي جِنَـانِ الله قـد نَعِمُـوا
لقـد شَقينـا بِهِـمْ لكنَّهـم سَعِـدُوا
هَـشُّـوا إلـى ابْـنِ أَخِيهِـمْ وَهْـوَ بَيْنَهُمُ
بحـالياتِ صِبـاهُ كَـوْكَـبٌ يَقِـدُ
يـا لَلنُجـومِ قديمـاتِ السَـنـى نَزَلَـتْ
علـى قِـراهـا نُجـومٌ طُلَّـعٌ جُـدُدُ
حَمَّلْـتُ عَدْنـانَ أَطْيـابَ الحنـينِ فَهَـلْ
أَدَّى أَمـانَـةَ ما اشـكـو ومـا أَجِـدُ

(١) ولد الشاعر وقد توفي في روتق صباه

لـم أَرْثــه وَهْـوَ روحــي فارقَــتْ جَسَدي
وكَيْـفَ يَبــكـي ويَـرْثــي روحَــهُ الجَسَــدُ
أُلِــمُّ بالقَبْـر أُغْلِيـهِ وأَلْثِمُــهُ
وحَــوْلِــيَ الســاخِــرانِ : الغَيْــبُ والأَبَـدُ
أَحِبَّتــي كُلَّمـا غـامَتْ طُيــوفُهُمُ
هَتَفْــتُ : لا تَبْعُــدوا عَنِّــي ، وقـد بَعُــدُوا

***

رُوحُ الشــهيدِ كنــور اللــهِ ما هَمــدَتْ
لَبِّــثْ قليــلاً تَـرَ الــظُـلاَّمَ قـدْ هَمَدوا
حَرْبٌ علـى الــكُفْـر والــطُغْيـان يُضْـرِمُهـا
رَأْيٌ علـى الحُجَّـةِ الـزهــراءِ يَعْتَمِـدُ
رَمَـوْكَ غَـدْراً ولَــوْ صـالـوا مُجـابَهَـةً
لَــزَّقَ الصــائِــدِيــنَ الضَيْــغَــمُ الحــرِدُ
سِــلاحُـكَ الــنُــورُ والإِســلامُ وحْـدَهمــا
ومنْهمــا الـعَـوْنُ عنـد الفَتْــحِ والمَــدَدُ
رسـالـةٌ مِـنْ ابـي الــزهـراء خـالـدةٌ
عـديــدُكَ الفـاتِـحُ المَنْصــورُ والعُــددُ
حتـى اذا انهــزمَـتْ شَتـى فُلــولِهِـمُ
ومَــرَّغَ الجُبْــنَ زَهْــوُ الحــقِّ والصَيـدُ
أَشْـرَفْـتَ والــدمُ شمْـسٌ ــ راح يَحْجُبُهـا
بِــكفِّــهِ ويُــواري وَهْجَهــا الـرَمَـدُ

لا يَخْدَعَنَّكَ زَهْوُ الظالمينَ وإنْ
تاهتْ على الفَلَكِ الأبْراجُ والعَمَدُ
ثلاثةٌ لِهوانِ الدَهْرِ قَدْ خُلِقوا
أَلظالِمونَ وعَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ
تَكَبَّر الحقُّ أنْ تَلْقَاهُ مُضْطَهَداً
أَلظُّلْمُ في عُنْفُوانِ الظُّلْمِ مُضْطَهَدُ

***

شمائِلُ الصِّيدِ مِنْ قَوْمي مُعَطَّرَةٌ
بِمُتْرَفِ الحق لا غالَوْا ولا جَحَدوا
سَمْحاءُ لم تَدْرِ تهريجاً ولا عُقَداً
فَكَيْفَ شَوَّهَها التهريجُ والعُقَدُ
تَنكَّروا لقديمِ المجد وهو ضُحىً
يُؤْذِي العيونَ ولا يُؤْذي الضُحى الرَمَدُ
خُطوبُهُمْ لا خُطوبُ الدَهْرِ ضاريةٌ
على العُروبةِ إنْ حَلُّوا وإن عَقَدوا
أَلهانئونَ بِسِلْمٍ لا حُماةَ لَهُ
فِداءُ مَنْ زَمُّوا الجُلَّى ومَنْ نَهَدوا
القُدْسُ مَلْحَمَةٌ مَيْدانُها ازْدَحَمَتْ
بِهِ الكُمُاةُ وخَيْلُ الحقِّ تَطَّرِدُ
ورَمْلُ سيناءَ لَحْدٌ هَبَّ مُنْتَفِضاً
بِكُلِّ مَنْ سَقَطوا غَدْراً وما لُحِدُوا

يَصيحُ أَلْفُ صدىً في الرَمْلِ مُنْتَظِراً
أن يَسْتَثِيرَ الصحارى فارسٌ نَجِدُ

***

أرى الأَذِلاَّءَ والهيجاءُ ساخِرَةٌ
توعَّدوا بالوغَى لكنَّهُمْ وَعَدُوا
رَدَّ الأُباةُ على الطُغْيانِ غارَتَهُ
ولم يَسُلُّوا ظُبىً لكنَّهُمْ حقَدوا
وكيف أَرْضَى بِقَوْمٍ أَلَّهُوا صَنماً
وَكَفَّروهُ وذَمُّوا بَعْدَ أن حمِدُوا
حتى إذا راعَ قَصْفُ الرَعْدِ مَنْ سَمِعُوا
وراعَ بَرْقُ الدُجى أَحْلاَم منْ شَهِدوا
تكشَّفَ النَقْعُ عَنْ أَشلاءِ طاغية
ورَاحَ يَخْطُرُ في غاباتِهِ الأَسَدُ

***

أَبا جميلٍ أُناجي فيكَ حاليةً
مِنَ الشمائلِ أُغْليها وأَفْتَقِدُ
تَحَوَّلَتْ أُفُقاً غيرَ الذي عَرَفوا
وأَنْجُماً في الدُجى غَيْرَ التي رَصَدُوا
فَسَلَّمَ الفَلَكُ الأَسْمى على فَلَكٍ
فيه الكواكِبُ والأَسْحارُ والرَأَدُ

هـذي السَـمـاءُ كِتـابٌ مِنْ شتيـتِ رُؤىً
فَـكُلُّ نَجْـمٍ بهـا رأيٌ ومُعْتَقَـدُ
لـي عالَـمٌ يغمُرُ الـدنيـا وتَغْمُرُهُ
وعـالـمُ عَطِـرُ الأسـرارِ مُنْفَـرِدُ
تخِـفُّ روحـي لحَـاقـاً فـي حُتـوفِكُـمُ
ويَحْـكُـمُ القَـدَرُ العـاتـي فَتَتَّئِدُ
أَلعَيْـشُ بَعْـدَكُمُ لَغْـوٌ فـلا طَـرَبٌ
فيـه ولا أَمَـلٌ هـانٍ ولا كَمَـدَ
فيـا شقـاءَ فتـىً آمـالُـهُ رجَعَـت
لأَمْسِـه وانـطـوى يـومٌ ومـات غَدُ

***

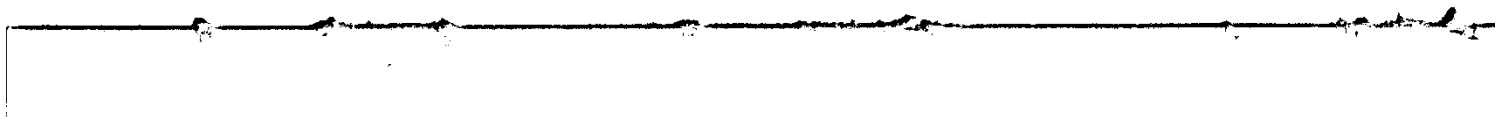

إيـهٍ حكيم الدهر !

قيلت في مهرجان المعري الالفي

حَلِـــيَ النَـــدِيُّ كَرامَـــةً للـــرَّاحِ
عَجَبـــاً اتُسْـكِرُنـــا وأَنْـــتَ الصَاحِـــي
لَـــكَ في السرَائِـــرِ بِدْعَـــةٌ مَرْمُوقَـــةٌ
أُنْـــسُ المُقِيـــمِ وَجَفْـــوَةُ النُـــزَّاحِ
مَجْـــدٌ كآفَـــاقِ السَـــمـــاءِ اذا انْتَهَـــتْ
مِنْـــهُ نَـــواحٍ بـادَهَـــتْ بِنَواحِـــي
الـــدَهْـــرُ مِلْـــكُ العبقـــريَّـةِ وَحْدَهَـــا
لا مِلْـــكُ جبـــارٍ ولا سَفَّـــاحِ
والـــكَـــوْنُ في أَسْـــرارِهِ وكُنُـــوزِهِ
لِلْفِـكْـــرِ لا لِوَغـــىً ولا لِسِـــلاحِ
ذَرَتِ السِـنُـــونَ الفـاتِحِيـــنَ كأَنَّهُـــمْ
رَمْـــلٌ تَنـاوَلَـــهُ مَهَـبُّ رِيـــاحِ
لا تَصْـلُـــحُ الـدُنْيـــا وَيَصْـلُـــحُ امْرُهَـــا
إلا بِفِـكْـــرٍ كالشُـعـاعِ صُـــرَاحِ
مَـرِحٍ عَلـى كيد الحَيـاةِ وأَهْلِهـا
يَلْـقَـى شَدائِـدَهَـا بِأَزْهَـرَ ضَـاحِ
خَيْـرُ العَقـائِـدِ فـي هَـوايَ عَقِيـدَةٌ
شَـمَّـاءُ ذاتُ تَوَثُّـبٍ وَجِمَـاحِ

تَبْنِـــي الحَيـــاةَ على هُـــدَى إيْمـــانِهـــا
والعَقْـــلُ مُثْبِـــتُ غَيْـــرِهـــا والمَـــاحِـــي
سَكْـــرى مِـــنَ الحَـــقِّ المُـــدِلِّ ورُبَّمـــا
لَقِـــيَ الحُتُـــوفَ فَحـــادَ عَنْهـــا الصَاحِـــي
سُكْـــرُ العَقِيـــدَةِ أَيْـــنَ مِـــنْ آفَـــاقِـــهِ
سُـــكْـــرُ العُيـــونِ وأَيْـــنَ سُكْـــرُ الرَاحِ
مَلَـــكَ الحَيـــاةَ فَخلْـــفَ كُـــلِّ ثَنِيَّـــةٍ
لليَـــأسِ يَكْمُـــنُ مِنْـــهُ أَلْـــفُ طِمَـــاحِ
شَـــرَفُ المَعـــارِكِ بالجِـــراحِ وبالـــرَدَى
فَبَـــدار قِسْـــطَـــكَ من أذىً وجِـــراحِ
واحْمِـــلْ بِكَفَيَّـــكَ الحيـــاة تَحَـــدِّياً
مِنْـــهـــا لأوّلِ مُعْتَـــدٍ بالسَّـــاحِ
أَلعُمْـــرُ مِـــنْ غَيْـــبِ القَضـــاءِ خَبيئَـــةٌ
فـــابْسُـــطْ مَصُـــونَ كُنـــوزِهِ بالـــرَّاحِ
لا تَشْـــكُ مِـــنْ قِصَـــرِ الحَيـــاةِ فرُبَّمـــا
أَغْنَـــتْ إشـارَتُهـــا عَـنِ الإفْصـــاحِ
سِفْـــرُ الحَيـــاةِ إذا اكْتَفَيْـــتَ بِمَتنِـــهِ
أَغْنـــاكَ مُوجَـــزُهُ عَـــنِ الشُـــرَّاحِ
واخْتَـــرْ لِنَفْسِـــكَ مِيتَـــةً مَرْموقـــةً
بَيْـــنَ النُجـــومِ عَلـــى الأَدِيـــمِ الصَاحِي

لِلْمَـوْتِ فـي اللُجَـجِ العَمِيـقَـةِ رَهْبَـةُ
شَمَخَـــتْ بِسُؤْدَدِهـــا عَلـــى الضَحْضـــاحِ
حَوَّطْـــتُ باللـــهِ العَقِيـــدَةَ مِـنْ أذَى
خَـــرْقـــاءَ فاجِـــرَةِ اليَمِيـــنِ وَقَـــاحِ (١)
سَكِـــرَتْ على كَرَمِ النـــدِيِّ وَعَرْبَـــدَتْ
فـــاليَـــوْمَ لا خَمْـــرِي ولاَ أقْداحِـــي

لَهْـوُ العُيـونِ ولا أقُـولُ قَـذاتُـها
وَكِـــلُ تَكَلَّـــفَ زَهْـوَةَ المُجْتَـاحِ
مُتَـرَنِّـحُ العِـطْفَيْـنِ مِـنْ خُيَـلائِـهِ

مَـاذَا تَـرَكْـتَ لِغَـارَةٍ وَكفَـاحِ
اللَّـهُ يَعْلَـمُ مـا أرَدْتُ شَمـاتَـةً
بِمُصَـرَّعِيـنَ مِـنَ العَيـاءِ طِـلاحِ
تَـأبَى الشَـمـاتَـةَ فـي الضعيـفِ شَمـائلـي
وَتَعِـفُّ عَـنْ شِلْـوِ الجَـرِيـحِ صِفـاحِـي
وأنـا الـذِي وَسِـعَ الهُـمُـومَ حَنَـانُـهُ
وَبَـكَـى لِكُـلِّ مُعَـذَّبٍ مُلْتَـاحِ
أشْـقَـى لِـمَـنْ حَمَـلَ الشَـقَـاءَ كَـأنَّمَـا
أتْـراحُ كُـلِّ أخِـي هَوىً أتْـراحِـي

---

(١) يريد الشاعر فرنسا وقد خرجت من الحرب مهزومة من الالمان ثم جاءت تعرض صولتها وعنفوانها على الشعب السوري الاعزل .

غَسَـلَ الأَسَـى قَلْبِـي وَحَسْـبُكَ بـالأَسَـى
مِـنْ غـاسِـلٍ حِقْـدَ القُـلـوبِ وَمـاحِـي
وَوَدِدْتُ حِيـنَ هَـوىَ جَنـاحُ حَمَـامَـةٍ
لَـوْ حَلَّقَـتْ مِـنْ خَـافِقِـي بِجَنـاحِ
حُـبٌّ قَـدِ انْتَـظَـمَ الـوُجـودَ بأَسْـرِهِ
أَسَـدَ الشَـرى وَحَمَـامَـةَ الأَدْوَاحِ

* * *

أَعْمـى تَلَـفَّتَتِ العُصـورُ فَما رَأَتْ
عِنْـدَ الشُـمـوسِ كَنـوزِهِ اللمَّـاحِ
نَفَـذَتْ بَصِيـرَتُـهُ لأَسْـرارِ الـدُجَـى
فَتَبَـرجَـتْ مِنْهـا بِأَلْـفِ صَبـاحِ
مَـنْ راحَ يَحْمِـلُ فـي جَـوانِحِـهِ الضُحـى
هـانَتْ عَلَيْـهِ أَشِـعَّـةُ المِصْبـاحِ

* * *

أَمُصَـوِّرَ الـدُنْيـا جَحِيمـاً فَـائِـراً
يَـرْمِـي العُصـورَ بِجَمْـرِهِ اللَّفَّـاحِ
هَـوِّنْ عَلَيْـكَ فَفِـي النُفـوسِ بَقِيَّـةٌ
مِـنْ رَحْمَـةٍ ومُـروءَةٍ وَسَمَـاحِ
خَلْـفَ الهَجيـرِ وَعُنْفِـهِ وَلَهِيبِـه
مـا شِئْـتَ مِنْ ظِـلٍّ وَطيـبِ نِفَـاحِ

ضَجَّتْ مَلائِكَةُ السَماءِ بِساخِرٍ
مُرِّ الدُعابَةِ شاتِمٍ مَدَّاحِ
السُخْرُ فيهِ اذا أُخِذْتَ بِكُفْرِهِ
كالسُخْرِ حِينَ تَراهُ في النُصَّاحِ
نَكَبَ العَقائِدَ والطِباعَ فَيا لَهَا
فَتَكاتِ حَتْفٍ كالقَضاءِ مُتاحِ
وَعَدا على حَرَمِ السَماءِ فَيا لَهُ
فَتْحاً أَطَلَّ بِهِ عَلى الفَتَّاحِ
عَرَّى السَرائِرَ والنُفوسَ مُمَزِّقاً
عَنْهُنَّ كُلَّ غِلالَةٍ وَوِشاحِ
وَجَلا المَصُونَ مِنَ الضَمائِرِ فانْتَهَى
هَمْسُ النُفوسِ لِضَجَّةٍ وَصِياحِ
إنْ يَقْسُ في نَقْدِ الطِباعِ فَلَمْ تَكُنْ
تُرْجَى لِرَحْمَتِهَا يَدُ الجَرَّاحِ

* * *

إيهٍ رَهِينَ المحبسين أَلَمْ يَئِنْ
إطْلاقُ مَأْسورٍ وَفَكُّ سَراحِ
ظَفِرَتْ بِرَحْمَتِكَ الحَياةُ وَصُنْتَها
عَنْ كُلِّ ناعِسَةِ الجُفونِ رَداحِ
أَتَضِيقُ بالأُنْثَى وَحُبُّكَ لَمْ يَضِقْ
بالوَحْشِ بَيْنَ سَباسِبٍ وَبِطاحِ

يـا ظَـالِـمَ التُفَّـاحِ فـي وَجَنَـاتِـها
لَـوْ ذُقْتَ بَعْـضَ شَمـائِـلِ التُفَّـاحِ
عِطْـرُ أَحَـبُّ مِـنَ المُنـى وَغِـلاَلَـةٌ
بِـدْعٌ فَمِـنْ وَهْـجٍ وَمِـنْ أَفْـراحِ
هِـيَ صُـوَرَةٌ لِلَّـهِ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ
عَـزَّتْ نَظَـائِـرُهـا علـى الأَلْـواحِ

* * *

مَنَحَـتْ بِقُـدْرَتِـهِ النَعِيـمَ وَلَـوَّنَتْ
انـوارَهُ جَلَّـتْ يَـدُ المَنَّـاحِ
لَيْتَ الهُمُـومَ العَبْقَـرِيَّـةَ هُـدْهِـدَتْ
بِحَنـانِ طَيِّبَـةِ اللَّمَـى مِمْـراحِ
لَوْ أَنهَّـا نَـزَلَـتْ عَـلى نُعْمَـى الهَـوى
نَـزَلَـتْ مُـدَلَّلَـةً بِـأَكْـرَمِ سَـاحِ
حَـرَمٌ عَلـى عُسْـرِ الـزَمـانِ وَيُسْـرِهِ
وَحِمَـى أَمِيـنِ السِـرْبِ غَيْـرُ مُبَـاحِ
مـا أَحْـوَجَ العَقْـلَ الحَـكِيـمَ وَهَمُّـهُ
وَسِـعَ الحَيـاةَ لِصَـبْـوَةٍ وَمِـراحِ
وَلِمَـنْ تُـدَلِّلُـهُ وَتُسْـكِـرُ رُوحَـهُ
عِنْـدَ الهَجِيـرِ بِظِـلِّهـا النَفَّـاحِ
أُنْثَـى إِذَا ضَـاقَـتْ سَرِيَـرَةُ نَفْسِـهِ
طَلَعَـتْ بِـآفَـاقٍ عَلَيْـهِ فِسَـاحِ

تَسْـقِـي الهُمُـومَ إذَا وَرَدْنَ حَنَـانَهَـا
بِمُعَـطَّـرٍ كـالسَلْسَـبِيـلِ قَـرَاحِ
وَتَـرُدُّهُـنَّ عَـرائِسـاً مَجْلُـوَّةً
كَنَـدى الصَـبـاحِ وَكُـنَّ غَيْـرَ صِبَاحِ
لِلْعَبْقَـرِيَّـةِ قَسْـوَةٌ لَـوْلا الهَـوى
عَصَـفَـتْ بِكُـلِّ عقيـدةٍ وَصَـلاحِ
رَعْنَـاءُ إنْ تَـرَكَ الجَمَـالُ عِنَانَهَـا
طَـاحَـتْ بِفَـارِسِ مَتْنِهَـا الجَحْجَـاحِ
مـا للشِـراعِ عَلـى العَـواصِفِ حِيلَـةٌ
إنْ لَـمْ تُصَـرِّفْـهُ يَـدُ المَـلاَّحِ

* * *

إيـهٍ حَكِيـمَ الـدَّهْـرِ أيُّ مَلِيحَـةٍ
ضَـنَّـتْ عَلَيْـكَ بِعِـطْـرِهَـا الفَـوَّاحِ
أَسْـكَنْتَهَـا القَلْـبَ الرَحِيـمَ فَـرابَـهـا
مـا فِيـهِ مِـنْ شَكْـوى وَرَجْـعِ نُـوَاحِ
جَـرَحَـتْ إبَـاءَكَ والحَيَـاءَ فَأَقْفَـلاَ
بَـابَ المُنَـى وَرَمَيْـتَ بالمِفْتَـاحِ
لَـوْ أَنْصَـفَـتْ لَسَـقَتْـكَ خَمْـرَةَ رِيقِهَـا
سُـكْـرَ العُقُـولِ وَفِتْنَـةَ الأَرْواحِ
ولأَسْـعَفَتْـكَ عَلـى الهَـوى بِمُعَـطَّـرٍ
بـالحُسْـنِ لا بِشَقَـائِـقٍ وَأَقَـاحِ

لاَ تُخْـفِ حُـبَّـكَ بالضَـغِينَـةِ والأَذَى
الحُـبُّ جَوْهَـرُ حِقْـدِكَ المِلْـحَـاحِ
وَأَطِـلْ هِجَـاءَكَ مَـا تَشَـاءُ فَخَلْفَـهُ
غُـرَرٌ مُنَضَّـرَةٌ مِـنَ الأَمْـدَاحِ
العَبْقَـرِيَّـةُ والجَمَـالُ تَحَـدَّرا
مِـنْ نَبْعَـةٍ وَتَسَـلْسَـلاَ مِـنْ رَاحِ
أَخَـوانِ مَـا طَلَـعَ الضُـحَـى لَوْلاَهُمَـا
إلاَّ عَلـى العَبَـراتِ والأَتْـرَاحِ
الـظَّـالِمَـانِ المَـالِـكَـانِ وَنِعْمَـةٌ
مَـا أَسْـلَفَـا مِـنْ زَلَّـةٍ وَجُنَـاحِ
إنَّ التـي حَرَمَتْـكَ نِعْمَـةَ حُبِّهَـا
وَأَبِيـكَ عَـارُ كَواعِـبٍ وَمِـلاَحِ
لَـوْ كَـانَ فِـي يَـدِيَ الـزَمَـانُ وَسِـرُّهُ
وَأَعِنَّـةُ الإمْسَـاءِ والإصْبَـاحِ
فِـي مَشْهَـدٍ تَكْسُـو الوُفُـودُ رِحَـابَـهُ
وَيَغَـصُّ بالغَـادِيـنَ والـرُوَّاحِ
لَنَـزَعْـتُ فِتْنَتَهَـا وَسِـحْـرَ جُفُـونِهَـا
وَمَحَـوْتُ نُـورَ جَبِينِهَـا الـوَضَّـاحِ
وَنَثَـرْتُ جَـوْهَرَ ثَغْـرِهَـا مِـنْ عِقْـدِهِ
فَصِحَـاحُـهُ العَـطِـرَاتُ غَيْـرُ صِحَـاحِ

وَرَدَدْتُ للسَبْعِينَ رَيِّقَ عُمْرِهَا
والحَالِيَاتِ مِنَ الصِبَا المِمْرَاحِ
وَجَلَوْتُ مِرْآتِي .... فَنَدَّتْ صَرْخَةٌ
كَلْمَى وَغَطَّتْ خِزْيَهَا بالرَّاحِ
حَتَّى إذَا أَتْمَمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ
أَشْرَفْتُ انْظُرُ نَظْرَةَ المُرْتَاحِ
فَتَأَرْتُ مِنْ ظُلْمِ الجَمَالِ وَرُبَّمَا
شَمَتَتْ جِرَاحٌ فِي الثَرى وأَضَاحِ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ ضِقْتَ فِيهِ تَنَكَّرَتْ
للجِدِّ مِنْهُ دُعَابَتِي وَمُزَاحِي

* * *

الوَحْدَةُ الكُبْرى تَهَلَّلَ فَجْرُهَا
بِظِلَالِ أَبْلَجَ ذَائِدٍ نَفَّاحِ
هَذِي العُرُوبَةُ فِي حِمَاكَ مُدِلَّةٌ
رِيعَ العَدُوُّ بِهَا وَضَاقَ اللاَّحِي
(١) الأَزْرَقُ الرَجْرَاجُ حَنَّ لِرَمْلَةٍ
فِي الدِجْلَتَيْنِ نَدِيَّةٍ مِسْمَاحِ
(٢) وأرى الكِنَانَةَ إنْ تُمَاجِدْ مَا جَدَتْ
بِالعَاصِ لا بِمَنًى وَلاَ بِفِتَاحِ

***

١) يريد الشاعر ان البحر في سورية يحن الى لقاء صحراء العراق .
٢) الكنانة مصر والمعنى ان مصر الآن اذا موجدت تماجد بالعاص اي عمرو بن العاص الذي فتحها واسس الحكم العربي فيها . لا بمنى ولا بفتاح . وهما فرعونان من فراعنة مصر .

سَمْعَـاً حَكِيـمَ الـدَّهْـرِ فَهْـيَ قَصِيـدَةٌ
وَأَبِيـكَ بِـدْعُ مُغَـرِّدٍ صَـدَّاحِ
عَصْـمَـاءُ إِنْ شَهِـدَ النَـدِيُّ خَطِيبَهَـا
تَـرَكَـتْ فِصَـاحَ القَـوْمِ غَيْـرَ فِصَـاحِ
بَـدَهَـتْ شَـوارِدُهَـا العِـدَى بِكَتِيـبَـةٍ
خَضْـرَاءَ تَلْـمَعُ بالحَـدِيـدِ رَدَاحِ
هَـلْ فِـي ثَـرَاكَ عَلـى المَعَـرَّةِ مَـوْضِـعٌ
بَيْـنَ العُيُـونِ لِدَمْعِـيَ السَـحَّـاحِ
حَنَـتِ النُفُـوسُ عَلَيْـهِ تَسْكُـبُ حُبَّهَـا
فَجَلَـتْ بَـرَاحَ البِيـدِ غَيْـرَ بَـرَاحِ
مـا لِلْجِيَـادِ الأَعَـوَجِيَّـةِ حُسَّـرَاً
صَرْعَـى الهَجِيـرِ عَلـى المَـدَى الفَـيَّـاحِ
فَاعْـذِرْ إِذَا لَـمْ أُوْفِ مَجْـدَكَ حَقَّـهُ
لُجَـجُ الخِضَـمِّ طَغَـتْ عَلـى السَـبَّـاحِ

اطلَّ من حرم الرؤيا فعزاني

مَنازِلُ الخُلْدِ لا أَرْباعُ لُبْنانِ
وَفِتْنَةُ السِحْرِ لا آياتُ فَنَّانِ
جِنَانُ لُبْنانَ حَسْبِي مِنْكِ وَارِفَةٌ
فِيها النَدِيَّانِ مِنْ رَوْحٍ وَرَيْحَانِ
شَبَّ النَبِيُّونَ في أَفْيائِها وَحَبَتْ
فيها خَيالاتُ إنْجِيلٍ وقُرْآنِ
بَلِيلَةٌ بِدُموعِ اللهِ ما وَسِنَتْ
إلاَّ وَبيْنَ خوافِيها حَبِيبانِ
يَغْفُو بِها الفَجْرُ في أَحْضانِ مُورِقَةٍ
مَديدَةِ الظِلِّ سَكْرى الآسِ والبَانِ
سَقَتْهُ مِنْ خَمْرِها قَبْلَ الكَرى عَلَلاً
فَبَعْضُ أَحْلامِهِ أَحْلامُ سَكْرانِ
وَدَغْدَغَتْهُ فَلِلأَغْصانِ هَيْنَمَةٌ
كأنَّها بَثُّ غَيْرانٍ لِغَيْرانِ
وَما تَنَبَّهَ حَتى راعَهُ وَهَجٌ
والشَمْسُ حَلْيُ رُبَى خُضْرٍ وَوِدْيانِ
صَحِبْتُ فِيكِ شَبابي والهَوَى ومُنَى
لُعْسَ الشِفاهِ وظِلاً غَيْرَ ضَحْيانِ

فَأَسْبِغِي نِعْمَةَ النِسْيانِ تَغْمُرُني
عَسَى يُخَفِّفُ مِنْ بَلْوايَ نِسْيانِي
أَمْسَيْتُ لا رِيقُها المعسولُ أسعدني
ولا الجُنونُ : جنونُ الحُبِّ واتَانِي

أَلَحَّ بِي السُقْمُ حتَّى لا يُفارِقُني
وَراحَ يَنْسِجُ قَبْلَ الشَيْبِ أَكْفَانِي
عَفَّى على نَزَواتِ النَفْسِ جامِحَةً
إلاَّ اهْتِزازَ خَلِيعِ الحُسْنِ نَشْوانِ

وَصَبْوَةً للعُيونِ النُجْلِ هانِئَةً
مِنَ الشَبابِ بِظِلِّ العَاطِفِ الحَانِي
يُثِيرُ بي كلُّ حُسْنٍ فِتْنَةً وهَوَىً
فَما أَمُرُّ بِماءٍ غَيْرَ صَدْيَانِ

ويا رُبَى الحُسْنِ في لُبْنانَ هَلْ عَرِيَتْ
مُخْضَلَّةُ الدَوْحِ مِنْ ظِلٍّ وأغْصَانِ
وَمِنْ لُبانَاتِيَ السَكْرى مُصَرَّعَةً
مِنَ الوَنى بَيْنَ أفْياءٍ وأفْنَانِ

ويا رُبى الحُسْنِ هَلْ مِنْ نَفْحَةٍ حَمَلَتْ
شَذَى النُهودِ لِصَادِي القَلْبِ حَرَّانِ
وَهَلْ صَباكِ نُمومُ العِطْرِ ناقِلَةٌ
بَعْدِي أحادِيثَ أذْيَالٍ وأرْدَانِ

ويـارُبَـى الحُسْـنِ فـي لُبْنـانَ هَلْ ثَمِلَـتْ
بَعْـدي الرَياحِـينُ مِـنْ صَهْبـاءِ نَيْسـانِ
ويـا رُبَـى الحُسْـنِ فـي لُبْنـانَ لاَ انْبَسَطَـتْ
يُمْنـى الهَجِيـرِ عَلـى أفْيـاءِ لُبْنـانِ
مُدِّي ظِلاَلَـكِ يَنْعَـمْ فـي غَـلائِلِهَـا
صَرْعَـى الـرَدى مِـنْ أحِبَّـائِـي وأخْدانِـي
النَّـائِميـنَ بِظِـلِّ الارْزِ يُنْشِـدُهُـمْ
رِوايَةَ الـدَهْـرِ فـي نُعْمَـى سُلَيْمـانِ
أمَّـا البـلابِـلُ فَلْتُـؤْنِـسْ قُبورَهُـمُ
مِـنْ كُـلِّ سَاجِعَـةٍ فـي الـدَوْحِ مِرْنَـانِ
أُعِيـذ بالحُـبِّ والـذِكْـرى هَوَى نَفَـرٍ
بِيـضِ الـوُجـوهِ مِـنْ النَعْمـاءِ غُـرَّانِ

* * *

قَدْ صَوَّرَ الـوَحْـيُ ألْـوانَ النَعيـمِ علـى
مِثـالِ ما فِيكَ مِنْ حُسْـنٍ وألْـوانِ
وزادَ فِيهـا خُلُـودا ما عَنِيـتُ بِهِ
أشْـهـى اللُبـانَـاتِ في حُكْمِ النُهـى الفَاني
لايَعْـذُبُ الـوَصْـلُ إلاَّ أنْ يُخـامِـرَهُ
خَـوْفُ المُحِبِّيـنَ مِنْ نـأيٍ وَهِجْـرانِ
ولا هَنـاءَ بِنُعْمـى لا تَخـافُ لَهـا
فقـداً ولا تُبْتَلـى مِنْهـا بِحِـرْمَـانِ

لَوْ يَعْلَمُونَ مَناحِي النَفْسِ ما خَلَعُوا
ثَوْبَ الخُلودِ على نُعْمى وأَحْزَانِ
فأَصْبَحَ الكَوْنُ لَغْواً لا حَيَاةَ بِهِ
مِنْ رَغْبَةٍ في مَجَالِيهِ وغُنيانِ
ما للخُلُودِ وما للحُسْنِ يَزْعَمُهُ
هَيْهاتَ عُرِّيَ مِنْ حُسْنٍ وإِتْقَانِ
يُضْفِي الجَمالَ على الايامِ مُقْتَدِرٌ
مِنَ (التَحَوُّلِ) ذُو عِزٍّ وسُلْطانِ
عَنا لَهُ الكَوْنُ مأْخُوذاً بِفِتْنَتِهِ
مِنْ أَنْجُمٍ ومَكانَاتٍ وأَزْمَانِ
وعاطِفَاتٍ وأَرْواحٍ وأَخْيِلَةٍ
تَغْزو الوُجودَ وآراءٍ وأَدْيانِ
وَرُبَّما فَقِهَتْ مِنْ أَمْرِهِ عَجَباً
قَبْلَ الهُداةِ عَصا مُوسَى بْنِ عِمْرانِ

* * *

لِيُؤْمِنِ الناسُ ما شَاؤُا بِرَبِّهِمُ
فَبِالتَحَوُّلِ بَعْدَ اللهِ إِيْمانِي
تَسْمُو إِلى أُفْقِهِ القُدْسِيِّ طاهِرَةً
طُهْرَ الدُموعِ تَسابِيحي وأَلْحانِي
كَفَرْتُ بالرُوحِ بَعْد الرَيْبِ آونَةً
وَكانَ زُلْفَى إِلى نَجْواهُ كُفْرانِي

وَقَـرَّبَ النـاسُ مـا شَاؤُا لِمَذْبَحِـهِ
فمـا تَقَبَّـلَ مِنْهُـمْ غَيْـرَ قُـرْبـانِي
أَعْلَنْـتُ حِيـنَ أَسَـرُّوا امْـرَهُـمْ فَـرقَـاً
يـا بُعْـدَ مـا بَـيْنَ إِسْـرارٍ وإِعْـلانِ

* * *

إِنَّ الخُلـودَ ومـا تَروِي مَـزاعِمُهُـمْ
عَـنِ السَّـعـادَةِ فـي الأُخْـرى نقيضـانِ
لا يَخْـدَعُ اللـهُ قَـوْمـاً يُـؤْمِنـونَ بِـهِ
فَتِلْكَ خُـدْعَـةُ إِنْسـانٍ لإِنْسـانِ
جِنَـانُ رَبِّـكَ فِي سِرِّ الخُلـودِ غَدَتْ
وكـلٌّ آوٍ اليهـا رَازِحٌ وانِ
مَـلَّ المُقيمـونَ فِيهـا من هَنَاءَتِهِمْ
كمـا يَمَـلُّ السـقـامَ المُـدْنَفُ العَانِـي
تَمْضِـي العُصُـورُ عَلَيْهِـمْ وهْـيَ واحِـدةٌ
اليَوْمُ كالأَمْـسِ فيهـا ضـاحِـكٌ هـانِـي
تُـزْجِـي السَّآمَـةَ تَفـكيـراً وعاطِفَـةً
إِلـى عُقـولٍ وأَهـواءٍ وَوِجْـدانِ
لا يَـرْقُبـونَ جَـديداً فـي خُلـودِهِمُ
لَـرَثَّ مِـنْ قِـدَمِ العَهْـدِ الجَديدانِ
ولا يُحِبُّـونَ لَكِـنْ تِلْكَ طـائفـةٌ
مِـنْ مـاجِنـاتٍ خَليعـاتٍ ومُجَّـانِ

ولا يُناجُون في أحْلامِهِمْ أمَلاً
مُحَبَّباً بَيْنَ إنْكارٍ وإيقَانِ

ولا يُحِسُّونَ لا حُزْناً ولا جَذلاً
فالقَوْمُ ما بَيْنَ مَشْدُوهٍ وسَهْوَانِ

يا شَقْوَةَ النَفْسِ تَخْلو بَعْدَ أنْ عَمِرَتْ
مِنْ حَسْرَةٍ ولُبانَاتٍ وأضْغَانِ

وضَيْعَةَ القَلْبِ لا تأوي اليهِ مُنىً
كالنَحْلِ تَأْخُذُ مِنْ رَوْضٍ وبُسْتَانِ

مِنْ كُلِّ مَنْ أبْلَتِ الأدْهارُ جِدَّتَهُ
فَمَا يُحَرِّكُهُ تَدْلِيلُ رِضْوانِ

يُنادِمُ الحُورَ لَكِنْ غَيْرَ مُغْتَبِطٍ
وَيَشْرَبُ الراحَ لَكِنْ غَيْرَ ظَمْآنِ

لَوَدَّ في كُلِّ ما يُجْرِيه مِنْ عَسَلٍ
ومِنْ خمورٍ ومِنْ دُرٍّ وَعِقْيانِ

هُنَيْهَةً مِنْ شَقَاءٍ يَطْمَئِنُّ بِها
إلى مُناجَاةِ آلامٍ وأشْجانِ

إذا تَذَكَّرَ دُنياهُ هَفَا وَلِعاً
إلى حَبيبٍ وَصَهْباءٍ ونُدْمانِ

وَراحَ يَبْحَثُ في المَجْهُولِ عَنْ أمَلٍ
وَعَنْ شَقاءٍ وَعَنْ أهْلٍ وَخُلاَّنِ

لَعَلَّ بَيْنَ زَوايا النَفْسِ قَدْ تُرِكَتْ
ثُمالَةٌ مِنْ صَبابَاتٍ وتَحْنَانِ

* * *

أَمَّا الغَوانِي فَصَخْرٌ لا يُحَرِّكُها
نَجْوى مُحِبٍّ ولا تَدْلِيلُ وَلْهَانِ
لا تَعْرِفُ الحُبَّ إلاَّ مَحْضَ تَلْبِيَةٍ
لِعَابِرِينَ مِنَ الأَبْرارِ فِتْيَانِ
وَلا تَحِنُّ إلى رُوحٍ وعَاطِفَةٍ
فالحُبُّ في مَلَكُوتِ اللهِ جُثْمانِي
مِنْ كُلِّ مُرْتَجَّةِ الأَرْدَافِ حَالِيَةٍ
بالحُسْنِ أَخَّاذَةٍ بالسِحْرِ مِفْتَانِ
خَبا لَهِيبُ المُنَى فِي رُوحِها فَغَدَتْ
وَحُسْنُهَا فِي جُلاهُ حُسْنُ أَوْثَانِ
جَنَى الخُلودُ عَلَيْهَا فَهْيَ شَاكِيَةٌ
إلى الأُنُوثَةِ ذَاكَ الخَائِنَ الجَانِي

* * *

وَلِلْخُلودِ عَلى أَهْلِ الجَحِيمِ يَدٌ
تُجْزَى مَعَ الدَهْرِ إِحْسَاناً بِإِحْسَانِ
الكافِرُونَ لِطُولِ العَهْدِ قَدْ أَلِفُوا
بِقَاعِهَا نُضْجَ أَرْواحٍ وأَبْدَانِ

وَقَـدْ تُـزَفُّ بِهَـا والحَفْـلُ مُحْتَشِـدُ
سَـجِيـنَـةٌ مِـنْ ضَحَـايَـاهَـا لِسَـجَّـانِ
فَـأَصْبَحَـتْ وَهْـيَ مِـنْ مَـاءٍ وَمِـنْ مَـدَرٍ
شيطـانَـةً تَتَصَـبَّـى كُـلَّ شَيْطَـانِ
وَرُبَّمَـا صَحِبُـوا فِيهَـا زَبَـانِيَـةً
بَعْـدَ القِلى إلْـفَ إِخْـوانٍ لإِخْـوانِ
لاَ يَأْلَمُـون وَلاَ تَشكُـو جُسُـومُهُـمُ
مِـنَ اللَـظَـى فَهْـيَ نِيرانٌ بِنِيـرانِ

* * *

مَلِيـحَـةَ الـدَلِّ مِـنْ غَسَّـانَ لا بَلِـيَتْ
شَـمَـائِـلُ الصِيدِ مِـنْ أَقْيَـالِ غَسَّـانِ
أَتَـأْذَنِيـنَ بِإِنْشَـادٍ فَما جُلِيَـتْ
إلاَّ لِحُسْـنِـكِ أَشْـعَـارِي وأَوْزَانِـي
طَـوَّفْتُ فِـي هَـذِه الـدُنْيَـا عَلى مَهَـلٍ
طَـوافَ أَشْعَـثَ مـاضِـي العَـزْمِ يَقْظَـانِ
تُظِلُّنِـي مِصْـرُ أَحْيَـانَـاً وآوِنَـةً
أعَـاقِـرُ الخَمْـرَ فِـي جَنَّـاتِ بَغْـدانِ
وَقَـدْ صَحِبْـتُ شُعـوبَ الأَرْضِ مِـنْ عَرَبٍ
شُـمِّ الانُـوفِ إِلـى رُومٍ وَكِلْـدَانِ
مُفَتِّشَـاً عَـنْ عَزاءِ النَفْسِ لا لَعِبِـي
أَدًى إِلَيْـهِ ولا حِلْمِـي وَعِرْفَـانِـي

مُســـائِـــلاً عَنْـهُ حَتَّـى قَـدْ عَيِيتُ بِـهِ
إِرْثَ الفَـلاسِـفِ مِـنْ هِنْـدٍ وَيُـونَـانِ
فَمـا رأَيْـتُ لَـهُ عَيْنَـا وَلا أَثَـرَاً
وَلا أَفَـادَ طَـوافِـي غَيْـرَ خِذْلانِـي
إذا نَدَبْـتُ جُهـودِي وهْـيَ ضَـائِعَـةٌ
أَطَـلَّ مِـنْ حَـرَمِ الـرُّؤْيَـا . فَعَـزَّانِـي

* * *

ثُـمَّ انْثَنَيْـتُ وَرَكْبِـي جِـدُّ مُتَّئِـدٍ
مِـنَ الـوَنَـى وَرَفِيقـي جِـدُّ حَيْـرانِ
والبِيـدُ أَوْسَـعُ مِـنْ صَـدْرِ الحَلِيـمِ مَـدَىً
وللسَّـرَابِ بِهـا آلافُ غُـدْرانِ
ظَمْـأَى حَيَـارَى وخَلْـفَ الـرَّكْبِ طَـائِفَـةٌ
خُمُـرُ اللـواحِـظِ مِـنْ أُسْـدٍ وَذُؤْبَـانِ
فَأَيْقَـنَ القَـوْمُ بالجُـلِّ وَقَـدْ صَمَتُـوا
لِهَيْبَـةِ المَـوْتِ وهْـوَ المُقْبِـلُ الدَانِـي
حَتَّـى إذا اليَأْسُ لَمْ تَتْـرُكْ مَـرارَتُـهُ
إلاَّ بَقِيَّـةَ صَبْـرٍ غَيْـرِ خَـزْيَـانِ
لاَحَـتْ خِيَـامُـكِ بالصَـحْـراءِ مُـونِقَـةً
أَبْهَـى وأَزْيَـنَ مِنْ عَـرْشٍ وإِيـوانِ
فَكَـبَّـرَ الـرَّكْبُ مُرْتَـاحَـاً الـى أَمَـلٍ
عَـذْبِ المُجَـاجَـةِ حَـالِي الـوَشْـيِ رَيَّـانِ

مُبَادِرَاً للظِلالِ الخُضْرِ قَدْ كُسِيَتْ
نَثِيرَ وَرْدٍ وَنَمَّامٍ وَسَوْسَانِ
فَما فَتَحْتُ جُفُونِي وَهْيَ دَامِيَةٌ
مِنَ الرِمَالِ أعَانَ اللَّهُ أجْفَانِي
حَتَّى لَمَحْتُكِ خَلْفَ السِتْرِ ضَاحِكَةً
إلى جَوارٍ وَحُجَّابٍ وَغِلْمَانِ
فَقَرَّتِ النَفْسُ لا شَكْوَى ولا تَعَبٌ
ولا لَجَاجَةُ إيمَانٍ وَكُفْرَانِ
وَابْصَرَتْ بَعْدَ طُولِ البَحْثِ غَايَتَها
فَاذْعَنَتْ لِهَواها أيَّ إذْعَانِ
رَأتْ بِعَيْنَيْكِ يا لَيْلى وَقَدْ يَئِسَتْ
عَزاءَهَا لا بِإنْجِيلٍ وَفُرْقَانِ
فَقُبِّلَتْ شَفَةٌ حَمْراءُ دَامِيَةٌ
واهْتَزَّ مِنْ نَشَواتِ اللَثْمِ نَهْدَانِ
سِرُّ السَعَادَةِ فِي الدُنْيَا وإنْ خَفِيَتْ
تَجْلُوهُ مِنْكِ على الأكْوانِ عَيْنَانِ
آمَنْتُ بالحُبِّ ما شَاءَتْ عُذوبَتُهُ
آمَنْتُ بالحُبِّ فَهْوَ الهَادِمُ البَانِي

ما شأن هذا الاشعث الجواب

هَـلْ عِنْـدَ أَنْجُمِـكَ الضَواحِـكِ مَا بـي
يا لَيْـلَ إِشْـرَاكِي وَصُـبْـحَ مَتَابِـي
طَهَّـرْتُ آثـامِـي البَـرِيئَـةَ في لَظَـى
قُبَـلٍ كأَحْـلامِ النَعيـمِ عِـذابِ
فَـأَدِرْ علـيَّ سُـلافَ رِيقِـكَ واسْقِنِـي
واسْـقِ النـدِيـمَ سُـلافَـةَ الأَعْنـابِ
وإِذَا عَتَبْـتُ علـى لَمَـاكَ فَرُبَّمَـا
سَـمَـحَ الحَبِيـبُ بِرَشْـفَـةِ الأَعْتـابِ
وَسَّـدْتُـكَ اليُمْنـى لَعَـلَّـي في غَـدٍ
أَرِدُ الحِسـابَ وَوَجْنَتـاكَ كِتابِـي
وَنِعْمـتُ أَلْمَـحُ في جُفـونِـكَ رَغْبَـةً
خَجْلـى صرِيعَـةَ نَشْـوةٍ وَدُعَـابِ
لاَ تَغْـفُ تَحْلُـمْ بالنُجـومِ فَيَرْتَمِـي
منْهـا لِرَشْـفِ لَمَـاكَ أَلْفُ شِهَـابِ
لا تَغْـفُ وَأْثَـمْ في هَـواكَ ولا تَخَـفْ
نُسْـكِي أَمـانُـكَ في غَـدٍ وثَوابِـي
هَيْهَـاتَ وِزْرُكَ لا أَنُـوءُ بِحملـهِ
إِنْ صَـحَّ أَمْـرُ قِيَامَـةٍ وحِسـابِ

* * *

يَا رَبِّ عَفْـوَكَ قَـدْ ثَمِلْـتُ فَخَلِّنِـي
لِغَـوايَتِـي وتَهَتُّـكِـي وَشَرَابِـي
وَجنـونِ أَحْـلامِـي تَثُـورُ عَنيفَـةً
حَمْـرَاءَ بَيْـنَ معَـالِـمٍ وَقِبـابِ

سَفَـكَـتْ دَمِـي وأُلِـحُّ فِي إِرْضائِهَـا
فَتَعـافُـهُ وَتُلِـحُّ فِي إِغْضابِـي
أَحْـلامُ جَبَّـارِ السمـاواتِ العُلَـى
نَـزَلَـتْ عَلَـيَّ وَضَـمَّهـا جِلْبابِـي

خَلَقَـتْ بِبَيْـدائِـي الـظَمِيئَـةِ جَنَّـةً
ثَـرْثَـارَةَ الأَلْـوانِ والأَطْيـابِ
يَأْوِي إِلـى رَحَمَـاتِهـا وَحَنَانِهـا
قَلَـمُ الحَـكيـمِ ومِنْجَـلُ الحَطَّـابِ

فإِذَا الحَيـاةُ علـى جَـلالَـةِ قَدْرِهَـا
دَاري وهَـذا الأُفْـقُ بَعْـضُ رِحابِـي
وَإِذَا الـكَواكِـبُ مِـنْ لِـدَاتِ طُفُولَتِـي
والـكَـوْنُ والأَجْيـالُ مِـنْ أَصْحـابِي

نَزَلَـتْ علـى فَقْـرِي وأَعْوَزهـا القِـرَى
هَـذا دَمِـي ولُبَـانَتِـي وشَبَابِـي
وثُمَـالَـةُ فِي الـكأْسِ أَغْفَلَهـا الهَـوى
لِمُصَـرَّعِـينَ غَطـارِفٍ أَنْجـابِ

صِـرْفـاً وَأَشْـفَـقَ مِنْ عَنيـفِ خُمارِهـا
سَـاقـي الـكُـؤوسِ فَشَـجَّهـا بِرُضَـابِ

* * *

ذاكَ البَيـانُ علـى مَرارَة كأسِـهِ
سُـكْرُ العُقـولِ وفِتْنَـةُ الأَلْبـابِ
وتَخَـالُـهُ قِطَـعَ الـرِيـاضِ تَفَتَّحَـتْ
فِيهـا الخَمائِـلُ عن أَغَـرَّ عُجَـابِ
نَشْـوى بـأنـداءِ الصَبـاحِ يُديرُهـا
سَـاقِـي الـربيـعِ مُزْعفـرَ الجِلْبـابِ
والحِـكْمَـةُ الغَـرَّاءُ فـي كَلِمـاتِـهِ :
نُـورُ البَيـانِ وحِلْيَـةُ الآدابِ
أَفْضَـى الـى الأَخْـلاقِ وَهْـيَ مَصُونَـةٌ
أَتَـرَاهُ يَكْتُـمُ سِـرَّهـا ويُحابِـي
مالِي ولـلأَخْـلاقِ يَغْمُـرُ سِـرُّهَـا
عَنَـتَ الغَـبِـيِّ وخُـدْعَـةَ المُتَغابِـي
أَلغَـدْرُ فـي دَاوُدَ[1] بَعْـدَ مَشِيبه
ورِعَـايَـةُ الأَضْيـافِ مِـنْ رَاحـابِ[2]
ظَمْـأَى إِلَـى القُبَـلِ الأَثِيمَةِ عَـذْبَـةً
كَالبـابِلِـيِّ مَـريـرةً كـالصَّـابِ

(١) ـ اشارة الى ما ذكرته التوارة من ارسال داود احد قواده للمعركة ليستأثر بامرأته .

(٢) ـ راحاب اسم بغي ورد ذكرها في التوارة وقد اخفت جاسوسين كانا عندها فلم تبح بأمرهما .

قَـامَـتْ بـأعْبـاءِ الـوَفـاءِ ولَـمْ يَـقُـمْ
فِيـهِ جَـلالُ المُلْـكِ والأحْسـابِ
وأبَـتْ لِضَيْفَيْهـا الحَبـائِـلَ بَعْـدَمَـا
وَرَدَا حَبـائِـلَ عُـرْيِهـا الجَـذَّابِ ؟

* * *

مَـرْحَـى لِبـائِعَـةِ السُـرورِ ولا انْطَـوَتْ
ذِكْـراكِ مِـنْ نَشْـوى الـدَّلالِ كَعَـابِ
أزْرَى بِعِفَّتِـكِ الجَمـالُ وَخَلْفَـهُ
سُـكْـرانِ سُكْـرُ هَـوىً وسُـكْـرُ شَبـابِ
مَـرْحـى وإنْ عَصَـرَ الشَـقـاءُ سُـلافَـةً
مِـنْ وَجْنَتَيْـكِ أثِيـمَـةَ الأكْـوابِ
مَـرْحـى وفي عَيْنَيْـكِ مِـنْ صُوَرِ الهَوى
مـا لا يُعَـدُّ ومِـنْ رُؤَى الأحْبَـابِ
مِحْـرابُ حُسْـنِـكِ قَـدْ وَقَفْتُ بِبـابِـهِ
وَسَـجَـدْتُ أعْبُـدُ دُمْيَـةَ المِحْـرَابِ
وَلَمَحْـتُ فيـهِ جَـلالَ حُسْـنِـكِ راقِـداً
فَـوْقَ الشِـفـاءِ اللُّعْسِ والأهْـدابِ
وَسَـكِـرْتُ مِـنْ أحْـلامِـهِ بِسُـلافَـةٍ
عَجَـبٍ وَمِـنْ آهـاتِـهِ بِمَـلابِ
جُبْـتُ الظَـلامَ فَلَـمْ أدَعْ مِنْ دُجْنَةٍ
إلاَّ غَـدائِـرَ شَعْـرِكِ المُنْجَـابِ

وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الهَوى لَمْ يُخْفِهِ
في مَخْدَعِ الشَهواتِ أَلْفُ نِقابِ
فِي ذِمَّةِ الذِكْرى بَقَايَا لَيْلَةٍ
عُرْيانَةٍ مَجْنُونَةِ الآرابِ ...

* * *

وَيُرِيغُهُ عَنِّي النعيمُ فأَنْثَني
لأَراهُ في العَبَراتِ والأَوْصابِ
وَسَخِرْتُ بالأَوْهامِ عَصْرَ شَبيبَتِي
وَحَسِبْتُ فَيْضَ المَاءِ لَمْعَ سَرَابِ
فَاليَوْمَ تَخْشَعُ للخُرافَةِ حِكْمَتي
وَيَطُوفُ حَوْلَ قِبابِها إِعْجابِي
وأَرَى به طَيْفَ الحَقيقَةِ كامِناً
خَلْفَ الحِجابِ ولاتَ حِينَ حِجَابِ
قَتَلَتْ هَوايَ وحِكْمَتي وتَجَارِبي
فأَنا الشَهِيدُ وهَذِهِ أَسْلابِي
حَسْناءُ تَلْتَفِعُ البُرودَ قَدِيمَةً
يا لَيْتَها رَضِيَتْ جَدِيدَ إِهَابِي
فاخْشَعْ لِحالِيَةِ الشَبابِ وَرُبَّما
شَهِدَتْ وكان الدَهْرُ في الغُيَّابِ
تَفْنَى لِتَقْتَبِلَ الحَياةَ نَضِيرةً
سَمْجَاءَ بَعْدَ تَنازُعٍ وَغِلابِ

عُبِـدَتْ وسُـبِّـتْ فَهْـيَ مُنْـذُ تَبَـرَّجَتْ
للـكَـوْنِ بَيْـنَ عِبـادَةٍ وسِبـابِ
مَثَـلُ الحَقِيقَـةِ كـالجَمـالِ ورُبَّمـا
مَتَّـتْ إِلَيْـهِ بـأَقْـرَبِ الأَسْبـابِ
لِلْمَشْـرِقِ الضـاحِـي الأَغَـرِّ قِـلادَةٌ
مِنْـهُ وللشَـفَـقِ المَـريـضِ الخَـابِـي
الصُـبْـحُ مَـرْمـوقُ الضِياءِ مُنَـوَّرٌ
واللَيْـلُ ريَّـانُ المَـلاحَـةِ سـابِـي
سُبْحـانَ مَـنْ نَثَـرَ الحَقِيقَـةَ حَفْنَـةً
قُـدْسِيَّـةً مِـنْ حِكْـمَـةٍ وصَـوَابِ
تُـذْرِي الـرِيـاحُ بِهـا مَـدامِعَ رَحْمَـةٍ
بَيْـنَ العَقـائِـدِ أَوْ سِيـاطَ عَـذابِ
فـالمَـحْ نَثِيـرَ ضِيـائِهـا فِيما تَـرى
مِـنْ دَعْـوَةٍ وخُـرافَـةٍ وَكِتَـابِ
لَوْلا التُقَـى لَرَأَيْـتُ بَعْـضَ جَـلالِهـا
وَجَمـالِهـا بِرِسَـالَةِ (الكَـذَّابِ)[1]

* * *

يـا سَيِّـدَ الصَـرْحِ المُـمَـرَّدِ دُونَـهُ
حُجُـبُ المَنـونِ وَقَسْـوَةُ الحُجَّـابِ

---

(١) مسيلمة الكذاب: رجل ادعى النبوة .

رَفَعَتْـهُ مِـنْ جِـنِّ السَـمَـاءِ عِصَـابَـةٌ
فَبَـدا أَشَـمَّ عَلـى أَشَـمَّ عُقَـابِ

العَـدْلُ والتَـوحِيـدُ فِـي ذُرُواتِـهِ
وَعِبَـادَةُ الأَزْلاَمِ والأَنْـصَـابِ

بَيْـتُ الحَقِيقَـةِ طَـافَ فِـي أَرْكَـانِـهِ
ذُلُّ العَبِيـدِ وَعِـزَّةُ الأَرْبَـابِ

وَعَلَـتْ مَـعَ الأَوْرادِ فِـي غَلَسِ الدُجَـى
أُغْنِـيَّةٌ لِلْحُـبِّ مِـنْ زِرْيَـابِ

وَتَعَـانَـقَ البُغَضَـاءُ حَـوْلَ قِبَـابِـهِ
يَتَـأَلَّـفُـونَ شَـوارِدَ الأَحْسَـابِ

وَحَنَـا اليَقِيـنُ عَلـى الجُحـودِ ومـا حَنَـا
إلاَّ عَلـى الخُـلَصَـاءِ والأَتْـرابِ

تَتَخَـايَـلُ الأَسْـرَارُ فِيـهِ وَتَخْتَفِـي
مَعَهـا طُيـوفُ السِـحْـرِ والإِغْـرابِ

وَتَـرَى عَلـى الشُـرُفَـاتِ أَشْـبَـاحَ الـرُؤَى
تُصْـغِـي وَيُنْشِـدُهَـا إلَـهُ الغَـابِ

وَتُحِـسُّ بالنَغَمَـاتِ تَعْتَنِـقُ الـدُجَـى
وَتُثِيـرُ مِـنْ وَجْـدٍ وَمِـنْ إِطْـرابِ

نَغَـمُ الخَفَـاءِ تَجَـاوَبَـتْ أَصْـدَاؤُهُ
فِـي مُـوحِـشٍ غَمْـرِ الـرِمَـالِ يَبَـابِ

وَإِلَهَـةُ الـوادِي تَثُـورُ بِعُرْيِـهَـا
وَثْبَـاً لِلُجَّـةِ نَهْـرِهِ المُنْسَـابِ
فَيَضُـمُّـهَـا عُـرْيَـانَـةً مَقْـرورَةً
نَشْـوَى بِعُنْـفِ غَـرامِـهِ الصَـخَّـابِ
لَـوْ أَنَّ خَـدَّيْهَـا إِلَيْكَ وَثَغْرَهَـا
لَقَـطَفْـتَ مِـنْ وَرْدٍ وَمِـنْ عُـنَّـابِ

* * *

أَشْـرِقْ بِـلأْلاءِ اليَقِيـنِ وَسِـرِّهِ
فَـالأَنْبِـيَـاءُ وَأُمُّـهُمْ فِـي البَـابِ
عِيسَـى وَرَحْمَتُـهُ وَأَحْمَـدُ والـرُؤَى
والـوَحْـيُ نُـورُ مَفَـاوِزٍ وَشِعَـابِ
وَرَبِيـبُ مِصْـرَ تَطُـوفُ حَـوْلَ جَمَـالِـهِ
رِيَـبُ الغَيُـورِ وَخُـدْعَـةُ المُغْتَـابِ
يَـدْعُـو أَفَـانِيـنَ الهَـوى فَتُجِيـبُـهُ
وَدَعَـا هَـواكَ فَلَـمْ يَفُـزْ بِجَـوابِ
والفَـاتِحُـونَ مِـنَ المُـلـوكِ كَـأَنَّهُـمْ
عُقْبَـانُ جَـوٍّ أَوْ قَسَـاوِرُ غَـابِ
أَلـدُرَّةُ البَيْضَـاءُ دُونَ جَمَـالِهَـا
سُـودُ المَنُـونِ بِـزَخْـرَةٍ وَعُبَـابِ
حَمَـلُـوا الـلآلِـيَّ والسُـلافَـةَ والمُنَـى
وَغَـرائِـبَ الأَلْـطَـافِ والأَجْـلاَبِ

وَحَمَلْتُ أَسْمالي إِلَيْكَ وشَافِعِي
لَهَوى فَتَاتِكَ غُرْبَتِي وعَذَابِي
فاسْخَرْ بِإِدْلالِي عَلَيْكَ وَقُلْ لَهَا :
مَا شَأْنُ هَذا الأَشْعَثِ الجَوَّابِ ؟

حيـرة النفـس

شَجَـاهـا مِنْ عُهـودِكَ مَـا شَجاهَـا
وَجَـنَّ اللَيْـلُ فادَّكَـرَتْ أَسـاهَـا
هَفَـتْ لِشَبابِـهـا وَصَـبَـتْ إِلَيْـهِ
وَرَقَّ لَهَـا النَصِيـحُ فَمـا لَحَاهَـا
وَهَيْهَـاتَ الشَـبـابُ وَأَيْـنَ مِنْـهُ
مُنَـىً للنَفْـسِ تَعْثُـرُ فـي وَجَاهَـا
كَبـا وَركـائِـبُ الأَعـوامِ فِيهِ
مِـنَ العِشْـرِينَ لـم تَنْقُـلْ خُطَاهَـا
أَيَـخْـذُلُنـي الشَـبـابُ ضَنـىً وسُقْمـاً
أُفـولَ الشَـمْسِ تَغْـرُبُ فـي ضُحَاهَـا
ومـا عُذْرُ الشَـبـابِ كَبُـرْتُ فِيـهِ
وَلـي نَفْسٌ فَتِيَّـاتٌ مُناهَـا
سَقـاهـا مِـن سُلافَتِـه كُؤوسـاً
وَحَنَّـتْ للمَـزِيـدِ فَمـا سَقاهَـا
يُراخِـي بالعِنـانِ لَهَـا رويْـداً
فـإِنْ وَثَبَـتْ لِغـايَتِهـا ثَناهَـا
وَتَدْعُـوهـا الفُتـونُ وَهُـنَّ سِحْرٌ
فَتُطْـرِقُ لا تُلَبِّـي مَـنْ دَعـاهَـا

تُـرِيدُ ولا يُرِيدُ وكـلُّ نَفْـسٍ
يجُارِيـهـا الشَـبَـابُ عَلـى هَواهَـا
يُرِيـهـا للمُنَـى صُوَراً مِـلاحـاً
فَمـا هَمَّتْ بِهَـا إلاَّ أباهَـا

فَيا ظِـلَّ الشَـبـابِ أُكـلُّ وانٍ
تُـفِـيءُ عَلَيْـهِ فـي الـدُنْـيا سِواهَـا
ويا ظِـلَّ الشَـبـابِ أَتَتْـكَ غَـرْثَـى
فـكانَ أذَى القَـطِـيعَـةِ مِنْ قِراهَـا

أَطَلْـتَ هَوانَهـا فاذْهَـبْ حَبِيبـاً
رَعَتْـهُ على المَغِيـبِ وَمـا رَعاهَـا
وَضُـمَّ إلَيْـكَ عِقْـدَكَ وَهْـوَ دُرٌّ
لأَزْيَـنُ مِـنْ سِـوارِكَ مِعْصَماهَـا

مُعَـذَّبَـةٌ إذا لَمَحَـتْ جَمَـالاً
هَفَـتْ وَجْـداً وعـاوَدها ضَنَـاهَـا
وَتَنْشُـدُ حُبَّـهـا الأَسْـمـى وَتـأوي
إذا عَيِـيَ السُـهـادُ إلـى كَراهَـا

فَتَلْمَـحُ فـي الـرُؤَى حُسْـنـاً طريفـاً
وَجَـلَّ الحُسْـنُ تَخْلُقُـهُ رُوءَاهـا
تَبَنَّتْـهُ فَجَـاءَ يَهُـزُّ عِطْفـاً
بِبُـرْدَتِهـا وَيَخْـطُـرُ فـي حُلاهَـا

وَكَـدْتُ وَسِـحْـرُهُ سِحْـرُ خَفِـيٌّ
أَرَى فِيـهِ الْـحَـبَّـبَ مِـنْ صِباهَـا

* * *

هَـداهَـا اللَـهُ مِنْ حَـيْرَى أَضـاعَـتْ
لُبـانَتَهـا وبـارَكَ مَـنْ هَداهَـا
تُسـائِـلُ عَـنْ أَخِيهـا مَنْ تُلاقِـي
وكلُّ أُخَيَّـةٍ وَجَدتْ أَخَـاهَـا
وَأَحْسَـبُ أَنَّـهُ أَغْفَـى كَـلالاً
وَمَـرَّتْ فـي الظَـلامِ فَما رَآهَـا
أَأُخْـتَ الـدَّوْحِ حَسْـبُـكِ لا تُغَنِّـي
فَـأُخْـتُ السِّـرْبِ قَدْ فَقَـدَتْ طَـلاهَـا

* * *

ويا نَفْسِـي عَبَـدْتُـكِ عَـنْ يقِيـنٍ
وَحَسْبِـي قَـدْ عَبَـدْتُ بِكِ الإِلَهَـا
أُحِـبُّ الْحُسْـنَ فـي الحَـدَقِ الـرَّوانـي
وفِـي ثَغْـرِ الفَتـاةِ وفـي لَماهَـا
وَفِـي عِطْـفٍ يُثِيـرُ هَـوىً مُلِحّـاً
إِذا رَفَّـتْ عَلَـيْهِ ذُوءابَتَـاهـا
وَفـي نَهْـدَيْ مُنَعَّمَـةٍ لَعُـوبٍ
وَفـي مـاءِ الخُـدودِ وفـي لَظَـاهـا

وَفي ضَحِكِ الطُفولَةِ وَهْوَ سِحْرُ
وفي مَرَحِ الصِغَارِ وفي دُماها
أُعانِقُ قامَةً فيهِ وغُصْناً
وَأَلْثِمُ فيه سالِفَةً وفَاهَا
بَرِئْتُ الى الحَقِيقَةِ مِنْ غُواةٍ
تَفِرُّ مِنَ الصَبَاحِ الى دُجَاهَا
تُرِيدُ رِضاكَ تَقْيِيداً وَأَسْراً
وأَيْنَ رِضَاكَ رَبِّي مِنْ رِضَاها
وَأَنْكَرَ قُدْرَةَ الخَلاَّقِ رُوحٌ
رَأَى صُوَرَ الجَمَالِ وما اشْتَهاهَا
لِمَنْ جُلِيَتْ بِزِينَتِها عَروساً
وَفِيمَ أَحَبَّها وَلِمَنْ براهَا

* * *

عَبَدْتُكَ في الجَمَالِ ولا أُبالِي
ضَلالُ النَفْسِ ذَلِكَ أَمْ هُداهَا
فَفِي نَفْسِي جَحِيمُكَ مَنْ سَيَصْلَى
بِها لِشَقَائِهِ ومَنِ اصْطَلاهَا
وفِي نَفْسِي السَماءُ وَفَرْقَداهَا
وَمَنْ سَمَكَ السَمَاءَ وَمَنْ رَقَاهَا
وَهَلْ مِنْ أَنَّةٍ خَفِيَتْ وَدَقَّتْ
أَسَىً إلاَّ وفِي نَفْسِي صَداهَا

فَيـا لَـكَ مِـنْ عَمَـىً وَسَـلِـمْتِ عَيْنَـاً
لَـوِ اخْتـارَتْ لَمـا تَـرَكَـتْ عَمَاهَـا
ويا لَـكِ حَيْـرَةً عَرَضَـتْ لِموسَـى
فَضَـلَّ سَبِيـلَ غَايتِهـا وتَاهَـا
أرادَ جَلاءَهـا نَفَـرٌ كَرِيـمٌ
فَجَلَّلَهـا الغُـمـوضُ ومـا جَـلاهَـا
فَتَحْـتُ سَرِيرَتـي صَفَحَـاتِ نُـورٍ
وَقَـدْ خَبَـرَ الصَـحِيفَـةَ مَـنْ تَـلاهَـا
وَزَحْـزَحْـتُ الحِجَـابَ عَـنِ الخَفَـايـا
وَقُلْـنَـا شَقْـوَةٌ بَلَـغَـتْ مَـداهَـا

وانجلـــت نفسي في النور

أَيْن أَمْـــسي ؟ فَرَّ لا يُلـوي بِهِ
مُجْتَلى بَـدْرٍ ولا لألاءُ شَمْسِ
حـــازَهُ الـــدَهْـرُ ومـرَّتْ فَوْقَهُ
لُجَجُ أَخْـطـــأهـا عَـدِّي وَحَـدْسي

* * *

يَـــالِأَمْســـي وَهْـوَ يَجْتـــازُ المَـدى
بَـينْ أَشـبـاحٍ مِنَ الأَيَّامِ خُرْسِ
مَـرَّ في الآبـادِ فاسْتَوقَفَهُ
مِـنْ لُيَيْـــلاَتِ شَبـابـي أَلْـفُ أَمْسِ
عَرَفَـتْ فيهِ أَخـاهـا آيِباً
مِـنْ رُبـوعٍ عافِياتِ الـذِكْرِ دُرْسِ
وانْتَحَـتْ فِـيهِ مكانـاً مُوحِشاً
هُوَ مَعْ وَحْشَتِهِ ذُرْوَةُ رَمْسِ

* * *

قَالَ أَمْسُ هاتِ عَنْ صاحِبِنا
وابْعَـثِ الـذِكْرى فَطُـولُ العَهْـدِ يُنْسِي
قَـدْ تَـمَلَّيْـتُ بِـهِ غَضَّ الصِّبـــىَ
زيْـــر حَسْـنـــاءَ وورقـــاءَ وكَـأْسِ

كَمَنَـــتْ للغِيـــدِ فـــي أَشْعـــارِهِ
زِينـــةُ الشَيْطـــانِ مِـنْ غَـــيٍّ وَرِجْـــسِ
خَالِعـاً بُرْدَيْ عَفـافٍ وَتُقَىً
سـادِراً يُصْبِـحُ فـي الغَـيِّ ويُمْسي
يُقْـطَفُ الحســنُ على أوراقِهِ
مِـنْ شِـفـاءٍ عَـذْبَـةِ المَلْمَـسِ لُعْـسِ

* * *

قَال أمْسُ وأنـا عَهْـدي بِهِ
نِضْـوَ أوْرادٍ وتَسْـبِيحٍ وَدَرْسِ
يَعْبُـدُ اللـهَ فَـفـي محرابِهِ
كَعْبَـةٌ زَهْـراءُ مِنْ نُـورٍ وَقُدْسِ
رَضِيَ الصُـوفَ فما يَعْرِفُهُ ...
ناعِـمُ الخَـزِّ ولا غالي الـدِمَقْسِ

* * *

ضحِـكَ الأَمْسُ فَـرَنَّـتْ في الدُجى
ضِحْـكَةُ الـنَـاكِـلِ فِي لَيْلَـةِ عُـرْسِ
وانْثَنَـى يَخْطُـبُ فِيهِـمْ خُـطْبَـةً
أَبْلَـغُ المَـنْطِـقِ في أَعْـذَبِ جَرْسِ
أَيْـن ما تَروونَ عَنْ صاحِبِنا
عَـرِيَ الحَـقُّ فلا عُذْرَ لِلُبْـسِ

أَتَقِـيٌّ وَهـوَ يَنْفِـي كُـلَّ مـا
لَـمْ يُؤَيَّـدْ بِيَقِيـنٍ أَوْ بِحِسٍّ
أَخَلِيعٌ والضَـنـى يُسْلِمُـهُ
في رَبيعِ العُمْرِ مِنْ بُـرْءٍ لِنُكْسِ
هُـوَ ـ يَعْفُـو اللـهُ عَنْ آثامِهِ ـ
ساخِـرٌ صُوِّرَ مِـنْ سُقْمٍ وَيَأْسِ

* * *

مَـزَّقَ الحَـقُّ حِجـابـاً للدُجَـى
وانْجَلَتْ نَفْـسِـيَ في النُـورِ لِنَفْسِـي

الكآبة الخرساء

أُتْـرُكينِـي بِـوحْـدَتِـي وعَنَـائِـي
واهْـرُبِـي مِـنْ تَـأَوُّهِـي وَبُكَـائِـي
أَنْـتِ عَـذْراءُ . والنَعِيـمُ وَصَـفْـوُ الحُـبِّ
حَـقُّ المَـلِيحَـةِ العَـذْراءِ
مـا بِقَلبِـي غَيْـرُ الجِـراحِ وَهَـلْ يُرْضِيـكِ
مَـأْوَى مُـدَنَّـسٌ بالدِمَـاءِ
إنَّ هَـذا الـوَرَى بيـوتُ قَصِيـدٍ
أنـا فِيهـا يـا مَـيُّ بَيْـتُ الـرِثَـاءِ
لسْـتُ أَهْـواكِ فـازْدَرِينـيَ والخَـائِـنُ
أَهْـلُ للهَجْـرِ والازْدِراءِ
كِذْبَـةٌ تَسْـعَـدِينَ فِيهـا وأَشْقَـى
أنـا فِـي كِذْبَتِـي مِـنَ الشُهَـدَاءِ
قَـدْ يَخُـطُّ القَضَـاءُ سَطْـراً وفِـي
تَضْـحِيَـةِ المَـرْءِ مَحْـوُ خَـطِّ القَضَـاءِ
يـا دَوائِـي مِـنَ الأَسَـى أنـا أَجْلَلْتُـكَ
عَـنْ قُـرْحَـةِ الأَذَى يـا دَوائِـي
بـاسِـمُ والهُمـومُ تَحْفِـزُ دَمْعِـي
أنـا فِـي الابْتِسَـامِ عَيْـنُ المُـرائِـي
والكَآبـاتُ أَلْـفُ نَـوْعٍ ومـا
يَقْتُـلُ الكآبَـةِ الخَـرْسَـاءِ

فلسفة الحقيقة

أَهُنَيْهَـةً قَطَـعَ الضُـحَـى أَمْ جِيـلا
يَـوْمَ العُفَـاةِ لَقَـدْ خُلِقْـتَ طَـوِيـلا
مـا ضَـرَّ فَجْـرَكَ لَـوْ تَـلأْلأَ وانِيـاً
فَلَعَـلَّهـا تَغْفُـو العُيـونُ قَلِيـلا
عَـاجَلْـتَ أَحْـلامَ الـدُجَـى فَطَـوَيْتَهَـا
والـرُوحُ تَـرْشُـفُ ثَغْـرَهـا المَعْـسولا
مَـا كـانَ أَهْنَـأَهَـا يُـلَـوِّنُ سِحْـرُهَـا
صُـوَرَ المُنـى وَيَـرُفُّهـا[1] تَـدْلِيـلا
وَيُثِـيرُ فيـهِـنَّ الحَيـاةَ شَهِـيَّةً
والحُـبَّ أَرعَـنَ والشَـبـابَ مُنِيـلا
رَاضَ الشِـفـاهَ الشـامِسَـاتِ علـى الهَـوى
فَضَحِـكْـنَ يَهْمِسْـنَ الحِـوارَ عَلِيـلا
وَحَنـا علـى بُـؤْسِ العُفـاةِ فَمـا رَأَوْا
مِـنْ عَشْـرَةٍ إلاَّ رَأَوْهُ مُقِيـلا
خَلَـعَ النَضَـارَةَ والشَـبـابَ عَلَيْهِـمُ
والحُـبَّ والمِتَـعَ العِـذابَ الأُولـى
نِعَـمٌ وإنْ كانَـتْ تَحُـولُ عَلى الضُحَـى
أيُّ المَبـاهِـجِ لَـمْ تَكُـنْ لِتَحُـولا

---

(١) يحضنها

تَحْنُــو على القَلْــبِ الجَــرِيحِ فَيَنْثَنِــي
رَيَّــانَ مِــنْ رَحَمَــاتِهــا مَطْلُــولا
وَتَــرُفُّ إنْ حَمِــيَ الهَجِيــرُ غَمــامةً
وَنَــدىً وظِــلاً فــي الهَجِيــرِ ظَلِيــلا
وَتُحَــوِّلُ البِيــدَ الــظِمــاءَ خَمَــائِــلاً
سَــكْــرى وَرَبْعــاً ضَــاحِــكــاً مَــأْهُــولا
فَكــأنَّهــا فِيمــا تُــزَخْــرِفُ مِــنْ مُنَــىً
آسٍ تُحَــاوِلُ كَفُّــهُ التَجْمِيــلا

* * *

إنَّ الــذي خَلَــقَ الحَقِيقَــة عَلْقَمــاً
خَلَــقَ المُنــى للــوارِديــنَ شَمُــولا[1]
تَتصــارَعــانِ ولا تَــرى إحْــداهُمــا
ظَفَــراً لِتَبْسُــطَ حُكْمَهــا وتَطُــولاَ
تَــدْعُــو المُنَــى زُمَــرَ القُلــوبِ وأُخْتُهــا
تَــدْعــو بَصــائِرَ فــي الــوَغَــى وَعُقُــولاَ
والــكَــوْنُ بيــن الضُــرَّتَيْــنِ مُقَــسَّمٌ
فَــاشْــهَــدْ قَبِيــلاً يَسْــتَبِيــحُ قَبِيــلاَ
واعْــذُرْ عَلــى البَغْــيِ القُلــوبَ فَــطــالمــا
قِيْــدَتْ وذُلِّــلَ صَعْبُهــا تَذْلِيــلا

---

(١) الشمول : الخمرة

أمَّـا الـدُجـى والفَجْـرُ مِـنْ أعْـدائِـهِ
فَلَقَـدْ بَصُـرْتُ بـه يَخُـرُّ جَـدِيـلاَ

* * *

قُـلْ لِلْحقيـقـةِ إنْ قَسَـوْتِ فَـرُبَّمـا
فَـكَّ الـزمـانُ أَسِيـرَكِ المَكْبُـولاَ
إنْ تَمْلِـكـي الـدُنْيـا وَسِـرَّ كُنـوزِهـا
لَـمْ تَمْلِـكـي الأَحْـلاَمَ والتَـأْمِيـلاَ
أُفُـقُ المُنـى أَحْنـى وأَرْحَـبُ عَالَمـاً
وأَحَـنُّ أَفْيـاءً وأَزيْـنُ سُـولاَ
صُونِـي الـكُنـوزَ عَـنِ العُفـاةِ فلا تَرى
عَيْـنٌ الى تِلْـكَ الـكُنـوزِ سَبِيـلاَ
وَتَخَـيَّـرِيـهـا لِلقـويِّ سُـلافَـةً
وَغِنـىً وَطَـرْفـاً نَـاعِسـاً مَكْحُـولاَ
و إذا شَـكا العـافِـي فَسَـوْطَـكِ واسْمَعِـي
نَغَـمَ الأُلُـوهَـةِ زفْـرةً وعَوِيـلاَ
وَتَنَـكَّـرِي للنـائِمـينَ عَلـى الطَّـوى
اللـهُ قَـدْ خَلَـقَ المُنـى لِتُـدِيلاَ
ما كَان جُـودُكِ للسَـعَـادةِ ضامِنـاً
صِـدْقـا وبُخْلُـكِ بالشَـقـاءِ كَفِيـلا

* * *

هَـذي الحَيـاةُ عَنَـتْ لِبـأْسِـكِ رَهْبَـةً
فتَسَـمَّعِـي لجَبـاً بهـا وصَهِيـلا
وَزمـاجِـراً قامَـتْ علـى غَمَّائِهـا
مِـنْ حُكْمِـكِ العَاتـي القَـوِيِّ دَلِيـلا
مَلَـكَـتْ يَـداكِ هَواءَهـا وبِحَارَهـا
والـكَـوْنَ أجْمَـعَ عَرْضَـهُ والطُـولاَ
ألْعِلْـمُ يَحْـكُـمُ وَحْـدَهُ مُتَعَسِّفَـاً
لا قَلْـبَ فـي سُلْطـانِـهِ وَمُيُـولاَ
والعِلْـمُ إنْ مَلَـكَ القُـلـوبَ فَسَـمِّـهِ
وَحْشِيَّـةً وادْعُ الحَضـارَةَ غِيـلاَ
والعِلْـمُ إنْ مَلَـكَ القُلـوبَ فَسَمِّهـا
صَـخْـراً تَنُـوءُ بِعِبْئِـهِ مَحْمُـولا
لا نَبْـضَ ما خَفَقَـتْ بِـهِ لَكِنَّـهُ
صَـوْتُ الحَـدِيـدِ غَدا يَصِـلُّ صَلِيـلا
أمَّـا الأُكُـفُّ فَخَـيْرُهـا ذُو جِنَّـةٍ
حَـطَـمَ الـرَبـابَ وعـالَـجَ الإزْمِيـلاَ
ألْعِلْـمُ سَخَّـرَهَـا وَحَسْـبُ العِلْـمِ أنْ
تَـزِنَ الامـورَ جَمِيعَهـا وَتَكِيـلاَ
عَفَّـى عَلى حَـرَمِ الخَيـالِ وقُدْسِـهِ
أوَ مَا تـرى حَـرَمَ الخَيـالِ أُزِيـلاَ

وَلَقَـدْ وَقَفْـتُ بِـهِ أُنـاشِـدُ غَائِبـاً
قَفَـلَ الخَلِيـطُ وَمـا أَطـاقَ قُفُـولاَ

وَبَـكَيْتُ ـ أجْـزِيهِ ـ وَرُبَّ مَدامِـعٍ
خَفَّفْـنَ كَرْبـاً أوْ شَفَـيْنَ غَلِيـلاَ

* * *

عَهْـدِي بِهِ والشِـعـرُ فـي أَدْواحِـهِ
نَـدَّى القُلـوبَ أَغـانِيـاً وَهَدِيـلاَ

خَضِـل العُـطـورِ تَرِفُّ أَنْـداءُ المُنَـى
فِيـه السَـرائِـرَ بُكْـرَةً وأَصِيـلاَ

وَجَـلا لَكَ الـدُنْيَـا عَلـى مَا تَشْتَهِـي
مِنْهَـا يُمَلِّـقُ حِسَّـكَ المَخْتُـولاَ

وَأعـادَ مَطْـوِيَّ العُـصـورِ وآدَمـاً
يَحْنـو بِأَدْمُعِـهِ علـى هَابِيـلاَ

مُنِـحَ الخُلـودَ وَلا مُيـولَ ولاَ هَـوىً
فَـأَبَـى وآثَـرَ غُرْبَـةً وَرَحِيـلاَ

غَـزِلٌ يُفَـارِقُ مَـنْ أَحَـبَّ وَسَـرَّهُ
أَنْ فَـارَقَ التَـكْبِيـرَ والتَهْلِيـلاَ

تَتَغَيَّـرُ الأَلْـوانُ تَغْمُـرُ نَفْسَـهُ
بِـالحُسْـنِ لاَ نَزْراً ولا مَمْلُـولاَ

وَتَبَـدُّلُ الأَلْـوانِ نِعْمَـةُ خَالِـدٍ
لَـمْ يَـدْرِ فِي فِرْدَوْسِـهِ التَبْدِيـلاَ

***

وَتَـرى بِأَفْيـاءِ النَخِيـلِ بُثَيْنَـة
تَحْنـو لِتَحْتَضِـنَ النُهـودُ جَمِيـلاَ
فَانْعَمْ بِرُؤْيَـةِ عَـاشِـقَيْـنِ تَلاقَيَـا
سَـحَـراً وَقَـدْ هَـوَتِ النُجُـومُ أُفُـولا
واعْـذُرْ جَمِيـلاً حِيـنَ جُـنَّ جُنُونُـهُ
فَسَـطَـا ولا غَـزَلاً وَلاَ تَأْهِيـلاَ
نَشْـوانَ يَهْصِرُهَـا إِلَيْـهِ وَلاَ يَـرَى
إِثْمـاً وَيُلْهِـبُ عُـرْيَهَـا تَقْبِيـلاَ
يَتَـرَشَّـفُ الثَغْـرَ الشَـهِـيَّ سُلاَفَـةً
وَيَرُفُّـهُ كالأُقْحُـوانِ بَلِيـلاَ

* * *

وَدُمَـىً وَرَدْنَ عَلـى الغَـدِيرِ وما اتَّقَـتْ
حَسْـنَـاؤُهُـنَّ الشَـاعِـرَ الضِـلِّيلا[1]
حَتَّـى إِذا أَخْفَـى البُـرودَ وَسَـامَهَـا
أَمْـراً رَأَتْـهُ مِـنَ الحَيَـاءِ جَلِيـلاَ
عَطَفَـتْ تُنَـاشِـدُهُ العَفَـافَ وأَتْلَعَـتْ
جِيـداً كَلأْلاَءِ الصَّبـاحِ أَسِيـلاَ
فَأَبـى وتُسْـرِعُ نَحْـوَهُ عُرْيَـانَـةً
خَجْلَـى لَقَـدْ حُبَّ الجَمـالُ خَجُـولاَ

* * *

(١) امرؤ القيس

وَتُطَالِعُ المَجْنُونَ فِي أَسْمَالِهِ
شِلْواً بِأَنْيَابِ السَّقَامِ أَكِيلاَ
خَذَلَتْهُ نَعْمَاءُ العُيونِ وَسَخَّرَتْ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ ذَلِكَ المَخْذُولاَ
فَهَوى صَرِيعاً بالرِمَالِ مُكَفَّناً
بِمَدامِعِ الصُبْحِ البَلِيلِ غَسِيلا

* * *

وَفَتَى[1] قُرَيْشٍ وَهْوَ يَقْتُلُ طِرْفَهُ
لِيَرَى الثُرَيَّا والهِلاَّ مَخْبُولاَ
عَبَثَتْ لِتَشْهَدَ مِنْهُ أَيَّةَ لَوْعَةٍ
تُجْزَى وأَيَّ هَوَىً مُلِحٍّ تُولَى

* * *

وَسُكَيْنَةً والشِعْرُ ضَيْفُ نَدِيِّهَا
والحُسْنُ يَبْعَثُ شَجْوَهُ فَيَقُولاَ
نَشْوَى الدَلالِ تَعُبُّ مِنْ خَمْرِ الهَوى
سُكْراً وَيَمْنَعُهَا الحَيَاءُ تَمِيلاَ
مِلءُ العُيونِ مَفَاتِناً لَكِنَّهَا
مِلءُ القُلوبِ عُلاً أَعَزَّ أَثِيلاَ
وَقَفَ العَفَافُ يَذُودُ عَنْ ذَاكَ اللَّمَى
إِلاَّ المُنَى شَرِسَ الذِيَادِ بَخِيلاَ

---

(١) عمر بن ابي ربيعة

وَتُـذِيعُ جُمَّتُهـا عَبِيـراً رُبَّمـا
أَخَـذَ الشَذَى القُـدْسِيَّ عَـنْ جِبْرِيـلاَ

* * *

وَأَبـا نُـواسٍ فِـي مجَـالِـسِ لَهْـوِهِ
قَسَـمَ اللَيَـالِي سَكْـرَةً وَذُهُـولاَ
حُلْـوَ الـدُعـابِ هَفَـا وَعَلَّـلَ ذَنْبَـهُ
لـلآثِميـنَ فَأَحْسَـنَ التَعْلِيـلاَ
حَسِـبَ الحَيَـاةَ سُـلافَـةً وَمُهَفْهَفَـاً
والبَـاقِيـاتِ مِـنَ الحَيَـاةِ فُضُـولاَ
لَـمْ يَهْـوَ عِـزَّ الحُسْـنِ فِـي خَفِـراتِهِ
وَأَحَبَّـهُ عِنـدَ القِيـانِ ذَلِيـلاَ
مِـنْ كُـلِّ نَـافِـرَةٍ فإِنْ جَمَّشْتَهَـا[1]
أَلْفَيْـتَ عِقْـدَ نِطَاقِهَـا مَحْلُـولاَ
تَأْبَـى فَيَصرِفُـهُ المَلالُ وَلَـوْ حَنَـتْ
تَبْغِـي لُبَـانَتَـهُ لَكـانَ مَلُـولاَ

* * *

وَتَـرَى ابْـنَ بُـرْدٍ وَهـوَ فِـي نَزَوَاتِـهِ
لِيثـاً تحـامـاهُ الـورى معـزولا

---

(١) قرصتها ولاعبتها

هَتَكَ الفَضائِحَ بَعْدَ صَوْنٍ وانْتَضَى
لِلْمالِكِينَ بَيانَهُ المَصْقُولاَ
فَرمَوْهُ بالإشْراكِ ثُمَّ تَلَمَّسُوا
مِنْ حاسِدِيهِ شاهِداً مَقْبُولاَ
حَتَّى إذَا عَزَّ الشُهودُ تَمَحَّلُوا
فَرَأَوْا شُهوداً في القَرِيضِ عُدُولاَ
زَعَمْتهُ أَهْواءُ السِياسَةِ كافِراً
تاللهِ ما بالكُفْرِ راحَ قَتِيلاَ

* * *

مُتَجاوِرِينَ تَرى بِكُلِّ خَمِيلَةٍ
عِنْدَ الغَدِيرِ خَلِيلَةً وَخَلِيلاَ
مُتَنادِمِينَ على السُلاَفَةِ أَنْشَدُوا
غُرَرَ النَسيبِ وَرتَّلُوا التَنْزِيلاَ

* * *

سَقْياً لِنَعْماءِ الخَيالِ ولا رَأَتْ
عَيْنايَ رَبْعاً مِنْ هَواهُ مَحِيلاَ
أَثِمَتْ بِزينَتِهِ الحَضَارَةُ واقْتَضَتْ
شَرَّ التقاضِي دَيْنَها المَمْطُولاَ
شَوْهاءُ تَحْلُمُ بالجَمالِ ولا تَرى
إلاَّ الأَسَى والثُكْلَ والتَرْمِيلاَ
وَيَعُدُّ مَنْطِقُها الضَجِيجَ تناسُقاً
والحُبَّ عِلْماً قَدْ أُعِدَّ فُصُولاَ

فاذَا أَرَدْتَ الحُبَّ فابْغِ أُمورَهُ
عِنْدَ الكِتابِ وحاذِرِ التَأْوِيلاَ
وَتَعَلَّمِ الحُرُقاتِ مِنْ صَفَحَاتِهِ
والدَمْعَ كَيْفَ تَرُوضُهُ فَيَسِيلاَ
وَاْحذَقْ مُعاتَبَةَ النُجومِ وَلَوْمَها
مُتَوجِّعاً وَتَعَمَّدِ التَطْوِيلاَ
فَمِنَ الكِياسَةِ فِي كِتابِكَ أَنْ تَرَى
بَيْنَ النُجومِ على هَواكَ عَذُولاَ

* * *

حَرَمَ الخَيالِ فِدى رُؤاكَ حَضَارَةٌ
قَدْ مَثَّلَتْكَ لِتُخْطِىءَ التَمْثِيلاَ
هَيْهاتِ حُسْنُكَ مِنْ جَمالٍ خَادِعٍ
غَشَّ العيونَ واحْكَمَ التَضْلِيلاَ
إِنِّي لأَلْمَحُ فِي الغُيوبِ رِسالَةً
وأَرَى وَراءَ الغَيْبِ مِنْكَ رَسولا
وَكتابَ حَقٍّ لا يُبَالِي بالهَوى
إِنْ خَالَفَ المَعْقُولَ والمَنْقُولاَ
إِنْجِيلَ عِيسى فِي الحَنانِ وإِنْ يَكُنْ
فِي غَيرِ ذَاكَ يُخَالِفُ الإِنْجِيلاَ
وَبيانَ أَحْمَدَ : قُوةً وعُذُوبَةً
وَنَهًى ورأْياً فِي الحَياةِ جَمِيلاَ

عَفَّـــى علـــى مَدَنِـــيَّةٍ صَخَّابَـــةٍ
يَـــذَرُ الخَلِـــيَّ ضَجِيجُهـــا مَشْغُـــولا
جَبَّـــارةٍ لاَ عَطْفَ فـــي أَقْدارِهَـــا
عَجْلَـــى ومـــا خُلِـــقَ الـــزَمَـــانُ عَجُولاَ
يُمْنَـــى تُعِـــدُّ لَـــكَ المَتـــاعَ وأُخْتُهـــا
تَلِـــدُ الشَـــقَـــاءَ وَتَخْلُـــقُ التَنْكِيـــلاَ
تَبْنِـــي وَتَهْـــدِمُ كالحَيـــاةِ وَرُبَّمَـــا
غَـــزَلَـــتْ لتَنْـــكِـــثَ خَيْطَهـــا المَغْـــزُولاَ
لا عَطْـــفَ يَـــخْفُـــقُ في الصُـــدور ولا هـــوىً
كَذَبَتْـــكَ عَيْنُـــكَ بـــلْ رأيْـــتَ طُلـــولا
والعِلْـــمُ وَيْـــلَ العِلْـــمِ يَـــوْمَ حِسابِهِ
إنْ كـــانَ عَـــنْ نَزَواتِهـــا مَسْـــؤُولا

* * *

هَـــذا كِتَـــابُ الغَيْـــبِ فيهِ رَحْمَـــةٌ
تَسَـــعُ البـــرِيَّـــةَ مُتْـــرَفـــاً ومُعِيـــلا
غَسَـــلَ الـــوُجـــودَ مِـــنَ الضَغَـــائِـــنِ والهَـــوى
لِتَحِـــلَّ رُوحُ اللـــهِ فيه حُلُـــولا
وَتـــأَلَّـــفَ الانْســـابَ يَغْمُـــرُ عَطْفُـــهُ
مِنْهـــا فُروعـــاً سَمْحَـــةً وأُصُـــولا

سَـاوَتْ بَسـاطَتُـهُ الشـعـوبَ فما تَـرى
فِيهـا هَجينـاً أوْ تَعُـدُّ أصِيـلا
وَحَنَـتْ على النَفـس الأثيـم فابْصَـرَتْ
إثْـمَ النُفـوسِ على النفـوس دَخِيـلا
وَلَـدَتْـهُ أخْيِلَـةُ الشَـرائِعِ فِكْـرةً
فَنَمَـا بِـأحْضـانِ الحَضَـارَةِ غُـولا
خَلَقـتْ لـهُ الاسـمـاءَ وهـو كِنَـايةٌ
وتَخَيَّـلَـتْ أَلْـوانَـهُ تَخْيِيـلا
وَرَمَـتْ بِـهِ الإنْسـانَ فـي نَعْمـائِـهِ
فَتَصيَّـدَتْـهُ مُكَـبَّـلاً مَغْلُـولا
لَـمْ تَـرْضَ تَعْـذِيـبَ الحَيـاةِ فَسخَّـرَتْ
بَعْـدَ الـرَدى لِعِقَـابِـهِ المَجْهُـولا
فكأنَّمـا تلـكَ الشـرائِعُ تَقْتَضِـي
عنـد النفـوس ضَغـائِنـاً وذُحُـولا

الدميـــة المُحَطَّـمَة

أَيَـا دُمْيَـةً أَنْشَـأْتُهـا وَعَبَدْتُهـا
كما عَبَـدَ الغَـاوُونَ مَنْحُـوتَ أَحْجـارِ
سَكَبْـتُ بِهـا رُوحـي وأَهْـواءَ صَبْوَتـي
وأَلْـوانَ احْـلامـي وبِـدْعَـةَ اطْـوارِي
جَمَعْـتُ بِهـا الـدُنْيـا فكانَـتْ سُـلاَفَتِي
وكأسِـي ونُـدْمـانـي وأَهْلـي وسُمَّـارِي
وَنـامَـتْ علـى الحُلْـمِ المُريـحِ بِمُقْلَتِـي
وَهَدْهَـدَهـا عِطْـري وحُبّـي وإيثـارِي

* * *

وَيا دُمْيَـةً أَنْشـأْتُهـا ثُـمَّ حَطَّمَـتْ
يَـدايَ الـذي أَنْشَـأْتُ تَحْـطِيـمَ جَبَّـارِ
جَمَـالُكِ مِنْ سِـحْـري وعِـطْـرُكِ مِنْ دَمِـي
وفِتْنَتُـكِ الـكبـرى خَيالـي وأَشْـعَارِي
وثَغْـرُكِ مِنْ حَانـي فَيَا لِـمُنَـمْنَـمٍ
نَـدِيٍّ بأَنْفـاسِ الـرياحيـنِ مِعْطـارِ
أَلَـمَّ بِهِ إِثْمـي فَنَـدَّاهُ بالمُنـى
وَمَـرَّ بِهِ وَهْنـاً فَطَيَّبَـهُ عَـارِي
خَلَقْتُـكِ مِـنْ أَهْـواءِ نَفْسِـي وَنَوَّعَـتْ
بِـكِ الحُسْـنَ اهْوائِـي وحُبّـي وأَوْطـارِي

فَمـا يُشْـتَهـى خَـدَّاكِ الا لأَنَّنـي
تَـرَكْـتُ على خَـدَّيْـكِ إثْمـي وأَوْزَارِي
ومـا أَسْـكَرَتْ عَيْنـاكِ الا لأَنَّنِـي
سَـكَبْـتُ بِجَفْنَيْـكِ الغَـوِيَّيْـنِ أَسْـراري

* * *

أَيُنْكِـرُنـي حُـسْـنٌ خَلَقْـتُ فُتونَـهُ
فَيَخْنُـقُنـي عِطـري وتَحْـرِقُنـي نـاري
وتُنْكِـرُنـي : يا غَضْـبَـةَ الشِـعْـرِ والهَـوى
ويا غَضْـبَـةَ الـدُنْيـا ويا غَضْـبَـةَ البَـارِي

* * *

رَدَدْتُـكِ للـطـينِ الـوَضيـعِ ومـا حَـنا
على رَوْضِـكِ الهـانـي هُبـوبـي وإعْصاري
وفـارَقْـتُ اذ فارَقْتُـكِ الـطـينَ وَحْـدَهُ
وعـادَتْ الى نَفْسـي عُطـوري وأَنْـواري

* * *

الكعبة السمراء

نـائِيَـــةَ القُـطـــوفِ كُـــلُّ نَجْمَـــةٍ
مِـــنْ شَفَتِـــي دَانِيَـــةُ القُطـــوفِ
ويـا رَبِيـعـاً مِـنْ فُتـونٍ وَهَـوىً
طَـافَ الـرَبِيـعُ بالهَـوى فطـوفـي
زَارَتْ طُيـــوفٌ مِنْـــكِ ثُـــمَّ لَـمْ تَعُـــدْ
إلَيْـــكِ ، جَفْنِـــي شَـــرَكُ الطُيـــوفِ
وَيـا خُطـوبَ الـدَهْـــرِ لا تُهَـوِّلـــي
رَوَّضَـــكِ الحُـــبُّ فَلَـــنْ تخِيفِـــي
كُـــلُّ لُبانَـاتِـــي طُيـــوفٌ وَرُؤىً
كأَنَّهُـــنَّ شَطَحـــاتُ صُـوفِـــي
تَحْمِلُـــنـي غَمـامَـةٌ مَسْحُـــورَةٌ
كالبَـــرْقِ عَبْـــرَ أُفُـــقٍ مَكْشُـــوفِ
خَمْـرِيَّـــةُ الحَـريـــرِ والشَـــذا مَعـــاً
تَعِـــجُّ مِنْ مُنـايَ بالأُلُـــوفِ
تُلَثِّـــمُ الأَنْجُـمَ مِـنْ أَحْلامِهَـا
بـالأُرْجُـوانِ العَبِـقِ الشَفِيـفِ
عَلـى غِنـاءٍ وَرُؤىً وَوَتَـــرٍ
تَـرَنَّحَـــتْ تَرَنُّـــحَ النَـزِيـــفِ[1]

(١) النزيف : السكران

وَلا تَتِيـــهُ فـي الـدُجـى غَمامَتِـي
شَـوْقِـي دَلِيـلي والضُـحَـى رَدِيفـي

أَسْـأَلُ عَنْـكِ كَوْكبـاً فَكَوْكبـاً
بِنَـزَقِ المُعَـذَّبِ المَلْهُـوفِ

أَلْفَـرْقَـدانِ أَنْـزلاكِ مِنْهُمَـا
عَلى النَـدِيـمِ وَعَلـى الوَصِيـفِ

كَعْبَتِـيَ السَـمْـراءُ قَـدْ لَقِيتُهَـا
بَيْـنَ عَويـلِ الجِـنِّ والعَزِيـفِ

فَلَـنْ تَحِـنَّ بَعْـدَهَـا لِوَثَـنٍ
عِبـادَتِـي الـوَهْـى وَلا عُكُوفِـي

أَمُـرُّ فِيـهِ وَكأَنِّـي لَـمْ أَكُـنْ
أَفْـدِيـهِ بالتَليـدِ والطَرِيـفِ

كَعْبَتِـيَ السَـمْـراءُ أَنْـتِ قِبْلَتِـي
عَلى بَلِيـلٍ بالنَـدى وَرِيـفِ

حُسْـنُـكِ لَـمْ يُـؤْلَـفْ ولا أَلُومُـهُ
تَـكَبُّـرَ الحُسْـنُ عَلى المَأْلُـوفِ

تَبَـرَّجَـتْ لَـكِ الشُـفُـوفُ دُهًـا
يـا مَـنْ رَأى تَبَـرُّجَ الشُـفوفِ

والأَيْـكُ حَـنَّ وانْحَنَـتْ وَسَلَّمَـتْ
غُصُـونُـهُ على القُـدودِ الهِيـفِ

تحيَّـــةَ القُـرْبـــى ومـا أرَقَّهـــا ....
وَجَـنَّـــةَ الأُلُـوفِ لـلأُلُـــــوفِ
طـارَتْ إلَـيْـــكِ كَبِـدي مَحْمُولَـــةً
عَلـى جَنـــاحِ الـرَجَـــزِ الخَفِيـــفِ
أَلْمُرْقِـــصِ السَـمـــاءَ فـي عُرْسِ الهَـوى
والحُـــورُ يَنْقُـــرْنَ علـى الدُفُـوفِ
النـاثِـــرِ الانْجُـــمَ فـــي فَرْحَتِـــهِ
دراهمـاً نهبـاً علـى الضيـــوف
وضَـــنَّ بالشَـمـــس فَضَمَّ يَـده
حِـرْصـا علـــى دِينـارِهـــا المَشُـــوفِ
النَغَـــمُ النـاعِـــمُ فـي اخْتِصـــارِهِ
أحْلَـــى مِنَ المُطَـــوَّلِ العَنِيـــفِ
وَرَنْـــوَةُ الحَـبِـــيِّ أَلْـفُ قِصَّـــةٍ
عَـــنِ الهَـــوى وَغَمْـــزَةُ العَفِيـــفِ

* * *

نائِيَـــةَ القُطـــوفِ ، كُـــلُّ نَجْمَـــةٍ
مِـــنْ شَفَتِـــي دَانِيَـــةُ القُطـــوفِ
الأُقْحُـــوانُ ثَغْـــرُكِ المُنَـــدَّى
وَنَحْـــنُ بالعِـطْـــرِ وبالرَفِيـــفِ
دَعِـــي النَصِيـــف[1] وَأَطِلّـــي (جَنَّـةً)

(١) النصيف : الخمار ، وهو ما تغطي المرأة به رأسها

هـــل تســـتَـرُ الجَنَّـــةُ بالنصيـــفِ
شَـــرِبْـــتُ أقـــداريَ في مُصَفًّـــى
شَهْـــدِكِ حَتَّـــى سَكِـــرَتْ حتوفِـــي
تَسْـــأَلُ كُـــلُّ أَيْكَـــةٍ جارَتَهـــا
عَـــنْ قَدِّكِ المهَفْهَـــفِ النَحِيـــفِ
تَـــمَّ رَشِيـــقـــاً أَمْلَـــداً وَلَقِيَـــتْ
مِنْـــهُ الفُضـــولُ نَظْـــرَةَ العَيُـــوفِ
قَـــدُّكِ والضَـــمِيـــرُ مِـــنْ سَجِيَّـــةٍ
بُـــورِكَ بالـــرَهِيـــفِ والرهِيـــفِ
والنـــاهِـــدانِ وَثْبَـــا كَرَصَّـــدٍ
عَلـــى الـــكُنُـــوزِ الحَـــالِـــاتِ يُوفِـــي
تَحَـــالَفَـــا تَصَـــوُّنـــاً وَعِـــزَّةً
وامْتَنَـــعَ الحَلِيـــفُ بالحَلِيـــفِ
مُضَـــمَّخَـــانِ خَمْـــرَةً وَشَهَـــداً
أهكـــذا يُصْمَـــدُ للزُحـــوفِ
أَذْكـــي بِقَلْـــبـــي إنْ خَبـــا لَهِيبُـــهُ
جَمْـــرَ الغَضَـــا أَوْ دَمْعَـــةَ اللَّهِيـــفِ
هَـــلْ يَسْمَـــحُ الضُحَـــى بِبَعْـــضِ ظِلِّـــهِ
قَـــدْ طـــالَ فـــي هَجِيـــرِهِ وُقُوفِـــي
أَحْمِـــلُ فـــي مَجَـــامِـــرِي بَخُورَهَـــا
هَـــدِيَّـــةَ المُشَـــرَّدِ الضَعِيـــفِ

وَلُبَنـــاً مِـــنْ فِضَّـــةٍ وَلُبَنـــاً
مِـــنْ ذَهَـــبٍ لِقَصْـــرِكِ المُنِيـــفِ
تَعَـطَّـــرِي فَهـــذِهِ صَبابَتِـــي
واكْتَحِلِـــي فَهَـــذِهِ حُروفـــي

* * *

١٩٦٢/١٢/٨

العـذراء الخائنـة

أَحْبَبْتُهَـــا سَـاخِـرَةً كالـــرُؤَى
مُبْهَمَـــةً غَامِضَـــةً كالظُنـــونْ
مَجْنُـــونَـــةً والحُسْـنُ لَـــمْ تَكْتَمِـــلْ
فِتْنَتُـــهُ إلاَّ بِبَعْـــضِ الجُنُـــونْ
طَرُوبَـــةً ضَحَّـــاكَـــةً كالصَّبَـــا
كَئِيبَـــةً قَـــاتِمَـــةً كالمَنُـــونْ
اليَـــأْسُ فِـــي أَجْفَـــانِهَـــا والمُنَـــى
والضِـــحْـــكُ فِـــي أَلْحَـــانِهَـــا والأَنِيـــنْ
وَخِفَّـــةُ الأَيَّـــام فِـــي ثَغْـــرِهَـــا
لَـــكِـــنْ بِعَيْنَيْهَـــا وَقَـــارُ السِنِيـــنْ
قَـــدْ مَـــزَّقَ الفَجْـرُ وَلَـــمْ تَثْنِـــهِ
شَفَـــاعَـــةُ الحُـــبِّ وَنَجْـــوى الفُتـــونْ
غُلالَـــةً شَفَّـــافَـــةً عَذْبَـــةً
عَلَـــى لَمَـــاهَـــا مِنْ رُؤَى الحَالِمِيـــنْ
تُثِيـــرُ فِـــي قَلْبِـــي شُكُـــوكَ الهَـــوى
لاذِعَـــةً ثُـــمَّ تُرِيـــدُ اليَقِيـــنْ
هَيْهَـــاتَ قَلْبِـــي قَـــدْ غَـــدَا كافِـــراً
وَكانَ فِيهـــا أَوَّلَ المُؤْمِنِيـــنْ
يـــا صُـــورَةً أَبْـــدَعَ تَكْوِينَهـــا
فِـــي مَطْلِـــعِ الفَجْـــرِ إِلَـــهُ الفُنـــونْ

وَنَغْمَـةً مِـنْ بَعْـضِ أَلْحَـانِهـا
هَمْـسُ اللَّيـالِي وارْتِعَـاشُ الغُصُـونْ
وَنَفْحَـةً لِلَّـهِ عِـطْرِيَّـةً
نَـدِيَّـةً حَيَّـا بِهـا البَـائِسِيـنْ
وَزَهْـرَةً أَخْشَـى عَلـى حُسْنِهَـا
مِـنْ خَطْـرَةِ الفِـكْـرِ وَنَجْـوَى العُيـونْ
لاَ تَخْـدَعِينِـي إِنَّنِـي عَـالِـمٌ
بِمَـا تُبِينِيـنَ ومـا تَكْتُمِيـنْ
أَرَى عَلـى خَـدَّيْـكِ فِيمـا أَرَى
بِـأَلْـفِ لَـوْنٍ قُبَـلَ العَاشِقِيـن
مِـنْ قُبْـلَـةٍ خَـائِنَـةٍ مُـرَّةٍ
وَقُبْلَـةٍ وادِعَـةٍ فِـي الجَبِيـنْ
وَقُبْلَـةٍ حَمْـرَاءَ مِثـل اللَّظَـى
وَقُبْلَـةٍ بَيْضَـاءَ مِثـل اليَقِيـنْ
تَأْبَيْـنَ إِلاَّ مَحْـوَ آيَـاتِهـا
وَهُـنَّ يـا لَيْـلايَ لاَ يَمَّحِيـنْ

* * *

لا تُنْـكِـري حُبَّـكِ لِـي إِنَّنِـي
أَسْتَشْـهِـدُ الـرَّيْحَـانَ واليَـاسَمِيـنْ
والنَهْـرَ إِذْ تَنْـظُـرُ أَمْـواجُـهُ
لا أَسْـتَحِـي مِنْهـا ولا تَخْجَلِيـنْ

والأَيْكَـــةَ الخَضْـــراءَ إِذْ أَبْـصَـــرَتْ
تَبَـذُّلَ الحُسْـنِ الشَـهِـيِّ المَصُـــونْ
وَأَنَّـةً بُحْـتِ بِهِـــا للدُجَـى
فَعَـطَّـرَ اللَّيْـلَ عَبِيـرُ الأَنِيـنْ
دَامِـيَةً مُـوجَعَـــةً وَقَّعَـتْ
أَلْحَـانَهَـا يُمْنَـى الـرَحِيـمِ اللَّعِيـنْ
سَأَسْـكُـبُ الـدَمْعَـةَ فِيهِـا الأَسَـى
والشِـعْـرُ والحُـبُّ الشَـجِـيُّ الحَزِيـنْ
لَعَلَّنِـي يَشْـفَـعُ بِـي عِنْدَهَـا
هَـذا الهَـوى البَـاكِـي وَهَـذا الحَنِيـنْ
صُـورَةً أَبْـدَعَ تَكْوِينَهـا
فِـي مَطْلِـعِ الفَجْـرِ إِلَـهُ الفُنـونْ

يـا جارتـي

يَـــا وَرْدَتِـي أيـنَ الشَـذَى والنَّـــدَى
يـا كَبِـدِي أيْـنَ الـهَـوَى والحَنِيـــنْ
يـا رُوحِـيَ الثَـكْلـى أَلَـمْ تَـأْخُـذِي
عَـنْ رَبَّـةِ الأَلْحَـانِ غَيْـرَ الأَنِيـنْ
يـا أُمَّ أَحْـلامِـي وأُمَّ المُنَـى
فِـي فَجْـرِهَـا أَيْـنَ قَبَـرْتِ البَنِيـنْ
لَمَحْـتُ فِـي كَأْسِـي وَقَـدْ شَعْشَعَـتْ
طَيْـفَ الأَمـانِـي والهَـوى والسِنِيـنْ
وَذِكْرَيَـاتِـي وَهْـيَ عُـرْيانَـةٌ
تَبْـدُو وَتَخْفَـى بَيْـنَ حِيـنٍ وَحِيـنْ
وَتِلْـكَ حَسْـنَـاءُ بِلَـوْنِ الضُحَـى
وَتِلْـكَ شَوْهَـاءُ بِلَـوْنِ الدُجُـونْ
يَقْفِـزْنَ فِـي كَأْسِـي فَـلاَ أَنْثَنِـي
عَـنْ خَمْـرَةِ الـكَـأْسِ وَلاَ يَنْثَنِيـنْ
هَـذا جُنـونُ النَفْـسِ فِـي سُكْرِهَـا
والعَقْـلُ مِـنْ خُـدَّامِ هـذا الجُنـونْ

***

جَـارَتِـيَ الحَسْـنَـاءُ ثَرْثَـارَةٌ
سَـكْـرى الهَـوى نَشْوى الصِـبَـى والفُتـونْ

رَأَيْتُ مِنْ أَحْزانِها ما اخْتَفَى
وَدَقَّ حَتَّى ما تَراهُ الظُنونْ
كُلُّ الأَسَى الصَاخِبِ يا جَارَتي
فِدَاءُ حُزْنٍ صَامِتٍ فَي العُيونْ
هَاتِي مِنَ الأَحْزَانِ ما شِئْتِهِ
لا يَفْهَمُ الأَحْزانَ غَيْرُ الحَزِينْ
يا جَارَتي الحَسْنَاءَ هَلْ تَعْلَمِينْ
يا جَارَتي لَيْتَكِ لا تَعْلَمِينْ

(فطال عليك الليل)

أُحِبُّـكِ حُبّـاً لا تَطوفُ بِهِ المُنَـى
عـرائِـسَ في حَلْـيِ المِـلاحِ العَـرائِـسِ
أُحِبُّـكِ عَـنْ يأسٍ وما حُـبُّ آمِـلٍ
بِـأَقْـرَبَ في نَجْـواهُ مِـنْ حُـبِّ يَائِـسِ
وَأَهْمِـسُ في سَمْـعِ النَسيـمِ رِسالـةً
فَهَـلْ دَغْـدَغَـتْ نَهْـدَيْـكِ مِنْ ثَغْـرِ هَامِسِ
رُوَيْدَكِ تَهْفُـو بي إلى الـكَـأسِ خَطْـرَةٌ
مِـنَ الـذِكْـرِ مَـرَّتْ فـي خَيالاتِ هَاجِـسِ
تُعِيـدُ لِعَيْنـي كُـلَّ مَـا فَاتَ وانْطَـوى
وَتَـرْفَـعُ مِنْ بَالـي الـطُلُـولِ الدَوارِسِ
فَأَلْمَـحُ فـي الـذِكْـرى غَدِيراً تَرِفُّـهُ
مَـعَ البَـدْرِ أَثْـداءُ الـظِبـاءِ الأَوانِـسِ
وَنَهْـراً تَعَـرَّى البَـدْرُ فيـهِ كَرامـةً
لِبَعْـضِ القُـدودِ العَـاريـاتِ المَوائِـسِ
وأَلْمَـحُ فـي الـذِكْرى جُنـونـاً وَسَـوْرَةً
مِـنَ الحُـبِّ فـي تِلْكَ الجُفـونِ النَواعِـسِ
فَيـالَـكَ كَنْـزاً راحَ يَسْـخَـرُ رَبُّـهُ
فَمَتَّـعَ مِنْ لألائِـهِ عَـيْنَ بَائِـسِ

* * *

لَقَـدْ خُنْـتِ حَتَّـى لاَ يَغـارُ أَخُـو هَـوىً
أَحَبَّـكِ مِنْ وَجْـدٍ طَرِيـفٍ مُلابِـسِ
فَفِـي كُلِّ غَـضٍّ مِنْـكِ آثـارُ قاطِـفٍ
وفي كُـلِّ بَـضٍّ مِنْـكِ آثـارُ لامِـسِ
فَطـالَ عَلَيْـكِ اللَيلُ تَأْوِي مـع الدُجَـى
بِجَفْنَيْـكِ أَشْـبـاحُ الـرؤى والهَـواجِسِ

* * *

شقـراء

هَدْهِـدْ هُمـومَـكَ عِنْـدِي
عَلـى حَيَـائِـي وَصَـدِّي
حُـورُ النَعِيـمِ تَمَنَّـتْ
نُعْمَـى هَـوايَ وَوَجْـدِي
هَـلْ عِنْـدَهُـنَّ رَحِيقِـي
وَهَـلْ لَدَيْهِـنَّ شَهْـدِي
يَـا سَـاكِـبَ الشِـعْـرِ خَمْـراً
مِـنْ شِعْـرِ رَبِّـك خَـدِّي
وَمِـنْ مَعَـانِيـهِ عِطْـرِي
ومِـنْ قَوَافِيـهِ وَرْدِي
تَأَنَّـقَ اللَّـهُ دَهْـراً
يُعِيـدُ فِـيَّ وَيُبْـدِي
حَتَّـى جَـلانِـيَ شِعْـراً
يَـا حَسْـرَةَ الشِـعْـرِ بَعْـدِي !
خَيَـالُـهُ السَـمْـحُ نَـدَّى
ثَغْـرِي وَثَمَّـم عِقْـدِي
وَقَلْبُـهُ كَـانَ كَـأْسِـي
وَجَفْنُـهُ كَـانَ مَهْـدِي
وَالأَنْجُـمُ الـزُهْـرُ حَـوْلِـي
دُمَـىً لِلَهْـوِي وَعَـدِّي

فَغَـــارَتِ الحُـــورُ مِـــنِّـــي
وَكُـــلُّ زَهْـــوٍ وَمَجْـــدِ
وَهَـــبَّ فِـــي رَوْضِ عَـــدْنٍ
عَلَـــيَّ عَـــاصِـــفُ حِقْـــدِ
فَكَـــانَ لِلَّـــهِ حُكْـــمٌ
لِشَقْوَتِـــي بَـــلْ لِسَعْـــدِي
واخْتَـــارَ بُعْـــدِيَ عَنْـــهُ
وَرَاحَ يَبْكِـــي لِبُعْـــدِي

* * *

دُنْيَـــايَ أَحْلَـــى وَأَغْـــلَـــى
مِـــنْ أَلْـــفِ جَنَّـــةِ خُلْـــدِ
أَنَـــا الـــرَبِيـــعُ المُنَـــدَّى
قَـــارُورَةُ العِـــطْـــرِ نَهْـــدِي
يَهِـــيـــمُ حُسْـــنِـــي بِحُسْنِـــي
وَيَجْتَلِـــي وَيُفَـــدِّي
وَجُـــنَّ ثَغْـــرِي بِرِيـــقِـــي
وَحَـــنَّ جِيـــدِي لِزَنْـــدِي
وَكُـــلُّ وَشْـــيٍ حَـــرِيـــرٍ
يَـــوَدُّ لَـــوْ لَـــفَّ قَـــدِّي
وَكُـــلُّ عِطْـــرٍ تَشَهَّـــى
أَنْ أَسْفَـــحَ العِطْـــرَ وَحْـــدِي

شَقْـراءُ تَـحْلُـمُ شَمْـسُ الـ
ضُـحَـى بِخَـدِّي وَبُـرْدِي
رَفَّـتْ خُصَيْـلاتُ شَعْـرِي
بأَشْقَـرِ النُّـورِ جَـعْـدِ
سَكْـرانِ تِيـهٍ وَدَلٍّ ....
مَخْمُـورِ وَهْـجٍ وَوَقْـدِ
يَا شَـاكِيَـاً زُوْرَ وَعْـدِي
أَحْلَـى مِـنَ الـوَصْـلِ وَعْـدِي
هِيَـامُنَـا يـا حَبِيبِـي
طُيُـوبُ خَمْـرٍ وَنَـدِّ
أُرِيـدُ طَيْفَـاً لِجفْنِـي
أُرِيـدُ حُلْمَـاً لِسُهْـدِي
كُـلُّ المُحِبِّيـنَ مُلْكِـي
وَأَنْـتَ وَحْـدَكَ نِـدِّي
وَكبْـرِيَـاءُ جَـمَـالِـي
تُـرِيـدُ مِنْـكَ التَحَـدِّي

* * *

شَقْـراءُ يـا لَـوْنَ حُسْـنٍ
مُحَبَّـبٍ مُسْتَبِـدِّ
وَيَـا جَمَـالاً غَـرِيبَـاً
عَلَـى ظِبَـاءٍ مَعَـدِّ

لاَ وَسْـــمُ لَيْـــــلايَ فِيـــــهِ
وَلاَ مَـــلامِـــحُ هِنْـــــــدِي

وَلاَ اسْـمِـــــرارُ الغَـريـــرات
بـــالعَقِيـــــــــقِ وَنَجْـــــــدِ
ظَمْـــــآنُ أَنْشُـــــدُ وِرْداً
وَعِنْـــدَ عَيْنَيْـــــكِ وِرْدِي

يـــا سَكْـــرَةً بَعْـــدَ صَحْـــــوي
وَفِتْنَـــةً بَعْـــدَ رُشْـــــدِي
يـــا رَغْبَـــةَ العَيْـــنِ والقَلْـــــبِ
بَعْـــدَ يَـــأْسٍ وَزُهْـــــدِ

بَيْنِـــي وَبَيْنَـــكِ حَـــــرْبٌ
وَهَـــوْلُ أَخْـــــذٍ وَرَدِّ
صِـــــراعُ رُوحَيْـــنِ فِيـــــهِ
عُنْـــفُ العَـــدُوِّ الأَلَـــــدِّ

وَغَـــزْوُ قَلْـــــبٍ لِقَلْـــــبِ
فَتْـــحٌ يُبِيـــدُ وَيُـــــرْدِي
فَنَـــاءُ دُنْيَـــا بِـــدُنْيَـــــا
وَطَـــيُّ بَنْـــدٍ بِبَنْـــــدِ

الحُـــبُّ لا حُكْـــمُ شُـــورىَ
لَـكِنَّـــهُ حُكْـــمُ فَـــــرْدِ

فَهَيِّئِي فِتْنَةَ الْحُسْنِ
كُلَّهَا واسْتَعِدِّي

جنيف (١٩٥٤/٥/١٢)

امَّـــا الشبـاب

أَمَّـــا الشَّـبـــابُ فَرُبَّمَـــا نادَمْتُـــهُ
رَيَّانَ مِـنْ حُبِّـي وَمِـنْ عَبَراتِـــي
صَـاحَبْتُـــهُ عِشْرِيـنَ أُذْنِـــبُ فِـي الهَـوَى
دَلاًّ وَتَغْتَفِـــرُ المِـلاحُ هَنَاتِـــي
قَصُـرَتْ لَيَـالِيهِ وكُـلُّ قَصِيـرَةٍ
فِي الطَّيِّبَـــاتِ عَرِيضَـــةُ اللَّـذَّاتِ
فِـي ذِمَّـةِ الحَـدَقِ المِـراضِ عُهُـــودُهُ
سَـكْـرَى المُنَـــى قُـدسيَّـةَ النَّفَحَـاتِ
أَصْـبَحْـتُ لاَ لُعْـسُ الشِـفَـاهِ كَعَهْـدِهَـا
كَـأْسِي ولاَ حَدَقُ المَهَـا مِرْآتِـــي

* * *

يَـا مَـنْ يُلِـحُّ هَـوايَ فِـي اسْتِعْطَافِهَـــا
وَتُلِـحُّ فِـي ظُلْمِـي وَفِـي إِعْنَاتِـي
أَنْـكَرتنـي بَعْـدَ الشَّـبَـابِ ومَـا خَبَـتْ
نَـارٌ علـى شَفَتَيْـكِ مِـنْ قُبُلاتِـي
أَيَّـامَ أَرْشُـفُ مِـنْ لَمَاكِ سُلافَتِـي
وَأَعُـلُّ مِـنْ آهَـاتِـكِ العَطِـراتِ

وَأَمُـدُّ أَشْـراكَ الغَـوايـةِ والهَـوى
لأُثِيـرَ فِيـكِ كَـوامِـنَ الشَهَـواتِ
فَتَثُـورُ وَهْـيَ عَنِيفَـةٌ صَخَّـابَةٌ
هَـوْجَـاءُ بَعْدَ رَوِيَّـةٍ وأَنَـاةِ
هَيْهـاتَ يُرْجِعُهَـا إِلـى اطْمِئْنَانِهَـا
إِلاَّ هَـوَىً شَـرِسُ الشَـمَـائِلِ عَـاتِ
وَحَلَفْـتُ ثَغْـرُكِ مـا تَقَبَّـلَ رَشْفَـةً
مِـنْ عابِـدِيكِ أَحَـبَّ مِـنْ رَشَفَـاتِي
وَنَعَـمْ تَنَكَّـرَ لِـي الشَـبـابُ وَفَاتَنِـي
مَـا فَـاتَ مِـنْ أَيَّـامِـهِ النَضِـرَاتِ
فَتَقَبَّلـي ذِكْـرَى هَـوايَ بَقِـيَّـةً
مِنْـهُ تَـرِفُّ لَمَاكِ فِـي نَغَمَـاتِي

انني قدمت روحي في الضحايا

يـا صَبـايَـا طـالَ عَهْـدِي بالهَـوى
أوَ تَرْضَـيْنَ بِهَـذا يا صَبايَـا
إنَّ فـي قَلْبِـي زَوَايـا لِلْمُنَـى
هَـلْ يَثُـورُ الحُـبُّ مِنْ تِلْـكَ الزَوَايـا
أَرْجِعِـي كَـأْسِـيَ يا فاتِنَتِـي
إنَّ فـي كَأْسِـي مِـنَ الخَمْـرِ بَقَايا
رَقَـدَتْ رُوحِـي علـى أُغْنِيَّـةٍ
لِخَيَـالاتِ الأمـانـي والمَنايَـا
فَتـلاشَـتْ مَـعْ صَـدَى أُنْشـودَةٍ
فَـرِغَـتْ مِنْهـا إلاهـاتُ الخَطَايـا
يـا إلهـاتِ الهَـوى لا تَغْضَبِـي
إنَّنـي قَدَّمْـتُ رُوحِـي فـي الضَحايا

* * *

المعبد المسحور

أيُّها الضَّاحِكُ الطَروبُ ألا تأسَى
لِهذِي الدُموعِ في عَيْنَيَّا
أنا أبْكِي وكَرَّمَ اللهُ والحُسْنُ
عَنِ الدَمْعِ خَدَّكَ الوَرْدِيَّا
شَوَّهَ العَاذِلُونَ عِنْدَكَ حُبِّي
لا عَلَيْهِمْ فَعَارُ حُبِّي عَلَيَّا
قَسَمُوهُ بَيْنَ البَراءَةِ والإثْمِ
وَوَحَّدْتُهُ أثِيماً بَرِيَّا

* * *

يا حَبِيبي دَعْنِي أُقَبِّلُ خَدَّيْكَ
وأشْتَفُّ ثَغْرَكَ اللُؤْلُؤِيَّا
وَتَبَذَّلْ للحُبِّ سُكْراً وعُرْياً
جَسَداً فاتِناً ورُوحاً غَوِيَّا
أهَوى جَنَّةٌ بِقَلْبِيَ والشَهْوَةُ
نارٌ حَمْراءُ في شَفَتَيَّا

* * *

مِهْرَجَانُ لِتَعَةِ الجِسْمِ حَالٍ
يَرْحَمُ اللهُ حُبَّنا العُذْرِيَّا

* * *

طافَ بِي طائِفٌ مِنَ المَعْبَدِ المَسْحورِ
يَدْعو فقالَتِ النَفْسُ هَيَّا

يا حَبِيبي وسِحْرُ عَيْنَيْكَ يُغْنِيني
أشاهَدْتَ سِحْرَهُ البَابِلِيَّا

مَعْبَدٌ للهَوى الأَثِيمِ بَنَيْنَا
الفَجْرَ فيهِ والمَشْرِقَ الذَهَبِيَّا

وأَقَمْنا على الكَهَانَةِ فِيهِ
والعِبَادَاتِ شَاعِراً عَبْقَرِيَّا

يَتَغَنَّى سَكْرانَ بَيْنَ عَوارٍ
رَضِيتْ عُرْيَها كِساً وحُلِيَّا

وإذا يَشْتَهي الأَغَانِيَّ يَسْمَعْ
مَعْبَداً والغَرِيضَ والمَوْصِلِيَّا

وإذا حَنَّ للكَرى فَذِراعانِ
وَنَهْدانِ وابْتِسامٌ وَرِيَّا

حالِمٌ فالزَمانُ يَرْقُبُ أَمْرِي
والمُنَى الحالِياتُ طَوْعُ يَدَيَّا

والرُؤى عالَمٌ خَفِيٌّ أَراهُ
عالَماً ضاحِكَ السَنا مَرْئِيَّا

مَرَّ في مُجْدِبِ الحَياةِ خَيالي
فَجَرى نَفْحَةً وماءً وَفِيَّا

صَـوَّرَتْ قُـدْرَةُ الخَيـالِ مِنَ العَسْـجَدِ
والنـورِ كـأُسِـيَ الخَـزَفِيَّـا
رُبَّ حُلْـمٍ تَنـاقَلَتْـهُ اللَّيـالِـي
والخَيـالاتُ فاسْـتحـالَ نَبِيَّـا

* * *

الكنز المقدس

بِثَغْـرِكِ مِـنْ ذِكْـرَى شَبَـابِـي صَحِيـفَةٌ
مُـطَـرَّزَةٌ بالحُـبِّ والأَمَـلِ السامِـي
وَفِـي لَحْظِـكِ السَاجِـي مِـنَ الشِـعْـرِ والهَـوى
تَـرَكْـتُ خَيَالاَتِـي وسُـكْـرِي وأَحْـلاَمِـي
وَلِـي قُبُـلاَتٌ بَيْـنَ نَهْـدَيْكِ أَوْدَعَـتْ
شَبَـابِـي وآمَـالِـي العِـذَابَ وَآلامِـي
فَلاَ يَمْتَهِـنْ نَهْـدَاكِ كَنْـزاً مُقَـدَّسَـاً
خَبَـأْتُ بِـهِ رُوحِـي وَبَهْجَـةَ أَيَّـامِـي
خُـذُوا فاغْسِـلُـوا يـا آثِمِيـنَ ذُنوبَكُـمْ
أَلَـمْ يَجْـرِ دَمْـعُ اللَّـهِ مِـنْ قَلْبِـيَ الـدَامِـي

الحب والله

تَأَنَّــقَ الــدَوْحُ يُــرْضِــي بُلْبُــلاً غَــرِداً
مِــنْ جَنَّــةِ اللــهِ قَلْبَــانَــا جَناحَــاهُ
يَطِيــرُ ما انْسَــجَمــا حَتَّى إِذَا اخْتَلَفــا
هَــوَى . وَلَــمْ تُغْنِ عَــنْ يُسْــرَاهُ يُمْنَــاهُ
أَلخَــافِقَــانِ مَعــاً فالنَجْــمُ أَيْكُهُمَــا
وَسِــدْرَةُ المُنْتَهَــى والحُــبُّ : أَشْبَــاهُ
أَسْــمَى العِبــادَةِ رَبٌّ لِــي يُعَذِّبُنِــي
بِــلا رَجــاءٍ وَأَرْضَــاهُ وأَهْــواهُ
وَأَيْــنَ مِــنْ ذِلَّــةِ الشَــكْــوَى وَنَشْوَتِهَــا
عِنْــدَ المُحِبِّيــنَ عِــزُّ المُلْــكِ والجَــاهُ
تَقَسَّــمَ النــاسُ دُنْياهُــمْ وَفِتْنَتَهــا
وَقَــدْ تَفَــرَّدَ مَــنْ يَهْــوَى بِدُنْيَــاهُ
ما فَارق الــرِيُّ قَلْبــاً أَنْــتِ جُذْوَتُــهُ
ولا النَعِيــمُ مُحِبّــاً أَنْــتِ بَلْــوَاهُ
غَمَــرْتِ قَلْبــي بِأَسْــرارٍ مُعَطَّــرَةٍ
والحُــبُّ أَمْلَــكُــهُ للــرُوحِ أَخْفَــاهُ
ومــا امْتَحَنْــتُ خَفــايَــاهُ لأَجْلُوَهَــا
ولا تَمَنَّيْــتُ أَنْ تُجْلَــى خَفايَــاهُ

الخَـافِقَـانِ ـ وَفَـوْقَ العَقْـلِ سِـرُّهُمَـا
كِلاَهُمَـا للغُيُـوبِ : الحُـبُّ واللـهُ

كِـلاهُمَـا انْسَـكَبَـتْ فيـه سرائِـرُنَـا
ومَـا شهـدنـاهُ لكنَّـا عبـدنـاهُ

أرخصـتُ للـدمـع جفنـي ثم باكـرَهُ
فـي هَـدْأَةِ الفَجْـرِ طَيْـفٌ مِنْـكِ أغْـلاهُ

وَأَسْـكَرَتْنِـي دُمُـوعـي بَعْـدَ زَوْرَتِـهِ
أَطَيْـفُ ثَغْـرِكِ سَاقَـاهـا حُمَيَّـاهُ

طَيْـفٌ لِشَقْـراءَ كَـاسٍ مِـنْ مَتارِفِـهِ
لَـوْ لَمْ أَصُـنْـهُ طَغَـى وَجْـدِي فَعـرَّاهُ

حُمْنَـا مَعَ العِـطْـرِ وُرَّاداً على شَفَـةٍ
فَلَـمْ نَغَـرْ مِنْـهُ لَكِنَّـا أَغَرْنَـاهُ

تَهَـدَّلَـتْ بالجَنَـى المَعْسُـولِ واكْتَنَزَتْ
والثَغْـرُ أَمْلَـؤُهُ للثَـغْـرِ أَشْهَـاهُ

نَعُـبُّ مِنْـهُ بِـلا رِفْـقٍ وَيُظْمِؤُنَـا
فَنَحْـنُ أَصْـدَى إِلَيْـهِ ما ارْتَشَفْنَـاهُ

فِـي مُقْلَتَيـكِ سمـاواتٌ يُهَدْهِدُهَـا
مِـنْ أَشْـقَـرِ النُـورِ أَصْـفـاهُ وَأحـلاهُ

وَرَنـوةٌ لَـكِ رَاحَ النَجْـمُ يَرْشُفُهَـا
حَتَّـى تَرَنَّـحَ سُكْـرٌ فـي مُحَيَّـاهُ

أَطَلَّ خَلْفَ الجُفُونِ الوُطْفِ مَوْطِنُهُ
بَعْدَ الفِراقِ فَحَيَّاهُ وَفَدَّاهُ

يَضِيعُ عَنِّي وَسِيمٌ مِنْ كَواكِبِهَا
فَحِينَ أَرْنُو إِلَى عَيْنَيْكِ أَلْقَاهُ
قَلْبِي وللشُقْرَةِ المِغْنَاجِ ـ لَهْفَتُهُ
لَيْتَ الحَنِينَ الذي أَضْنَاهُ أَفْنَاهُ

تُضَفِّرُ الحُورُ غاراً مِنْ مَواجِعِهِ
وَتَسْتَعِيرُ رُوءَاهَا مِنْ خَطايَاهُ
أَغْفَيْنَ فِيهِ لَماماً ثُمَّ عُدْنَ إِلَى
جَنَّاتِهِنَّ وَقَدْ لَلْمَنَ رَيَّاهُ

يَسْأَلْنَ باللَّهْفَةِ الغَيْرى عَلَى خَجَلٍ :
مَنْ فَجَّرَ العِطْرَ مِنْهُ حِينَ أَدْمَاهُ ؟
لَمْ تَعْرِفِ الحُورُ أَشْهَى مِنْ سُلافَتِنَا
رَفَّ الهجيرُ نَدىً لَّما سَقَيْنَاهُ

مُدَلَّهٌ فِيكِ ، ما فَجْرٌ وَنَجْمَتُهُ !
مُوَلَّهٌ فِيكِ ، ما قَيْسٌ وَلَيْلاَهُ !
مَنْ كَانَ يَسْكُبُ عَيْنَيْهِ وَنُورَهُمَا
لِتَسْتَحِمَّ رُوءاكِ الشُقْرَ لَوْلاهُ
سَما بِحُسْنِكِ عَنْ شَكْواهُ تَكْرِمَةً
وَراحَ يَسْمُو عَنِ الدُنْيَا بِشَكْواهُ

يُرِيـدُ بِدْعـاً مِـنَ الأَحْـزانِ مُؤْتَلِقـاً
وَمِـنْ شَقَـاءِ الهَـوى يَخْتَـارُ أَقْسَـاهُ
سَكَبْـتِ قَلْبَـكِ فـي وِجْـدَانِـهِ فَـرَأَتْ
يـا عَـزَّ ماشِئْـتِ لا ماشَـاءَ عَيْنَـاهُ
أَنْـتِ السَـرابُ عَـذابٌ وَقْـدُهُ وَرَدىً
وَتُـؤْنِـسُ العَيْـنَ أَفْيـاءٌ وأَمْـوَاهُ

اتسألين عن الخمسين ؟

أَتَسْـأَلِيـنَ عَـنِ الخَمْسِيـنَ مـا فَعَلَـتْ
يَبْلَـى الشَـبـابُ ولا تَبْلَـى سَجـايَـاهُ
فـي القَلْـبِ كَنْـزُ شَبـابٍ لا نَفـادَ لَهُ
يُعطِـــي وَيَـزْدَادُ ما ازْدَادَتْ عَطايَاهُ
فَمـا انْطَـوى وَاحِـدٌ مِنْ زَهْـوِ صَبْوَتِهِ
إلاَّ تَفَجَّـرَ أَلْـفٌ فـي حَنـايَـاهُ
هَـلْ فـي زَوايَاهُ مِـنْ راحِ الصِبَـا عَبَقٌ
كُـلُّ الـرَحِيـقِ المُنَـدَّى فـي زَوايَـاهُ
يَبْقَـى الشَـبـابُ نَـدِيّـاً فـي شَمَائِلِـهِ
فَلَـمْ يَشِـبْ قَلْبُـهُ إنْ شَـابَ فَـوْدَاهُ
تَـزَيَّـنَ الـوَرْدُ أَلْـوانـاً لِيَفْتِنَنَـا
أَيَحْلِـفُ الـوَرْدُ أَنَّـا مـا فَتَنَّـاهُ
صـادِي الجَـوانِـحِ فـي مَطْلُـولِ أَيْكَتِـهِ
فَمـا ارْتَـوى بالنَـدى حَتَّـى قَطَفْنَـاهُ
هَـذا السُـلافُ أدامَ اللـهُ سَكْـرَتَهُ
مِـنَ الشِـفـاهِ البَخِيـلاتِ اعْتَصَرْنَـاهُ
جَـلَّ الـذِي خَلَـقَ الـدُنْيـا وَزَيَّنَهَـا
بالشِـعْـرِ أَصْـفَـى المُصَـفَّـى منْ مَزايَـاهُ

نَحْـنُ الـذَيـنَ اصْطَفَـانـا منْ أَحِبَّتِـهِ
فَلَـوْ تُـدارُ الـطِلَـى كُنَّـا نَـدامَـاهُ
وَشَـرَّفَ الشِـعْـرَ لَمَّـا صَاغَـهُ تَـرَفاً
فَـكُنْـتِ نَغْمَتَـهُ النَشْـوى وَمَعْنَـاهُ
وراح يُنْشِـــدُنَـا عَصْـمَـاءَهُ شَفَـةً
وَمُقْـلَـةً وَجُنَّـا فاسْتَعَـدْنَـاهُ

* * *

رُوحِـي فِـدى وَثَـنٍ مـا كَـانَ أَفْقَـرنَـا
إِلَيْـهِ فـي عِـزَّةِ النُعْمَـى وأَغْنَـاهُ
إِنْ كَـانَ يَـذْكُـرُ أَوْيَنْسَـى فَلا سَلِمَـتْ
عَيْنِـي ولا كَبِـدِي إِنْ كُنْـتُ أَنْسَاهُ
يـا مَنْ سَقَـانَـا كُـؤوسَ الهَجْـرِ مُتْـرَعَةً
بَـكَـى بِسَـاطُ الهَـوى لمـا طَوَيْنَـاهُ

* * *

اللهب القدسي

يُحِبُّ قَلْبِي خَبايَاهُ وَيَعْبُدُهَا
إِذَا تَبَرَّأَ قَلْبٌ مِنْ خَبايَاهُ
طُفُولَةُ الرُوحِ أَغْلى ما أُدِلُّ بِهِ
والحُبُّ أَعْنَفُهُ عِنْدِي وَأَوْفَاهُ
قَلْبِي الذي لَوَّنَ الدُنْيا بِجُذْوَتِهِ
أَحْلى مِنَ النُورِ نُعْمَاهُ وَبُؤْسَاهُ
غِرٌّ وَأَرْفَعُ ما فِيهِ غَرارَتُهُ
وأَنْذَلُ الحُبِّ ـ جَلَّ الحُبُّ ـ أَدْهَاهُ
ما الحُسْنُ إِلاَّ لُبانَاتٌ مُنَمَّقَةٌ
لَكِنْ يُؤَلِّهُهُ أَنَّا عَشِقْنَاهُ
لَمْ يُرْدِهِ أَلْفُ جُرْحٍ مِنْ فَواجِعِهِ
حَتَّى أُصِيبَ بِسَهْمٍ مِنْكِ أَرْدَاهُ

* * *

آمَنْتُ بِاللَّهَبِ القُدْسِيِّ مُضْرِمُهُ
أَذْكَى الأُلُوهَةَ فِينا حِينَ أَذْكَاهُ
تُزَيِّنُ الرُوحُ قُرْبانَاً لِفِتْنَتِهِ
وَقَدْ يَضِنُّ فَتُسْتَجْدَى مَنَايَاهُ

وَلَوْ أَقامَ الضَحايَا مِنْ مَصارِعِهَا
لآثَرَتْ مَوْتَهَا فِيهِ ضَحايَاهُ
أَلعَبْقَرِيَّاتُ وَهْجٌ مِنْ لَوافِحِهِ
والشَمْسُ مَجْلُوَّةً إِحْدَى هَدايَاهُ

وتائِهِينَ بِهَدْيٍ مِنْ عُقُولِهِمُ
لَوْ يَمَّمُوا اللَّهَبَ القُدْسِيَّ ما تَاهُوا
ما رَاعَنا الدَهْرُ بالبَلْوَى وَغَمْرَتِهَا
لَكِنَّنَا بالإِباءِ المُرِّ رُعْنَاهُ

إِنْ نَحْمِلِ الحُزْنَ لا شَكْوَى ولا مَلَلٌ
غَدْرُ الأَحِبَّةِ حُزْنٌ ما احْتَمَلْنَاهُ
وَما رَعانا على عَصْفِ الخُطوبِ بِنَا
هَوى حَبِيبٍ رَعَيْنَاهُ وَنَرْعَاهُ

لَيْتَ الذينَ وَهَبْنَاهُمْ سَرائِرَنا
في زَحْمَةِ الخَطْبِ أَغْلَوا ما وَهَبْنَاهُ
وَلا وَفاءَ لِقَلْبٍ حِينَ نُؤْثِرُهُ
حتى تكونَ رَزَايانا رَزَايَاهُ

أَشامِتُ عِنْدَ جُلاَّنا وما نَزَلَتْ
إِلاَّ على الحُبِّ والإِيثارِ جُلاَّهُ
هَانٍ وَمِحْنَتِيَ العَصْماءُ دامِيَةٌ
رَاوٍ وَمِنْ لوعتي الشَمَّاءِ سُقْيَاهُ

ما ضَجَّ في قَلْبِهِ جُرْحٌ فكابِدَهُ
ولا أَلَمَّ بِهِ وَجْدٌ فعانَاهُ
تَضِنُّ باللَّهْفَةِ الحَرَّى جَوانِحُهُ
والقَلْبُ أَخْصَبُهُ بالنُورِ أَسْخَاهُ

فما تَرَشَّفْتُ إيماناً بِمَعْبَدِهِ
ولا شَمَمْتُ طُيوباً في مُصَلاَّهُ
ناءٍ عَنِ النارِ لَوْ طَافَ اللهِيبُ بِهِ
لَوَهَّجَتْ هذه الدُنْيا شَظَايَاهُ

قَد هَانَ حَتَّى سَمَتْ عَنْهُ ضَغِينَتُنَا
فما حَقَدْنَا عَلَيْهِ بَلْ رَحِمْنَاهُ
يُرْضِيهِ أَنْ يَتَشَفَّى مِنْ مَدامِعِنَا
لَمْ نَبْكِ مِنْهُ وَلكِنَّا بَكَيْنَاهُ

حَسْبُ الأَحِبَّةِ ذُلاً عارُ غَدْرِهِمُ
وَحَسْبُنَا عِزَّةً أَنَّا غَفَرْنَاهُ
يَهْنِيكَ أَنَّكَ في نُعْمَى لِمِحْنَتِهِ
وأَنَّ غَدْرَكَ قَبْلَ الدَهْرِ أَشْقَاهُ

جَاهُ خَلَقْنَاهُ مِنْ أَلْوانِ قُدْرَتِنَا
فَكَيْفَ يِكْفُرُ فِينا مَنْ خَلَقْنَاهُ
لَوْ رَفَّ حُبُّكَ في بَيْداءَ لاهِبَةٍ
على الظِمَاءِ رَحِيقاً ما وَرَدْنَاهُ

جَلَوْتُ طَيْفَكَ عَنْ عَيْنِي فَأَسْلَمَهُ
إلى الدُجى وإلى الإعْصارِ مَأْوَاهُ
فَيالَكَنْزٍ شَكَتْ مِنْهُ جَواهِرُهُ
وَضَاعَ عَنْ نَفْسِهِ لَمَّا أَضَعْنَاهُ
صَحَا الفُؤادُ الذي قَطَّعْتَهُ مِزَقاً
حَرَّى الجِراحِ وَلَلْمَنَا بَقَايَاهُ

* * *

١٩٥٦/١٢/٨

هواجس

هَـواجِسِـي فِيـكِ إيمَـانٌ وَغَـاليـةٌ
وَأَنْجُـمٌ وَفَـراشٌ تَعْبُـدُ اللَّهَبَـا
وَسَـالِفَـاتُ رُؤَىً حِينَ اشْـتَهَيْـتِ لَنَـا
فِـي البِيـدِ خَيْمَتَهَـا السَمْـرَاءَ والكُثُـبَـا
هَـواجِـسُ أَنْـتِ دُنْيَـاهَـا وَمَعْدِنُهَـا
فَـكَيْـفَ تُبْـدِعُ إلاَّ النُـورَ والطَرَبَـا
النَـازِلاتُ عَلـى قَلْبِـي وَنِعْمَتِـهِ
حُـوراً مِـنَ الأُفُـقِ القُـدْسِـيِّ لا رِيبَـا
المُتْـرَفَـاتُ وأَحْـلاهَـا وأَمْلَحُهَـا
طَيْـفٌ مَـعَ الفَجْـرِ مِـنْ أَهْـدَابِـكِ انْسَـرَبَـا
رَوَى لَنـا عَنْـكِ مـا نَـدَّى سَرائِرَنَـا
مِـنَ المُنَـى السُـمْـرِ إنْ صِـدْقَـاً وإنْ كَذِبَـا
تَصَـوَّفَ القَلْـبُ تَدْلِيـلاً لِسَاكِنِـهِ
فَمـا شَكَـى عَنَـتَ البَلْـوَى ولاَ عَتَبَـا
وَكَيْـفَ يُوحِـشُ قَلْبِـي مِـنْ سُـلافَتِـهِ
وقَـدْ أُدِرْتُ عَلَيْـهِ الحُـبَّ والأَدَبَـا
يـا عَذْبَـةَ الثَغْـرِ.. لَـوْ طَـافَ الخَيَـالُ بِـهِ
قَـرَأْتُ فِـي وَجْهِـكِ الإشْـفَـاقَ والغَضَبَـا

إذَا تَمَنَّاكِ قَلْبٌ لا نُجُومَ بِهِ
تَمْلَمَلَ الفَلَكُ الغَيْرانُ واضْطَرَبَا
يَرُدُّ حُسْنُكِ أَهْواءَ النُفُوسِ تُقَىً
وَيَسْكُبُ الخَيْرَ والأَطْيَابَ والشُهُبَا
كَأَنَّهُ الكَعْبَةُ الزَهْراءُ، ما اجْتَرَحَتْ
مُنَى الحَجِيجِ بِهَا إِثْماً وَلاَ لَعِبَا

* * *

غَيْبٌ لِحُبِّكِ مِنْ نُعْمَى اليقِينِ بِهِ
كَأَنَّنِي كاشِفٌ عَنْ سِرِّهِ الحُجُبَا
بَيْنِي وَبَيْنَكِ أَنْسَابٌ مُوَثَّقَةٌ
هَذا اللَّهِيبُ بِقَلْبِي خَيْرُهَا سَبَبَا
فَلَوْ بَخِلْتِ بِنَعْمَاءِ العَذابِ لَمَا
نَشَدْتُ عِنْدَكِ إِلاَّ جَمْرَهُ أَرَبَا
لَمْ يَشْهَدِ اللَّهَ قَلْبٌ لاَ لَهِيبَ بِهِ
وَيُشْرِقُ اللَّهُ فِي القَلْبِ الذِي الْتَهَبَا
أُعِيذُ مُؤْنِسَ، رُوحِي، بَعْدَ وَحْشَتِهَا
أَنْ يَسْتَرِدَّ مِنَ النَعْمَاءِ ما وَهَبَا
يا ضَيْعَةَ النَغَمِ الأَسْمَى وَلَوْعَتَهُ
إِذَا مَحَى الخَالِقُ الفَنَّانُ ما كَتَبَا
شَفَّعْتُ عِنْدَكِ حُبِّي فِي مَواجِعِهِ
وَما تَمَزَّقَ مِنْ قَلْبِي وَمَا سُلِبَا

أَخْفَيْتُ ظُلْمَكِ عَنْ نَفْسِي لأَرْحَمَهَا
ثُمَّ ابْتَدَعْتُ لَهُ الأَعْذَارَ والسَّبَبَا

* * *

هَوَاكِ عِنْدِي مُقِيمٌ فِي مَوَاطِنِهِ
فَإِنْ تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمَائِهَا اغْتَرَبَا
أُحِبُّكِ الحُبَّ تَأْلِيهاً خَلَعْتُ بِهِ
عَلَى تَدَلُّهِيَ الإِجْلالَ والرَّهَبَا

* * *

سَكَبْتُ فِي دَرْبِكِ الأَطْيَابَ وَالهِمَّةَ
وَجَلَّ كَأْسُكِ عَنْ عِطْرِي الذِي انْسَكَبَا
لَعَلَّهُ ـ والخُطَى السَّمْرَاءُ تَسْلُكُهُ
يَعُلُّهَا مِنْ حَنِينِي بَعْضَ مَا شَرِبَا
أَغْلَيْتُ نُعْمَى الهَوى عِنْدِي وَمِحْنَتَهُ
فَحُبُّ مَا مَرَّ مِنْهُ حُبُّ مَا عَذُبَا
مَدامِعِي فِيكِ لَوْ أَكْرَمْتِ جَوْهَرَهَا
أَكْرَمْتِ فِيهَا الهَوى والشِّعْرَ والعَرَبَا
أُجِلُّ بَابَكِ عَنْ طُولِ الوُقُوفِ بِهِ
فَقْرُ الكَرِيمِ تَجَلَّى صَمْتُهُ طَلَبَا

١٩٥٧/٤/٢٦

ظمأ الى السراب

يُرَافِقُنِي سَرابُكِ أَرْيَحِيّاً
فَأُغمَرُ بالرَحِيقِ وبالمُلاَبِ[1]
سَرابٌ أَسْمَرُ القَسَماتِ هانٍ
نَدِيُّ اللمْحِ وَرْدِيُّ الحَبابِ
يُزَوِّقُ لِي الرِمالَ جَنىً وظِلاً
وَيَغْمِزُ بالكؤوسِ وبالشَرابِ
وَقَطَّفَ ما يُنَوِّرُ مِنْ طُيُوفٍ
عَلى أَجْفانِ ناهِدَةٍ كَعابِ
وَعلَّلَ بالبَهاءِ فَكَانَ أَحْنى
عَلَيَّ مِنَ الأَحِبَّةِ والصِحَابِ
مَحَا حِقْدَ الهَجِيرِ على الصَحارى
وَوَحْدَتِيَ المَرِيرَةَ واغْتِرابِي
فَيا نُعْمَى القُلوبِ ولا أُدَارِي
ويا نُعْمَى العُيونِ ولا أُحَابِي
سَرَابُكِ رَحْمَةٌ ومُنىً حِسانٌ
سَكَبْنَ طُيوبَهُنَّ على عَذابِي
أَحُثُّ خُطايَ في اللَّهَبِ المُدَمَّى
إلى أَفْيائِهِ الخُضْرِ الرِطَابِ

---

(١) الطيب بلون الزعفران

سَقَـى عَيْنِـي مَتـارِفَـهُ وَرَوَّى
ظِمـاءَ الـرَمْـلِ بالنُـطَـفِ العِذَابِ
فَلَـوْ كَانَ الشَـبـابُ كما عَهِدْنَـا
وَهَبْـتُ جَـزَاءَ نِعْمَتِـهِ شَبابِـي

بَكَيْتُ مِـنَ السَـرابِ فحيـنَ وَلَّـى
وَأَوْحَـدَنِـي . بَكَيْـتُ على السَـرابِ
وأَشْقَـانـي اليَقِيـنُ فَياحَنِينـي
الـى الخُـدَعِ المُنَضَّـرَةِ السَـوابِـي

مَغـانٍ للسَـرابِ خَفِيـنَ إلاَّ
طُيـوفَ الجِـنِّ فـي الـوَهْـجِ المُذابِ
أَتَمْحُـو يا سَرابُ خُطـاكَ .. هُوجُ
مَـواحٍ للمَعـالِـمِ والقِبـابِ

يَدُلُّ على خُطـاكَ شَـذاً وحُـبٌّ
فَـأَرْشُـفُ ما وَطِئْـنَ مـن التُـرابِ
سَقَـى اللـهُ السَرابَ وفَـاءَ قَلْبِـي
وَعِـطْـرَ سرِيرَتـي وَصـبَـا رَبابِـي

وَنضَّـرَهُ بِأَنْـدى مِـنْ دُموعِـي
وَدَلَّلَـهُ بِأَنْعَـمَ مِـنْ عِتابِـي
بِمـا بَيْـنَ الجَوانِـحِ مِـنْ حَنِيـنٍ
مُلِـحٍّ فـي الشـهـودِ وفـي الغِيَـابِ

بِنَارِ تَـدَلُّـهِـــي ، بِرُؤَى جُنونـــي
بِإيمـانـي بِحُبِّـــكِ ، بارْتيابِـــي
بِوَجْهِـــكِ وَهْـوَ نُـورٌ في صَلاتـــي
بِهَمْسِـكِ وَهْـوَ وِرْدٌ فـي كِتابِـي
بِعِـزَّةِ لَـوْعَتِـــي ، بِحَيـاءِ حُزْنـــي
بِسُـكْـــرِي عِنْـــدَ لَمحِـكِ واضْطِرابِـــي
بِأَنْـداءِ الصَـبـاحِ مُنَمْنَمَـاتٍ
بِمَـا سَكَبَ الـرَبِيـعُ على الرَوابِـي
سَقَـى اللـهُ السرابَ مُنَـىً بِرُوحـــي
على الحِـــرْمـــانِ زَاخِـرَةَ العُبَـابِ
فَيُصْـبِـــحُ وَهْـمُ نِعْمَتِـهِ يَقِينـــاً
وَتَسْـتَغْنِـي الـرِمَـالُ عَنِ السَحَـابِ
وَتَلْثِـمُ ما أُسَـبِّـحُ مِـنْ شِفَـاهٍ
وَتَـرْشُـفُ ما أُقَـدِّسُ مـن رُضَـابِ

* * *

هَـوايَ سَجِيَّـةٌ وَشَـبـابُ قَلْـبٍ
وَجَـلَّ صِبـا القُلـوبِ عَـنِ التَصابِـــي
خَضَـبْـتُ بِلَـوْنِ سُمْـرَتِـكِ المُصَفَّـــى
حَياتـــي والمُحَـبَّبَ مِـنْ رِغابِـــي
وَلامَـــكِ عِنْـدَنـا قَوْمٌ وَعابُـــوا
بِجَـلُّ النُـورُ عَـنْ لَـوْمٍ وَعَـابِ

وَأَنْـتِ النُـورُ فـي عَيْنِـي وَقَلْبِـي
عَلـى حالَيْـكِ مِـنْ شَهْـدٍ وَصَـابِ
سَرِيرَتُـكِ الضِيـاءُ بـلا غُـروبٍ
وَعَيْنـاكِ الغُيـوبُ بِـلا حِجَابِ
وَقَفْـتُ بِبـابِ جاهِـكِ مُطْمَئِنّـاً
كأَنَّ الـدَّهْـرَ والـدُنْيـا بِبَابِـي

* * *

١٩٥٦/٣/١٠

السراب المظلم

حَنَـا السَـرابُ على قَلْبِـي يُخَادِعُـهُ
بالـوَهْـمِ مِنْ نَشْـوَةِ السُـقْيَـا وَيُغْرِيـهِ
فَكَيْـفَ رُحْـتُ وَلِي عِلْـمٌ بِباطِلِـهِ
أَهْـوَى السَـرابَ وَأَرْجُـوهُ وَأُغْلِيـهِ
وَيْـحَ السَـرابِ على الصَـحْـراءِ تُسْلِمُـهُ
رِمـالُهـا السُـمْـرُ مِـنْ تِيهٍ إلى تِيـهِ
يُزَوِّرُ المَـاءَ للسُـقْيَـا وَلَـهْفَتُـهُ
حَـرَّى إلـى مَنْهَـلٍ يَحْنُـو فَيسْقِيـهِ
جَلا النَمِيـرَ ومـا ابْتَلَّـتْ جَوانِحُـهُ
مِـن النَمِيـرِ ولا ابْتَلَّـتْ مآقِيـهِ
أَيَّامُـهُ خُـدَعٌ للـرَكْـبِ ضاحِكَـةٌ
سُـخْـراً وللْعَـدَمِ القَـاسـي لَيالِيـهِ
صَرْعـاهُ لَوْ عَرَفُـوا الأَسْـرارَ ما جَزِعُـوا
مِمَّـا يُعَـانُـونَ بَلْ مِمَّـا يُعَانِيـهِ
ألا يَمَـلُّ السَـرابُ الغَمْـرُ وَحْدَتَـهُ
أَلا يَحِـنُّ الـى نُعْمَـى تُنَدِّيـهِ
هَيْمـانُ لَهْفَـانُ لا مَأْوىً لِوَحْشَتِـهِ
قَلْبِـي الـذِي وَسِـعَ الأَكْـوانَ يُؤْويـهِ

أبْـكِـي لِبَلْـواهُ تَحْنَانـاً وَمغْفِـرةً
رُوحُ الأُلُـوهَـةِ رُوحـي حِيـنَ أبْكِيـهِ

اذا خُـدِعـتُ فقـد جـازَيْـتُ خُـدعَتَـهُ
بـالعُـذْرِ أبسُـطُـهُ والـذنـبِ أطـويـهِ

ادْعُـو السَـرابَ إلى رُوحـي فَقَـدْ حَلِيَتْ
بِهَـا اللُبَـانـاتُ تُرْضِيـه وَتُغْوِيـهِ
لَهْفـي عَلَيْـهِ أَسِيـراً في يَدَيْ قَـدَرٍ
يُمِيتُـهُ كُلَّ يَـوْمٍ ثُـمَّ يُحْيِيـهِ

يَغِيـضُ قَبْـلَ رَفِيـفِ الجَفْـنِ زَاخِـرُهُ
أَقَلْبُـهُ جَفَّ أَمْ جَفَّـتْ سَواقِيـهِ
مَاءُ ولا رِيَّ ينـدىَ فـي شَمَائِلِـهِ
كَأَنَّـهُ القَـوْلُ فاتَتْـهُ مَعانِيـهِ
يُزَوِّقُ الحُسْـنَ أَلْـوانـاً ومـا عَصَفَـتْ
بِـرُوحِـهِ سَوْرَةٌ للحُسْـنِ تُصْبِيـهِ

هَـذي مَراعيـه عُطْـلٌ مِـنْ بَشاشَتِهـا
حَنَّـتْ لِشبَّـابَـةِ الـراعـي مَراعِيـهِ
لَوْ صَعَّـدَ القَصَـبُ الـوَلْهـانُ زَفْرَتَـهُ
لَنَـوَّرَتْ بِيـدُهُ واخْضَـلَّ وَادِيـهِ
ما لِلسَّـرابِ دَنَـا حَتَّـى إِذَا اكْتَحَلَـتْ
بِسِـحْـرِ دُنْيـاهُ عَيْنِـي شَطَّ دَانِيـهِ

أَنْـتِ السَـرابُ ولـكنِّـي عَلَى ظَمَـأي
بِـأَنْهُـرِ الخَمْـرِ فـي الفِـرْدَوْسِ أفْدِيـهِ
مَحَـوْتُ مِنْ قَلْبِـيَ الـدنيـا فما سَلِمَـتْ
إلاَّ طُيـوفُ هَوانـا وَحْـدَهَـا فِيـهِ

* * *

النبع المسحور

بُرْدُكِ فَـوْقَ الخَصْـرِ جَارُ الرُّؤَى
فَخَلْفَـهُ تَطْفِـرُ جِنِّـيَّتَـانْ
شَيْطَـانَتَـانِ اصْـطَفَتَـا جَـنَّـةً
قَـدْ تُؤْنِسُ الجَـنَّـةَ شَيْطَـانَتَـانْ
دَارَتْ عَلَـى الظَـمْـأَى حُمَيَّـاهُمَـا
فَـاللَّهْـوُ فِـي الجَنَّةِ طَلْقُ العِنَـانْ
يُدْنِيهِمَـا الشَـوْقُ وَلَـمْ تَـدْنُـوَا
فَهَـلْ هُمَـا نَهْـدَانِ أَمْ نَجْمَتَـانْ
تَمُـوجُ أَلْحَـانُ الصِـبَـا فِيهِمَـا
كَأَنَّمَـا نَهْـدَاكِ أُغْرودَتَـانْ
عُشَّـانِ لاَ لِلطَّيْـرِ بَـلْ لِلْهَـوَى
عُشَّـانِ . بَـلْ لِلْمِسْـكِ قَارُورَتَـانْ
عِنْـدِي طُيُـوبٌ لَـكِ أَعْدَدْتُهَـا
عِـطْـرُ لُبَـانَاتِـي وَعِـطْـرُ البَيَـانْ
رَشَّـا عَلَـى حُسْـنِـكِ رَيَّـاهُمَـا
فَهَـلْ دَرَى عِطْـرَايَ مَـا يَفْعَـلاَنْ
حُسْـنُـكِ عِطْـرُ العِـطْـرِ فِـي جَنَّتِـي
عَلَـى غِنَـاهَـا وَلُبَـانُ اللُبَـانْ
فَاغْـدِي عَلَـى الرَمْـلِ وَرُوحِـي يَضُـعْ
وَرْدٌ وَيَفْـرُشْ طِيبَـهُ أُقْحُـوانْ

عَيْنَـاكِ بَحْـرٌ حِيـنَ أَغْفَـى انْحَنَـتْ
فَلَمْلَمَـتْ أَحْـلامَهُ الضفَّتَـانْ

تَغْفُـو بِعَيْنَيْـكِ طُيـوفُ المُنَـى
عَيْنَـاكِ للأَشْـواقِ أُرْجُـوحَتَـانْ

قَلْبِـي وَقُرْطَـاكِ حَلِيفَـا ضَنَـىً
أَلَـمْ يَئِـنْ أَنْ يَتْعَـبَ الخَـافِقَـانْ

وَخُصْـلَتَـانِ ارْتَـاحَتَـا فِـي يَـدِي
مِـنَ الدُجَـى المَخْمُـورِ مسْكُـوبَتَـانْ

شَـذَاهُمَـا بَـاقٍ وإِنْ غَـابَتَـا
كَأَنَّمَـا فَـرْعَـاكِ رَيْحَـانَتَـانْ

تُغَـامِـزِيـنَ البَـدْرَ فِـي مَـوْعِـدٍ
فَغِـرْتُ لَمَّـا الْتَقَـتِ الغَمْـزَتَـانْ

يُنَمْنِـمُ الأَحْـلامَ فِضِّـيَّـةً
وَتَنْسُـجُ الشَـمْـسُ لَـكِ الأُرْجُـوانْ

وَمُلْـكُـكِ البَـدْرُ وَشَـمْـسُ الضُحَـى
وَمَـا يَصُـوغَـانِ وَمَـا يَغْـزِلانْ

قَـدْ بَـاحَ جَفْنَاكِ بِـسِّـرِ الدُجَـى
جَفْنَـاكِ مِـنْ سِـرِّ الـدُجَـى مُتْرَعَـانْ

تَضْـحَـكُ عَيْنَـاكِ وإِنْ جَـدَّتَـا
لاَ سِحْـرَ فِـي عَيْنَيْـنِ لاَ تَضْحَكَـانْ

تَنْطِقُ عَيْنَاكِ وَلَمْ تَنْطِقِي
وَقَدْ تُطِيلانِ وَقَدْ تُوجِزَانْ
وَلَمْ تَضِيقَا بِمَعَانِي الهَوى
أَلا تَلُومَانِ أَلا تَعْتَبَانْ

* * *

رَشِيقَةَ الأَحْزانِ وَالقَدِّ . هَلْ
يَنْبُتُ فِي جَمْرِ الغَضَا غُصْنُ بَانْ
نَزَلْتِ قَلْبِي سِدْرَةَ المُنْتَهَى
مَا أَرْزُ لُبْنَانَ وَمَا الغُوطَتَانْ
وَبَيْنَنَا قُرْبَى الشَذَى للشَذَى
أَلْحُسْنُ والشِعْرُ رَضِيعَا لِبَانْ
تَرْشُفُ مِنْ نَهْدَيْكِ إِغْفَاءَتِي
كَأَسَيْنِ قَدْ أُتْرِعَتَا بِنْتَ حَانْ
طَافَتْ بِكِ الكَأْسُ فَرَنَّحْتِهَا
وَجُنَّ لَمَّا شَمَّكِ الزَعْفَرانْ
نَبْعُ الصِبَا المَسْحُورُ[1] يَشْتَفُّهُ
قَلْبِيَ والسَمْرَاءُ والفَرْقَدَانْ
نَشْتَفُّهُ حَتَّى ثُمَّالاتِهِ
فَنَحْنُ لاَ نَفْنَى وَيَفْنَى الزَمَانْ
نَشْتَفُّهُ حَتَّى يَعُودَ الصِبَا
واللِّمَّةُ السَوْدَاءُ والعُنْفُوانْ

---

١) اشارة الى ما ورد في الاساطير عن وجود نبع يكفل للشارب منه خلود الشباب .

وَبَيْتُنَـــا فِـــي رَبْـــوَةٍ سَمْـــــحَـــةٍ
حُـــلْـوُ السُفـــوحِ الخضْـرِ ، حُـلْـوُ الرِعَـــانْ
وَغَـــابَـــةٌ يَغْفُـــو الضُـحَـــى عِنْدَهَـــا
وَشَمْسُـهَـــا تَغْـــرُبُ قَبْـلَ الأَوَانْ
قُبُـورُنَـا فِيهَـا بِـلا وَحْشَـــــةٍ
يُؤْنِسُـهَـا فِـي الـوَحْـدَةِ السِنْدِيَـــــانْ
وَقُبَّـــةٌ[1] تَحْـرِسُ كَنْـزَ الدُجَـــى
كَأَنَّهَـا فِـي الغَابَـةِ الدَيْدَبَـــانْ
والنَبْـــعُ والقُبَّـــةُ فـــي هَـــدْأَةٍ
يُسْـــرِعُ دَهْـرٌ وَهُمـا وَانِيَـــانْ
مـا هَـزَّتِ الـدُنْيـــا أَنَاتَيْهِمـــا
فَتُغْـرِبُ الـدُنْيـــا ولا يَدْهَشَـــانْ
ولَـوَّحَـــتْ مـــن بَعْـــضِ أَفْيائِنَـــا
كَفَّـــانِ بالحِنَّـــاءِ مَخْضُوبَتـــانْ
حَضَنْـــتُ فـي السَمْـــراءِ دُنْيَـــا المُنَـــى
حِيـــنَ التقينـــا كَبَّـــرَ العَالَمَـــانْ
جُزْنَـــا حُدودَ الـكَـــوْنِ ، لا مَشْرِقَـــانْ
فـي جَلْـــوَةِ النُـور ، ولا مَغْرِبَـــانْ
جُزْنَـــا حُـــدودَ الـكَـــوْنِ ، حتَّـــى الْتَقَـــى
كـــلُّ مَغِيـــبٍ عِنْـدَنـــا بالعِيَـــانْ

---

١) قبة قديمة لاحد الأولياء في مسقط راس الشاعر .

وعـادَ للأَنْجُـمِ ما ضـاعَ مِـنْ
أَضْـوائِهَـا واعْتَنَـق الأَزْهَـرانْ
واخْتَصَـر الـدُنْيـا شـذاً مُسْكِـرٌ
أَوْ لَهْفَـةٌ عَذْراءُ أَو قُبْلَتـانْ
بُحْـتُ بأَسْـراري فَعُبُّـوا الشَـذى
فُضَّـتْ عَـنِ الرَاحِ العَتِيـقِ الدِنَـانْ
ما غـابَ عَـنْ أَعْراسِـنَـا أَهْلُنَـا
أَلشَـمْـسُ والأَنْجُـمُ فـي المِهْرَجَـانْ
والنـاسُ لا تَعْـرِفُ أَحْزَانَنـا
يَرْثِـي لَنـا الشَـوْقُ وَيَبْكِـي الحَنـانْ

يَرْفَعُنـي المَوْجُ إِلَـى شَـاهِـقٍ
وَحَـطَّنِـي .. لا تَهْـدَأُ الـكِفَّتَـانْ
زَلْـزَلَـتِ الأَمْـواجُ زِلْـزَالَهَـا
واحْتَضَنَتْـهـا دُجْنَـةٌ مِـنْ دُخَـانْ
قـد رَجَّهـا العـاصِـفُ حتـى طَغَـى
لُـؤْلُـؤُهَـا ـ طَوْعَ يَـدِي والجُمـانْ
وَمِحْنَـةٌ طالَـتْ وأَكْرَمْتُهَـا
بالصَـبْـرِ حَتَّـى مَـلَّ دَهْـرٌ فَـلاَنْ

لا يَقْنَـطُ الحُـرُّ ولا يَشْتَكِـي
لِـكُـلِّ بَحْـرٍ هائِـجٍ شَاطِئَـانْ

فَتَّشْـــتُ عَـــنْ خَوْفـــي فَلَـمْ أُلْفِـــهِ
كَيْـــفَ أَرَى الخَـوْفَ وَأَنْـــتِ الأَمَـــانْ

* * *

قَرَّبَنـــــا اللـهُ فَفَـوْقَ الزَمـــانْ
نَحْـنُ مَـعَ النُـــورِ وَفَـوْقَ المَكـانْ
يُضَـوِّىءُ الـظُلْمَـــــةَ إيمـانُنـــا
وَيُسْـكِـــرُ الفَجْـــرَ رَحِيـــقُ الأَذَانْ
نَحْـنُ وَقَلْبَـانـــــا وأَسْرَارُنَـــــا
شَـوْقٌ الـى اللـــهِ وأُغْنِيَّتَـــانْ
أَوَجْهُهَـــا أَمْ بَيْتُـــهُ قِبْلَتِـــي
أَسْـتَغْفِـــرُ اللـــهَ فَلِـي قِبْلَتَـــانْ
نُرِيـــدُ جَمْـــراً لِبَخُـــورِ الهَـــوَى
فـي النَـارِ هـذا الجَمْـــرُ لا فـي الجِنَـــانْ
صَـــلاتُنـــا النُـورُ فَمِـــنْ وَهْجِهَـــا
شَـــعَّ الضُـحَـــى وأُتَلَـــقَ النَيِّـــرَانْ
مِـــنْ وِرْدِنَـــا الأَفـــلاَكُ تَسْبِيـــحَـــةٌ
والصُـبْـــــحُ والنَجْمَـــــةُ تَكْبِيرتَـــانْ
تَغْمِـزُنـي الشَـمْـسُ عِنـــاقَ الهَـــوى
فَلَفَّنِـــي مِـــنْ فَرْعِهـــا خُصْلَتَـــانْ
وَجْهِـــي ـ وَلَـــمْ تَخْـدَعْ أَسَارِيـــرُهُ ـ
والقَلْـــبُ مِرْآتَـــــانِ مَجْلُوَّتَـــانْ

كَتَبْتُ (بِسْمِ اللهِ) فالطِرْسُ مِنْ
عَدْنٍ (وَبِسْمِ اللهِ) حُورِيَّتَانْ
لَمْ يَعْنِنِي عُسْرٌ ولا شِدَّةٌ
اللهُ والسمراءُ لِيْ المُسْتَعَانْ
عَرَّيْتُ فَقْرِي عِنْدَ بابَيْهِمَا
وَتَعْذُبُ الشَكْوى وَيَحْلُو الهَوانْ

* * *

١٩٦٢/١٢/٢١

أيها المعرض عني

أَيُّهـــا المُعْـــرِضُ عَنِّـــي مـــا الـذي رَابَـــكَ مِنِّـــي
أَنْـــتَ حُلْـوٌ فـي الـرِضَـــى السَمْـحِ وَحَلْـوٌ فـــي التَجَنِّـــي
دَعْ يَقِينـي ـ وَهُـوَ الجَمـــــرُ ـ إلى أَفْيـاءِ ظَنِّـي
لِـي كَنُـوزُ الحُـبِّ، يَسْـتَغْنِـي بِهـا قَلْـبِـي وَيُغْنِـي
والمُنَـى ضَاعَـتْ فَهَبْنِـي مِنْـكَ نَعْمَـاءَ التَمَنِّـي
تَعْـدِلُ الـدُنْيَـا طُيـوفٌ عَلِقَـتْ مِنْـكَ بِجَفْنِـي
وَأَنَـا البُلْبُـلُ فـي الأَيْكِ وفـي الأَسْـرِ يُغَنِّـي
تَـرَفُ الإِحْسـانِ أَنْ أُضْـفِـي على دُنْيـايَ حُسْنِـي
قَـدْ جَـلانِـي اللـهُ مِنْ نُعْمـاهُ إِشْـرَاقَـةَ يُمْـنِ
أَنـا والأَنْجُـمُ أَغْفَيْنَـا علـى مَهْـدٍ وَحِضْـنِ
وابْتَـدَعْنَـا أَلْـفَ دُنْيَـا وَخَلَقْنَـا أَلـف فَـنِّ
أَنَـا والأَنْجُـمُ لاَنَفْنَـى على الـدهْـرِ... ونُفْنِـي
أَنَـا إِنْ أَدْنُ مِـنَ اللـهِ فَـإِنَّ الشَـوْقَ يُـدْنِـي
نـاعِـمُ النُـورِ نَمـانِـي والأَعـاصِـيرُ تَمُتْنِـي
يَظْمَـأُ العَقْـلُ فَـأَسْـقِـي العَقْـلَ أُسْـطُـورَةَ جِـنِّ
لَـمْ يَضِـقْ حُـبِّـي بِمـا أَلْقـاهُ مِـنْ حِقْـدٍ وغِبْـنِ
أُنْـزِلُ الآثـامَ أَضْيـافـاً على جَنَّـةِ عَـدْنِـي

* * *

خالقه

مـنْ نُعْمَيـاتِـكِ لِـي أَلْـفٌ مُنَـوَّعَـةٌ
وَكُـلُّ وَاحِـدَةٍ دُنْيَـا مِـنَ النُـورِ
رَفَعْتِنِـي بِجَنـاحَـيْ قُـدْرَةٍ وَهَـوىً
لِعَـالَـمٍ مِـنْ رُؤَى عَيْنَيْـكِ مَسْـحُورِ
تَعُـبُّ مِـنْ حُسْـنِـهِ عَيْنِـي فَـإِنْ سَكِـرَتْ
أَغْفَـتْ علـى سُنْـدُسِـيٍّ مِـنْ أساطِيـرِ
أُخَـادِعُ النَـوْمَ إِشْـفـاقـاً على حُلُـمٍ
حَـانٍ علـى الشَـفَـةِ اللمْيـاءِ مَخْمُـورِ
وَزَارَ طيفُـكِ أَجْفَانـي فَعَطَّـرَهـا
يا لَلـطُيـوفِ الغَـريـراتِ المَعـاطِيـرِ
طُيـوبُـهَـا فـي زِيـارَاتِ الـرُؤَى نَـزَلَتْ
مِـنْ مُقْلَتَـيَّ عَلـى أَصْـفَـى القَـوارِيـرِ
كَـأَنَّ هَمْسَـكِ فـي رَيَّـاهُ وَشْـوَشَـةٌ
دَارَ النَسِيـمُ بِهَـا بَيْـنَ الأَزَاهِيـرِ
تَنْـدى البَـراءَةُ فِيـهِ فَهْـوَ مُنْسَكِـبٌ
مِـنْ لَغْـوِ طِفْـلٍ وَمِـنْ تَغْـرِيـدِ عُصْفُـورِ
رَشَـفْـتُ صوتَـكِ فـي قَلْبِـي مُعَتَّقَـةً
لَـمْ تُعْتَصَـر وَضِيـاءً غَيْـرَ مَنْظُـورِ
لَـوْ كُنْـتِ فـي جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ وَاحِدَةً
مِـنْ حُـورِهـا لتَجَـلَّى اللـهُ لِلْحُـورِ

خَلَقْتِنِـي مِنْ صَبَابَاتٍ مُـدَلَّهَةٍ
ظَمْـأَى الحَنِيـنِ إلـى دَلٍّ وَتَغْـرِيـرِ
فَكَيْـفَ اغْفَلْـتِ قَلْبِـي مِـنْ تَجَلُّدِهِ
لَّمـا تَـوَلَّيْـتِ إبْـدَاعِـي وتَصْوِيـرِي ؟
وَكَيْـفَ تَشْـكِينَ مِنْ حُبِّـي غَـوايَتَـهُ
وَأَنْـتِ كَـوَّنْـتِ تَفْـكِيـرِي وَتَعْبِيـرِي
وَهَـلْ تُـرِيـدِينَ رُوحِـي هَـدْأَةً وَوَنَـىً
فَـكَيْـفَ أَنْشَـأْتِ رُوحِـي مِـنْ أَعـاصِيـرِ ؟
أَلِـفْـتُ نَفْسِي علـى مـا صُغْتِ جَوْهَرَهَـا
يـا غُـرْبَتِـي عِنْـدَ تَحْـوِيـرِي وَتَغْيِيـرِي !

* * *

كَبَّـرْتُ للـطَّلْعَـةِ النَشْـوى أُسَبِّحُهـا
أكـانَ لِلَّـهِ أَمْ للحُـسْـن تَنْبِيـرِي
يـاطِفْلَـةَ الـرُوحِ : حَبَّـاتُ القُلـوبِ فِدَى
ذَنْـبٍ لِجِسْـمِكِ عِنْـدَ اللـهِ مَغْفُـورِ
آثـامُـكِ الخَفِـراتُ البِيـضُ لَـوْ جُلِـيَتْ
لِـطُـورِ مُـوسى لَنَـدَّتْ ذُرْوَةَ الطُـورِ
كـأَنَّهـا أُقْحُـوانَـاتٌ مُنَضَّـرَةٌ
بِمُخْصِـبٍ عَبِـقِ الـرَيْحَـانِ مَمْطُـورِ
يـانَجْمَـةً تَخْتَفِـي حِينـاً وتُشْـرِقُ لـي
حِيـنـاً أَفـانِيـنَ تَـعْـرِيـفٍ وتَنْكِيـرِ

لَقَـدْ هَجَـرْتِ أخـاكِ الفَجْـرَ وانْتَبَهَـتْ
شَـمْـسُ الصَـبـاحِ على أَنَـاتِ مَهْجُـورِ
مِـنْ مَـوْطِـنِ النُـورِ هذا الحُسْـنُ أَعْرِفُهُ
حُلْـوَ الشَـمـائِـلِ قُـدْسِـيَّ الأسـارِيـرِ
فَفِـي السـمـاءِ على مَطْلُـولِ زُرْقَتِهَـا
أرىَ مَسـاحِـبَ ذَيْـلٍ مِنْـكِ مَجْـرُورِ

* * *

لاتَجْـزَعـي مِـنْ مَقـادِيـرٍ مُخَبَّـأَةٍ
حَنـا يُـدَلِّلُنَـا ظُـلْـمُ المَقـادِيـرِ
عِنْـدِي كُنُـوزُ حَنـانٍ لا نَفـادَ لَهَـا
أَنْهَبْتُهَـا كُـلَّ مَظْلُـومٍ وَمَقْهُـورِ
أُعْـطِـي بِـذِلَّـةِ مَحْـرُومٍ فَـوا لَهَفِـي
لِسـائِـلٍ يُغْـدِقُ النَعْمَـاءَ مَنْهُـورِ
جَـواهِـري فـي العبيـرِ السَـكْـبِ مُغْفِيـةٌ
مِـنَ الـوَنـى بَعْـدَ تَغْلِيـسٍ وَتَهْجِيـرِ
تـاهَـتْ عَـنِ العُنُـقِ الهَـانـي فَأَرْشَـدَهَـا
إِلـى سَنَـاهُ حَنِيـنُ النُـورِ للنُـورِ

* * *

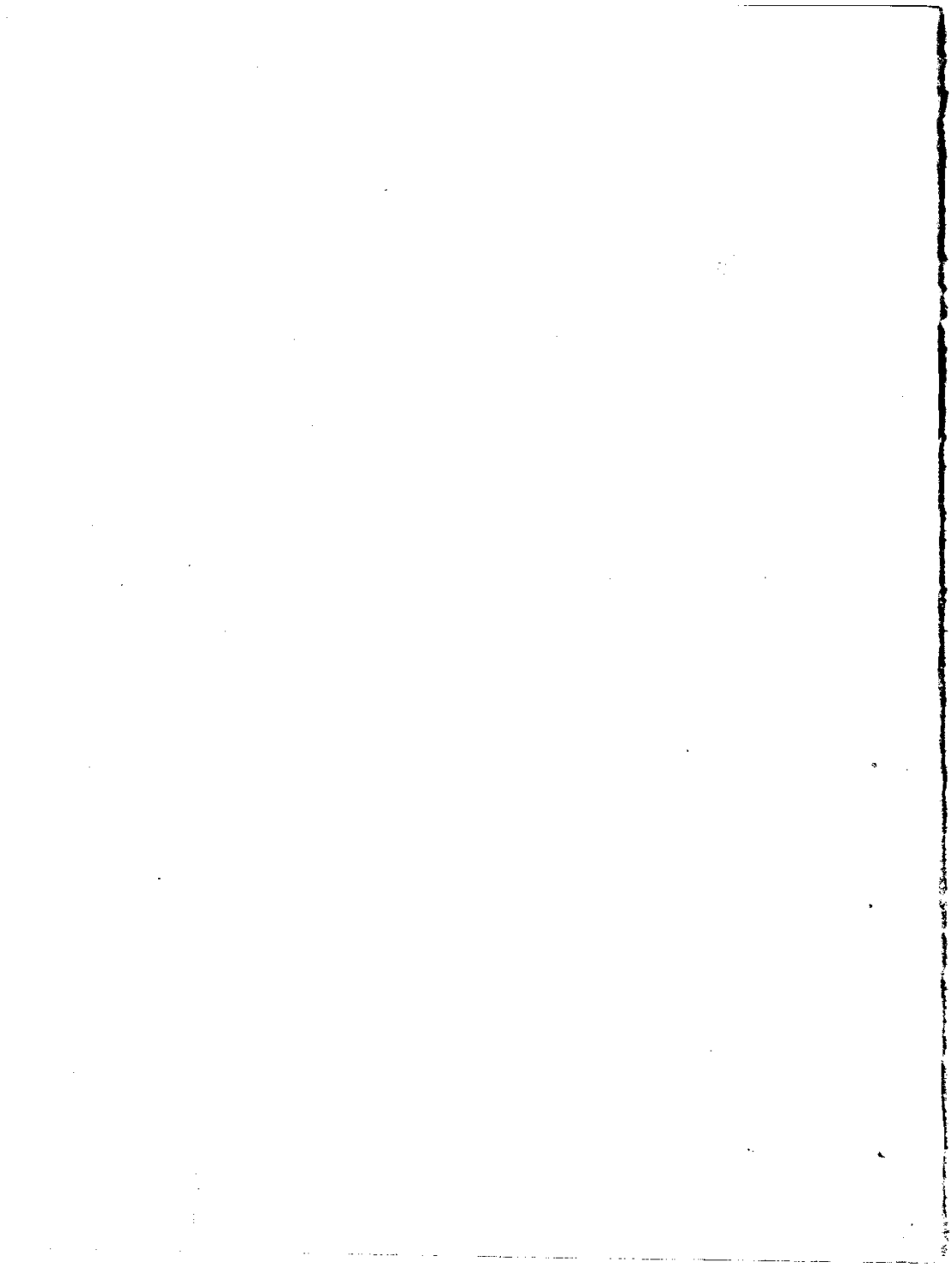

الى استاذي مصطفى الغلاييني

قيلت في حفل تكريمي له

أَتَسْمَعُ إِنَّهُ صَوْتُ الشَبابِ
فَدَتْهُ النَفْسُ مِنْ داعٍ مُجابِ
وما غَيْرُ الشَبابِ حِمىً عَزِيزُ
يُرَجَّى للثَوابِ وللعِقابِ
أَبا النَشْءِ الجَدِيدِ بَنَيْتَ نَشْأً
مِنَ الأَخْلاقِ والأَدَبِ اللُّبابِ
هَنِيئاً ما أَصَابَكَ مِنْ خُطُوبٍ
وَما لاقَيْتَ مِنْ مِحَنٍ صِعابِ
وما غَالَبْتَ مِنْ زَمَنٍ وَنَاسٍ
وأَنْتَ اللَيْثُ يَنْهَدُ للغِلابِ
وَأَعْوامُ الشَبِيبَةِ وَهْيَ تُطْوى
عَلَى شَمْلٍ شَتِيتٍ واغْتِرابِ
تُجاهِرُ بالحَقِيقَةِ لاتُدارِي
وَتَصْدَعُ بالنَصيحَةِ لا تُحابِي
تَعَهَّدْتَ الشَبابَ فَمِنْ قَصيدٍ
سقَيْتَ بِهِ البَيانَ إلى كتابِ
دَعَوْتَهُمُ إلى الفُصْحَى فَلَبَّوْا
وَبُورِكَ في الدُعاءِ المُسْتَجابِ

جَلَـوْتَ فُتونَهَا فَهَفـوْا إلَيْهـا
وفُلَّـتْ حِـدَّةُ النَّفَـرِ الغِضَـابِ
ومـا اخْتَلَفُوا علـى الأنسـابِ إلاَّ
هَدَيْتَهُـمُ الـى النَسَـبِ القُـرابِ
تُـؤَلِّـفُ بَيْنَهُـمْ وَتَـذُودُ عَنْهُـمْ
ذِيـادَ اللَيْـثِ عَـنْ أشْـبـالِ غَـابِ

* * *

أتَـذْكُـرُ فـي الشـآمِ لَنـا عُهُـوداً
مُعَـطَّـرَةً كـأنْفـاسِ الكَعـابِ
بِـدُمَّـرَ لا السُـفـوحُ مُعَطَّـلاتٌ
مِـنَ الغَـزَلِ النَـدِيِّ ولا الرَوابِـي
وَهَـلْ عِنْـدَ الخَمـائِـلِ مـا قَطَفْنـا
مِـن الفِتَـنِ المُنَـوَّرَةِ العِـذَابِ
نُطَـوِّفُ مـا نُطَـوِّفُ ثُـمَّ نَـأوي
إلى أفْنـانِهـا النُضْـرِ الـرِطَـابِ
ونُنْشِـدُهـا النسِيـبَ علـى ذُبُـولٍ
فَيُغْنِيهـا النَسيـبُ عَـنِ الرَبَـابِ
وُرودُ الشَـامِ تُسْـكِـرُهـا القَـوافِـي
وَتَهْـفُـو للتَـوَجُّـعِ والعِتَـابِ
وَتَـطْـرَبُ للنَـدِيِّ مِـنَ المَعـانِـي
فَتَجْـزِي بالـظِـلاَلِ وبـالمَلابِ

لِئَـنْ نَضُـرَتْ خَمَـائِلُهـا فـإنِّـي
خَلَعْـتُ على خَمَـائِلِهـا شَبَـابِـي
وَوَدَّعْـتُ الصِـبـى فِيهـا حَمِيـداً
وَرُحْـتُ أَغُـشُّ قَلْبـي بالتَّصـابِـي
أَحِـنُّ إلـى شَبـابـي حِيـنَ أَهْفُـو
إلى تِلْـكَ المَعـالِـمِ والقِبـابِ
وَمَـنْ يَنْعَـمْ بِصُـحْبَتِـهِ فـإنِّـي
جَـنَـى مُـرُّ الإبـاءِ على صِحـابِـي
لِـداتُ طُفـولَتِـي ذَهَبُـوا تَبـاعـاً
وَعَـاقَتْنِـي الخُـطـوبُ عَـنِ الذَهـابِ
أُسـائِـلُ عَنْهُـمُ فَـأرى وُجُـومـاً
فَـأُغْضِـي ، قَـدْ عَثَـرْتُ على الجَـوابِ
وَأَسْـمَـعُ للقُبـورِ صـدىً وَجيعـاً
حَنِيـنَ الغـائِبيـنَ إلـى الإيَـابِ
سَقَـى تِلْكَ القُبـورَ دَمِـي وَدَمْعِـي
وَجَـلّ القَبْـرُ عَـنْ سُقْيـا السَحَـابِ
وَمَـنْ فَـوْقَ التُـرابِ فِـدى بُـدورٍ
خَبَـا لألآؤهـا تَحْـتَ التُـرابِ

* * *

أَتَعْـذِلُنـي وَقَلْبِـي فـي وَجيـبٍ
مِـنَ الـذِكْـرى وَدَمْعِـي فـي انسكـاب

فَـدَيْتُـكَ إنْ بَكَيْـتُ أسـىً وذِكْـرَى
فَـهَـذا الـدَمْـعُ لَمْ يَكُ في حِسابي
وَعيـدُكَ بَهْجَـةُ الـدُنْيـا عَلَيْـهِ
رُواءٌ مِـنْ شَمـائِلِكَ الـسوابِـي
صَحِبْتُـكَ فـي - الشآم وكُنْـتَ بَـرّاً
تُخَـاطِبُنـي وَتَلْـطُـفُ في خِطَـابِـي
تُعَلِّمُنِـي الـوَسِيـمَ مِـنَ القَوافِـي
وَتَهْـدِينـي القَـوِيـمَ مِـنَ الشِّعَـــابِ
وَتُـكْـرِمُ مَشْـهَـدي وَتَـذُودُ عَنِّـي
إذَا الحُسَّـادُ أنْـطَقَهـا غِيـابِـي
فَتَـاكَ وإنْ تَـأَوَّلَـتِ الأَعَـادي
وَلَجَّـتْ فـي أذايَ وفي اغْتِيـابِي
وَغَسَّـانُ العُلـى قَـوْمِـي ولَكِـنْ
إلـى آدابِـكَ الغُـرِّ انتِسـابِـي

* * *

ايكما الرّبيع ؟

الى الامير مصطفى الشهابي
وقد زار اللاذقية والشاعر يشكو التواء في قدمه
فلم يستطع استقباله

ثَنـانِـي عَـنْ لِقـائِـكَ يا أَميـري
عِثـارُ الجَـدِّ والقَـدَمُ الوَجِيـعُ
فَخَفَّ مَـعَ الجُمـوعِ إِلَيْـكَ قَلْبـي
يُـرافِقُهـا ومـا دَرَتِ الجُمُـوعُ
وَمَـزَّقَـهُ الحَنِيـنُ فَكُـلُّ جُـرْحٍ
هَـوىً يَشْـكو وغـالِيَـةٌ تَضُـوعُ

* * *

أَمـيرِي والعُلَـى حَسَـبٌ رَفِيـعٌ
يُمَـكِّـنُ مَجْـدَهُ أَدَبٌ رَفِيـعُ
جَمَعْـتَ كِلَيْهِمـا فـزَكَـتْ أُصـولٌ
عَلَـى نَعْمَائِـهـا وَزَكَـتْ فُـرُوعُ
تَحِـنُّ لَكَ الـرُبـوعُ وَلَسْـتُ أَدْري
لِمَـنْ تَشْـكـو مُصِيبَتَهـا الرُبـوعُ
تَنَمَّـرَ كُـلُّ خَـوَّانٍ لئيـمٍ
وَتـاهَ النَـذْلُ واخْتـالَ الوَضِيـعُ

وَنَـالَـتْ مِـنْ حَرائِـرِنـا بَغِـيٌّ
لِـكُـلِّ هَـوىً مُسَـخَّـرَةٌ تَبُـوعُ
وَرُبَّـةَ حُـرَّةٍ جَاعَـتْ وَتغْنَـى
بِثَـدْيَيْهَـا البَغِـيُّ فَـلا تَجُـوعُ
رَأَيْـتُ الـكُفْـرَ يَكْتُمُـهُ ذَوُوهُ
وَكُفْـرُ القَـوْمِ عُرْيَـانٌ خَلِيـعُ
وَأَوْصَـدَتِ الشـآمُ السَـمْـعَ عَنَّـا
فَما فِـي الشَـامِ للبَلْـوىَ سَمِيـعُ
عَنَـوْا للخَـائِنيـنَ وَدلَّـلُوهُـمْ
وما بالُـواْ بأرْحـامٍ تَضِيـعُ
ومـا صَرَعُـوا عَدُوَّهُـمُ بِنُعْمَـى
ولـكِـنَّ الـوَفـاءَ هُـوَ الصرِيـعُ
فَلَـوْ دَرَتِ الضُـلـوعُ صنيـعَ قَلْبِـي
لَمـا غَفَـرَتْ جَريـرَتَـهُ الضُلـوعُ
يُطِيـعُ أَحِبَّـةً جَـارُوا عَلَيْـهِ
ويَأْمُـرُهُ الـزَمـانُ فـلا يُطِيـعُ
تَشَـفَّـعَ فـي ذُنـوبِهِـمُ وَفائِـي
فَفـازَ الحُـبُّ وانتَصَـر الشَفِيـعُ

* * *

أميـري هَـذه شَكْـوى أَلَحَّـتْ
فضـاقَ بِجَمْـرِهـا الصَـدْرُ الوَسِيـعُ

وَعِنْـدَكَ مِثْلُهـا ولَـدى كلينَـا
لأَسْـرارِ العُلـى حَـرَمٌ مَنِيـعُ
وَأَهْـلاً بالاميـرِ فَكُـلُّ قَلْـبٍ
إلـى لُقْيَـاكَ خَفَّـاقٌ نَـزُوعُ
نَزَلْـتَ مَعَ الـرَبيـعِ عَلـى رُبَانـا
فَقـالَ النـاسُ : أَيُّكُمـا الـرَبيـعُ

* * *

بين الامير والشاعر

أيا شاعرَ العُرْب الذي سارَ شِعْرُهُ
يُدَوِّي فلا يَثْنيهِ بَرٌّ ولا بَحْرُ
تذَكَّرْ بِثَغْرِ اللاذِقِيّةِ صاحباً
اذا دَبَّ فيه اليأسُ أنعشَهُ الذِكْرُ

الامير مصطفى الشهابي

أميرَ الندى والاريحيَّةِ والعُلى
أَحَبُّ من النُعْمى شمائِلُكَ الغُرُّ
بيانُكَ لا عِطْر الجِنانِ وسِحْرُها
وطَبعُكَ لا الشَهْدُ المُصفَّى ولا الخَمْرُ
صَحِبْتُكَ من عشرينَ تَجْمَعُ بَيْنَنا
من الأدبِ الأعلى الشمائِلُ والفِكْرُ
وأنّا تحدَّيْنا الطُغاةَ فلم يَضِقْ
بِطُغْيانِهِمْ مِنّا كِفاحٌ ولا صَبْرُ
وأنّا اناخَ الدهْرُ حِيناً بِعَسْفِهِ
علينا فلم يُسْلِسْ شكائِمَنا الدهْرُ
وأنّا تقاسمنا الإمارة بيننا
لكَ النثرُ في آفاقها ولِيَ الشِعْرُ
أقاربُ لا من أُسْرَةٍ أو عشيرةٍ
فمن صُور القُرْبى الشمائلُ والنَجْرُ

وأَهْـلُ على بُعْدِ الجدودِ وإنما
أخو الحُـرِّ في الـدنيا هو الماجِـدُ الحُرُّ
فدلّـلْ وفـائـي ما قَدَرْتَ فـإنّه
وحَقِّـكَ نِعْـمَ الـذُخْـرُ إنْ فُقِـدَ الذُخْـر

سَكْب المروءات

الى أخي اكرم زعيتر

لـي أخٌ سَكْـبُ المـروءاتِ اذا الـداعـي دعـاهُ
اريحـيٌّ اليَـدِ والفـكْـرِ، وللفـكـرِ نَـداهُ
مـاحـكـاه الهنـدوانـيُّ ولا أغنـى غِنـاهُ
أكـرمُ الـوُدِّ تفيـأنـا على الجُـلَّى حِمـاهُ
صـاغـه الخيـرُ من الخيـر لُبـاباً واصطفـاهُ
مُعْـرِقُ الأمجـاد والأنسـابِ، طـابـت نَبْعتـاهُ
فـاذا عُـدَّت غطـاريـفُ العلـى فاذكـر أبـاهُ[1]
واذا عُـدَّتْ أسـاطيـنُ النُّهـى فاذكـر أخـاهُ[2]
واذا الميـدان جلَّـى الـشـوطُ كـان ابـنَ جَـلاهُ
ضـاحـكُ ما شئـت تُخْـفي عـزَّة الـكِـبْـر أسـاهُ
عبـقـريُّ القلـب والعقـل تـرشَّـفنـا سنـاهُ

٥ ـ ١١ ـ ٥٧

(١) المرحوم الشيخ عمر زعيتر الزعيم الفلسطيني الكبير
(٢) المرحوم العلاّمة عادل زعيتر

أخـــا الجُلَّـــى ..

إلى أخي الاعز الاغلى اكرم زعيتر

أأكـــرم حبُّنـــا أصـفـــى وأسمـــى
على عنَـتِ الخـطـــوب من العتـــاب
ومـــا عـــزَّيْـــتُ حيـــن ألَـــمَّ خطـبٌ
مصـابـك فـي جـلالتـه مصـــابي[1]
أخـــا الجُلَّـــى : ورب أخ تعـــرَّى
لـــدى الجـــلَّـــى عـــن الحسـب القُـراب
أُحِبُّـــكَ للنبيـــل مـــن المعـــالـي
وللعَـطِـــرِ السَّـــريِّ مـــن الرِغـــاب
وأنـــت اذا تحـــدتـــك الـرزايـا
ضيـــاءُ الشـمـــس يسـخـــر بالسحـاب
تحـنُّ اليـك عنـد البعـد روحـي
حنيـــن الـورد للنُّـطَـفِ العِـذاب
وحبُّـكَ نعمـة الـدنيـا وأحلـــى .
مـــن النُّعمـــى شمـائِلُـكَ السـوابي

(١) على اثر وفاة شقيقه المرحوم نبيه زعيتر

صهرت من الخطوب

أأكـــرمُ مـــا تضـــوَّعـــت الغـــوالـــي
بأعـــطـــر منـــك مأثـــرة وَعَرْفـــا
صُهِـــرْتَ مـــن الخـــطـوب فـــزدت قـــدراً
وَتِلْـــكَ سجـــيةُ الـــذَّهَـــبِ المُصـــــفّـــى

بغداد سنة ١٩٣٩

إلى صديقي الدكتور ايمن الكزبري

أيمـن الكـــزبـــــريُّ دنيـا من العـلم
ودنيـــــا مـــــروءةٍ ووفـــاءِ
زانـــهُ اللـــه بالعـــظيـــمِ من الطب
وجَلَّـــــتْ سَجِـــيَّـــةُ العظمـــاءِ

سيذكرني

سَيَذْكُرني بَعْدَ الفراقِ أحبتي
وَيَبْقَى مِنَ المرء الاحاديثُ والذكرُ
ورُود الرُّبى بَعْدَ الربيعِ بعيدةٌ
ويُدنيك منها في قواريره العطرُ

١٩٧٨

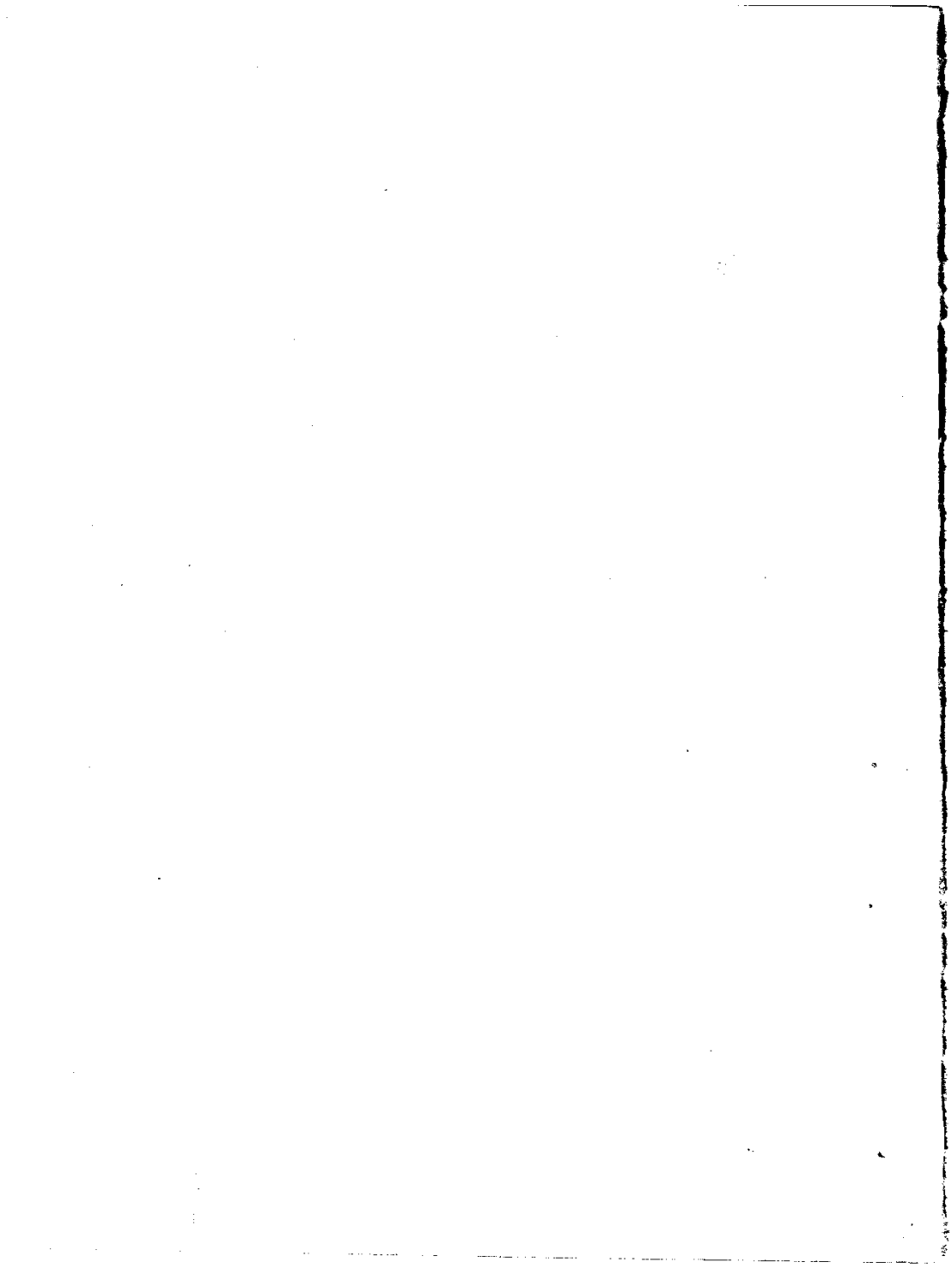

البواكير

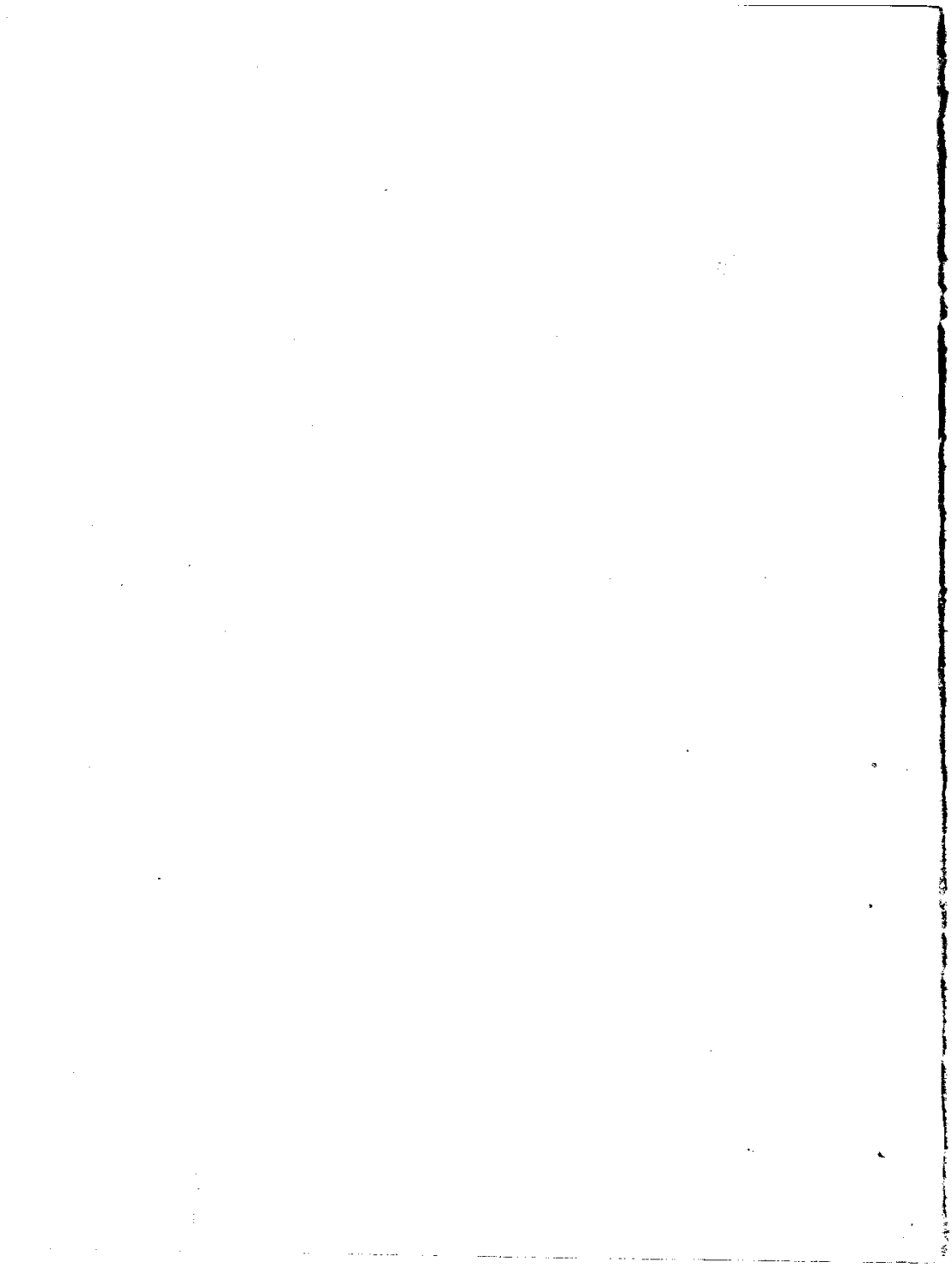

الاهداء

الى مثال البطولة العربية الى الشهيد الراقد في ميسلون ، الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة .

مرابع الاحباب

مرَّ الشاعر بعد ميسلون بدار الملك فالفاها مقفرة .

أَمَرابِـعَ الاحْبَـابِ في قلبـي لِـمَنْ ظعَنُـوا مَرابِـعْ
فَسَلي الاضَالِعَ عَـنْ هَواهُ .. فَسِـرُّهُ عِنْـدَ الأَضَالِعْ
أَتْبَعْتُـهُ رَكْـبَ الحَبِيـبِ مُيَمِّمـاً ذاتَ الأَجَـارِعْ
وَسَـأَلْـتُ عَنْـهُ الـراجِعِيـنَ فَقِيـل قَلْبُـكَ غَيْرُ راجِـعْ

* * *

بَعُـدَ الـذِيـنَ أُحِبُّهُـمْ والـوَجْـدُ يُذْكِيـهِ البِعـادْ
وَيْـلَ الجِيادِ فقد نَـأتْ بأحِبَّتـي تِلْك الجِيَـادْ
بَعَثُـوا خيالَـهُـمُ وَكَيْـفَ بِـهِ لِمَـنْ حُـرِمَ الـرُقَـادْ
أَتُـراهُـمُ عَلِمـوا بِمَـنْ أَصْفَـاهُـمُ صِـدْقَ الـوِدادْ

* * *

يا سَـاكِنِي القَصـرِ المَهِيـبِ عَفَـتْ ، وحقِّكُـمُ ، القُصُـورْ
وَتَغَيَّـرَ الـزَمَـنُ الخَـؤونُ فَمَـا وَفَـى لَكُـمُ عَشِيـرْ
نُقِضَتْ عُهُـودُكُـمُ وخَانَـكُـمُ المُقَـرَّبُ والسَمِيـرْ
وَتَنَـكَّـرَ الإِخْـوانُ حِيـنَ تَنَـكَّـرَ الـدَهْـرُ الغَـدُورْ

* * *

أَبْوابُـكُـمْ هُجِـرَتْ فَـلاَ نُـورٌ هُنَـاكَ ولا ارْتِيَـاحْ
قَـدْ كـان يُؤنِسُهـا الضِيَـاءُ فَصَـارَ يُوحِشُـهـا الظَـلامْ

واحَسْرَتَـا ! لُـمْـتُ الخُـطُـوبَ فَما انتَفَعْـتُ مِـنَ المَـلامْ
جَـدٌّ تَنَبَّـهَ ثُـمَّ أَدْرَكَـهُ الـكَـرى طِفْـلاً فَنَـامْ

* * *

أَحْبَـابَنَـا أَيْـنَ الأُلَـى نَظَمُـوا بِمَدْحِـكُـمُ الجَواهِـرْ
أَيْـنَ القَصـائِـدُ تَزْدَهِـي مُتَبَـاهِيـاتٍ كالضرَائِـرْ
أَيْـنَ المُغَنِّـي والنَـدِيـمُ وَأَيْـنَ ذو الغُـرَرِ السَوائِـرْ
صَمَـتَ الجَمِيعُ وَلَـمْ يَفُـهْ غَيْـري مِنَ الشُعَـراءِ شَاعِـرْ

* * *

غَنَّيْـتُ مـا شـاء القَـرِيـض لَدَيْكُـمُ مُتَرَنِّـمَـا
وَنَطَـقْـتُ عَـنْ سِـرِّ القُلُـوبِ مُعَبِّـراً وَمُتَرْجِـمَـا
حَتَّـى اذا نَزَلَ القَضَـاءُ مُعَبِّسـاً مُتَجَهِّمَـا
رَدَّدْتُ شِعْـري فـي حِمَـاكُـمْ باكِيـاً مُتَأَلِّـمَـا

* * *

أَنَـا لا يُغَـيِّرُنِـي الصُـدودُ ولا الجَفَـاءُ ولا النَـوَى
وَلِـعٌ بِسُـكَّانِ اللِـوى مَرْحَـى لِسُـكَّـانِ اللِّـوى
واللـهِ قَلْبِـي مـا تَنَـكَّـبَ عَـنْ هَـواهُ ولا ارْعَـوى
لا خَـانَ عَهْـدَكُمُ الـوَثِيـقَ علـى البِعَـادِ ولا نَـوى

* * *

بَسَـمـاتُ شِعْـري حَوَّلَتْهـا الفـاجِعَـاتُ الـى دُمُـوعْ
فـإذا بكَيْـتُ علـى الرُبُـوعِ فـإنَّ ذا حَـقُّ الرُبُـوعْ
الفَـاخِراتُ على الـزَمَـانِ التـائِهَـاتُ علـى الرَّبِيـعْ
سَلَـبَ الـزَمَـانُ جَلالَـهَـا وَجَمَـالَ فَـرْقَـدِهَـا الرَفِيـعْ

* * *

أَحْبَـابَنَـا لا تَضْـعُفـوا فالضُـعْـفُ داعِيَـةَ الفَنَـاءْ
وَتَعَلَّمـوا أَنَّ الحَيَـاةَ وَصَـفْـوَهَـا للأَقْوِيَـاءْ
النَّـاهِـدِيـنَ الـى النِـزالِ الصـابِـرِيـنَ علـى البَـلاءْ
القَـاحِمِيـن علـى الخُـطُـوبِ عَرِينَـهـا وعلـى القَضَـاءْ

* * *

أَيْـنَ الشَـرائِـعُ ؟ لَمْ يَعُـدْ فـي الارْضِ ظِـلٌّ للشَـرائِـعْ
دَرَسَـتْ وقَـامَ بِنـا علـى أَنْقَـاضِـهـا دِينُ المَطَامِـعْ
الصِـدْقُ مـا نَطَقَـتْ بِـهِ فـي النـاسِ أَفْـواهُ المَـدافِـعْ
والحَـقُّ مـا قَـامَـتْ تُؤَيِّـدُهُ الظُبَـى البِيـضُ القَـواطِـعْ

* * *

ضَـلَّ الـذي زَعَـمَ الأَنـامَ عَـنِ القَـدِيـمِ تَقَدَّمُـوا
النـاسُ فـي كُـلِّ العُصـورِ كَمـا عَلِمْـتَ هُـمُ هُـمُ
يَشْقَـى الضَـعيفُ وَيَسْتَبِـدُّ بِـهِ الـكَمِـيُّ المُعْلَـمُ
وتُحَلِّـلُ الأَطْمَـاعُ مـا تَخْتَـارُهُ وَتُحَـرِّمُ

* * *

دُوَلٌ تَـدُولُ وَغَيْـرُهـا نُبْنَـى علـى أَنْقاضِهَـا
وَمَـمَـالِـكٌ مَرِضَـتْ فَحَـارَ الـطِـبُ فـي أَمْراضِهَـا
قُصَّـتْ قَوادِمُهـا فَمَـنْ يَحْنُـو عَلـىٰ مُنْها ضِها
تـرمـي الليـالي بالخـطـوبِ ونحـنُ من أَغـراضهـا
(١٩٢٠)

الى الحبيبة الصغيرة

أنـا إنْ بَعُـدْتُ عَنِ الـدِيـارِ فإنَّنِي
يـا مَـيُّ قَلْبِـي في ديارِكِ بَاقِـي
حُبِّـي وإنْ شَـطَّ النَوى بِمَـزارِكُـمْ
حُبِّـي وأَشْـواقِـي لَكُـمْ أَشْواقِـي
لا تَـرْقُبُـوا مِنِّـي تَنـاسِي عَهْـدِكُـمْ
إنَّ الـوَفَـاء المَحْضَ مِنْ أَخْلاقِـي
أنـا لَسْـتُ أُخْلِـفُ بالنـوى ميثـاقكم
أو تُخْلِفُـونَ علـى النـوى ميثاقـي
وَيُـريقُ أَدْمُعِـيَ الصُـدودُ وإنْ يَكُـنْ
دَمْعِـي لِهَـوْلِ المـوْتِ غَيْـرَ مُـراقِ
أنـا كـالحُسـامِ اذا جَـلاهُ صـاقِـلٌ
يَـزْدَادُ إشْـراقـاً علـى إشْـراقِ

* * *

(١٩٢٠)

الشاعر والبؤس

خُلِـقَ الشـاعِـرُ والبُـؤْسُ مَعَـاً
فَهُمـا خِـلاَّنِ لَـمْ يَفْتَـرِقَـا

* * *

ذَهَـبَ العُمْـرُ ولَـمْ تُمْسِكْ بَـدِي
بَيْـنَ أَتْـرابِـي صَفِيَّـاً أَوْ خَلِيـلاَ

أَنَـا فِي الـكَـوْنِ شَقِـيٌّ حائِرُ
لا أَرى نُوراً ولا أُهْـدَى سبيـلاَ
أَنَـا طَيْـرٌ لَمْ يُغَـرِّدْ فاسْمعُوا
بـالـدُجَى مِنْـهُ نُـواحـاً وعـوِيـلاَ
أَنـا إِنْسـانٌ غَـرِيـبٌ أَمْـرُهُ
شَـرِبَ السُـمَّ وعـافَ السَـلسـبيلا
أَنـا رُوحٌ حُـرَّةٌ طائِـرَةٌ
رَضِيَـتْ بَيْـنَ الـدَرارِيِّ مقيـلاَ
تَـرْمُـقُ الـدُنيـا فَتَبْـكـي جَزَعـاً
وتُنـاجِـي أَهْلَهـا جِيـلاً فَجِيـلاَ
شَـارَكَـتْ فِي الحُـزْنِ مَنْ ذَاقَ الأَسَـى
وَأَبَـتْ مثْلَهُـمُ الصَـبْـرَ الجَمِيـلاَ
وَشَـكَتْ حَـرَّ الهَـوى حِـينَ شَكَوْا
وَبَـكَتْ حـينَ نَـوى الإِلْـفُ الرَحِيـلاَ

بُـورِكَ الحُـبُّ ومـا أَعْـدَلَـهُ
مَلَكَ الـرُوحَ وَلَـمْ يَنْسسَ الهَيُـولى

* * *

قَدْ سَرَى في الـكَوْنِ حتَّـى لَمْ يَدَعْ
فـي قُلوبِ النـاسِ قَلْبـاً مُغْلَقـا
هُوَ حُزْنٌ هـادِىءٌ في غِبْطَـةٍ
وَهْـوَ لَوْ ذُقـت نَعِيمٌ في شَقَـا

* * *

إيْـهِ يا مَوْجُ سَلامـاً هكَـذا
يُرْسِـلُ الصَبُّ مَـعَ المَـوْجِ سَلامَهْ
أَنَـا مَظْلـومٌ فَمَـنْ هَذا الذي
يَـرْفَـعُ الغُمَّـةَ عَنِّـي والظُـلاَمَـهْ ؟
مَـرَّ بِـي الـدَهْـرُ فَأَدْمـى مُقْلَتِي
بَعْـدَ أَنْ اثْبَـتَ في قَلْبِـيْ سِهامَهْ
لَمْ يُغَيِّـرْنـي سَقَـامـاً وهَـوىً
إنْ يَكُـنْ غَيَّـرَنـي وَجْهـاً وقَامَـهْ
هَاتِ حَدِّثْنِـي عَـنِ العَهْـدِ الذي
كَانَ فِي ثَغْـرِ لَيَالِـيَّ ابْتِسـامَهْ
لا أرى مِنْ بَعْـدِ عِشْرِينَ مَضَـتْ
عَجَبـاً إنْ عَـاوَدَ القَلْـبُ غَـرامَهْ

ذَكَـرَ الشـامَ سَقـاهَـا صَـيِّـبُ
طـاهِـرُ المُزْنِ وحَيَّتْـهَـا غَمامَـهْ
لا تَلُمْـهُ حِـينَ يُصفِيهَـا الهَـوى
إنَّمـا الشَـامُ بوَجْـهِ الـدَّهْـرِ شَامَـهْ

***

كَيْـفَ لَمْ أقـضِ حَنِينـاً وأسـىً
يَوْمَ فـارَقْـتُ بِرَغْمِـي جِلَّـقَا
لِلِّقـا : قَالَـتْ : وَمَـنْ أعْلَمَهَا
أنَّنِـي أحْيـا إلَى يَـوْمِ اللِّقَـا

* * *

أُنشُـقِـي أزْهَـارَ شِعْـري غَضَّـةً
إنَّنِـي أَلْقَيْتُهـا بَيْـنَ يَدَيْـكِ
واعْـذُرينـي حِـينَ أبْـكِـي واذْرفـي
دَمْعَـةً طَاهِـرَةً مِـنْ مُقْلَتَيْـكِ
حِـرْتُ في الحُـبِّ إلى أنْ لاَحَ لي
سِـرُّهُ مُحْتَجِبـاً فـي نـاظِـرَيْكِ
قُـوَّةٌ قـاهِـرَةٌ تَجْـذِبُنِـي
حَيْثُمـا يَمَّـمْـتُ مُضْـطَـرّاً إلَيْـكِ
هَـذهِ المَـوْجَـةُ فَـرَّتْ بَعْـدَمَـا
قَبَّلَـتْ بالسِـرِّ إحْـدى قَدَمَيْـكِ

لا تَلوميها فَمَا فِي قُبْلَةٍ
طَهُرَتْ إِثْمٌ عَلَيْهَا أَوْ عَلَيْكِ
ونَسِيمُ الصُبْحِ مَا أَسْعَدَهُ
حِيْنَ تَرْوِيهِ حُمَيَّا شَفَتَيْكِ
وَيْحَ شِنْفَيْكِ قَدِ اهْتَزَّا هَوىً
حِينَمَا شَمَّا الشَذَى مِنْ وَجْنَتَيْكِ
كُلُّ ما في الكَوْنِ يَهْواكِ فَهَلْ
حِلْيَةُ الزَنْدَيْنِ تَهْوَى مِعْصَمَيْكِ

* * *

إِنَّ في نَهْدَيْكِ طِيباً عَبِقَاً
أَنْشِقِي الشَاعِرَ هَذا العَبَقَا
واذْكُرِي الشَاعِرَ والبُؤْسَ مَعَاً
فَهُمَا خِلاَّنِ لَمْ يَفْتَرِقَا

* * *

(١٩٢١)

حَيَاةُ أَسيرِ القَيْدِ لَفْظٌ بِلا مَعْــنى

الانتداب الفرنسي في عنفوانه . وفي الفورة من طغيانه . وقد جزأ الوطن شر تجزئة . وأقام دويلات في اللاذقية وحلب وجبل الدروز وقطع كل صلة بين هذه الاجزاء وبين الأم الرؤوم الخالدة دمشق واشتد تنكيله بالاحرار الذين ينادون ـ بالوحدة في الوطن الواحد .

أتُغْنِــي ومــا أَجْـدى الحُســامُ ولا أَغْنَــى
قَـوافٍ مِنَ الأَشْعَــارِ تَبْقَــى ولا تَفْنَــى
أَدَرْتُ على الأَســماعِ مِنهــا سُــلافَــةً
وأَرْضَيْـتُ فيهـا اللـهَ والعُـرْبَ والفَنَّــا
تُحَــذِّرُنــي قَرْضَ القَــريضِ مُهَــذَّبــاً
عِصابَــةُ شَــرٍ لا تُقِيمُ لَـهُ وَزْنَــا
وَهَــدَّدَنِـي بالسِــجْـنِ قَــوْمٌ سَفَاهَــةً
فَتى العَــرَبِ الأَنْجــادِ لا يَرْهَـبُ السِجْنَــا
سَأَبْعَــثُ مـن شِعْــري جِيـاداً مُغِيرَةً
عَلَيْهـا كُــمَاةٌ تُحْسِــنُ الضَرْبَ والطَعْنَــا
وَأُذْري علــى الاطْــلال أَطْــلالِ يعــرب
مَـدامِـعَ حُــرٍّ تَسْــتَحيلُ قَنَـاً لُدْنَـا
هَـلِ الشِعْـرُ الا بَسْــمَـةٌ تُمْنَـحُ الفَتَــى
هَـنَــاءَ المُنَــى أَوْ دَمْعَــةٌ تَبْعَـثُ الحُـزْنـا
يَظُنُّــونَ أَنَّ الشِــعْــرَ وَزْنٌ وطَـالَمَـا
قَــرَأْتُ مِــنَ الأَشْــعــارِ مـا خَالَـفَ الـوَزْنَـا

مِنَ الشِعْـرِ - أَصْفـى الشِعْـر - بَيْتٌ مُنَمْنَمٌ
تَسِيرُ الصَبَا فيه لِتُنْشِـدَهُ الغُصْنَا
مِنَ الشِعْـرِ - أَحْلى الشِعْـرِ - ثغـرٌ مُقَبَّلٌ
رَشَفْـتُ بِهِ السَّلْـوى ولَمْ أُحْرَمِ المَنَّا

وفي عَـيْـنِ سَلْـمـى قد تَلَوْتُ قصيدةً
مِـنَ الشِـعْـرِ لم تَتْـرُكْ لِضَرَّاتِـهـا حُسْنا
وللشِـعْـرِ آيٌ فـي النُـهـودِ قَـرأْتُـها
وفـي الشَـفَـةِ اللَمْيـاءِ والمُقْلَـةِ الوَسْنَـى
نَـأَيْـتُ عَنِ الفَيْحـاءِ - لا عَـنْ مَلاَلَـةٍ
وَحيـداً ودمعـي يَـوْمَ فُـرْقَتِهـا مَثْنَـى

فَلِلَّـهِ مَغْنَـى الغُـوطَتَيْـنِ ولا سَـقَتْ
على البُعْدِ الا أَدْمُعي ذلك المَغْنى
يَقُـولـونَ : غَـنَّ الغُـوطَتَيْـنِ وَهَـلْ رَأَوْا
مُحِـبّـاً علـى مَثْـوى حَبيبتـهِ غَـنَّى

فَيـا جَنَّـةَ الفِرْدَوْسِ لَـو لَمْ يَعِـثْ بِهـا
شياطيـنُ إِنْـسٍ رَوَّعُـوا الإِنْـسَ والجِنَّـا
ويـا جَنَّـةَ الفِـرْدَوْسِ ، لَـكِنْ قُطُـوفُـها
بِغَيْـرِ أَكُفِّ الصيـدِ مِنْ أَهْلِهـا تُجْنَى
حَنَنْـتُ الى رَيَّـاكِ والسَيْـفُ مُصْلَـتٌ
وَقَـدْ يُعْـذَرُ النـائـي الغَـريـبُ إذا حَنَّـا

وذَكّـــرنـــي رَيّـــاكِ رَوْحٌ شَمَمْتُـــهُ
كَـأَنَّ شَـــذاهُ مِـنْ خَمـائِلِـكِ الغَنّـا

فَيـاوارِدي مـاءَ الشـآمِ رَوِيتُـمُ
فَلِـلّـهِ مـا أصْـفَـى ولله ما أهْنـى

ويـا نـاظِـري غيـدَ الشـآمِ نَعِمْتُـمُ
فَلِـلّـهِ ما أبْـهَـى ولِـلّـهِ مـا أسْنَـى

ويـا عُصْبَـةً فـي الغُـوطَتَيْـنِ ، فَتاهُـمُ
اذا جـادَ لَمْ يُتْبِعْ عَطِيَّتَهُ مَنّـا

أرى أنَّ هَـذا الأمْـرَ قد جَدَّ جِـدُّهُ
فَكُـونـوا لنـا حِصْـنـاً نَكُنْ لَكُـمُ حِصْنَـا

ولا تَثْـنَ مِـنْ هَـذي الأعِنَّـةِ قُـوَّةٌ
فـإنَّ عِنـانَ اليَعْـرُبِيِّـيـنَ لا يُثْنَـى

ولا تَقْنَـطُـوا مِـنْ بَـارِقِ الفَـوْزِ إنَّنِـي
أرى الفَـوْزَ مِنْـكُـمْ قَابَ قَـوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَـى

لَقَـدْ زَعَـمَ الـواشُـونَ أنّـي نَسِيتُكُـمْ
شُـروطُ الهَـوى : أنْ لا تُعِـيروهُـمُ أُذْنَـا

يُـريـدونَ هـذا البُعْـدَ بَيْنـي وبَيْنَكُـمْ
فَـلا نَعِمُـوا بـالاً ولا صَحِبُـوا يُمْنَـا

هُـمُ حَجَبُـوا عَنّـا نَسيـمَ حِمَاكُـمُ
وَهُـمْ نَقَـلُـوا زُورَ الحَـديثِ لَكُـمْ عَنّـا

أسِئُيوا بِهِمْ ظَنّاً وإنْ لاَنَ مَسُّهُمْ
فَوَاللهِ وَدُّوا أنْ تُسيئوا بِنَا ظَنّا
وإنّا عَلى جَوْرِ الخُطوبِ وعُنْفِهَا
وَحَقِّ هَواكُمْ ما غَدَرْنَا ولا خُنّا
لِسِرٍّ مِنَ الأَسْرارِ لا تَجْهَلُونَهُ
تَخَلَّتْ عَنِ اليُسْرى شَقيقَتُها اليُمْنَى

* * *

لَئِنْ خَانَ عَهْدَ الغُوطَتَيْنِ عِصَابَةٌ
رَأَوْا بَيْعَهُمْ رِبْحاً وأَلْفَيْتُهُ غَبْنَا
فَفِي الجَبَلِ النَائي لِعُصْبَةِ جِلِّقٍ
مِنَ الْقَوْمِ خِدْنٌ لَمْ يَخُنْ فِي الهَوى خِدْنَا
أَمِينٌ على عَهْدِ الشآمِ كَأَنَّهُ
يَرى وهو قَيْسُ الحُبِ في جِلَقٍ لُبْنَى
إذا هَمَّ أَمْضَى هَمَّهُ غَيْرَ جَازِعٍ
وَراحَ ولم يَقْرَعْ لِفِعْلَتِهِ سِنّا
نَمَتْهُ إلى أَبْناءِ جَفْنَةَ فِتْيَةٌ
مَيامِينُ لَمْ تَأْلَفْ سيوفُهُمُ جَفْنَا
إذا طَرَقُوا بابَ المُلوكِ فإنَّهُمْ
بِغَيْرِ العَوالِي السُمْرِ لَمْ يَسْأَلُوا إذْنَا

* * *

خُـذُوا حِذْرَكُـمْ يا ناقِمِيـن مَـعَ العِـدَى
عَلى النَفَـرِ الأَدْنَـيْنَ مِنْ أَهْلِكُمْ جُبْنَا
خذُوا حِذْرَكُـمْ يا دافِنِـي رَأْيِ قَوْمِهِـمْ
فلِلشَـمْسِ نُـورٌ لَنْ تُطِيقُـوا لَهُ دَفْنَـا
دَعُـونـا وَهَـذا الأَمْـرَ نَنْـهَضْ بِعِبْئِـهِ
فَمَـا نَحْـنُ مِنْـكُمْ لا ولا أَنْتُـمُ مِنَّـا
رَقَـدْتُـمْ ومَـا نِمْنَـا غِـراراً على الأَذَى
وَدِنْتُـمْ لأَعْـداءِ الشآمِ ومـا دِنَّـا
إِذَا أَغْمَضُـوا جَفْنَـاً عَنِ الشرّ رُحْتُـمُ
تَـوَدُّونَ أَنَّ القَـوْمَ لَمْ يُغْمِضُـوا جَفْنَـا
فَـلا تُكْبِـروا نُعْمَـى الهَـوانِ فـإِنَّـما
حَيَـاةُ أَسـيرِ القَيْدِ لَفْـظٌ بِلا مَعْنَـى
ولا تُكْبِـروا هَـذي البُـرودَ نَواعِماً
وإِنْ فُوِّفَـتْ ذَيْلاً وإِنْ وُسِّـعَتْ رُدْنَـا
فَلَيْسَتْ تَزِينُ الـمَـرْءَ حُـلَّـةُ سَيِّـدٍ
إِذَا كَانَ عَـبْـداً فـي شَمَائِـلِـهِ قِنَّـا
لأَهْنَـأُ مِـنْ رَبِّ القُصـورِ مُقَـيَّداً
طَلِيـقُ مِـنَ الأَطْيَـارِ أَبْقَـوا لَـهُ وَكْنَـا

* * *

أَدِيرِي عَلَـيَّ الـكَأْسَ صِرْفَـاً وَعَلِّلِـي
فَتَـاكِ فَـقَـدْ أَفْنَـى الهَـوى مِنْـهُ ما أَفْـنَـى

وَغَنِّـــي عَلَىَ لَحْـنِ الشَبَـــابِ فإنَّـــنِي
لأَعْشَـقُ هـذا الثَغْـرَ والنَـايَ واللَّحْنَـا
لَئِـــنْ أُطْفِئَـتْ يا مَـيُّ نِـيرانُ يَعْـرُبٍ ١
هَـوانـاً فـإنَّـا سَـوْفَ نُضرِمُـهَـا إنَّـا
وَلا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَـرَّ مُحَجَّـلٍ
تَـطِيـرُ الجِبَـالُ الـراسِيَاتُ بِـهِ عِهْنَـا
يُصـافِـحُ فِيهِ قائِـمَ السَيفِ خَـالِـدٌ
فَيَضْـرِب حَتَّـى يُكسَـرَ السَيْـفُ أَوْ يُحْنَـى
وَكَمْ فـي بُـطونِ الْيَعْـرُبِيَّـاتِ خَالِـدٌ
سَـيُرْجِعُ ظَهْـرَ الأَرْضِ مِـنْ حَنَـقٍ بَطْنَـا

(١٩٢١)

ماك سويني

ماك سويني هو محافظ مدينة كورك الارلندية اعتقله الانكليز بقضية وطنية فأضرب عن الطعام احتجاجا على طغيانهم حتى وافته المنية .

أَحَقًّا ما رَوَتْ عَنْكَ الرُّواةُ
تُرى أَمْ في حَدِيثِهِمُ هَنَاتُ
وَهَلْ نَبَأٌ رَواهُ البَرْقُ صِدْقٌ
أَمِ الأَسْلاكُ فيه كاذِباتُ
غَلَبْتَ المَوْتَ فِيهِ وذَاكَ أَمْرٌ
سَتُكْبِرُهُ القُرونُ الآتِياتُ
وَهَوَّنْتَ المَنُونَ لِشارِبِيهَا
فَلا أَلَمٌ هُناكَ ولا شَكاةُ
سَلَكْتَ صِعابَهَا مافُلَّ حَدٌّ
لِعَزْمِكَ لا ولا غُمِزَتْ قَنَاةُ
وأَرْخَصْتَ الحَياةَ فَيا لَكَنْزٍ
أَزالَتْهُ المَقادِيمُ الأُباةُ
بَسَطْتَ يَدَيْكَ بَسْطَةَ أَرْيَحِيٍّ
فَكانَتْ مِنْ عَطَايَاكَ الحَياةُ
وكُنْتَ هُناكَ أَجْرَأَهُمْ جَناناً
إِذا طاشَتْ مِنَ القَوْمِ الحَصَاةُ

وأَثْبَتَهُمْ لـدى الجُلَّى فُـؤاداً
إذا مـا أَعْـوَزَ القَـوْمَ الثَبـاتُ

* * *

بَلَغْـتَ مِنَ العِدى بالمَوْتِ مالَمْ
تُبَلِّغْـهُ السُيـوفُ المُرْهَفَـاتُ
لَقَـدْ وَقَفـوا لَدَيْـكَ وَهُـمْ حَيارَى
فَـراعَهُـمُ سُـكونُـكَ والأَنَـاةُ
رَأَوْكَ تَهِـشُّ في وَجْـهِ المَنايـا
وَحَـوْلَـكَ في الحَيـاةِ الطَّيبـاتُ
وَتَبْسِـمُ لِلْمَنُـونِ وَقَـدْ تَسَـنَّتْ
لَـوِ اخْتَـرْتَ النَجَـاةَ لَـكَ النَجـاةُ
وَتَقْتَبِـلُ الـرَدى ظمـأً وَجُـوعـاً
ليـذْكُـو الغَـرْسُ بَعْـدَكَ والنَبـاتُ
فَـأَكْبَـرَكَ العُـداةُ وَرُبَّ حُـرٍّ
تَغَنَّـتْ فـي بُطـولَتِـهِ العُـداةُ

* * *

عَصَيْـتَ العَـاطِفـاتِ فَمُتَّ جُـوعـاً
وَمِـنْ بَعْـضِ القُيـودِ العـاطِفـاتُ
وَلَـمْ تَبْخَـلْ بِنَفْسِـكَ وهْـيَ كَنْـزٌ
مَتَـى بَخِلَتْ بِأَنْفُسِـهَـ الكُمـاةُ

لَقَـدْ حَـرَّرْتَهـا فَسَـمَتْ صُعُـوداً
كَمَا سَمَتِ النُجـومُ النَيِّـرَاتُ
عَلَـوْتَ بِـهـا عنِ الأَعْـراضِ حَتَّـى
تَسـاوَى المَوْتُ عِنْـدَكَ والحَيـاةُ

* * *

(١٩٢١)

أي أمـر سـآءهـا ؟

إنِّـي اسْـتَعَـرْتُ مِـنَ الـكَواكِـبِ فـي الـدُّجى لألْآءَهـا
وَمِـنَ الغَـزالَـةِ وَهْـيَ تَـرْكَـعُ فـي السَّـمـاءِ ضِيـاءَهـا
ومِـنَ الحَمـائِـمِ فِـي الغُصُـونِ نُـواحَـهـا وغِنـاءَهـا
وأخَـذْتُ مِـنْ نُجْـلِ العُيـونِ فُتـورَهَـا وصَفَـاءهَـا
وَمِـنَ الخَمـائِـلِ حِيـنَ بـاكَرهَـا الحَيـا أنْـداءَهـا
وَسَـرَقْـتُ مِـنْ لُعْـسِ الشِـفـاهِ على الهـوى صَهْبَـاءَهـا
وَمِـنَ الـوُرودِ عَبيرَها وَمِـنَ العُقُـودِ سَناءهَا
لأصُـوغَ مِنْهـا حِلْيَـةً وَقَفَـتْ عَلَيْكِ رُواءَهـا
تُغْضِي العُيونُ لِحُسْنِها أوَ لَمْ تَرَيْ إغْضَاءَها
وتَـوَدُّ تِيجَـانُ المُلـوكِ لَـوِ اغْتَـدَيْـنَ إمـاءَهَـا

* * *

واحَسْـرَتـاهُ فـإنَّنِـي لَـمْ أسْتَـطِـعْ إرْضـاءَهـا
صَـدَّتْ وَكَيْـفَ يُطِيـقُ قَلْبِـي صَـدَّهَـا وَجَفَـاءَهـا
وَرَمَـتْ بِحِلْيَتِـيَ النفيسَـةِ : أيُّ أمْـرٍ سَـاءهَـا

* * *

مِـنْ رَنَّـةِ العِيـدانِ وَهْـي جَـوامِـدٌ تَتَكَـلَّـمُ
مِـنْ ضِحْـكَـةِ الأطْفـالِ وَهْـيَ بِنُـطْقِهَـا تَتَلَعْـثَـمُ

مِـنْ شَـدْوِ وَرْقـاءٍ تَنُـوحُ وبُلْبُـلٍ يَتَرَنَّـمُ
وَمِـنَ النَسِيمِ العَـذْبِ يَهْمِـسُ بُكْـرَةً ويُتَمْتِـمُ
أَلْفَـتُ أَلْحَـانِي لأُسْـعِـدَ أَنْفُسـاً تَتَأَلَّـمُ
وَرَفَعْتُهـا لَـكِ وَهْـيَ أَنْفَسُ مـا لَدَيَّ وَأَوْسَـمُ
أَهْـدَيْتُهَـا لَـكِ رُبَّمـا أَهْـدَى المُقِـلُّ المُعْـدِمُ
هِـيَ لِلْقُلُـوبِ الـدامِيـاتِ وَحَـقِّ حُسْـنِـكِ مَرْهَـمُ
يَسْلُـو الحَـزِيـنُ بِهـا ويَـرْتَـاحُ الـكَئِيـبُ المُغْـرَمُ
وَيَعُـودُ لِلقَلْـبِ الشَـبـابُ وعَصْـرُهُ المُتَقَـدَّمُ

* * *

وَاحَسْـرَتَـاهُ فـإِنَّنِـي لَـمْ أَسْتَـطِـعْ إِرْضَـاءَهَـا
صَـدَّتْ وَكَيْـفَ يُطِيـقُ قَلْبِـي صَـدَّهَـا وَجَفَـاءَهَـا
وَرَمَـتْ بِـأَلْحَـانِـي الـرَفِيعَـةِ : أَيُّ أَمْـرٍ سَـاءَهَـا

***

أَلـذُلُّ لَسْـتُ أُطِيقُـهُ أَتُـرى سِـوايَ يُطِيـقُـهُ
مـاذُقْتُـهُ قَبْـلَ الهَـوَى لكِنَّنِـي سَـأَذُوقُـهُ
قَلْبِـي بِحُبِّـكِ خَـافِـقٌ فَمَتَـى يَقَـرُّ خُفُـوقُـهُ
شُـرِّدْتُ عَنْـكَ وَضَـمَّنِـي نـائِي المَـزارِ سَحِيقُـهُ
فَـأَرَقْـتُ دَمْـعَ أَخِـي هَـوىً فِـي الخَـطْبِ قَـلَّ صَدِيقُـهُ
إِنْ كُنْـتِ لَـمْ تَـرْضَـيْ بِهِ هَـذا دَمِـي سَـأُرِيقُـهُ
أَعَلِمْـتِ أَنِّـي شَـاعِـرٌ حُـرُّ البَيـانِ طَلِيـقُـهُ
يُـوحَـى إِلَـيَّ مِـنِ القَـرِيـضِ بَـدِيعُـهُ وَرَقِيقُـهُ

هَـــذي قَـلائِـدُهُ وذَا يـاقـوتُـهُ وَعَقِيـــقُـــهُ
فَتَقَبَّـــلِيـــهـا واسْـــمَعِـــي شِعْـــراً يُـدارُ رَحِيقُـــهُ

* * *

واحَسْـــرَتَـــاهُ . فـــإنَّنـــي لَـــمْ أَسْتَـطِـــعْ إِرْضَـــاءَهَـــا
صَـــدَّتْ وَكَيْـــفَ يُطِيـــقُ قَلْبِـــي صَـــدَّهـــا وَجَفـاءهَـــا
وَرَمَـــتْ بِـــأَشْـــعَـــارِي النَفِيـــسَةِ : أيُّ أَمْـــرٍ سَـــاءهَـــا

* * *

(١٩٢١)

يا قمر

هـاتِ حَدِّثْنِي فَقَدْ طَابَ السَمَرْ
وأَنِرْ ظُلْمَةَ نَفْسِي يَاقَمَرْ
سُوَرُ الحُسْنِ فلا تَبْخَلْ بِهَا
إنَّ للشاعِرِ أَلْحَانَ السُوَرْ

* * *

أَنا نَشْوانُ وَمِنْ خَمْرِ الهَوى
قَدْ تَرشَّفْتُ رَحيقاً بابِلِيَّا
سَكْرَةٌ للحُبِّ في عَهْدِ الصِبَا
كَيْفَ لا يُعْذَرُ مَنْ كَانَ صَبِيًّا
فِي ظِلالِ الوَرْدِ أَحْسُو خَمْرَتِي
مُشْرِكاً في كأسِيَ الزَهْرَ النَدِيَّا
نَهْلَةٌ مِنِّي و مِنْهُ نَهْلَةٌ
هَكَذا نَرْتَشِفُ الكَأْسَ هَنِيَّا
لامَنِي النَاسُ على حُبِّ الطِلَى
فاعذِرِ الشاعِرَ فيها يا قَمَرْ

* * *

آهِ للأَزْهارِ مِنْ شَاعِرَةٍ
تَجْهَلُ الأَوْزانَ والشِعْرُ شُعورْ

آهِ للأَزْهـارِ فـي أَوْراقِهَـا
كَتَـبَ الـدَهْـرُ رِوَايـاتِ العُصُـورْ
هـذِهِ الأَغْصـانُ هَـزَّتْهـا الصَّبـا
نَضـراتٍ ، كُـنَّ فـي الأَمْـسِ خُصـورْ
وَثُغـورُ الـوَرْدِ في أَكمـامِـهِ
كُـنَّ لِلْغيـدِ المَعَـاطِيـرِ ثُغـورْ
هَـذِهِ أَسْـرارُ جَنَّـاتِ الرُبَـى
فـاسْـمَـعِ السِـرَّ وَصُـنْـهُ يا قَمَـرْ

* * *

يـا قُـلُـوبـاً غَيَّـرَتْ أَشْكَالَهَـا
أَيَّ تَغْيِيـرٍ نَـوامِيـسُ الطَبِيعَـةْ
حَـوَّلَتْهـا وَهْـي لَحْـمٌ وَدَمْ
زَهَـراً يُـذْرِي علـى الأَمْـسِ دُمُـوعَـهْ
أَنـا مَظْلُـومٌ شَقِـيٌّ فاهْمِسـي
بِحـديثِ الـدَهْـرِ ، إِنِّـي لَنْ أُذِيعَـهْ
طَـالَ يـا ظمـأى بِأَقْـداحِ الطِلَـى
عَهْـدُكِ النـائـي : أَتَهْـوَيْـنَ رُجـوعَهْ
فـارشُـفِـي خَمْـرَةَ كَـأْسِـي ، واذْكُـرِي
أَدْمُعِـي واشْـهَـدْ عَلَيْهـا يـا قَمَـرْ

* * *

مـي في وطنهـا

زارت الكاتبة الخالدة لبنـان سنـة ١٩٢١ فزارت فيه الارز وبعلبك ثم زارت دمشق والشاعر يصور خواطره هنا عن الامكنة الثلاثة التي زارتها . ويعاتبها لأنها لم تزر اللاذقية .

يـا أَرْزَ لُبْنَـــانَ وَقَـدْ أَقْبَـلَـتْ
مَـيٌّ وَسِـرْبُ الغَـانِيَـاتِ المِـــلاحْ
وانْحَنَـتِ الهَـامـاتُ مِـنْ هَـيْبَـةٍ
لِـمَجْـدِكَ البَـادِي بِتِـلْـكَ البِطَـاحْ
أَمَـا قَـرأْتَ الحُـبَّ فـي سُـورَةٍ
خُـطَّـتْ على تِلْـكَ الـوُجوهِ الصِـبَـاحْ
كـافَحْـتَ إعْصَارَ الـرَدَى ظَـافِـراً
فَمَـنْ مَحَـا آثَـارَ ذَاكَ الكِفَـاحْ
وَجَـرَّدَ الـدَهْـرُ عَلَيْـكَ الظُبَـى
فانْخَـذَلَ الـدَهْـرُ وَفُـلَّ السِـلاحْ
غَـالَبْتَـهُ تَسْخَـرُ مِـنْ صَـرْفِـهِ
كِبْـراً ولا تَخْشَـى القَضَـاءَ المُتَـاحْ
مـا نَـالَ مِنْـكَ الدَهْـرُ إلاَّ الـذِي
نَـالَـتْ مِـنَ الصَـخْـرِ الأَصَـمِّ الرِيَـاحْ
أَيْـنَ سُلَيْمَـانُ وَبَلْـقِيسُـهُ
أُخْـتُ هِـلالِ الأُفْـقِ بِنْـتُ الصَبَـاحْ

وَأَيْـنَ ذَاكَ الهَيْـكَـلُ المُـرْتَجَـى
هِيْضَـتْ خَـوافِيـهِ وَقُـصَّ الجَنَـاحْ
فاثْـلُ عَلـى مَـيٍّ أَحـادِيثَـهُ
مِـنْ يَـوْمَ شَـادُوهُ الـى يَـوْمَ طَـاحْ

* * *

يـا بَـرَدَى الشَـامِ وَقَـدْ أَقْبَلَـتْ
مَـيُّ الفَتَـاةُ الغَـادَةُ الشَـاعِـرَهْ
لا تُنْـكِـرِ الشَّـوْقَ فَقَـدْ صَفَّقَـتْ
مِـنْ وَجْـدِهَـا أَمْـواهُـكَ الطَّـاهِـرَهْ
تَـلاَ عَلَيْهـا بَرَدَى مـا جَـرَى
عَلَيْـهِ فِـي أَيَّـامِـهِ الغَـابِـرَهْ
فاسْـتَعْبَـرَتْ تَـذْكُـرُ آلامَـهُ
يـا حَبَّـذَا المَحْبُـوبَـةُ الذَاكِـرَهْ
خَـاطَبَهَـا المَـاءُ ولا بِـدْعَـةً
فـإنَّهَـا يـا بَـرَدَى سَـاحِـرَهْ
حَـدِّثْ عَـنِ المَـاضِـي وَأَعْـراسِـهِ
وَعَـنْ صُـروفِ الـزَمَـنِ الغَـادِرَهْ
وَعَـنْ جُـدودٍ فِيـكَ مَيْمُـونَـةٍ
وَعَـنْ جُدودٍ بَعْـدَهَـا عَـاثِـرَهْ

وَعَنْ عُروشٍ حَسَدَتْ مَجْدَهَا
فِي الأُفْقِ هَذِي الأَنْجُمُ الزاهِرَهْ
واتْلُ على مَيٍّ رِواياتِهِمْ
فإنَّهَا مُبْكِيَةٌ زَاجِرَهْ

* * *

يا بَعْلَبَكُّ ابْتَسِمِي إنَّهَا
مَيٌّ وَسِرْبُ الغَانِيَاتِ الدُمَى
واسْتَقْبِلِي الوَحْيَ فَوَحْيُ النُهَى
سَلَّمَ فِي السِرْبِ الذِي سَلَّمَا
بُنْيَانُكِ الخَالِدُ ما بَالُهُ
أَصْبَحَ لَغْزاً غَامِضاً مُبْهَمَا
هَلْ شَادَهُ أَهْلُ الثَرى مُعْجِزاً
أَمْ شَادَهُ فِي الأَرْضِ أَهْلُ السَمَا
لَمْ يَدْرِ هَذا العَصْرُ مِنْ سِرِّهِ
شَيْئاً فَمَا أَبْهَى وما أَعْظَمَا
واخَجَلَ الإنْسَانِ فِي كِبْرِهِ
لا كَرَّمَ الحَقَّ ولا كُرِّمَا
لَقَدْ سَمَا الأَجْدَادُ مِنْ قَبْلِهِ
كَمَا سَمَا أَوْ فَوْقَ مَا قَدْ سَمَا
هَلْ عِنْدَهُ مَنْ يَبْتَنِي تَدْمُراً
أَمُغْرَماً فِي الفَنِّ أَوْ مُرْغَمَا

فَقَدِّسِي مُبْدِعَها مَالِكاً
لا يَنْقُضُ الأَمْرَ إذا صَمَّمَا
واتْلِي على مَيَّ أعاجِيبَهُ
فالمَرْءُ مَذْكُورٌ بِمَا قَدَّمَا

* * *

يا مَيُّ ، والأَرْزَاقُ مَقْسُومَةٌ
سُبْحَانَ مَنْ قَسَّمَهَا فِي الأَنَامْ
مِنْ مِصْرَ لَبَّيْتِ نِدَاءَ الهَوى
فَزُرْتِ لُبْنَانَ وَزُرْتِ الشَآمْ
ثُمَّ تَهَادَيْتِ على سَابِحٍ
مُمْتَنِعِ الجَانِبِ عِنْدَ الصِدَامْ
تَبْغِينَ أَرْضَ النِيلِ مُشْتَاقَةً
لِنَهْلٍ عَذْبٍ وأَهْلٍ كِرَامْ
قَبْرُ « التَنُوخِيِّ »[1] الطَهُورِ الثَرَى
مَا ضَرَّ لَوْ حَيَّيْتِهِ بالسَلاَمْ
مَا أَحْوَجَ القَبْرَ إلى دَمْعَةٍ
مِنْ جَفْنِ مَيٍّ لا جُفُونِ الغَمَامْ
فابْكِي على القَبْرِ الذِي ضَيَّعَتْ
أَمْجَادَهُ الفُرْقَةُ والإِنْقِسَامْ

(١) الأمير التنوخي امير اللاذقية الذي رثاه المتنبي .

وَاتْلِـــــي عَلَـى القَـــوْمِ أَحَـادِيثَـــــهُ
فَـــإِنَّ فِيهـــــا عِبْـــرَةً للأَنَـــــــــامْ

(١٩٢١)

وذرني حتى أحيِّي الصباحا

شَبَـحَ المـوت : ما يخِيـفُ البَرايـا
مِـنْ حُتـوفٍ تُعـانِـقُ الأَرْواحَـا
وَجَـدَ النـاسُ في كُـؤوسِـكَ سُمَّـاً
غَيْـرَ أَنِّـي وَجَـدْتُ فِيهـنَّ رَاحَـا
فاسْـقِنِيهـا قَـدْ طَـالَ صَحْـوِي وَمكْثـي
وَتَمَنَّيْـتُ سَكْـرَةً ورَواحَـا
لا تُبـادِرْ بِهـا وقَـدْ نَصَـلَ اللَّـيلُ
وَذَرْنـي حَـتَّـى أُحَـيِّـي الصَبـاحَا
وَتَمَهَّـلْ حـتَّـى أُوَدِّعَ نُـورَ الشَمْسِ
إِذْ هَـمَّ أَنْ يَلُـوحَ فَلاحَـا
ثُـمَّ خُـذْنـي إِلَيْـكَ يا مَوْتُ جَـذْلانَ
طَـرُوبـاً إِلى الـرَدى مُـرْتَـاحَا
ذاكَ مِصْـبـاحُ صَبْـوتـي وَشَبَابِـي
فَتَعَجَّـلْ وأَطْفِـيءِ المصْبـاحَـا

* * *

(١٩٢١)

يا شاعر التاج

وجه الشاعر هذه القصيدة الى الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في زيارته دمشق سنة ١٩٢٢ .

يـا شاعِـرَ التـاجِ المُضِـيءِ علـى جَبيـنِ أَغَـرَّ فَـاتِـحْ
وَفَتـى القَـريحَـةِ أُعْـطِيَـتْ عَـرْشَ الإمـارَة فِـي القَـرائِـحْ
طِيْـبُ العِـراقِ وإنَّـهُ ... لَلْمِسْـكُ مِنْ بُرْدَيْـكَ فَائِـحْ
نُـحْ مـا تَشـاءُ علـى العِـراقِ فَـإنَّنِـي بالشَـامِ نَائِـحْ
واسْـفَـحْ دُمُـوعَـكَ إنهَّـا أَخَـواتُ أَدْمُعِـيَ السـوافِـحْ
لا الخَطْـبُ قَـلَّ عَنِ البُـكاءِ ولا مَعِـينُ الـدَمْـعِ نِـازِحْ
هـذا النَـظـيمُ مِـنَ المَدامِـعِ ذَوْبُ أَكْبـادٍ قَـرائِـحْ

* * *

حِمَـيَ الـوطيـسُ فَمَـنْ يجُـالِـدُ عَنْ هَواهُ وَمَـنْ يُنَافِحْ
شُـمُّ الأُنـوفِ تَفَـرَّقُـوا ما بَيْـنَ مُنْعَفِـرٍ ونَـازِحْ
أَلشـامِخُـونَ إذَا الهَـوانُ بـدا بأَعْنـاقٍ قَـوامِـحْ
رقـدوا رُقَـادَهُـمُ الاخيـرَ وأُغْمِـدَتْ بِيـضُ الصَفائِـح
وَيْـحَ المَطـاوِحِ . عُطِّـرَتْ بِشَـذا جِراحِهِـمُ المَطـاوِحْ
فَلْتُـكْسِرِ البيـضُ الـرِقـاقُ وتُعْقَـرِ الشُـقْـرُ السَوابِـحْ
وَسَـلِ الأَبـاطِحَ عَـنْ دِمـاءِ القَـوْمِ تُنْبِئُـكَ الأَبـاطِـحْ
رَوِيَـتْ بـأَكْنـافِ العـراقِ وجِلِّـقٍ ظَمْـأَى الصَحـاصِـحْ
هَـوَت الجحـاجِـحُ فاسْتَفِـقْ .. يا ثـأْرُ. قـد هَوَتِ الجَحـاجِـحْ

* * *

أَهْوَى العراقَ وإنْ تَكُنْ طَاحَتْ بِسُؤْدَدِهِ الطَوائِحْ
وأُحِبُّ جَنَّاتِ العِراقِ وطيبُها غَادٍ وَرائِحْ
وعُيُونُ آرام الفُراتِ على شواطِئِهِ سَوارِحْ
جَرحَتْ قُلوبَ العاشِقِين : كذاك تَصطادُ الجَوارِحْ
مَرْضى صَحائِحُ ، والقَريضُ صَنيعَةُ المَرضى الصَحائِحْ

* * *

حَدِّثْ فقدْ طَابَ الحَديثُ ونامَ عَنْ نَجْواكَ كاشِحْ
واذْكُرْ لَنا عِبَرَ الحَياة فَأَنْتَ مَأْمُونُ النَصائِحْ
هَذي الحَياةُ لِمَنْ مَضَى كالليثِ مَرْهَوبَ الجَوانِحْ
والعَيْشُ مَعْنَاهُ الكِفاحُ فَهالِكٌ مَنْ لَمْ يُكافِحْ
عَرْشٌ يَطوحُ ، فَتَعْتَلي شُرُفَاتُ عَرْشٍ غَيرِ طائِحْ
وَمَمالِكٌ طارَتْ لِغايَتِها فَخَانَتْها الجَوانِحْ
وَمُسَيْطِرٌ يَنْهى ويَأْمُرُ في الجَزيرةِ باسْ نَاصِحْ
باسْم الحَضارَةِ جَاء يَزْرَعُ ما يَشاءُ مِنَ الفَضائِحْ
لُغَةُ القَوِيِّ فَهَلْ لِما فِيها من الاسْرارِ شَارِحْ
لُغَةٌ تُوارِبُ في الحَديثِ فَلَيْتَها كانَتْ تُصارِحْ
جَادَتْ بِأَسْماءِ المَحاسِنِ كُلِّهِنَّ على القَبائِحْ

* * *

لاَ تَبْطَرِ الأُمَمُ القَوِيَّةُ فالعَواقِبُ بالفَواتِحْ
إنْ تَهْنَ في سَعْدِ السُعودِ فَلَمْ يَفُتْها سَعْدُ ذَابِحْ

وَهُوَ الزَمانُ سَوانِحٌ تُمضي فَتَخْلِفُها بَوارِحْ
ولِكُلِّ ناطِحَةٍ سَيصْمُدُ مِنْ نِتاجِ الدَهْرِ ناطِحْ
وَلَرُبَّ أَعْزَلَ في الحَياةِ أُدِيلَ مِنْ بَطَلٍ مُشايِحْ
وَلَرُبَّما شَمَسَ الذَلُولُ فراح يأْرَنُ وَهوَ جَامِحْ
كَمَنَتْ عَزائِمُ يَعْرُب فَمَتَى يُثِيرُ النَارَ قادِحْ

* * *

(١٩٢٢)

نغمات عودي

يلجأ الشاعر الى عوده فيناغيه ويناجيه وسيرى القارىء في هذه الابيات كيف كانت تسيطر الفكرة القومية في تلك الفترة من الزمن على نفوس الشباب حتى في بدوات لهوهم ومرحهم .

نَغَمـــاتُ عُـــودِي لاتُمَـــلُّ لأنَّهـــا
شِـعْـــرٌ يَفيـضُ عَـواطِفَـاً وشُـعُورا

نَغَمـــاتُ عُـــودِي لاتُمَـــلُّ لأنَّـــها
لُغَـــةُ المَلائِـــكِ إذْ تُنَـاجِـي الحُـــورا

هَمَسَـتْ بِهَـا الأَرواحُ فـي مَلَكُوتِـــها
شَـــدْواً أَرَقَّ مِـنَ الصَّـبـــا وَزَفِيـرا

يُدْنِـي إلَيَّ مِـنَ الخَيَالِ شَـوارِداً
وَيَـهُـــزُّ أَعْـطَـافِـي هَـوىً وَسُـــرورا

فِـي ظُلْمَـةِ الأَحْـزانِ مِنْ نَغَمَاتِـه
نَفْسِـي الحَـزِينَـةُ تَسْـتَعِيرُ النُّـورا

أَحْنُـو عَلَيْه مُعَانِـقـاً مُتَنَهِـداً
فَـكأَننـي أُمٌّ تَضُـمُّ صَغِيـرا

وأَبُثُـــهُ شَكْـوَى الهَـوى فَإِخَـالُـهُ
يَبْـكِـي عَلَـيَّ مُتَيَّمـاً مَهْـجُـورا

سَلْـهُ عَـنِ الـزَمَـنِ الخَـؤُونِ وأَهْلِهِ
تَـرَهُ عَلِـيماً بالـزَمَـانِ خَبيـرا

شَهِـدَ العُصـورَ السـالفـاتِ وَهَدْهَـدَتْ
أَوْتَـارُهُ الـسَـفَّـاحَ والمَنْـصُورا

وَرَأَى حَضَـارَةَ جِـلِّـقٍ وَجَلالَهَـا
والمُلْـكَ فـي تِلْكَ الرُبُـوعِ كَبِيـرا
إِذْ مَـاءُ جِلِّـقَ كالـرَحِيقِ عُـذُوبَةً
وَظِبـاءُ جِلِّقَ كالشُـمـوسِ سُفُـورا

سَلَـبَ الـزَمَـانُ بِهِـا مُلُـوكَ أُمَـيَّةٍ
تَـاجـاً يَشِـعُّ ضِيـاؤُهُ وَسَـرِيرا
يـا لاثِمـاً فيهـا الثَـرى مِنْ حُبِّـهِ
أَعَلِمْـتَ أَنَّـكَ تَلْـثِـمُ الكافُـورَا

ومُعانِـقـاً أَغْصَـانَهَـا مِنْ وَجْـدِهِ
دَلِّـلْ هَـواكَ فَقَـدْ ضَمَمْـتَ خُصُـورَا
هـذا صَلاحُ الـدِينِ فاخْشَـعْ إِنَّـهُ
مَلِـكُ المُـلـوكِ مُسـالِماً ومُغِيـرا

طَـافَ الجَـلالُ بِـهِ مَلِيـكاً فـاتِحَـاً
حَـيَّـاً وَطَـافَ بِلَحْـدِهِ مَقْـبُورا
فالْثَـمْ ثَـراهُ فَقَـدْ لَثَمْـتَ خَمِيـلَةً
للمَـكْرُمَـاتِ وَقَـدْ شَمَمْـتَ عَبِيـرا
واهْتِـفْ لَـدى القَبْـرِ النَـديِّ مُـرَدِّدَا
بِفِنَـائِـهِ التَهْلِيـلَ والتَكْبِيـرا

لَيْثُ المَعَامِعِ وَهْوَ أَوَّلُ آسِرٍ
صِيْدَ الفَوارِسِ كَيْفَ صَارَ أَسِيرا

(١٩٢٢)

لبنان والغوطتان

من قصيدة القيت في جونية اللبنانية لمناسبة تكريم شاعر القطرين خليل مطران .

لي مَوْطِنٌ في رُبَى لُبْنانَ مُمْتَنِعٌ
ولي بَنُو العَمِّ مِنْ أَبْنائِهِ النُجُبِ
إنْ فَاتهُمْ مَعْقِلٌ يَوْمَ الوَغَى أَشِبٌ
بَنَوْا مِنَ السُمْرِ صَرْحَ المَعْقِلِ الأَشِبِ
وَلَوْ مَشَى الْمَوتُ في شَهْبَاءَ مُعْلَمَةٍ
مَشَوْا إلى المَوْتِ في الهِنْدِيَّةِ القُضُبِ
لُبنانُ والغُوطةُ الخَضْراءُ ضَمَّهُمَا
ما شِئْتَ مِنْ أَدَبٍ عَالٍ ومِنْ نَسَبِ
ما في اتِّحَادِهِمَا تاللهِ مِنْ عَجَبٍ
هَذا الفِراقُ لَعَمْري مُنْتَهى العَجَبِ
للخُلْف في النَاسِ أَنْواعٌ وأَغربها
خُلْفُ الشَقِيقَيْنِ من قومي بلا سَبَبِ
كُلُّ الربوعِ ربوعِ العُرْبِ لي وَطَنٌ
ما بَيْنَ مُبْتَعِدٍ مِنْها وَمُقْتَرِبِ
للضَّادِ تَرْجِعُ أَنْسابٌ مُفَرَّقَةٌ
فالضادُ أَفْضَلُ أُمٍّ بَرَّةٍ وأَبِ
تَفْنَى العُصورُ وتَبْقَى الضادُ خالِدةً
شَجىً بِحَلْقِ غَريبِ الدارِ مُغْتَصِبِ

* * *

مَـنْ مُبْلِـغٌ فِتْيَـةَ الحَيَّيْـنِ مـأْلُكَـةً
كـالسَّـهْـمِ رِيشَ فـإِنْ سَـدَّدْتَـهُ يُصِـبِ
فِـيَم التَخـاذُلُ لا فُـلَّـتْ جُمُـوعُكُـمُ
والـدَهْـرُ يَـزْحَـفُ بَالأَرْزَاءِ والنُـوَبِ
مـالِـي وللنـاسِ جَـدَّ النـاسُ كُلُّهُـمُ
وضَـاعَ قَـوْمِـيَ بَيْـنَ الجِـدِّ واللَعِـبِ
هَلْ لابْـنِ دِجْلَـةَ حَقٌّ غَيْـرُ مُغْتَصَـبٍ
أَمْ لابْـنِ جِلَّـقَ إِرْثٌ غَيْـرُ مُنْتَهَـبِ
أَيْنَ الشَـبابُ وفِتْيـانٌ غَطـارِفَـةٌ
كـالأُسْـدِ في الغِيـلِ ما واثَبْتَهـا تَثِبِ
اليَعْـرُبِيُّـونَ لا حِقْـدٌ ولا غَضَـبٌ
قَـدْ يُسْلَـبُ الحَـقُّ بَـيْنَ الحِقْـدِ والغَضَبِ

* * *

غَنَّيْـتُ قَـوْمِـيَ بالاشْـعـارِ أُطْـرِبُهُـمْ
لـو يَسْمَـعُ القَـوْمُ شَدْوَ الشاعِـرِ الطَـرِبِ
وأَحْـزَنُ الشِـعْـرِ بَيْـتٌ راحَ يُنْشِدُهُ
دَمْـعٌ تَحَـدَّرَ مِنْ أَجْفـانِ مُكْتَئِـبِ
خَيْـرُ القَصـائِـدِ ما أَوْحَتْـهُ عـاطِفَـةٌ
فَسـارَ في كـلِّ دُنْيا غَـيْرَ مُغْتَـرِبِ
وللـطبيعَـةِ شِعْـرٌ راحَ يُسْكِرُنـي
فَهَـلْ جَرَتْ فـي قـوافِيـهِ ابْنَـةُ العِنَـبِ

قَـرَأْتُـهُ فـي النُجـومِ الـزُهْـرِ عِنْ كَثَبٍ
وفي صَفَـاءِ العُيـونِ النُجْـلِ عنْ كَثَبِ

* * *

قَدْ كَانَ لـيْ أَرَبٌ طاحَ الزمـانُ بِهِ
فَيَـا شَقَـاءَ فتـىً يَحْيـا بِـلاَ أَرَبِ
وكَانَ لِي مِقْـوَلٌ كالسَيْـفِ مُنْصَلِتـاً
فَحَـطَّـمَ الـظُلْـمُ حَـدَّ المِقْـولِ الـذَّرِبِ
لأَرْحَلَـنَّ فَلِـيْ فِي الارْضِ مُتَّسـعٌ
إِنْ ضـاقَ بي صَـدْرُ هـذا المَوْطِـنِ الرَحِبِ

* * *

(١٩٢٢)

نشوة اليأس

غَيَّضَ الدَهْرُ أَدْمُعِي واحَنيني إلى البُكاءْ
شُقَّ قَلْبِي وَلَمْ تَسِلْ مِنْ جِراحَاتِهِ الدِماءْ
أَيُّها المُبْغِضُ الشَقاءَ أنا أَعْشَقُ الشَقَاءْ
شاعِرُ الحُزْنِ أَيْنَ مِنْ سِحْرِهِ شاعِرُ الهَنَاءْ
إنَّ لِلْيأْسِ نَشْوَةً ضَلَّ عَنْ مِثْلِهَا الرجاءْ

* * *

أَنا لَمْ أَدْرِ قِيمَةَ الدَمْعِ حَتَّى فَقَدْتُهُ
هُوَ كَنْزٌ عَرَفْتُ ما فِيهِ لَمَّا أَضَعْتُهُ
وَإِلَهٌ مِنْ بَعْدِ كُفْرِي بِهِ قَدْ عَبَدْتُهُ
أَرْجِعِي يا خُطُوبُ مِنْ أَدْمُعِي ما سَكَبْتُهُ
وَخُذِي الإِبْتِسامَ مِنِّي فإِنِّي مَلِلْتُهُ

* * *

لاَ تَلُمْهُ على الحَنينِ فَقَدْ أَقْوَتِ الرُبوعْ
جَفَّ ما فِي عُيونِهِ وَذَكَتْ جَمْرَةُ الضُلُوعْ
وإِذا جَفَّتِ الأُصولُ فَما تُورِقُ الفُروعْ
ما أَنا الشاعِرُ الذي وَشْيُهُ بَسْمَةُ الرَبيعْ
شَاعِراً كُنْتُ عِنْدَما كان في مُقْلَتِي دُمُوعْ

* * *

(١٩٢٢)

الروح الثائرة

أَمَلَّـــتْ ضَجِيـــجَ الحَـــيَـــاةِ فَفَـــرَّتْ
تُـــرِيـــدُ الحَـــيَـــاةَ بِظِـــلِّ السُـكُـونْ
تَعَـــافُ القُـــصـــورَ وجنَّـــاتِهـــا
وَتَـــأْوِي إِلـــى دَوْحَـــةِ الزَيْـــزَفُـــونْ
فَتَـــشْـــرَبُ مَـــاءَ الغَـــدِيـــرِ نَقِـــيًّـــاً
وَتَسْـــكَـــرُ مِـــنْ أَرَجِ اليَـــاسَـــمِيـــنْ
وَتَسْـمَـــعُ لَحْـــنَ الـطُيـــورِ شَجِـيًّـاً
رَقِيقَـــاً عـــلى مَـــائِسَـــاتِ الغُصُـــونْ
فَتَـــذْكُـــرُ عَالَـــمَ قُـــدْسٍ نَـــمَـــتْ
بِـــهِ حُـــرَّةً بَيْـــنَ حُـــورٍ وَعِيـــنْ
هَيُـــولَى تَفِيـــضُ ضِيَـــاءً مُبِينَـــاً
طَلِيقَـــاً تَـــراهُ جَمِيـــعُ العُيـــونْ
وَتَـــذْكُـــرُهُ عَـــالَمَـــا طَـــاهِـــراً
قَضَـــتْ فِـــي رُبَـــاهُ أُلُـــوفَ السِنِيـــنْ
تَحِـــنُّ إِلَيْـــهِ ومـــاذا يُـــفِيـــدُ
بُعَيْـــدَ الأَحِـــبَّـــةِ طُـــولُ الحَنِيـــنْ
لَقَـــدْ ذَكَرَتْـــهُ فَمـــا كَفْكَفَـــتْ
بِيُمْنَـــى يَدَيْهَـــا عُـــقُـــودَ الشُـــؤونْ

بَكَـــتْ وَهـــيَ فـــي سِجْنِهَـــا حُـــرَّة
ولا عَجَـــبٌ مِـــنْ بُكَـــاءِ السَجِيـــــنْ

* * *

حَنَـوْتُ عَلَـيْهـا وَقَـدْ بَـكَّـرَتْ
لِتَتْلُـــو كِتَـــابَ الحَيـــاةِ القَـدِيـــمْ
فَقُـــلْـــتُ لَهَـــا : مَـزِّقِيـــهِ كِتـــابَـــاً
يُثِيـــرُ الشُـجـونَ وَيُذْكِـــي الهُـمُـــومْ
فإنَّ الشَـقِـــيَّ يَـزيـدُ شَقَـــاءً
إذا راحَ يَذْكُـــرُ عَـهْـدَ النَعِيـــمْ
مُقَـيَّـدَةٌ أنْـتِ صَـاغَ القُيـــودَ
لِيُمْنَـــاكِ كَـفُّ القَضَـــاءِ الأَثِيـــمْ
تُرِيدِيـــنَ مِـنِّـي النَسِيـــمَ عَلِيـــلاً
وَهَيْهَـاتَ عَـــزَّ عَلَـيْنَـا النَسيـــمْ
تُـرِيديـنَ مِنِّـي نَسيـمَ الجِنَـــانِ
نَـقِـيَّـاً .. وهـذا نَسِيـمُ الجَحِيـــمْ
فـلا تَنْشَقِيـهْ فَفيـهِ سَمُـوم الهَجِيـرِ
وَمَـنْ ذا يُطِيـقُ السَـمُـومْ

***

عَـذَرْتُـكِ فِـرِّي مِـنَ الأرضِ وابْغِـي
هُنَـاكَ المَقَـامَ الـرَفِيـعَ الكَـريـمْ

بِقُـــرْبِ النُجـــومِ فـــإنَّ الحَيَـــاةَ
مُعَـطَّـــرَةُ الـــدَنِّ بَـــيْـــنَ النُجُـــومْ
وَلا تَرْحَمِـــي الجِسْـمَ فَهْـوَ تُـــرابُ
يَعُـــودُ لِمَعْـدِنِهِ بَعْـدَ حِيـــنْ

* * *

غَـداً هُوَ بَيْـنَ الـرُبَـــى زَهْـــرَةٌ
كَسَـتْهَـا الـطَبِيعَـةُ لَـوْنَ الشُـــروقْ
يُقَبِّلُهَـا الصُـبْـحُ فـي ثَغْرِهَـــا
وَيَلْـــثِـمُ فـي شَفَتَيْهَـا العَـقِيـــقْ
وَتَـــسري الصَّـبَـــا مِـنْ بَعِيـدٍ إِلَيْهـــا
وَقَـدْ هَـوَّنَ الحُـبُّ حَـزْنَ الطَـــريـقْ
إِلـــى أَنْ تُمَـرَّ عَلَيْهـا فَتَـــاةٌ
فَتَنْـزَعَهَـــا نَـــزْعَ بَـــرٍّ رَفِيـــقْ
وَتُنْـزِلَهَـــا مَنْـــزِلاً هَـــانِئَـــاً
علـى النُـــورِ لا يُشْـتَـكى فِيـــهِ ضِيـقْ
فَحِيـنـــاً تُقَـبِّـلُ نَهْـــداً وَحِينَـــاً
تُقَبِّـــلُ خَـدّاً بِـلَـوْنِ الشَقِيـــقْ
وَتَبْعَثُهَـــا بَعْـدَ ذَاك رَسُـــــولاً
يُـؤَدِّي رِسَـــالَـةَ صَـــبٍّ مَشُـــوقْ
فَنِعْـمَ الرِسَـــالَـةُ بَيْـنَ العَشِيقَـةِ
ذاتِ الـدَلالِ وَبَيْـــنَ العَـشِيـــقْ

فَيـا رُوحُ مِـنْ بَيْـنِ تِلْـكَ النُجـــــومِ
أَطِـــــلِّي عَلَيْهـا ولا تُنْكِـــرينـــي

* * *

أَطِـلِّي عَلَيْهَـا وَقَـدْ أَشْـرَقَـــتْ
عَلـى صَـدْرِ خَـوْدٍ عَـرُوسٍ وِسَـامَـــا
أَطِـــلِّي عَلَيْهَـا وَقَـدْ أُلْقِيَـــتْ
بقـايا شَـذاً ثُـمَّ عَـادَتْ رَغَـــامـــا
أَطِـــلِّي عَلَيْهَـا رفِيقَـاً قَدِيمَـــاً
وقُـولي سَـلامَاً تَـرُدُّ السَـلامَـــا
أَلا واذْكُـرِي عَهْـدَنـا واذْكُـــرِي
زَمَـانَـكِ فـي الارْضِ عامَـــاً فَعَـامـا
أَأَنْـكَـرْتِ شَكْـلاً جَـدِيـداً لِجِـسْـــمٍ
غَـــدَا لَـكِ قَبْـلَ الفَنَـاءِ مَقَـامَـــا
وَأَنْـكَـرْتِ أَلْـوَانَهَـــا جَـمَّـــةً
وعِطْـــراً نَـدِيَّـاً كَعِطْـرِ الخُـزَامَـــى
فَـلا تَعْجَبِـي إنَّ هَـذا الذُبُـولَ
بـأَوْراقِهـا كَـان فِـيَّ سَقَـــامـــا
وذَا الاحْمِـرارَ احْـمـرارُ دُموعِـــي
وَهَـــذاالشَـــذاكـان فِـيَّ غَـرامَـــا
وَأَفْنَـانِـيَ الـدَهْـرُ إلا شَـقَـــاءً
تَـأَبَّـــى عَلَيْـــهِ وإلا هِيـــامَـــا

تَـلاَشَيْـــتُ فـــي هَـــذِهِ الكَـائِنَـــاتِ
وَلَـمْ يَتَـلاشَ اليْـــكِ حَنِـينِـــــــــي

(١٩٢٢)

البلبل الصريع

بُلْبُلِي مَاتَ حَبِيساً بِاكِيَا
لَوْعَةَ الشِعْرِ عَلى ذَاكَ الحَبِيسْ
فَقَدَ الصُبْحُ أَنَاشِيدَ الهَوى
بَعْدَهُ وانْفَرَطَ العِقْدُ النَفِيسْ
عَطِّلُوا المَجْلِسَ يا سُمَّارَهُ
وأَرِيقُوا يا نَدامَايَ الكُؤُوسْ
قَدْ قَضَى اليَوْمَ جَلِيسِي وَمَضَى
لا تَطِيبُ الخَمْرُ مِنْ غَيْرِ جَلِيسْ
ما لأَغْصَانِ الرُبَى مِنْ بَعْدِهِ
تَتَهَادَى عَارِيَاتٍ وَتَمِيسْ
وَعَرُوسُ الزَهْرِ هَلْ يُضْحِكُهَا
مَشْرِقُ الشَمْسِ وَقَدْ مَاتَ العَرِيسْ
وَيْلَ أُمِّ الظُلْمِ ثَكْلَى دَائِمَاً
فَنِيَتْ طَسْمٌ وَلَمْ تَبْقَ جَدِيسْ
إِنَّمَا الدُّنْيَا لِمَنْ كَافَحَهَا
وَمَشَى مُسْتَلْئِمَاً وَسْطَ الخَمِيسْ
بُلْبُلِي مَاتَ وَلَمْ تَنْجَعْ بِهِ
وَصْفَةُ « الرَازِي » ولا طِبُّ « الرَئِيسْ »

كَفِّنُوهُ بأَزَاهِيرِ الرُّبَى
واغْسِلُوهُ بالمُدامِ الخَنْدَرِيسْ
واصْرِفُوا عَنِّي لَمِيساً ما الذِي
أَبْقَتِ الأَحْزَانُ مِنِّي لِلَمِيسْ

* * *

عَاشَ ما عَاشَ طَلِيقاً بالرُّبَى
والرُّبَى حُسْنٌ وَلَوْنٌ وعَبِيرْ
يَتَغَنَّى بأَنَاشِيدِ الهَوَى
نَاعِماً بالعُمْرِ والعُمْرُ قَصِيرْ
يُرْسِلُ الأَشْعَارَ في الأَيْكِ كَمَا
أَرْسَلَ الشِعْرَ حَبِيبٌ وجَرِيرْ
فَغَدا اليَوْمَ أَسِيراً بَعْدَمَا
كَانَ حُرّاً بَيْنَ رَوْضٍ وَغَدِيرْ
إِرْحَمُوهُ واعْطِفُوا ما شِئْتُمُ
فَأَحَقُّ النَاسِ بالعَطْفِ الأَسِيرْ
هُوَ يَبْكِي وأَنَا أَبْكِي أَسَىً
وَكِلانَا ذُو شُجُونٍ وَشُعُورْ
مِنْ لُبَابِ البُرِّ قَدْ أَطْعَمْتُهُ
ولَقَدْ أَرْشَفْتُهُ المَاءَ النَمِيرْ
وَكَسَوْتُ القَفَصَ الرَحْبَ الذُرَى
بالقُبَاطِيِّ المُوشَّى والحَرِيرْ

غَيْـــرَ أَنَّ الـطَّيْـــرَ فَاضَـــتْ رُوحُـــــهُ
بَيْـنَ حُـزْنٍ وَشَهِيـــقٍ وَزَفِيـــرْ

* * *

بُلْبُلِـــي مَـاتَ وَلَـمْ تَنْجَـعْ بِـــهِ
وَصْـفَةُ الـرَازِي ولا طِـبُّ الرَئِيـسْ
كَفَّنُـــوهُ بِـأَزَاهِيـــرِ الـــرُبَـــى
واغْسِـــلُـــوهُ بالمـدام الخنـــدريـسْ
واصرفـوا عنـي لميـساً مـا الذي
ابقـت الاحـزانُ مـنـي للميـــسْ

***

أَيُّهَـا الصَـيَّـادُ لا تَنْصِبْ لَـــهُ
شَـرَكَـاً واسْـمَـحْ بِتَقْـطِيعِ الشَـرَكْ
أَيُّـا الصَيَّادُ مـا أَعْجَـزَهُ
أَيُّـا الصَيَّادُ بَـلْ مـا أَقْـدَرَكْ
دَعْـهُ حُـــراً واسْـتَمِـعْ تَغْرِيـدَهُ
هَلَّـةَ الصُـبْـحِ وقُـلْ : مـا أَشْعَـرَكْ
دَعْـــهُ حُـــراً فَلَقَـدْ صَـوَّرَهُ
خَـالِـقُ الـكَـوْنِ الـذِي قَدْ صَوَّرَكْ
جَـارُكَ الأَدْنَـــى دَعَـــاهُ ظَمَـــاً
وَهَجِيـــرٌ فَتَفَيـــيَّا شَجَـــرَكْ

أَنْـتَ سَكْـــرانُ وَلَـمْ تَشْـــرَبْ طِـــلاَّ
إِنَّمـا البَغْـيُ الـذِي قَـدْ أَسْكَـرَكْ
تَعِـسَ الصَـيَّـــادُ مِـنْ ذِي قَسْـــوَةٍ
جَـــرَّبَ الـدُنْيـا طَوِيـــلاً وَعَـــرَكْ
مُـذْ رَأى البُلْبُـلَ فـي غَفْلَتِـهِ
صَـــوَّبَ السَـهْـــمَ إِلَيْـــهِ وَبَـــرَكْ
فارْتَمَـــى الـطَيْـــرُ صرِيعَـاً وَهَـــوى
تَـارِكَـاً أَفْـرَاخَـهُ فِيمَـا تَـرَكْ

* * *

بُلْبُلِـي مَـاتَ وَلَـمْ تَنْجَـعْ بِـهِ
وَصْـفَـةُ الـرازِي ولا طِـبُّ الرَئِيـسْ
كَفِّنُـوهُ بِأَزَاهِيـــرِ الـــرُبَـــى
واغْسِلُـــوهُ بالمُـــدامِ الخَنْـــدَرِيـــسْ
واصْـرِفُـوا عَـنِّي لَمِيسَـــاً مـا الـذِي
أَبْقَـــتِ الأَحْـزَانُ مِـنِّـي لِلَمِيـسْ

(١٩٢٢)

يا نديمي

يـــا نَدِيمِـــي إِلـــى مَتَـــى الإِغْفَـــاءُ
بَسَـــمَ الـــكَـوْنُ حِيـنَ حَيَّتْ ذُكَـــاءُ

لا تَـمِـــلْ بِـــي إِلـــى الـــرَجَـــاءِ فَقَـــدْ
أَوْدَى بِنَفْسِـــــي طُمُـوحُهـــا والـــرَجَـــاءُ

وَدَعِ اليَـــــأْسَ يَنْتَحِينـــي فَفِـــي الـــ
ـــيَأْسِ لِـــدَاءِ النَفْـــسِ الـــطَمُـــوحِ دَواءُ

قَدْ رَضِيـــتُ الأَكْـــواخَ وَهْـيَ نَعِيـــمٌ
وَهَجَـــرْتُ القُصـــورَ وَهْـــيَ شَقَـــاءُ

وَمِـــنَ الهُـــونِ أَنْ يُقِيـــمَ كَـــرِيـــمٌ
فِـــي مَكَـــانٍ هَـــانَـــتْ بِـــهِ الكَـــرَمَـــاءُ.

* * *

أَتْـــرِعِ الـــكَأْسَ واسْـــقِنِـي بِمَكَـــــانٍ
ضَـــلَّ عَنْـــهُ الـــوُشَـــاةُ والرُقَبَـــاءُ

حَبَّـــذَا كُوخِـــيَ النَـــدِيُّ وإِنْ لَـــمْ
يَكْتَنِفْـــهُ الإِعْـــجَـــابُ والخُـــيَـــلاءُ

لَـمْ يَشِـنْـــهُ فـي ناظِـرِي أَنْ عَـــدَاهُ
زُخْـــرُفٌ فـــي بِنَـــائِـــهِ وَرُواءُ

أَنَـا حُـرٌّ بِـهِ ... ومـا بَـعْـدَ هَـذا
عِنْـدَ بـاغِـي سِـرِّ الحَيـاةِ هَبَـاءُ

* * *

يـا نَدِيمِـي لا تَأْسَ باللـهِ واشْـرَبْ
لَـذَّةُ العَيْـشِ هَـذه الصَـهْبَـاءُ
وَتَمَتَّـعْ بالنُـورِ إِذْ رُبَّ قَـوْمٍ
مُنِـعَ الـكَـأْسُ عَنْهُـمُ والضِيَـاءُ
واسْـتَمِـعْ : هَـذِهِ البَـلابِـلُ غَنَّـتْ
فـأَثَـارَ الشُـجـونَ ذَاكَ الغِنَـاءُ
لا تَخَـافُ الصَيَّـادَ ، إِذْ عَصَمَتْهَـا
مِـنْ - دَواهِيـهِ هَـذِهِ الصَـحْراءُ
ذَكَّـرَتْـكَ الـدِيَـارَ جَـرَّ عَلَيْهَـا
ذَيْـلَـهُ بَعْـدَ قاطِنِيهـا العَفَـاءُ
وَحُمَـاةَ الـدِيـارِ وَهْـي عَـبِيـدٌ
وَغـوانِـي الدِيـارِ وَهْـيَ إِمَـاءُ

* * *

يا نَدِيمِـي تَعَـزَّ واسْـلُ فَقَـبْـلاً
قَـدْ عَفَـتْ بَعْـدَ أَهْلِهـا الحَمْـرَاءُ

وَعَفَتْ مِنْ ظِبَاءِ صَقْرِ قُرَيْشٍ
وأَغَانِي قِيَانِهِ الزَهْرَاءُ
وَتَنَاسَتْ قَساوِرَ العُرْبِ في
المِرْيَةِ تِلْكَ الخَمَائِلُ الخَضْرَاءُ
وَتَعَزَّتْ عَنِ ابْنِ عَبَّادَ رَوْضٌ
وَقُصورٌ في باحَةٍ قَوْراءُ
بَعْدَ أَنْ كانَ في رُباهَا من العَنْبَرِ والزَعْفَرانِ طِينٌ وماءُ

* * *

يا نَدِيمِي إِلَيَّ نَبْكِي فَقَدْ يُسْعِدُ
قَلْبَ النائِي الحَزِينِ البُكاءُ
أَنْتَ أَوْفَى مِنِّي وأَوْثَقُ عَهْداً
يا نَدِيمِي وأَيْنَ أَيْنَ الوَفَاءُ
فَوْقَ شِعْرِي بَلاغَةً وبَياناً
مِنْكَ هَذِي المَدامِعُ الحَمْراءُ
تَرْجَمَتْ عَنْ أَساكَ فَهْيَ قَصِيدٌ
لَمْ يَفُتْهُ البَيانُ والانتِقاءُ
إِنَّما الحُزْنُ مُرْسِلُ الشِعْرِ شِعْراً
والحَزانَى هُمُ هُمُ الشُعَراءُ

(١٩٢٣)

تحية الملك

حيا الشاعر بهذه القصيدة المغفور له الملك الحسين بن علي عند
زيارته عمان سنة ١٩٢٣

أَلْـفَ أَهْـلاً بـأَميـرِ المُؤْمِنيـنْ
سَـيِّـدِ البَـطْحَـاءِ والبَيْـتِ الأَمِيـنْ
مـرْحبـاً بالتـاجِ مَـرْمُـوقَ السَنـى
وَبِـرَبِّ التـاجِ والعَـرْشِ المَكِيـنْ
بِـرَبِيـبِ المَـرْوَتَيْـنِ المُنْتَقَـى
وَفَتـى زَمْـزَمَ والـرُّكْـنِ الرَكِيـنْ
خَـادِمِ الـكَعْبَـةِ إِرْثـاً طـاهِـراً
عَـنْ أَبيـهِ والجُـدودِ الأَوَّلِيـنْ
قـائِـدِ الأَبـطـالِ شُـوساً لِلْـوغَـى
حـامِـلِ الأَعبـاءِ والله المُعيـنْ
بـابْـنِ أَقمـارِ العُلى مِنْ هَاشِـمٍ
وأَبِـي البِيـضِ المُلـوكِ الفاتِحِيـنْ
أَلْبَهـالِيـلِ الصَـنـاديـدِ الأُلـى
رَفَعُـوا رَايَـةَ فِهْـرٍ باليَمِيـنْ
يَعْـرِفُ البَيْـتُ اذا طافَ بِـهِ
أَنَّـهُ ابْـنُ الـطَـائِفيـنَ العَاكِفيـنْ

يَعْرِفُ البيْتُ اذا مَرَّ بِهِ
أَنَّهُ ابْنُ الطَّيِّبِينَ الطاهِرِينْ
تَعْرِفُ الاستارُ إذْ يَلْثِمُها
أَنَّهُ ابْنُ الساجِدِينَ الرَاكِعِينْ
تَعْرِفُ البيضُ وما أَغْمدَهَا
أَنَّهُ ابْنُ الطَّاعِنِينَ الضارِبِينْ

* * *

لِمَنِ المَوْكبُ جِبْريلُ بِهِ
مِنْ جُنودِ اللهِ يَمْشِي في مِئِينْ
وَمَنِ المُقْبِلُ يَعْلوهُ سَناً
مِنْ سَناءِ الخُلَفاءِ الرَاشِدِينْ
شَيْبَةَ الحَمْدِ أرى أَمْ هَاشِماً
أَمْ عَلِيَّ الطُّهْرِ زَيْنَ العَابِدِينْ
أَمْ أرى سَيِّدَ غَمْدانَ مَشَى
في ظِلالِ البِيْضِ وَضَّاحَ الجَبِينْ
حَوَّطُوا المَوْكبَ باسْمِ المُصْطَفى
وَبَنِيهِ مِنْ عُيونِ الحَاسِدِينْ
وافْرُشُوا الأَكْبادَ يَمْشِي فَوْقَها
واتْرُكوا الوَرْدَ وخَلُّوا اليَاسَمِينْ
وانْثُروا الدَمْعَ علىَ مَوْكبِهِ
ودَعُوا المِسْكَ لِحُورٍ وَلِعِينْ

أَدْمُـعُ البِشْـرِ وَقَـدْ يَبْـكِي الفَتَـى
سَـرَّهُ الـدَّهْرُ كما يَبْـكي الحـزيـنْ
وأَذَنُـوا لِلْعِيـدِ أَنْ تَشْهَـدَهُ
سـافِـرَاتٍ فـي صُفـوفِ الشـاهِـديـنْ
سَيِّـدُ البَـطْحـاءِ فـي أَبْنـائِـهِ
أَلـفَ أَهْـلاً بالمُلـوكِ القَـادميـنْ
تَتَهـادَى الأَعْـوجِيَّـاتُ بِهِـمْ
إِنَّهـا تَعْرِفُ قَـدْرَ الـرَاكِبيـنْ
ذَكَـرَتْ إِذْ مَسَـحُـوا أَعْـرافَهَـا
بِـأَكُـفٍّ الـكُـرَمـاءِ المُنْعِمِـيـنْ
هـاشِـمـاً والبِيْـضَ مِـنْ أَبْنـائِـهِ
أَلْمُطَـاعِيـنِ الـطِـوالِ المُطْعميـنْ

* * *

أَيُّهـا الآتـي إِلَيْنـا مِنْ ذُرىً
طَـالَمَـا عَطَّـرهَـا الـرُوحُ الأَمِيـنْ
بَيْتُـكَ الشـامُ وفيـهِ نُخْبَـةٌ
مِـنْ بَنِيـكَ الأَوْفِيـاءِ الصَـادِقِيـنْ
بَـرَدى حـنَّ غَـراماً وهَـوىً
لـلأَحِبَّـاءِ الـكِـرامِ الهَـاجِـريـنْ
وَرُبَـى الفَيْحَـاءِ أَنَّـتْ وَشَكَـتْ
فُـرْقَـةَ الأَحْبـابِ لَوْ يُغْنِـي الأَنِينْ

* * *

صاحِبَ التاجِ أجِبْنِي هَلْ أتَى
عَرْشَكَ العَالِي حَدِيثُ الكَاذِبِينْ
الأُلَى أهْدَوا الى التاجِ الأذَى
وأرَادوا أن يُضِلُّوا المُهْتَدِينْ
حَدَّثُوا عَنْكَ كِذاباً وافْتَرَوْا
لا يُحِبُّ اللهُ سَعْيَ المُفْتَرِينْ
وَأتَوْا بالغِشِّ لَكِنْ أقْسَمُوا
أنَّهُمْ جَاءُوا إلَيْنا نَاصِحِينْ
زَعَمُوا أنَّكَ تَهْوى لُنْدُناً
وَتُحِبُّ النَفَرَ المُسْتَعْمِرِينْ
وَتُطِيعُ القَوْمَ فيما أمَرُوا
وَهُمُ تاللَّهِ شَرُّ الآمِرِينْ
نَحْنُ نَهْواكَ على رَغْمِ العِدى
ونُجِلُّ التَاجَ رَغْمَ المُبْغِضِينْ
يَدُكَ البَيْضاءُ لا نُنْكِرُهَا
سَوَّدَ اللهُ وُجوهَ المُنْكِرِينْ

* * *

لُحْ عَلى عَمَّانَ بَدْراً نُورُهُ
يَكْشِفُ اللَّيْلَ ويَهْدِي التَائِهِينْ
وَعَلى الغُوطَةِ أقْبِلْ يُوسُفاً
حُسْنُهُ يَجْلُو عُيونَ النَاظِرِينْ

وَعلى بَغْدادَ أَشْرِقْ رَحْمَةً
تُسْعِدُ المَأمونَ فيها والأَمِينْ
وَجِّدِ العُرْبَ وأَسْعِدْ أُمَّةً
سادَتِ العَالَمَ في ماضي السِنينْ
وأَعِدْ أَيَّامَ هارُونَ وقَدْ
مَلأَ الدُنْيا رِجالاً وسَفِينْ
بَرَدى جَفَّ وما فِي دِجْلَةٍ
نُغْبَةٌ تَرْوِي الظِمَاءَ الوارِدِينْ

* * *

كُلَّما هَبَّ نَسِيمٌ مِنْ مِنَىً
أَيْقَظَ الأَشْواقَ والوَجْدَ الدَفِينْ
لَمْ أَلِنْ للدَّهْرِ لَكِنْ زَعَمَتْ
عَادِياتُ الدَهْرِ أَنِّي سَأَلِينْ
لَمْ أَخُنْ «لا والصَّفَا» عَهْدَكُمُ
أَيُّ خَيْرٍ في وُجوهِ الخَائِنِينْ
أَنا بالرُوحِ جَوادٌ فاغْفِرُوا
زَلَّتِي إِنْ رُحْتُ بالدَمْعِ ضَنِينْ
لا تَرى الاعْداءُ دَمْعي جَارِياً
إِنَّنِي أُبْغِضُ عَطْفَ الشامِتِينْ
وأَنَا شاعِرُكُمْ في مَوْطِنٍ
مالَمِنْ والاكُمُ فِيهِ خَدِينْ

نـاطِـقٌ فيـكُمْ ولَـوْ أنَّ الظُبَـى
جُـــرِّدَتْ فَـوْقَ رِقـابِ النَاطِقِيــنْ
فَتَقَبَّلْهـــا عَــرُوســاً واسْتَمِــعْ
مــا يُثِيـرُ الشَـوْقَ والحُـبَّ الكَمِيــنْ
صُنْتُهــا عَـنْ خـاطِبِيهـا غَـــادةً
لِفَتَــى البَيْــتِ إمــامِ المُسْلِميـــنْ

* * *

(١٩٢٣)

لا تحبيني

لا تُحِبِّيني فَفِي حُبِّي الشَقَاءْ يا فَتَاةْ
واطْرُدِيني تَطْرُدى عَنْكِ البَلاءْ في الحَيَاةْ

* * *

قَلْبُكِ القَلْبُ الذي يَخْفُقُ لِيْ وَحْدَهُ
دَمْعُكِ الدَمْعُ الذي يَنْهَلُّ لي عِقْدُهُ
أَنْتِ مَنْ يَرثِي لِدَمْعِ البُؤَسَاءْ يا فَتَاةْ
أَنتِ مَنْ يَشْقَى لِحُزْنِ الأَشْقِيَاءْ فِي الحَيَاةْ

* * *

قَدْ تَناسَانِيَ أُمِّي وأَبِي والشَقِيقْ
وَصَدِيقِي قَدْ جَفانِي يا لَهُ مِنْ صَدِيقْ
إنَّما الشاعِرُ في هَذا الأَسَى لَخَلِيقْ
غَيْرَ أَنِّي وأَمامِي والوَراءْ ظُلُماتْ
شِمْتُ في عَيْنَيْكِ أنوارَ الوَفَاءْ يا فَتَاةْ

***

كَفْكَفَتْ دَمْعِيَ حُبّاً وَهَوىً راحَتَاهَا
آهِ ما أَحْلَى الذي فاهَتْ بِهِ شَفَتَاهَا

كَلِمٌ تَشْفَى بِها نَفْس الفَتى مِنْ أَساهَا
لا أرى بَيْنَ عَطايا الكُرَماءْ والهِبَاتْ
ما يُوازِي مَسْحَ دَمْعِ البُؤَسَاءْ والبُكاةْ

* * *

رَبَّ في الكَوْنِ نُفوسٌ جَمَّةٌ تَتَأَلَّمْ
تَحْمِلُ البُؤْسَ حَزِينَاتٍ وَلاَ تَتَكَلَّمْ
هِيَ مِنْ جَوْرِ البَرايا فاحْمِهَا تَتَظَلَّمْ
عَزَّ يا ربِّ لِجِرْحَاها الدَوَاءْ والأُسَاةْ
رَبِّ عَدْلاً ما المُطِيعونَ سَواءْ والعُصَاةْ

* * *

مَنَعُوها كُلَّ ما عِنْدَ البَشَرْ مِنْ نَعيمْ
لَوْ أَطاقُوا مَنَعُوا عَنْها المَطَرْ والنَسِيمْ
وَلَكَانُوا حَجَبُوا شَمْسَ الضُحى والنُجومْ
رَاقِبُوا رَبَّكُمُ يا أَقْوِيَاءْ يا قُسَاةْ
وارْحَمُونا نَحْنُ حِزْبُ الضُعَفَاءْ والعُفَاةْ

* * *

مِنْ نَثيرِ الدَمْعِ ذا الشِعْرُ النَظيمْ فاقْرأيهْ

رَنَّـــةُ الثَـكْلَـــى وأَنَّـاتُ السَليـمْ فـاسْمَعِيـهْ
هـا هُـوَ البُـؤْسُ بِشَـخْصـي مـاثِـلٌ فالْـمَسِـيهْ
لا تُـحِبينـي فَفِـي حُبِّـي الشَقَـاءْ يـا فَتَـاةْ
واطْـرُدِينـي تَطْـرُدِي عَنْـكِ البَـلاءْ فـي الحَيـاةْ

* * *

(١٩٢٣)

عاطفتي

عَـاطِفَتِـي حُـزْنٌ طَوِيـلٌ عَـلى
مَـاضٍ مِـنَ العُمْـرِ ومُسْتَقْبَـلِ
عَاطِفَتِـي أَنَّـةُ مُضْـنَـىً بَكَـى
عَـلى زَمَـانٍ للصِـبَـا أَوَّلِ
عَاطِفَتِـي لَحْـنٌ يُثِيـرُ الأَسَـى
وَيَخْـلُـقُ الهَـمَّ بِقَلْـبِ الخَلِـي
عَاطِفَتِـي حُبٌّ بَعِيـدُ المَـدى
أَصـابَ فِـي رَمْيَتِـهِ مَقْتَلِـي
عَاطِفَتِـي زَفْـرَةُ حُـرٍّ كَلِيـم
ثَـارَ عـلى الـدَهْـرِ وَلَـمْ يَحْفِـلِ
مَـنْ يَشْـتَـرِي عاطِفَتِـي مِنْكُـمُ
بِغَيْـرِهَـا مِـنْ هَـذه العَاطِفَـات

* * *

لا تَعْذِلُـونِـي حِيـنَ أَبْـكِـي أَسَـىً
العَـدْلُ كُـلُّ العَـدْلِ أَنْ أُعْـذَرَا
سَبَّـبَ لِـي هـذا الشُـعُورُ الأَسَـى
مُصِيبَـةُ الإِنْسَـانِ أَنْ يَشْعُـرَا
مَـنْ يَشْتَـرِيهِ مِنْـكُـمُ خاسِـراً
أَوْلَـى بِشَـارِي الـدَمْـعِ أَنْ يَخْسَـرَا

قَضَى عَلَيَّ الدَهْرُ واشَقْوَتي
بالدَّهْرِ- أَنْ أَبْكِي وَأَنْ أَسْهَرَا
مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عُقودَ النَظِيمْ
بِبَسْمَةٍ تُسْلِمُنِي لِلْكَرَى
مَنْ يَشْتَرِي الشِعْرَ وأَلْحَانَهُ
بِبَسْمَةٍ واحدةٍ في الحياة

***

عاطفتي .. مَرْحَمَةً واذهبي
لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِيَ غَيْرُ القَلِيلْ
أَبْلَيْتِ مِنْ جِدَّةِ عَهْدِ الصِبَا
ظُلْماً وَعَجَّلْتِ أَوانَ الرَحِيل
أَنا عَلِيلٌ بَائِسٌ فاهْرُبِي
لا خَيْرَ في صُحْبَةِ نِضْوٍ عَلِيلْ
مَاذا الذِي تَرْجَيْنَهُ مِنْ قِرىً
لِلْهَمِّ فِي جِسْمِي الضَعِيفِ النَحِيلْ
قَدْ جَادَ يا عاطِفَتِي . والكَرِيمْ
يَضِنُّ عِنْدَ الفَقْرِ ضَنَّ البَخِيلْ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ وَيْحَهُ مِنْ قِرىً
يُرْضِي صُروفَ الدَهْرِ والعَادِيَاتْ

* * *

سَـــأَلْـــتِ قُرْبـــانَـــاً فَقَـــدَّمْتُـــــهُ
لِلْهَـيْكَـلِ الأَقْـــدَسِ قُرْبَـــانـــــا
وَفَـــوْقَ ذَا المَـــذْبَـــحِ ضَحَّيْتُـــــهُ
ومـــا دَرَى النَـــاسُ بِبَلْوانَـــــا

وَيحْـــي تَـلاشَـــتْ فِيـــكِ أَجْـــزَاؤُهُ
كَـــأَنَّـــهُ بالأَمـــسِ مـــا كـــانَـــا
أَعْـــطَـــاكِ مـــا شِئْـــتِ وأَعْطَيْتِـــهِ
مـــا لَـــمْ يَـــشَـــأْ هَمّـــاً وَأَحْـــزَانَـــا
أَهَـــكَـــذا يُجْـــرى المُحِـــبُّ القَدِيـــمْ
وَيُـــوسَـعُ الآمِـــلُ حِـــرْمانَـــــا
أَفْنَيْتِـــهِ ظَـــالِمَـــةً فارْقُبِـــــي
غَـــداً عِقَـــابَ اللّـــهِ للظَـــالِمـــاتْ

* * *

أُكَـــلَّمـــا أَنَّ أَخُـــو لَـــوْعَـــةٍ
كَلَّفْتِنِـــي الحُـــزْنَ وطُـــولَ الأَنِيـــنْ
أُكَلَّمـــا نَـــاحَ مُحِـــبٌّ أَســـىً
حَشَـــرْتِنِـــي فـــي زُمْـــرَةِ النَائِحِيـــنْ
أُكَلَّمـــا مَـــرَّتْ علـــى خَاطِـــري
صُـــورَةُ بُـــؤسٍ رُحْـــتُ فـــي البَائِســـينْ
أَشْـــقَـــى مَـــعَ الأَيْتـــامِ مُسْتَعْبِـــراً
وأَسْـــهَـــرُ اللَيْـــلَ مَـــعَ العاشِقِـــينْ

كَتَبْتُ آياتِ العَذابِ الأليمْ
غُضُونَ هَمٍّ فَوْقَ هَذا الجَبِينْ
تُتْلَى ولا يُخْطِئُها قَارِئٌ
فَيَا لَآياتِ الأسَى البَيِّنَاتْ

* * *

عاطِفَتي رُحْمَاكِ واسْتَبْدِلي
بِجِسْمِيَ الناحِلِ جِسْماً صَحِيحْ
جِسْمَ فَتىً لَمْ يَدْرِ مَعْنى الأسَى
ولا مَشَى يَوْماً بِقَلْبٍ جَرِيحْ
وَلا حَبَتْهُ بالأسَى مُقْلَةٌ
دَعْجَاءُ أوْ وَجْهٌ بَهِيٌّ صَبِيحْ
دَعِيهِ يَحْيَا بعْضَ سَاعاتِهِ
بِمُهْجَةٍ حَرَّى وجَفْنٍ قَرِيحْ
جَرَّرَ ما شَاءَ ذُيولَ النَعِيمْ
وَلَمْ يُطِعْ بالكَأسِ نُصْحَ النَصيحْ
فَعَلِّمِيهِ كَيْفَ يَشْقَى الفَتَى
وكَيفَ تَرْعَى سَرْحَهُ النَائِباتْ

* * *

رَأيْتُها صُبْحاً وَقَدْ أرْسَلَتْ
ذُكَاءُ في الأُفْقِ نَثِيرَ الذَهَبْ
وَهَبَّ في الرَوْضِ نَسِيمُ الصَبَا
مُحَمَّلاً طِيبَ الرُبى حِينَ هَبْ

وللـرَياحِيـنِ شـذاً مُسْكِـرٌ
يَفْعَـلُ ما تَفْعَـلُ بِنْـتُ العِنَـبْ

عَـرُوسَـةُ الأحْـلامِ أحْبَبْتُهـا
وَهَـلْ يُـلامُ المَـرْءُ في مَـنْ أحَـبْ

أحْبَبْتُهـا جَمْـراً علـى مُهْجَتِـي
وللْهَـوى فـي النـاسِ شَـأنٌ عَجَـبْ

وَهِمْـتُ فِيهـا وأنـا ذَرَّةٌ
هـائِمَـةٌ فـي هَـذِهِ الكائِنَـاتْ

* * *

أَلصَّـبْـرُ مَحْمُـودٌ ولكِنَّنِـي
لَـمْ يَـرْضَـنِـي الصَـبْـرُ وَلَـم أَرْضَـهْ

أَهْـوَى نَعَـمْ أَهْـوَى وَلِـي نَاظِـرٌ
فـارَقَ مُـذْ فَارَقْتُـهُ غُمْضَـهْ

ضَعِـي علـى حَرِّ فُـؤادِي يَـداً
كـأنَّهـا مِـنْ خَالِـصِ الفِضَّـهْ

وابْتَسِـمِـي عَـنْ لُؤْلُـوءٍ واسْفِـرِي
عَـنْ بِشْـرَةٍ نَاعِمَـةٍ بَضَّـهْ

فِـي خَـدِّكِ القـانِـي الشَـهِـيِّ الوَسيمْ
تُفـاحَـةٌ مُتْـرَفَـةٌ غَضَّـهْ

حَكّمَــكِ الحُسْــنُ بِأَهْــلِ الهَــوَى
حَسْــبِــي الهَــوى يا أَظلَــمَ الحَاكِمــاتْ

* * *

(١٩٢٣)

لا تذكري الماضي

هَلْ نَسِيَتْ هِنْدُ زَمَانَ الصِبَا
لِلَّهِ ما أَحْلَى زَمانَ الصِبَا
إِذْ نَحْنُ كالأَطْيارِ في شَدْوِها
طِفْلانِ يَخْتالانِ بَيْنَ الرُبى
نَلْعَبُ في الكَرْمِ ولا بِدْعَةٌ
سَعادَةُ الطِفْلَيْنِ أَنْ يَلْعَبا
أَحْذَرُ أَنْ تَغْضَبَ مِنْ هَفْوَةٍ
وتَحْذَرُ الحَسْناءُ أَنْ أَغْضَبَا
يا هِنْدُ عَفْواً واغْفِرِي زَلَّتِي
إِنْ أَنا هَيَّجْتُ لَهِيباً خَبَا
إِنْ كانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُري الماضي ولا تَحْزَني

* * *

الكَرْمُ هَلْ أَطْيارُهُ لَمْ تَزَلْ
تَشْدُو على أَغْصانِهِ النَاعِمَةْ
والرَوْضُ هَلْ أَزهارُهُ لَمْ تَزَلْ
ثُغورُها مُفْتَرَّةً باسِمَةْ
صَفْصَافَةُ الجَدْولِ هَلْ مَسَّها
دَاعِي الرَدى أَمْ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةْ

يا طَالَمَا غَنَّى بِأَلْحَانِهِ
وأَنْتِ فِي أَفْيَائِهَا نَائِمَةْ
لا تَنْفُرِي مِنِّي ولا تَغْضَبِي
ولا تَكُوني في الهَوى ظَالِمَةْ
إِنْ كَانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُرِي الماضي ولا تَحْزَنِي

* * *

مَرَرْتُ بِالغَابَةِ مُسْتَعْبِراً
والليلُ قد أَرْخَى سُدولَ الظَلامْ
فَقُلْتُ والذِكْرى أَثارَتْ هَوىً
خَبَا بِقَلْبِي مُنْذُ عَامٍ وَعَامْ
هُنَا تَسَاقَيْنَا كُؤوسَ الهَوى
هُنَا تَعَانَقْنَا عِنَاقَ الغَرامْ
هُنَا تَلاقَيْنَا هُنَا وَدَّعَتْ
هُنَا أَشَارَتْ كَفُّها بالسَلامْ
مَالِي أَرَى دَمْعَكِ واحَسْرَتِي
مُنْسَجِماً يا هِنْدُ أَيَّ انْسِجَامْ
إِنْ كَانَتِ الذِكْرِي تُثِيرُ الأَسى
لا تَذْكُرِي الماضِي ولا تَحْزَنِي

* * *

مِنْ أَيْنَ هَذَا القُـرطُ قَدْ نِلْتِهِ
وذَلِـكَ العِقـدُ البهـيُّ الفَرِيـدْ
مَـنْ ذَا الـذي قَبَّلْتُـهُ أَثَّـرتْ
بَـوْرْدِ خَـدَّيْـكِ فَـدَتْـهُ الوُرُودْ
إسْـتقْبـلـي يـا هِنْـدُ فَـتَّانـةً
ضـاحِـكةً عَهْـدَ غـرامٍ جَديـدْ
أنـا شقـيٌّ فـي الهَـوى فابْسمـي
بَسْـمـةَ عَطْـفٍ لمُحـبٍ سَعيـدْ
وذَلِكَ الحُـبُّ القَديـمُ الـذي
مـاتَ تنـاسَيْـه ، وتِلْـكَ العُهـودْ
انْ كانَـت الـذِكْـرى تُثِيـرُ الأسـى
لا تَذْكُـري الماضِـي ولا تَحْـزنـي

* * *

يـا هَنْـدُ والمَـوْتُ مشَـى مُسْـرعـاً
الى شَبـابـي مُـؤْذِنـاً بالفِـراقْ
قَضَـى عَـلى جِسْـمِـيَ يا لَيْتَهُ
قَضَى عَـلى اللَّـوْعَـةِ والإشْتِيـاقْ
حِيـنَ تَـمُـدِّيـنَ يَـداً بَضَّـةً
نـاعِمَـةً مُتْـرَفَـةً للعِنَـاقْ
فَيَلْتَـقِـي الثَغْـرانِ فـي قُبْلَـةٍ
تُسْـكِـرُ كـالخَمْـرِ نَـدِيِّ المَـذَاقْ

إنْ كـانَتِ الـذِكـرى تُثِيرُ الأسَـى
لا تَـذْكُـرِي الماضِـي ولا تَحْزَنِـي

* * *

وَحِـينَ تُمْشِـين الهُـوَيْنـا وقَـدْ
أقْبَلَـتِ الشَـمْـسُ تُـرِيدُ المَغِيـبْ
بَيْـنَ وُرودٍ ضَحِـكَـتْ للنَـدَى
ثُغـورُهـا نَشْـوى اخْضِـلالٍ وَطِيـبْ
لا تَدْخُلِـي الغَـابَـة لا تَدْخُلِي
فـإنَّ فـي الغَـابَـةِ قَبْـرَ الغَـرِيـبْ
قَبْـرَ حَبيـبٍ قَـدْ تَنـاسَيْتِـهِ
أهـكـذا يَنْسَى الحَبِيـبُ الحبيـبْ
واجْتَنِـبـي الغَـابَـةَ لا تَخْرُقِـي
حُـرْمَـةَ ذَيَّـاكَ السُكونِ المَهِيـبْ
فـإنَّمـا الـذِكـرى تُثِيـرُ الأسَـى
لا تَذْكُـرِي الماضِـي ولا تَحْزَنِـي

* * *

(١٩٢٣)

اغنية البردوني

ارتجل الشاعر هذه الاغنية في جلسة طرب على ضفاف البردوني .

يا شاعِرَ الأَزْهارْ وشاعِرَ الأَقمارْ
مِنْ غِيدِ لُبْنانْ
تُعِيدُ أُغْنِيَّهْ للحُبِّ سِحْرِيَّهْ
فَتَرْقُصُ الأَغْصانْ
أَدَرْتَ أَقْداحَكْ تَزُفُّ لي راحَكْ
فَرُحْتُ سَكْرانْ
تَهُزُّ أعطافي في ظِلِّكَ الضَّافي
للحُسْنِ أَلْوانْ
الرَّوْضَةُ المِئْنافْ والحَوْرُ والصَفْصافْ
وَهَذِهِ الغُزْلانْ
مِنْ خَمْرةِ الثَغْرِ وَخَمْرَةِ النَهْرِ
أَصْبَحْتُ نَشْوانْ
آمَنْتُ بالوَادي ونَهْرِهِ الشَّادِي
وَرِيمِهِ الفَتَّانْ
الشِّعْرُ مَسْدولُ والثَغْرُ مَعْسُولُ
والغُصْنُ رَيَّانْ
وَرُوحِيَ النَشْوى لا تَقْبَلُ الصَحْوَا
لِلصَّحْوِ أَحْيانْ

غـافلْـتُ جُـلاَّسِي مُفَـرِّغَـاً كَاسِـي
لِيَشْـرَبَ الـرَيحْانْ
أَنَحْتَـسِي الخَمْـرَا ونَـرْتَـوِي سُكْـرَا
والـوَرْدُ ظَمْـآنْ
أُضَـفِّـرُ الآسَـا وأَرْشُـفُ الكاسَـا
والكـأْسُ مَـلآنْ
بِحضْـنِ جِنِّيَـةْ هَيْفَـاءَ حُـورِيَّةْ
أَضـاعَهـا رِضْـوانْ
قَبَّلْـتُ خَـدَّيْـها دَغْـدَغْـتُ نَهْدَيْـها
فالبَـدْرُ غَـيرَانْ
والـرَوْضُ يُخْفِينَـا عَـنْ عَـينِ واشِينَا
يـا رَبِّ لاَكَـانْ
وأَنْـتَ يا هدَّارْ تُـرَدِّدُ الاشْعـارْ
رَقِيقَـةَ الأَلْحَـانْ

* * *

(١٩٢٣)

تلك الاقانيم الثلاثة ...

ألقى الشاعر هذه القصيدة في الحفلة التي اقامها المجمع العلمي في الشام لتأبين المنفلوطي (مصر) والألوسي (بغداد) والشاعر في القصيدة يرسم خطوط الوحدة العربية ويتحدى سياسة السياسيين التي تتنكر لهذه الوحدة كما يتحدى الدول الغربية التي تنكر حق العرب وتغتصبه ويتنبأ لها بحرب طاحنة تطيح بسلمها المزيف .

اللَّيْلُ بَعْدَ الراحِلينَ طَوِيلُ
أَو مَا لِصُبْغِكَ يا ظَلامُ نُصُولُ
يَطْوِي الزَمانُ النابغينَ فَتَنْطَوِي
لِذَهابِهِمْ أُمَمٌ وَيَهْلَكُ جِيلُ
وَلَرُبَّ نَعْشٍ غابَ في طَيَّاتِهِ
فَتْحٌ أَغَرُّ وَمَوْطِنٌ وَقَبِيلُ
والنَاسُ أَسْيافٌ فَمِنْهَا مُغْمَدٌ
صَدِئٌ وَمِنْهَا الصارِمُ المَسْلُولُ
والخَطْبُ خَطْبُ النابغينَ فَحَقُّهُ
بِالمَشْرِقَيْنِ تَفَجُّعٌ و عَوِيلُ

* * *

في كُلِّ يومٍ لِلعُروبَةِ كَوْكَبٌ
يَهْوِي وسَيْفٌ يَعْتَرِيهِ فُلولُ
قَبْرٌ بِعاصِمَةِ الرشيدِ وآخَرٌ
في مِصْرَ حَقٌّ ستُورِهِ التَقْبِيلُ

بَـدْرانِ قَـدْ بَكَـرَ الأُفـولُ عَلَيْهمـا
ولَـكُـلِّ بَـدْرٍ مَشْـرِقٌ وأُفـولُ
وَمُشَيَّعـانِ الـى الثَـرى بِـواكِـبٍ
يَـرْتَـدُّ عَنهـا الـطَـرْفُ وَهْـوَ كَلِيـلُ
فِيـهـا رَعِيـلٌ مِـنْ مَـلائِـكَـةِ العُلـى
وَمِـنَ الجُـدودِ الأَكْـرميـنَ رَعِـيلُ
عِيْسـى وأَحْمَـدُ والـكَلِيـمُ وعُصْبَـةٌ
فِيـهـا الأَمِيـنُ المُنْتَقـى جِبْـرِيـلُ
يـا لَلْعُـروبَـةِ : أَيْـنَ نُـوُر نبـوغِهـا
أَلَـزيْـتُ جَـفَّ وأُطْفِـىءَ القِنْـديـلُ
بَغْـدادُ شـاكِيَـةٌ ومِصْـرُ مُـرِنَّـةٌ
والشَـامُ حـاسِـرَةُ القِنـاعِ ثَكُـولُ
تلـكَ الاقـانِيـمُ الثَـلاثَـةَ واحِـدٌ
بَـرَدى الشـآمِ ودِجْلَـةٌ والنِيـلُ
قـالُـوا : السيـاسَـةُ قُلْـتُ : رَغْـمَ دُهـاتِهـا
ظِـلُّ العُـروبَـةِ في الـربـوعِ ظَلِيـلُ
نَسَـبٌ أَغَـرُّ وَذُرْوَةٌ مُضَـرِيَّـةٌ
نَبْـتُ الـرَبيـعِ بِهـا قَنَـاً ونُصُـولُ
وَعَقِيـدَةٌ وَطَنِـيَّةٌ عَرَبِيَّـةٌ
فِيهـا نَصُـولُ على العِدى ونَطُـولُ

هَـذا هُـوَ الحَـقُّ الصُـراحُ فَحَسْبُكُمْ
قَـوْلُ السِيـاسَـةِ كُلُّـهُ تَـدْجيـلُ

* * *

يـا غـاصـبـي حَـقِّ العُـروبـة حَسْبُكُـمْ
مِـنَّـا فُـروعٌ للعُـلاَ وأُصُـولُ
أَسْـهَبْتُـمُ بِـوُعُـودِكُـمْ وأَطَلْتُـمُ
ضِـدّ البَـلاغَـةِ ذلـكَ التَطْـويـلُ
وَرَفَعْتُـمُ المِنْـديـلَ وَهْـيَ خَـدِيـعَةٌ
هُـزِمَ السَـلامُ ومُـزِّقَ المِنْـديـلُ
قَدْ ضَـاعَ في التـأويـلِ صِدْقُ عُهُودِكُمْ
أَلِـكُـلِّ عَهْـدٍ عِنْـدَكُـمْ تَأْوِيـلُ
لا تُنْـكِـروا حَـقَّ الحَيَـاةِ لأُمَّـةٍ
فيـهـا النبـوغُ علـى الحيـاةِ دَلِيـلُ
وَتَـدارَكُـوا هـذا السَـلامَ بِطِبِّـكُـمْ
ودَوائِـكُـمْ إنَّ السَـلامَ عَلِـيـلُ
طَعَنَتْـهُ أَطْمـاعُ السِياسَـةِ طَعْنَـةً
نَفَـذَتْ فَـراحَ السِلْـمُ وَهْـوَ قَتِيـلُ
وَلَقَـدْ جَـزِعْـتُ مِنَ السِيـاسَـةِ، إنَّـها
غُـولٌ وَهَـلْ تَلِـدُ السَلاَمَـةَ غُـولُ
دِيْـنُ السِيـاسَـةِ، جَـاء فيـه مُبَشِّـراً
بالمَشْـرِقَيْـنِ : الجَيْـشُ والأُسْطُـولُ

قُـولوا لِمَـنْ غَصَـبَ القَـويُّ حُقُـوقَـهُ :
أَلسَيْـفُ بـاسْـتِـرْدَادِهِـنَّ كَفِيـلُ
وإذَا تَكَلَّمَـتِ الصَـوارِمُ والقَنـا
سَـكَـتَ الضَـعِيـفُ ولَجْلَـجَ المَكْبُـولُ
وإذا عَـلا صَـوْتُ الضَـعِيـفِ فَـرُبَّمـا
أَخْفَـى صَـداهُ زَمـاجِـرٌ وصَهِيـلُ
وأرى القَـوِيَّ يُطـاعُ غَيْـرَ مُخَـالَفٍ
وَيُخَـالَـفُ القـرآنُ والإنْجيـلُ
أَلشَـرْعُ مـا سَـنَّ القَـوِيُّ بِسَيْفِـهِ
فَلِسَيْـفِـهِ التَحْـرِيـمُ والتَحْلِيـلُ
إنْ قَـالَ ، صَـدَّقَـهُ الـزَمـانُ فَقَوْلُـهُ
وَحـيٌ وَزُورُ حَـدِيثِـهِ تَنْزِيـلُ
والـدَهْـرُ أَعْـدَلُ مَـنْ عَـرفْت حُكومةً
والشـاهِـدُونَ علـى الـزَمـانِ عُـدولُ
دُوَلٌ تَـدُولُ ولا مَـرَدَّ لأَمْـرِهِ
يُحْمَـى الـكِنـاسُ ويُسْـتَبـاحُ الغِيـلُ
وَلَـرُبَّمـا هَـزَّ اللِـواءَ مُظَـفَّرٌ
مـاضِـي العَـزِيمَـةِ أَصْيَـدٌ بُهْلُـولُ
مِـنْ آلِ يَعْـرُبَ لا تَلِيـنُ قَناتُـهُ
أَنِـفٌ أَشَـمُّ وسـاعِـدٌ مَفْتُـولُ

(١٩٢٤) * * *

على اطلال الجزيرة العربية

يبكي الشاعر على اطلال الجزيرة ويستنجد لها بالشام وبغداد ولكن الشام وبغداد من بلائها في شغل ثم يخاطب عصبة الامم التي فرضت انتدابها على ديار العرب فيهدد ويتوعد .

عَفَتِ الدِيَارُ وأَنْكَرَتْ قُصَّادَهَا
حَيَّا الحَيا تِلْكَ الدِيَارَ وَجَادَهَا
أَبْلَتْ بَشَاشَتَهَا الخُطوبُ وأَقْصَدَتْ
فُرْسَانَهَا وَتَخَرَّمَتْ أَجْوادَهَا
وَأَبادَ فِتْيَتَها الزَمانُ وطَالَما
مَرَّ الزَمانُ بِفِتْيَةٍ فَأَبادَهَا
هِيَ حَسْرَةٌ فازْدَدْ وَأَنْتَ أَخو هَوَىً
حَقُّ الوَفَاءِ عَلَيْكَ أَنْ تَزْدَادَهَا
حَيَّيْتَهُنَّ مَنَازِلاً مَهْجُورَةً.
سَبَتِ المَنِيَّةُ هِنْدَهَا وسُعادَهَا
وَحَبَسْتَ فِيهِنَّ المَطِيَّ مُسائِلاً
عَنْ أَهْلِ وُدِّكَ نُؤْيَهَا وَثِمَادَهَا
وَسَكَبْتَ مَا شَاءَ الهَوَى بِطُلُولِهَا
حُمْرَ الدُمُوعِ. أَمَا تَخَافُ نَفَادَهَا ؟
تِلْكَ الدُمُوعُ قَصِيدَةٌ قَدْ جَوَّدَتْ
عَيْنَاكَ يَوْمَ فِراقِهِمْ إِنْشَادَهَا

مِـنْ أَنَّـةِ الثَـكْلَى أَخَـذْتَ رَوِيَّـهَا
وَمِـنَ القُـلـوبِ قَـدِ اسْـتَعَـرْتَ مِدَادَهَـا
جَـاءَتْ مُهَـذَّبَـةَ القَـوافِـي مَا اشْـتَكَـتْ
إِيـطَـاءَهَـا وَزِحَـافَـهَـا وَسِنَـادَهَـا

فإِذا تَلَتْـهـا العَيْـنُ وَهْـيَ نَدِيَّـةٌ
سَـكِـرَ الـزَمَـانُ بِلَحْـنِهـا فأَعـادَهَا
الحُـزْنُ أَرْسَـلَهَـا وَوَقَّـعَ لَحْنَـهَا
واخْتَـارَ فـي شَـوْطِ القَـرِيضِ جِيَـادَهَا

غَـرَّاءُ هَـذَّبَـهـا وأَحْـكَـمَ صُنْـعَهَا
صَـنَـعُ البَيانِ فَأَتْعَبَـتْ نُقَّـادَهَـا
الشِـعْـرُ مَا مَلَـكَ النُـفـوسَ وَهَـزَّهَـا
وَأَثَـارَ ثَـائِـرَهَـا الـكَمِيـنَ وَقَـادَهَا

تَتْلُـو الـطَبِيعَـةُ فـي الصَـبَـاحِ قَصَـائِداً
بَـذَّتْ بِهِـنَّ لَبِيـدَهَـا وَزِيَـادَهَـا
إِنِّـي لَتُـطْـرِبُـنـي الحَمَـامَـةُ أَنْشَـدَتْ
فَـوْقَ الغُـصـونِ فَـرَنَّحَـتْ مَـيَّـادَهَـا

وَيَـهُـزُّنـي لَحْـنُ النَسِيمِ مُقَـبِّـلاً
نَـوْرَ الخَمَائِـلِ لاثِـماً أَوْرادَهَـا
والصُـبْـحُ مَـرَّ على الـرُبَـى بِحَنَانِهِ
فَكَسَـى بِـلُؤْلُـؤِ دَمْعِـهِ أَجْيَـادَهَـا

والمَـوْجُ يَخْـطُـبُ فـي الصُـخُـورِ مُثَرْثِـراً
حَنِـقـاً وَيَنْقِـمُ كِبْـرَهَـا وَعِـنَادَهَا
واللَيْـلُ غَـطَّـى فـي رِدَاءِ سُكُونِـهِ
جِسْـمَ البَسِيطَـةِ شُمَّـهَا وَوِهَـادَهَـا

* * *

يـا نَفْحَـةً حَمَلَتْ اليَّ مِـنَ الرُبَـى
غِـبَّ الـرَبِيـعِ شَقِيقَـهـا وَزُبَـادَهَـا
أُمِّـي الجَـزِيـرةَ واسْـرقـي مِنْ غِيدِهَـا
بَـرْدَ الثُغـورِ علـى الصِبـا وَبُرادَهَـا
مـا للجَـزِيـرَةِ . لا تُفِيـقُ مِنَ الكَـرَى
طَلَـعَ الصَـبَـاحُ فَنَبِّـهِـي آسَـادَهَـا
مَـلَّ الشُـعـوبُ مِنَ الرُقَـادِ وَبَـكِّـرُوا
للطَيِّبَـاتِ فَهَـل تَمَـلُّ رُقَـادَهَـا

بِنْـتُ الغُـزاةِ الفَـاتحيـن تَحَكَّمَـتْ
فيهـا العُـداةُ وأَحْـكَمَـتْ أَصْفـادَهَـا
مَلَـكُـوا عَليهـا الـدِجْلَتَيْـنِ وحَـرَّمُـوا
بَـردَى وَذَادُوا بـالـظُبَـى وُرَّادَهـا
وَكَسَـتْ جُنـودُهُـمُ العَـواصِمَ فـارْتَدَتْ
ثَـوْبَ الحِـدادِ وَوَدَّعَـتْ أَعْيـادَهَـا
يـالَلْعَـواصِمِ خُطَّـةً مَغْـزُوَّةً
مَلَكَ الغَـرِيـبُ بَيـاضَهـا وسَوادَهـا

الـدَهْـرُ فَـلَّ سُيـوفَهـا هِنْـدِيَّـةً
بِيضـاً وحَـطَّـمَ بالقِـراعِ صِعـادَهـا
مَـدَّتْ الى الفَيْحـاءِ كَـفَّ رَجَائِـها
متـروكـةً وتَـرقَّبـتْ إسْعـادَهَـا

مـا أَسْـرَعَ الفَيْحَـبـاءَ ، لـولا أنهَّـا
طَغَـتِ الخـطـوبُ فَـرَّيشَـتْ أنْجَـادهَـا
وشـكـت لِبْغـدادَ الخـطـوبَ ومـا درت
أن الخـطـوبَ تَعـرَّقَـتْ بَغْـدادَهـا

حَبَسـتْ مِيـاهَ الـرافِـدَيْـنِ وَحـلَّأتْ
عَـنْ وِرْدِ دِجْلَـةَ لَخْمَهـا وإيادَهَـا
وَيْـحَ العُـروبِـةِ ! حَلَّمَتْ أحْبابَهَـا
رِيَـبُ الـزمـانِ ونَـزَّقَـتْ حُسَّـادَهَـا

هِيَ جَنَّـةٌ ما ارْتَادَهـا ذُو شِـرَّةٍ
إلاَّ وأطْمـعَ حُسْنُـهـا مُـرْتَـادَهَـا
كَـالـطيـرِ أسْـكَـرَ لَحْنُـهـا صيَّـادَهـا
فَمشـى اليهـا بالـردى واصْطَـادهَـا

ذاكَ الجَمـالُ جَنـى على أبْنائِـها
ظُلْمـاً وجَلَّـلَ بالأذَى أحْفـادَهَـا
وَلَقَـدْ أقـولُ لِغَاصِـبيـنَ مَشَـوْا بِهِا
مَـرَحـاً وأثْقَـلَهـا الشَـقـاءُ وآدهَـا

هِـيَ جُـذْوَةٌ حـاولْتُـمُ إطْفـاءَهـا
والـظُـلْـمُ راحَ مُحـاوِلاً إيقـادَهَـا
أَقْبَلْتُـمُ كـالمُـرشِـديـنَ وسـاءَكُـمْ
بَعْـدَ الـكَـرى أنْ تَسْـتَبِينَ رَشَادَهَـا
قُلْتُـمْ نُـؤَيِّـدُ مِنْعَـةَ اسْتِقْـلالِهـا
لـكنـكُمْ أَيَّـدْتُـمُ اسْتِعْبـادَهَـا
إنَّ الغَـزَالَـةَ لـو ملكتـمْ أمْرَهَـا
لَحَبَسْـتُـمُ عـن جِـلِّـقٍ آرادَهَـا

* * *

يـاعُصْـبـةَ الأُمَـمِ القَـويـةَ . حـاذِري
بـأْسَ الضِـعـافِ وحَـزْمَهـا وكيـادَهَـا
لاتَـأْمـنـي بأسَ الأَعـارِبِ إنَّهُـم
كـادَتْ تُفـارِقُ بيضُـهُـمْ أَغْمـادَهَـا
وكـأَنَّنِـي بالصِيـدِ مِـنْ أُمَـرائِهَا
يَـوْمَ الحَـمِيَّـةِ أَنْـكَـرَتْ أحْقـادَهَـا
وكـأَنَّنـي بـالتَـاجِ أَلَّـفَ شَمْلَـهَـا
نَـظْمـاً ولَـمَّ نَثِيـرَهـا وَبِـدادَهَـا
هَلَّـلْـتُ للنَّشْـرِءِ الجَـديـدِ وَقَـدْ مَشَـى
يَصْـلَـى الحيـاةَ وحَرْبَـهـا وجِهَـادَهَـا
وخَشَـعْـتُ للنَـشءِ الجَـدِيـدِ وقُلْـتُ ذا
جُنْـدُ الشـآمِ فَمَـنْ يُطِيـقُ جِلادَهَـا

حَيَّيْتُ فِيهِ حُمَاتَها أَبْطَالَها
يَومَ النِزالِ كُماتَها قُوَّادَهَا
تِلْكَ المِهارُ ولا أُكابِدُ لَوْعةً
إنْ مُدَّ في عُمْري شَهِدْتُ طِرادَهَا

* * *

(١٩٢٤)

طمع الاقوياء

لا تَلُمْـهُ إذا أَحَـبَّ الشَـآمَـا
طَـابَـتِ الشَـامُ مَـرْبَعَـاً وَمُقَامَـا
مـا رَأَيْنَـا الشَـآمَ إلاَّ رَأَيْنَـا
مَنْـزِلاً طَيِّبَـاً وأَهْـلاً كِرَامَـا
بَـرَدَى والـوُرودُ فـي ضَفَّـتَيْهِ
مُصْـغِياتٌ لِشِـعْـرِهِ والخُزَامَـى
هَـاتِ حَـدِّثْ عَـنِ الشَـآمِ وَحَـدِّثْ
وَأَطِـلْ فـي الحَـدِيـثِ عَنْـهـا الكَلاَمَـا
عَـنْ رُبَـاهـا ، عَـنْ غِيدِهـا سَارِحَـاتٍ
يَتَهـادَيْـنَ فـي الحِـمَـى آرامَـا
مَـا عَرَفْـتُ الغَـرامَ لَـولا رُبَـاهَـا
مِـنْ رُبَـى جِـلِّـقٍ عَرَفْـتُ الغَـرامَـا
مِـنْ أَغَـانِـي طُيـورِهَـا ساجِعَـاتٍ
قَـدْ تَعَلَّمْـتُ هَـذِهِ الانْغَـامَـا
أَعْـطِنِـي فـي رُبُـوعِ جِـلِّـقَ يَـوْمَـاً
يـا خَلِيلِـي وَخُـذْ مِـنَ العُمْـرِ عَـامَـا
وَأَعِـدْ ذِكْـرَهَـا رَحِيقـا مُصَفَّـىً
وَأَدِرْهُ عَـلَـيَّ جَـامَـاً فَجَـامَـا

* * *

يـا بَنِـي أُمٌّ والحَيَـاةُ زِحَـامُ
ذَلَّ واللـهِ مَـنْ يَخَـافُ الزِحَـامَـا

يـا بَنِـي أُمٌّ هَـبَّـةً بَعْدَ نَـوْمٍ
كَشَـفَ الصُـبْـحُ بالضِيَـاءِ الظَـلامَـا

نَظْـرَةً للشُـعـوبِ وَهْـيَ تُحَـيِّـي
بـالاهَـازِيـجِ فَجْـرَهَـا البَسَّـامَـا

أُمَـمٌ تَكْسِـرُ القُيودَ وأُخْـرى
يُرْهِـفُ القَيْـنُ سَيْفَـهَـا الصَمْـصَامَـا

طَالَبَـتْ بالحَيَـاةِ طَعْنـاً وَضَرْبَـاً
بَعْـدَ أَنْ طَالَبَـتْ بِهَـا اِسْتِرْحَـامَـا

لا تَظُـنُّـوا السَـلامَ فـي الارْضِ حَـيّـاً
طَمَـعُ الاقْـوِيَاءِ غَـال السَـلامَـا

طَمَـعٌ لَـوْ أَطـاقَ ـ فاخْشَـوْا أَذاهُ ـ
حَبَـسَ النـورَ عَنْـكُمُ والغَمَـامَـا

لَيْـتَ شِعْـرِي وللسِياسَـةِ دِيـنٌ
يُرْسِـلُ النَـارَ حُجَّـةً والحُسَـامَـا

أَيَعُـدُّونَ قَتْـلَ شَعْـبٍ حَـلالاً
وَيَعُـدُّونَ قَتْـلَ فَـرْدٍ حَـرَامَـا

عَبَـثُـوا بالنِـظَـامِ بَغْيـاً وَقَـالـوا
قَـدْ اتَيْنَـاكُـمُ لِنَحْمِـي النِظَامَـا

حطَّـمـوا المُرْهَفَـاتِ وَهْـيَ رِقَـاقُ
ثُـم شـاؤوا فَحَطَّـمـوا الأَقْـلامَـا
يَـالَشَـكْـوَى تُغِـصُّ دِجْـلَـةَ بالدَمْـعِ
حَنَـانـاً وَتُحْـزِنُ الأَهْـرَامَـا
لَـوْ تَـلاهَـا بِـأَرْضِ يَثْـرِبَ حَـادٍ
أَبْـكَـتِ الـرُكْـنَ والصَـفـا والمَقَـامَـا

* * *

أَيُّـهَـا الاقْـوِيَاءُ لِيـنـاً وَعَطْفَـاً
أَشُـعـوبَـاً تَـرْعَـوْنَهَـا أَمْ سَـوامَـا
فِـي رَمَـادِ الضَـعيـفِ نـارٌ فَمَهْـلاً
ان ظُلْـمَ القَـوِيِّ يُـذْكِـي الضِـرامَـا
أَنـا أَخْشَـى مِـنَ الضَـعيفِ عَلَيْكُـمْ
بَعْـدَ حِيـنٍ تَمَـرُّداً وانْتِقامَـا
أَنـا أَخْشَـى مِـنَ الضَـعيفِ عَلَيْكُـمْ
ثَـوْرَةً تَبْعَـثُ الخُـطـوبَ الجِسـامَـا
ثَـوْرَةً تَهْـدِمُ القُصـورَ وَتَبْنِـي
فَـوْقَهـا الـكُـوخَ عالِيـاً والخِيَـامَـا
ثَوْرَةً تَتْـرِكُ المُتـوَّجَ عَـبْـداً
وأَخَـا الـرق سَيِّـداً قَمْقَـامَـا
شِـدَّةُ البَغْـيِ والاذَى عَلَّـمَتْـهُ
كَيْـفَ يَغْشَـى يَوْمَ الصِـدامِ الصِـدامَـا

أَرْهِـقُـونَـا مـا شِئْتُـمُ واظْلِـمُونَـا
وامْنَعُـونَـا حَتَّـى الـكَـرى والطَّـعَامَـا
واسْلُـبـوا مـا تَرَوْنَـهُ مِـنْ حُطَـامٍ
لَـكُـمُ وَحْـدَكُـمْ جَمَعْـنَـا الحُـطـامَـا
وامْـلأُوا هَـذِهِ السـجـونَ الـى أَنْ
تَشْتَـكـي مِـنْ ضُيوفِـهـا الازْدِحَـامَـا
ثُـمَّ سُومـوا السُـجـودَ كِبْـراً وَتيهـاً
إِذْ تَـمُـرّونَ : شَيْخَـنَـا والغُـلامَـا
واحْـكُمـونـا بالعَـسْـفِ حَتَّـى كَأَنَّـا
قَـدْ مَثَـلْنَـا أَمـامَـكُـمْ أَنْعَـامَـا
لا إِخَـالُ الأَرْواحَ تَكْسِـرُ قَيْـدَ الأَسْـرِ
إِنْ لَـمْ تُعَـذِّبُـوا الأَجْسَـامَـا
يَفْتُـكُ الـظُّلْـمُ بالضَعيفِ وَيُـرْدي
بَعْـدَ حِيـنٍ بِشـؤْمِـهِ الظُـلاَّمَـا

(١٩٢٤)

اهوى الشـآم

القيت في قاعة المجمع العلمي بدمشق

قِـفْ بـالشَـآمِ مُسـائِلاً آثـارَهـا
مَـرْحـى لِـمَـنْ أَمَّ الشـآم وزَارَهَـا
أَهْـوى أَزاهِـرَهـا . أَحِـنُّ لِعَـهْـدِها
أَشـتـاقُ بُلْبُلَهـا ، أُحِـبُّ هَـزارَهـا
قَضَّيْـتُ أَيَّـامـي القِصـار بِظِلِّهـا
جـادَتْ مَـدامِعُ مُقْلَتَـيَّ قِصـارَهـا
أَفْـدي مُهَفْهَفَـةَ القَـوامِ أَسِيـرةً
تَشْـكو القُيـودَ فَمـن يَفُـكُّ إِسَارَهَا
غَـلُّـوا الأُسـودَ الصِيدَ مِنْ أَبْطالِها
فـي الغُـوطَتَيْـن وَحَجَّبُـوا أَقْمـارَهَـا
وكَسَـوْا مَنـاكِبَهـا فـلا أَنْجـادَهـا
تَـرَكُـوا لِقـاطِنِهـا ولا أَغْـوارَهَـا

* * *

هَـذي الشـآمُ فَحَـيِّ لَيْثَ عرِينِهـا
يَـوْمَ النِـزالِ لُبـابَهَـا مُخْتـارهـا[1]
إِنْ كانَ قد هَجَـرَ الشـآم فإِنَّهُ
أَبْـكـى الشـآم وَهَـزَّهَـا وأَثَارَهَـا

(١) يريد به زعيم احرار السوريين الدكتور عبد الرحمن شهبندر وكان في رحلته الى اوروبا واميركا للدفاع عن القضية الوطنية .

حَـــزِنَـــتْ قُبـــورُ الفـاتحِيـــنَ وأَطْلَقَـــتْ
حُمْـــرَ الـــدموعِ وأَرْسَـــلَـــتْ مِدْرَارَهَـــا
وَبَـــكَـــتْ غِيـــاضُ الغُـوطَتَيْـــنِ أمـــا تَرى
أنَّ المَدامِـــعَ بلَّلَـــتْ أَزْهَـــارَهـا
يـــاابْـــنَ الصـــنـاديدِ الأُلـــى قد عَفَّـــروا
هَـــامَ الملـــوكِ ونَـــكَّســـوا جَبَّـارَهـا
أَلْمُوقِـــدي نـــارَ الضِيـافَـةِ أَرْسَلَـــتْ
مِثْـــلَ الجِبـــالِ الـراسيـــاتِ شَـــرَارهـا
مِـنْ كُـلِّ وَضَّـاحِ الجَبيـنِ مُغامِـرٍ
يَغْشَـــى المَعـــامِعَ مُسْـــتَثِيـــراً نـارهَـــا
كأَسُ المَنِيَّـــةِ في فِـرنْـدِ حُسامِـهِ
فـــاذا الْتَقَـــتْ حَلَـــقُ البِطـــانِ أَدَارَهَـــا
قَـــدْ أَرْقَلَـــتْ بِـــكَ فـي الخِضَـــمِّ مَطِيَّـــةٌ
هَـــوْجَـــاءُ مـانَكَـــثَ الخِضَـــمُّ مغَـــارَهـــا
ظَمْأَى تَســـيرُ على الخِضَمِّ مُجَرْجِـراً
سَيْـــرَ الـــذَلُـــولِ ولا تَبُـــلُّ أُوارَهَـــا
فـإذا بَلَغْـتَ الغَـرْبَ وهْـوَ مَمالِـكٌ
بـــالسَـــيْفِ تَـمْنَـــعُ مَـــجْدَهـــا وذِمـــارَهـــا
رَفَعَـــتْ عَلـــى حَـــدِّ السيـــوفِ عُـــروشَهـا
وبَنَـــتْ بأشْـــلاءِ الضِـعـــافِ دِيـــارَهَـــا

* * *

قُـلْ إنْ جَلَسْتَ مُخاطِبا طاغُوتَهـا
ومُحاوِراً فـي بَغْيِـهِ جَـزَّارَهَا
مـا لِلشَّـآمِ نَسيتُـمُ مِيثـاقَـها
وَخَفَـرْتُـمُ بَعْـدَ العُهـودِ جِوَارَهـا
قَـرَّبْتُـمُ للـطَّيِّبـاتِ عَبيـدَهَـا
وَحَـرَمْتُمُ حَـتَّـى الـكَـرى أحْـرارَهَـا
عَـزَّ العَـزاءُفَكَفْـكِفُـوا عَبـراتِـها
وخَـلا النـديُّ فـأطْلِقُـوا أطْيـارَهَـا

* * *

لا تَكْـذِبِ الامـمُ القَـوِيَّـةُ . إنَّهـا
بـاسْـمِ الحَضَـارَةِ ثَقَّفَـتْ خَطَّـارَهـا
ولْتَهْنَـأ الامَـمُ القـويـةُ . إنَّهـا
قـد أدْرَكَـتْ مِمَّـنْ تخُادِعُ ثـارهَـا
قـالـتْ : لقـد بَلَّغْتُـكُـمْ اوطَـارُكـمْ
وَهِـيَ التـي بَلَغَـتْ بِنـا أوْطَارهَـا

بـا عصـبـة[1] الصيد الغـطـاريف الأُلـى
حفـظـوا الجـدود وخـلـدوا آثـارهـا
هـذي سيـوف الفـاتحين من البلـى
قـد صُنْتُـمُ اجفـانهـا وشفـارهـا[2]

(١) رجال المجمع العلمي
(٢) اشارة الى سيف ابي عبيدة الجراح المحفوظ في متحف المجمع

جـــدَّدتـــمُ عهـــد الحفـــاظ لأمـــة
اللـــهُ طهَّـــر خيمهـــا ونجـــارَهـــا
ارجعتـــمُ صُـــوَرَ العـــروبـــة غضـــةً
فكـــأنـــكـــمْ ارجعتـــمُ إعصـــارَهـــا
وبعثتـــم امـــم الجـــزيـــرة بعـــدما
طـــويـــت وحلـــل فـــذكم اطـــوارَهـــا
انـــطقتـــمُ الصُـــوَرَ الجمَـــادَ فخَـــبّرَتْ
عـــن شـــأنهـــا وَروَيْتُـــمُ أَخبـــارَهـــا
وســـللتـــمُ صَمْصـــامَهـــا من غِمـــدِه
متـــألّقـــاً وجلـــوتـــمُ ديـنـــارَهـــا
ورفعتُـــمُ رُكْـــنَ القضيـــةِ عاليـــاً
بجهـــادكـــم وكَشَـــفْتـــمُ اســـرارَهـــا

***

مَـرْحَـى لنـاشِئَـةِ الشـآمِ ومَرْحبـــاً
بـالنَشْـــءِ إنْ عَشَـرَتْ أَقـالَ عِثَـارَهـا
أَلنـاهِضيـنَ لِيَمْنَعُـوا مِيـراثَـها
ويُجَـدِّدُوا عَلْيـاءَهـا وفَخَـارَهَـا
هَـذِي الـربـوعُ سَرَرْتُـمُ غُيَّابَهَـا
بِجِهـادِكُـمْ وحَـرَسْـتُـمُ حُضَّـارَهَـا
أَسْـهَـرتُـمُ جَفْـنَ العَدُوِّ وَرَحْتُـمُ
نُـدْمَـانَ كـلِّ فَضيلَـةٍ سُمَّـارَهَـا

أَرْجَعْتُـــمُ صُـــوَرَ العُـــروبـةِ غَضَّـــةً
فكـأَنَّـكُـــمْ أَرْجَعْتُـــمُ أَعْصـارهَـا

وَرَفَعْتُـــمُ رُكْـــنَ القَضِيَّـــةِ عَـاليـاً
بِجِهـادِكُـمْ وكشـفْتُـــمُ أَسْـــرارَهَـــا

وأَرَى العَـدُوَّ دَعـاكُـمُ أَغْـــرارَهَـا
أَفْـــدِي الـــذيـــنَ دَعـاهُـــمُ أَغْـــرارَهَـا

لا تَقْنَـطُـــوا فَلَقَـدْ غَـرَسْـتُـمْ جَنَّـةً
تَجْـنـــي أَكفُّـكُمُ غَـداً أَثمـــارَهَـا

وخُـــذُوا شِعـارَكُـمُ القِـــلَى لِعِصَـــابـــةٍ
تَخِـذتْ مُـوالاةَ الغَـريـب شِعـارَهَـا

نَسِيَـــتْ عُـروبَتهـا ولـم تَعْشَـقْ بِهـا
مِئْـــافَ جَنَّـــاتِ الحِمـى مِعْطَارَهَـا

أَغْفَـتْ علـى أَعْـــذَارِهـــا ، فَتَـريَّثُـوا
أللـهُ ليْـسَ بِقـابِـلٍ أَعْـذارهَـا

حَسْـــبُ العُـروبـةِ أَنَّـكُـمْ لَبَّيْتُـمُ
يَـوْمَ النِـداءِ وكُنْتُـــمُ أَنْصـارَهَـا

بَـردى أَدارَ عليكُـــمُ صَهْبَـــاءَهُ
وَجَلَـتْ عَـرائِسُـهُ لَكُـــمْ نَـوَّارَهَـا

واخَجْلَتِـــي لِلنـاكِـريـنَ جَمِيلَـها
والثـالِيـنَ مَـعَ العَـدُوِّ غِـرارَهـا

عَـقُّـوا البَنيـنَ ومـا سَمِعْـتُ بِنـاقَةٍ
وَطِئَـتْ على مَهْـدِ الصَـعيـدِ حُـوَارَهَـا

* * *

(١٩٢٤)

فترقبوا الغارات من ايتامها

خَـلُّـوا الشَـآمَ وداميـات كـلامِهـا
لا تهْتِـكُـوا الاسْـتـارَ عَـنْ آلامِهـا
عَـرِبِيَّـةُ الأَنْسـابِ تَطْـرَبُ لِلْـوَغَـى
فـي جـاهِلِيَّتِهَـا وفـي إِسْـلامِهَـا
فـاذا أَرادَ زِمـامَـهـا ذُو قُـوَّةٍ
شَـمَسَـتْ على الباغِـي بِفَضْـلِ زِمـامِهَا
عَطفَـتْ عَلَيْـهِ بالسُيـوفِ كَـأَنَّـهـا
مِـنْ حَـزْمِهـا صِيغَـتْ ومِـنْ إِقْدامِهـا
السُـمْـرُ حَـوْلَ قِبـابِهـا مَـرْكُـوزَةٌ
والبِيـضُ لامِعَـةٌ بِظِـلِّ خِيـامِهَـا
وَلقـد أَرادَ بهـا القـويُّ تَحَكُّمـاً
فَتَنَمَّـرَتْ أَنَفـاً على حُكَّـامِهـا
إِنْ صَـدَّهَـا ذو التـاجِ عَنْ حـاجَاتِهـا
سـأَلَتْـهُ حـاجَتَهـا بِحَـدِّ حُسـامِهـا
أَلغـارَةُ الشـعـواءُ عِيـدُ كُمـاتِهـا
ودَمُ الـطُّلـى المَشْبُـوبُ كَـأْسُ مُدَامِهـا
وَرَأَيْتُهـا ظَمْـأَى الجَـوانِـحِ للعُلَـى
فَعَلَـى الـدَمِ المُهَـراقِ بَلُّ أُوامِهـا
الـرَوضُ مُحْتـاجٌ لِقَـطْـرِ دِمـائِهَـا
يـومَ الحَمِيَّـةِ لا لِقَـطْـرِ غَمـامِهـا

والحَـقُّ تَبْلُغُـهُ بِبَـأْسِ حُمَاتِهَـا
لا بـاسْتِـكَـانتِهَـا ولا اسْتِـرْحَـامِهَـا
البَـأْسُ كلُّ البَـأْسِ في آسَـادِهَـا
والحُسْـنُ كـلُّ الحُسْـنِ في آرَامِهَـا
إنْ كـانَ عِنْـدَكَ كـالأَشَـجِّ فَبـاهِهَـا
أو كـالأَعَـزِّ الـوائِلِـيِّ فَسـامِهَـا
يـا ابْـنَ الشـآمِ ومـا نَظَمْـتُ قَصـائِدي
إلاَّ لِهَـزِّ عِـراقِـهـا وشَـآمِهـا
تَشْـدو الحَمائِـمُ في الشَّـآمِ وإنَّمـا
أَنْغَـامُ هـذا الشِـعْرِ مِـنْ أَنْغـامِهـا
الحُـرُّ يُؤْسَـرُ والحمـائِـمُ حُـرَّةٌ
يا لَيْتَ لِي في الشـامِ حَظَّ حَمَامِهـا
أَلْيـومَ مَعْـرَكَـةُ الحَياةِ فَما الذي
أَعْـدَدْتَ مِـنْ عُدَدٍ لِيَوْمِ صِدامِهَـا
مَـنْ لَيْسَ يَمْنَعُ حَقَّهُ في حَـرْبِهَـا
هَيْهَـاتَ يَمْنَعُ حَقَّـهُ بِسَـلامِهَـا
وإذا تَنَكَّـبْـتَ الـزِحَـامَ فَفَتْـرَةٌ
وَتَخِـرُّ مُنْجَـدِلاً غَـداةَ زِحـامِهَـا
للأَقْـويـاءِ شَـريعَـةٌ مَكْتـوبَـةٌ
بـالسَيْـفِ شِيْـبَ حَـلالُـهـا بِحَرامِهَـا

* * *

أَمُنَـوِّلَ الأُمَـمِ الضـعيـفـةِ حَقَّـها
وَمُـديلَهَـا القَهَّـارَ مِنْ ظُـلاَّمِهـا
فَصْـلُ الخِـطـابِ دَنـا فَأَيِّـدْ أُمَّـةً
لَـمْ تَبْـغِ الا حَقَّـهـا بِقيـامِـهَا
واسْمَـحْ لِنصْـرِكَ أَنْ يُرفـرفَ فَوْقَهـا
ويُطـاوِلَ الجـوزاءَ فـي أَعْـلامِهَـا
يـاربِّ عَلِّمْهـا المَسـيرَ الـى الـردى
بِسـبيلِ عِـزَّتِهـا ونَيْـلِ مَـرامِهَـا
هـذي دِمـاءُ كِـرامِهـا مَطْلـولـةٌ
فـاقْبَـلْ ضَحِيَّـتَهـا دِمـاءَ كِـرامِهَـا
لا تَـرْتَجِـي الا حَيـاةً حُـرَّةً ،
يـا رَبِّ ، أَجْـرَ صَلاتِهـا وصِيـامِهَـا
إنْ لَـمْ تُـرَجِّ الفَـوْزَ قَبْـلَ حِمامِهَـا
فاسْـمَـحْ بِـهِ يـاربِّ بَعْـدَ حِمـامِهَـا
فتـراهُ بَعْـدَ الموت فـي أَرْواحِهـا
إنْ لـم تكن شَهِـدَتْـهُ فـي أَجْسـامِهـا

***

هَيْهـاتَ تَنْخَـذِلُ الشـآمُ وقَـدْ بَدا
أَثَـرُ القِـراعِ على شَبـا صَمْصامِهَـا
وَوراءَ حَـقِّ الغُـوطَتَيـنِ عِصابـةٌ
آسـادُ غـابَتِهـا شُمـوسُ ظَـلامِهَـا

أَلبــاذِلـونَ دِمـاءَهُـمْ يَوْمَ الوَغـــى
والشـائِــرونَ بِهـا علـى أَخْصــامِهَـا
مـا لِـلـذِئـابِ مُـدِلَّـة فـي حَيِّـهـا
أَوَ لا تَخَـافُ الشــرَّ مِـنْ ضِرْغَامِـهَـا
النــارُ خـامِـدَةُ اللهيــبِ فَحـاذِروا
يـا ظـالِـمِـي قَحْــطـانَ مِـنْ إِضْـرامِهَـا
إِنْ تَقْتُـلـوا آبـاءَهـا بِسُيـوفِكُـمْ
فَتــرقَّبــوا الغــاراتِ مِــنْ أَيْتـامِهَـا

* * *

(١٩٢٣)

تحيةَ الشباب

ألقيت في جمعية الشباب العربي في مدرسة اللاييك الفرنسية ببيروت .

غَضُّ الشَبابِ وإنْ تَلِنْ عَذَباتُهُ
خُلِقَتْ لإدْرَاكِ المُنَى عَزَماتُهُ
أللَّهُ أكْبَرُ للشَبابِ صَلِيبَةٌ
للغامِزَاتِ مِنَ الخُطُوبِ قَنَاتُهُ
أللَّهُ أكْبَرُ للشَبابِ جَلالُهُ
مِلءُ العُيونِ وحُسْنُهُ وَسِمَاتُهُ
لا يَجْزَعِ الوَطَنُ المُدِلُّ بِحَقِّهِ
أَلْباسِمونَ مَعَ الشَبابِ حُمَاتُهُ
فِي ذِمَّةِ الفِتْيانِ رَايَةُ مَجْدِهِ
إنَّ الشَبابَ وَفِيَّةٌ ذِمَّاتُهُ

* * *

خَلُّوا الأَنَاةَ وأَسْرِعُوا لِمُنَاكُمُ
عَارُ الشَبابِ العَبْقَرِيِّ أَنَاتُهُ
تَاجُ الجَزِيرَةِ وَهْيَ مَهْدُ جُدودِكُمْ
نَزَلَ القَضاءُ فَنُكِّسَتْ رَاياتُهُ
يَشْكُو وأَنْتُمْ سامِعُونَ فَمالَهُ
لا يُسْتَجَابُ ، وللشَبابِ شَكَاتُهُ

إنِّـي لَتُبْكِينِـي الجَـزِيـرَةُ . مـاوَنَـى
عَنْهـا العَـدُوُّ ولا وَنَـتْ غَـاراتُـهُ
وإذَا الحَـزِيـنُ بَكَـى وَلَـمْ يَـكُ شَـاعِـراً
فـالشِـعْـرُ مـا نَطَقَتْ بِـهِ عَبَـراتُـهُ

* * *

نَفَـحـاتُ لُبْـنـانَ الأَشَـمِّ عَلِيلَـةٌ
وَحِمَـى الجَـزِيـرَةِ عَـذْبَـةٌ نَفَحَـاتُـهُ
تَشْـتَـاقُ نَـاضِـرَةَ الشَـآمِ رِمَـالُـهُ
وَتُحِـبُّ خُضْـرَةَ أَرْزِكُـمْ فَلَواتُـهُ
يَشْـكُو جِـرَاحَتَـهُ إِلـى أَعْـدائِـهِ
أَيْـنَ الشِـفـاءُ وَجـارِحُـوهُ أُسـاتُـهُ
هَيْهـاتَ يَنْجَـحُ فـي القَضِيَّـةِ مُـدَّعٍ
وخُصـومُـهُ يَـوْمَ الحِسـابِ قُضَـاتُهُ

* * *

وَاضيْعَـةَ الـوَطَـنِ الصَـغِيـرِ . تَعَـدَّدَتْ
أَدْيـانُـهُ وَعُـروشُـهُ ولُغَـاتُـهُ
وَلَـرُبَّ مُخْتَـالٍ تَنـاسَـاهُ الـرَّدَى
وَوَدِدْتُ لَـوْ بَكَرَتْ عَـلَـيَّ نُعَـاتُـهُ
صَلَّـى لِتَفْـرِيـقِ الشُـعـوبِ فَبَغَّضَـتْ
عِنْـدِي الـدِيَـانَـةَ والتُقَـى صَـلَواتُـهُ
هَـذا أَسِيـرُكِ يـا مَذَاهِـبُ ملَّـهُ
عَـضُّ القُيـود ، أَلَـمْ يَئِـنْ إِفْـلاتُـهُ ؟

هَيْهَـاتَ بَعْـدَ اليَـوْمِ يَهْـدِمُ مَذْهَـبُ
صَـرْحَ العُـروبَـةِ والشَـبَـابُ بُنـاتُـهُ
إنِّـي عَبَـدْتُ اللَّـهَ ، لا نِيرانُـهُ
سِـرُّ التُقَـى عِنْـدِي ولا جَنَّـاتُـهُ
والعَقْـلُ دَلَّ عَلَـيْهِ لا قُـرْآنُـهُ
فـي آيِـهِ الـكُبْـرى ولا تَـوْرَاتُـهُ
الـدِيـنُ دِيـنُ الحُـبِّ فَهْـوَ عَقِيدَتِـي
وَلَـوَ انَّـهُ فـي الشَـرْقِ قَـلَّ دُعَـاتُـهُ
والأُفْـقُ أَقْـرَأُهُ كِتَـابـاً مُنْـزَلاً
نِعْـمَ الـكِتَـابُ نُجـومُـهُ آيـاتُـهُ
بَيْـتُ العُـروبَـةِ حِيـنَ أَسْـجُـدُ قِبْلَـتِـي
لا طُـورُهُ قَصْـدِي ولا عَرَفَـاتُـهُ
مِنْ بَعْـضِ أَسْـمـاءِ العُـروبَـةِ أَرْزُهُ
يَـوْمَ الفَخَـارِ ونِيـلُـهُ وَفُـراتُـهُ
كالـرَوْضِ مُلْتَـفَّ الخَـمائِـلِ نَـاضِـراً
مـا ضَـرَّهُ لَـوْ نُـوِّعَـتْ زَهَـراتُـهُ

* * *

حَسْـبِـي إذَا ذُكِـرَ القَـرِيـضُ وأَهْـلُـهُ
شِـعْـرُ شَبَـابُ الغُـوطَتَيْـنِ رُواتُـهُ
أَنَـا جَمْـرَةُ الغَمَـراتِ ، مِـلءُ جَـوانِحِـي
هِمَـمُ الشَـبَـابِ تُثِيـرُهـا نَـزَواتُـهُ

سَكِـرُوا وَقَـدْ أَنْشَـدْتُ غُـرَّ قَصـائِدِي
فَهْـيَ الـرَحِيـقُ طَهُـورَةٌ رَشَفَـاتُـهُ
قَالُـوا : الجَـدِيـدُ فَقُلْـتُ : مِـنْ أَنْصَـارِهِ
قَلَـمُ الحَـكِيـمِ وَرِقُّـهُ وَدَوَاتُـهُ
فِيـهِ هَنَـاتٌ لا أَقُـولُ ذَمِيـمَـةٌ
بَعْـضُ المَلاَحَـةِ فـي الجَمـالِ هَنَـاتُـهُ
وَأَرَى القَـدِيـمَ يَحُـولُ عَـنْ حَسَنَاتِـهِ
فَتَضِيـعُ بَيْـنَ ذُنـوبِـهِ ، حَسَنَـاتُـهُ
لاَ تَتْـرُكُـوا المِـرْآةَ غَيْـرَ صَقِيلَـةٍ
الشَعْـبُ رُوحُ شَبَـابِـهِ مِـرْآتُـهُ

(١٩٢٤)

تعالوا نعد الصِّيد

ألقى الشاعر هذه القصيدة في قاعة المجمع العلمي بدمشق في ٣١ ايار سنة ١٩٢٤.

أَهَـذِي مَغـاني جِلِّـقٍ والمَعَـالِـمُ
لَـكَ الخَيْرُ أَمْ هَـلْ أَنْـتَ وَسْـنانُ حـالِمُ
بَلـى هَـذِهِ أُمُّ العَـواصِـمِ جِلِّـقٌ
وَهَـذِي لُـيوثُ الغُـوطَتَيْـنِ الضَـراغِـمُ
هُنَـا عَرْشُ أَقْمَارِ العُلى مِنْ أُمَـيَّـةٍ
هُنَـا ارْتَـكَـزَتْ سُمْـرُ العَـوالِـي اللَّهـادِمُ
هُنـا ابْـنُ أَبِـي سُفْيـانَ أَشْرَقَ تـاجُـهُ
تُـؤَيِّـدُهُ البِيـضُ الـرِقـاقُ الصَـوارِمُ
هُنَـا اليَعْـرُبِيّـونَ الأُلـى عَـزَّ جـارُهُـمْ
فَلَيْـس لَـهُ فـي غُوطَـةِ الشَـامِ هـاضِـمُ
هُنَـا النَفَـرُ البِيـضُ المَيـامِيـنُ ، لِلْعُلَـى
مَـلامِـحُ فـي غُـرَّاتِهِـم وَعَـلائِـمُ
هُنَـا العَـرَبُ الأَنْـجـادُ إِنْ قَـامَ ظَـالِـمٌ
مَشَـوْا بالقَنَـا أَوْ يُـرْجِـعَ الحَـقَّ ظَـالِـمُ
مِـنَ القَـوْمِ مـا زُفَّـتْ لِغَيْـرِ كِرامِهِـمْ
حِسَـانُهُـمُ البِيـضُ الغَـوانِـي الكَـرائِـمُ
إِذَا انْتَسَـبُـوا فـي نُـدْوَةِ المَجْـدِ حَلَّقَـتْ
بِهِـمْ لِلْعُلَـى قَيْـسٌ وَذُهْـلٌ ودارِمُ

* * *

بَنِي الغَرْبِ هاتُوا شاهِداً عِنْدَ زَعْمِكُمْ
بِغَيْرِ دَلِيلٍ لا تَقُومُ المَزاعِمُ
تَعالَوْا نَعُدُّ الصِيدَ مِنَّا وَمِنْكُمُ
فَفِي الناسِ مَقْبولُ الحُكومَةِ عَالِمُ
أَفِيكُمْ لِسَيْفِ اللهِ والحَقِّ خَالِدٌ
إِذَا عُدَّتِ الأَفْذاذُ نِدٌّ مُزاحِمُ
وَهَاتُوا غَداةَ الفَخْرِ أَنْدادَ خَالِدٍ
وَيَحْكُمُ فِيما بَيْنَنَا اليَوْمَ حَاكِمُ
وَهَاتُوا لَنَا أَنْدادَ مُوسى وَطَارِقٍ
لِنَعْرِفَ مَنْ تُخْزِيهِ مِنَّا المَواسِمُ
فَلا تَفْخَرُوا : أَلفَخْرُ للعُرْبِ وَحْدَهُمْ
وللعُرْبِ قَعْساءُ العُلى والمَكارِمُ

* * *

لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي بِجِلِّقَ هَائِمُ
أَجَلْ والهَوَى إِنِّي بِجِلِّقَ هَائِمُ
وَفَيْتُ بِعَهْدِ الغُوطَتَيْنِ وَهَذِهِ
شُهُودِي القَوافِي والدُموعُ السَواجِمُ
وَأَصْفَيْتُ أَبْنَاءَ الشَآمِ مَوَدَّتِي
صَغِيراً وماءُ نِيطَتْ عَلَيَّ التَمائِمُ
إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي صَنادِيدُ جِلِّقٍ
فَأَهْوَنُ شَيءٍ ما تَقُولُ اللَّوائِمُ

إذَا ظَـلَّ مَجْـدُ العُـرْبِ فـي الشَـامِ سَالِـماً
فَمَجْـدُ بَنِـي قَحْطَـانَ فـي الشَـرْقِ سَالِـمُ

* * *

سَلامـاً عَـرُوسَ المَشرِقَيْـنِ ولا مَشَـتْ
بِـظِـلِّ مَغَـانِيكِ الخُـطُـوبُ الغَواشِـمُ
خُـذِي قَلِّـدِي مـا شِئْـتِ جِيـداً وَمِعْصَمـاً
مِـنَ اللُـؤْلُـؤِ الـرَطْـبِ الـذِي أَنـا نـاظِـمُ
سَلِينِـي دَمِـي يـا أُمَّ أَسْفِـكْـهُ راضِيـاً
ومـا أَنـا هَيَّـابٌ ولا أَنـا نَـادِمُ
طَـلاسِـمُ هَـذَا الـذُلِّ دَقَّـتْ وإِنَّمَـا
تُفَـكُّ بِحَـدِّ السَيْـفِ هَـذِي الطَـلاسِـمُ
وللبُـطْـلِ صَـوْلاتٌ على الحَـقِّ جَـمَّـةٌ
وَتُسْـفِـرُ عَـنْ فَـوْزِ المُحِقِّ الخَـواتِـمُ
يَفُـوزُ بِأَوْطـارِ الحَيـاةِ مُـحَـارِبٌ
وَيَرْجِـعُ بالخِـذْلانِ فيهـا مُسـالِـمُ
أَرى النَـاسَ هَـذا ضَـاحِـكٌ مُتَفَـائِـلٌ
غُـروراً ، وهـذَا نـادِبٌ مُتَشَـائِـمُ
فَقُـلْ لِضَـعِيـفٍ رَاح يَسْـأَلُ رَحْـمَـةً
رُوَيْـدَكَ مـا للضُـعْـفِ في النـاسِ راحِـمُ
وَقُـلْ للَّـذِي جَـافى عَلى القُـرْبِ أَهْلَـهُ
رُوَيْـدَكَ تَقْـوى بالخَـوافِـي القَـوادِمُ
(١٩٢٤)

شعاع العيون

حَدِّثِيني عَنِ الهَوى حَدِّثيني
وأَثِيري كَوامِنَ الأَشْجانِ
عَنْ ليالي نُعْمانَ جَادَتْ دُموعي
ما جَفَاهُ الرَبابُ مِنْ نُعْمانِ
عَنْ كُؤوسِ الصِبا تُدارُ عَلَيْنا
والنَدامى نَواعِسُ الأَجْفانِ
يا سُلَيْمىَ : وفي الأَحَاديثِ سَلْوَى
حَدِّثِيني عَمَّا مَضَى حَدِّثِيني

* * *

ذَبُلَتْ هَذِهِ الخَمِيلَةُ حُزْناً
وَسَقَاها مِنَ الرَدى ساقِيها
كَيْفَ تَذْوي غُصونُها ظامِئَاتٍ
وأنا مِنْ مَدامِعي أُرْويها
هِيَ في حَاجةٍ لِعَطْفِ فَتاةٍ
فاذْرُفِي دَمْعَةَ الأَسَى تُحْيِيْها
لا تَضَنِّي بالدَمْعِ يَوْماً عَلَيْها
مِنْ شُروطِ الوفاءِ أَنْ تَبْكِيها
واذْرُنِيهِ شِعْراً وطِيباً وخَمْراً
إنَّ في الدَمْعِ راحَةً للحَزِين

***

قَدْ جَفاها النَسِيمُ مُنْذُ لَيالٍ
آهِ مِمَّا جَنَى عَلَيْها النَسِيمُ
ضَنَّ في لَحْنِهِ الرقيقِ عَلَيْها
بَعْدَ جُودٍ وَقَدْ يَضِنُّ الكَرِيمُ
فاحْمِلِي النايَ واتْبِعِيني إِلَيْها
فَمِنَ البِرِّ أَنْ يُواسَى الكَلِيمُ
أَسْمِعيها صَوْتَ المَلائِكِ يُرْجِعْ
زَهْوَها صَوْتُكِ النَدِيُّ الرَخِيمُ
وَأَعِيدي لَحْنَ الرَبيعِ فَفِيهِ
ما تَمَنَّتْهُ مِنْ هَوَىً وحَنِينِ

***

ذَرَفَتْ دَمْعَها سُليمى فأَحْيَتْ
ذابِلاتِ الغُصونِ والأَوْراقِ
وتَغَنَّتْ أَلْحانَها فأَثارَتْ
كامِناتِ الشُجونِ والاشْواقِ
زَيَّنَتْ عاطِلَ الخَمِيلَةِ جُوداً
بِلآلٍ تَجْرِي مِنَ الآماقِ
وأَعادَتْ عَهْدَ الرَبيعِ إِلَيْها
مُذْ سَقَتْها بالَمدْمَعِ الرَقْراقِ
وَحَبَتْها مِنْ عِطْرِها نَفَحاتٍ
تُسْكِرُ الطَيْرَ وهْيَ فَوْقَ الغُصونِ

* * *

عـاطِفـاتُ الحَنـانِ فـي صَـدْرِ سَلْمَـى
كَـرَّمَ اللـهُ هـذهِ العـاطِفَـاتِ
أيُّ شِعْـرٍ لَـمْ يَسْتَـكِنْ للقَـوافِـي
مُحْـزِنٍ فـي دُمـوعِهـا الجارِيـاتِ
أيُّ شِعْـرٍ لَـمْ يَسْتَـكِـنْ للقَـوافِي
مُـرْقِـصٍ فـي أَلْحـانِهـا المُسْكِـراتِ
مـا أَشَـدَّ الـظَـلامَ لَـوْلا شُعَـاعُ
يُـرْسِلُ النـورَ فـي عُيـونِ الفَتـاةِ
يـا شُعَـاعَ العُيـونِ وَطْفـاءَ نُجْـلاً
أَنْـتَ فـي ظُلْمَـةِ الأَسـى تَهْدِينِـي

* * *

يـا شُعـاع العُيـونِ فِيـكَ قَـرَأْنَـا
سِـرَّ هَـذِي الحَيـاةِ وَهْـوَ دَقِيـقُ
نِعْمَـةُ اللـهِ أَنْـتَ فِي الـكَوْنِ لَوْلاكَ
لَعَـمَّ الـوُجـودَ حُـزْنٌ وَضِيـقُ
فِـي لَيـالـي الهُمـومِ تُرْسِـلُ نُـوراً
بِـدْعَـةَ العِـطْـرِ والهَـوى فَنُفِيـقُ
خَـالِـقُ الـكَـوْنِ قَـدْ بَـراكَ عَـزاءً
لِيُـداوِي آلامَـهُ المَخْلُـوقُ
مـا عَشِـقْنـا الحَيـاة وَهْـيَ شَقَـاءُ
النـاسِ لَوْلاكَ يـا شُعَـاعَ العُيـونِ

دَمْعَـــةٌ مِـــنْ لِحـــاظِ هَيْفَـــاءَ خَـــوْدٍ
تَخْلُـــقُ العَـــطْفَ فـــي قُلـــوبِ القُســـاةِ

بَسْـــمَـــةٌ فـــي الحَيـــاةِ مِـــنْ شَفَتَيْهـــا
تَبْعَـــثُ النُـــورَ فـــي ظَـــلامِ الحَيـــاةِ

لَمْسَـــةٌ مِـــنْ بَنَـــانِهـــا وَهْـــوَ رَخْـــصٌ
بَـــرْدُ تِلْـــكَ الجِـــوانِـــحِ الظَّامِئـــاتِ

نَفْحَـــةٌ مِـــنْ نُهُـــودِهـــا ســـرُّ مـــا
نَتَشَـــقُ بَيْـــنَ الـــرُبـــى مِـــنَ النَفَحَـــاتِ

هِـــيَ سِـــرُّ الحَيـــاةِ . انْشـــودَةُ اللـــهِ
شِـــفَـــاءُ الـــداءِ العَصِـــيِّ الكَمِيـــنِ

***

أَنـــا أَهـــوى بِـــلا رَجَـــاءٍ ومـــا
حَـــالُ مُحِـــبٍّ يَهْـــوَى بِغَيْـــرِ رَجَـــاءِ

بـائِـــسٌ يـا ابْنَـــةَ الصَبـــاحِ شَقِـــيٌّ
كَفْـــكِفـــي مِـــنْ مَـــدامِـــعِ البُـــؤَســـاءِ

وارْحَمِينـــي فَفِـــي غَـــدٍ يَهَـــبُ اللهُ
ضِيـــاءً لأَوْجُـــهِ الرُحَمَـــاءِ

وَهَبِينـــي خَمِيلَـــةً جُـــدْتِ مـــا
جـــدتِ عَلَيْهـــا بالنُـــورِ والأَنْـــداءِ

أنـا أَشْـقَـى مِنْهـا وأَظْمـأ رُوحـاً
أَسْـعِـدِينـي فالعَـدْلُ أَنْ تُسْعِـدِينـي

* * *

ذا اعْتِـرافـي أَمـامَ كاهِنَـةِ الحُـبِّ
فَهَـلْ يَغْفِـرُ الخطـايـا اعْتِـرافـي
لإلَـهِ الهَـوى صَلاتِـي ونسْكِـي
وَحَـوالَـيْ بَيْـتِ الغَـرامِ طَوافِـي
هَيْكَـلُ الحُـبِّ طـافَ فيـه جُـدودي
وَجَـثَـتْ حَـوْلَ رُكْنِـهِ أَسْـلافِـي
أنـا راضٍ بِنَـظْـرَةٍ أَوْ بِوَعْـدٍ
مِنْكِ لِلعِـلَّـةِ الـكَمِيـنَـةِ شـافِـي
فَعِـدِينِـي ولا تَبَـرِّي فَحَسْبِـي
مِـنْ نَعِيـمِ الحَيـاةِ أَنْ تَعِـدِينـي

* * *

(١٩٢٤)

دموع ودموع

غَنِّ يا بُلْبُلُ فَوْقَ الدَوْحِ غَنِّ
أَنْتَ أَوْلى بالهَوى والشِعْرِ مِنِّي

لَكَ سِحْرٌ مِثْلُ سِحْرِي عَجَبٌ
أَترى عِنْدَكَ حُزْناً مِثْلَ حُزْنِي

فَتَرَنَّمْ بِأَناشِيدِ الهَوَى
ناعِماً ما شِئْتَ مِنْ غُصْنٍ لِغُصْنِ

وَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَبْكِي شَاعِرٌ
ضَاع ما بَيْنَ صُدودٍ وَتَجَنِّ

إِنَّما الدُنْيا وفِي أَمْثَالِها
عِبَرُ الدُنْيا وأَصْدَاءُ التَمَنِّي

غَارَةٌ لَمْ أَتَهَيَّبْ جَمْرَهَا
فَنَبَا سَيْفِي وَلَمْ يَسْلَم مِجَنِّي

رُبَّ دَهْيَاءَ أَنَاخَتْ بالحِمَى
ـ غَابَ حامِيهِ ـ وخَطْبٍ مُرْجَحِنِّ

بَيْنَ سَمْعٍ وَعِيَانٍ ، لَيْتَنِي
لا تَرَى عَيْنِي ولا تَسْمَعُ أُذْنِي

ما عَلى لَحْنِي وَقَدْ أَرْسَلْتُهُ
يُلْهِبُ الدُنْيا على الغَاصِبِ لَحْنِي

فإذَا لَـمْ أَسْتَـثِـرْهَـا هِمَمَـاً
لا وَرَى زَنْـدِي ولا ظَلَّـلَ رُكْنِـي

* * *

غَـنِّ يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوْحِ غَـنِّ
أَنْـتَ أَوْلَـى بالهَـوى والشِـعْـرِ مِنِّـي
لَسْـتَ تَـدْرِي الهَـمَّ بالـدُنْيَـا فَخُـذْ
أَيُّهَـا الطَيْـرُ دُروسَ الهَـمِّ عَنِّـي

* * *

تَـاجُ هَـارونَ خَبَـا لأْلاَؤُهُ
فَبَـكَـتْ دِجْلَـةُ حُزْنـاً والفُـرَاتْ
وَذُرَى الـزَهْـرَاءِ خَـرَّتْ بَعْـدَمَـا
طَـاوَلَـتْ زُهْـرَ النُجـومِ النَيِّـرَاتْ
وَبَنُـو مَـرْوانَ وَلَّـوا وانْـطَـوَوا
وَتَخَلَّـوا عَـنْ مُتـونِ الصَـافِنَـاتْ
قُـلْ لِجَيْـشِ الـرُومِ مـاذَا تَتَّـقِـي
طَـاحَ رَيْـبُ الـدَهْـرِ غَـدْراً بالغُـزَاةْ
لا بَنُـو العَبَّـاسِ فـي زَحْـمِ الوغَـى
لا ولا أبنـاءُ حَمْـدَانَ الأُبَـاةْ
عُقِلَـتْ بَيْـنَ خِـيَـامِ المُنْحَـنـى
والفُـراتيْـنِ عِـتَـاقُ السـابِقَـاتْ

وَهِـيَ الاسْيـافُ فـي أَغْمـادِهَـا
صَـدِئَتْ يـا وَيْلَـتي للمُـرْهَفَـاتْ !

* * *

غَـنِّ يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوحِ غَـنِّ
أَنْـتَ أَوْلـى بالهَـوى والشِـعْرِ مِنِّـي
لَسْـتَ تَـدْرِي الهَـمَّ بالـدُنْيا فَخُـذْ
أَيُّهـا الطَيْـرُ دُروسَ الهَـمِّ عَنِّـي

* * *

قِـفْ عَلـى اليَـرْمُـوكِ واخْشَـعْ باكِـياً
وَتَيَـمَّـمْ مِـنْ صَعيـدِ القـادسِـيَّـهْ
تُـرْبَـةٌ طِيبَـةٌ طَـاهِـرَةٌ
وقُبـورٌ مِـنْ حَيَـا الـدَمْعِ رَوِّ ـهْ
هـا هُنـا مَثْـوىَ الصَـنـادِيدِ الأُلـى
قَـدْ لَـوَوْا قَسْـراً عِنَـانَ الجَاهِلِيَّـهْ
دَوَّخُـوا الـرُومَ وَثَـلُّـوا عَرْشَـها
وَطَـوَوْا خُمْـرَ البُـنـودِ الفارِسِيَّـهْ
وَقَضَـوْا بَيْـنَ العَـوالي والظُبَـى
هَـكَـذا تَقْـضِي الأُسـودُ العَـرَبِيَّـهْ
فامْسَـحِ الأَحْجَـارَ والْثَـمْـهُ ثَـرىً
طَـاهِـرَاً واعْقِـرْ على القَبْـرِ المَطِـيَّهْ

يـا قُـبـوراً مُحِيَـتْ وانْدَثَـرَتْ
أنْـتِ نِبْـراسُ الهُـدى والوَطَنِـيَّـهْ
لَـكِ مِـنْ دَمْعِـي إذَا ضَـنَّ الحَيَـا
دِيَمَـةٌ تَبْكِـي وَوَطْفَـاءُ رَوِيَّـهْ

* * *

غَـنِّ يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوْحِ غَـنِّ
أنْـتَ أَوْلـى بالهَـوى والشِّـعْـرِ مِنِّـي
لَسْتَ تَـدْرِي الهَـمَّ بالـدُنْيـا فَخُـذْ
أيُّـها الطَيْـرُ دروسَ الهَـمِّ عَنِّـي

* * *

قَـدْ رأوْا لَيْـلايَ تُـذْرِي دَمْعَهَـا
كَـرّم اللـهُ الـدُمـوعَ الطـاهِـرهْ
حَـرَسَ اللـهُ جُفـونـاً عَطَّـرَتْ
بـالنَـدى تِلْـكَ الخُـدودَ الناضِـرَهْ
كَفْـكِفـي دَمْعَـكِ لا يَشْهَـدُهُ
نـاظِـرٌ حتـى النُجـومُ الزاهِـرَهْ
إنَّ لـي يـا ابْنَـةَ وُدِّي هِمَّـةً
تَخْضُـدُ الخَـطْـبَ وَنفسـاً ثَائِـرَهْ
وأرانِـي فِـي غَـدٍ مُقْتَحِمـاً
مُسْتَـظِـلاً بالسيُـوفِ البَاتِـرَهْ

مُلْقِيـاً نَفْسِـيَ فـي غَمْرَتِهَـا
كَيْفَمَـا دَارَتْ هُنَـاكَ الدَائِـرَهْ
فإِذَا مِـتُّ غَرِيـبـاً نَـائِيـاً
وأَنـا فـي التِسْعِ بَعْـدَ العاشِـرَهْ
أُذْكُرِينِـي واحْفَـظِـي عَهْـدَ الهَـوى
وانْـدُبِـي شُـؤْمَ الجُـدودِ العَـاثِـرَهْ
لَسْـتُ تاللَّـهِ مُحِـبَّـاً غَـادِراً
لا تَكُونِـي بَعْـدَ مَـوْتِـي غَـادِرَهْ

* * *

غَـنِّ يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوْحِ غَـنّ
أَنْـتَ أَوْلـى بالهَـوى والشِـعْـرِ مِنِّـي
لَسْـتَ تَدْرِي الهَـمَّ بالـدُنْيـا فَخُـذْ
أَيُّهـا الطَيْـرُ دُروسَ الهَـمَّ عَنِّـي

(١٩٢٥)

أنا وهي

أَقْبَـلَ اللَّيْـلُ فَقُـومِـي وانْثُـرِي
فَـوْقَ هَـذا الـرَوْضِ مِـنْ وَجْهِـكِ نُـورَا
واقْطِفِـي لِـي وَرْدَةً قَبَّلَهـا
لُـؤْلُـؤُ الصُـبْـحِ نَظِيـما ونَثِيـرَا
وامْـلأي كَـأْسَـكِ لِـي مِـنْ رِيقَـةٍ
تُسْـكِرُ الأَرْواحَ طِيـبـا وعَبِيـرَا
وَرْدُ خَـدَّيْكِ نَضِيـرٌ مُسْـتَحٍ
فَـدَعِينـي أَلْـثِـمُ الـوَرْدَ النَضِيـرا
طَـهَّـرَ الحُـبُّ فُـؤَادي فَغَـدا
كَفُـؤَادِ الطِـفْـلِ يـا مَـيُّ طَـهُورا
عَمَـرَ النَفْـسَ شُـعُـوراً بالأَسَـى
والأَسَـى يَخْـلُقُ فـي النَفْـسِ الشُعُـورا

* * *

إمْـلأي المِصْـبـاحَ زَيْتـاً واتْرُكـي
لِعَبِيـدِ الـوَهْـمِ نُـورَ الكَهْـرَبَـاءْ
وَتَغَنَّـيْ بأَنـاشِيـدِ الهَـوى
تُسْـكِـرُ الأَرْواحَ أَلْحَـانُ الغِنَـاءْ
وارْفَعِـي للأُفْـقِ عَيْنَيْـكِ تَـرَيْ
أَيَّ حُسْـنٍ وَجَـلالٍ فـي السَمَـاءْ

كُوخُنَا يا مَيُّ في هَذِي الرُبَى
لا تُسَامِيهِ قُصُورُ الأُمَرَاءْ
قَدْ أَمِنَّا قُوَّةَ النَاسِ بِهِ
أَيُّ كَسْبٍ عِنْدَنا للأَقْوِيَاءْ
ضُعَفَاءٌ نَحْنُ يا مَيُّ وذَا
كُلُّ ما نَمْلِكُ كَفُّ الضُعَفَاءْ

* * *

إِسْمَعِي أَخْبَارَ جَنَّاتِ الرُبَى
وَدَعِينا مِنْ أَحَادِيثِ البَشَرْ
بُلْبُلِي اليَوْمَ حَزِينٌ صَامِتُ
لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ إِلْفٍ قَدْ ذَكَرْ
والرَياحِينُ زَهَتْ وابْتَسَمَتْ
حِينَما غَازَلَهَا جَفْنُ المَطَرْ
ذَلِكَ الدَّوْحُ الذِي ظَلَّلَنَا
دَاعَبَتْهُ الرِيحُ لَيْلاً فانْتَثَرْ
أَشْرَقَ الصُبْحُ عَلى زَهْرِ الرُبَى
نَاثِراً لُؤْلُؤَهُ فِيما نَثَرْ
فاقْطُفِي ما شِئْتِ مِنْها وارْفَعِي
فَوْقَ ذَا المَفْرِقِ تِيجَانَ الزهَرْ

* * *

لا تَقُولِي : قُصَّ أَنْبَاءَ السُّوَرَى
حَسْبُنَا أَنْبَاءُ هَذِي الزَّهَرَاتْ
وارْبَإِي بالسَّمْعِ عَنْ أَخْبَارِهِمْ
إِنَّهَا تُدْمِي قُلُوبَ الفَتَيَاتْ
أُمَّةٌ تَقْتُلُ ظُلْمَاً أُخْتَهَا
وَغَنِيٌّ مُسْتَبِدٌّ بالعُفَاةْ
وَدِمَاءٌ خَضَّبَتْ وَجْهَ الثَّرَى
وَدُمُوعٌ كالغَوادِي جَارِيَاتْ
وَشُعُوبٌ بَاكِيَاتٌ تَشْتَكِي
عَنَتَ الأَسْرِ وأُخْرَى ضَاحِكَاتْ
وَحَيَاةٌ كُلُّ ما فِيهَا أَذَىً
لا سَقَى عَهْدُ الحَيَا هَذِي الحَيَاةْ

* * *

إِسْمَعِي : لَنْ تَسْمَعِي فِي أَرْضِهِمْ
غَيْرَ أَصْوَاتِ عَوِيلٍ وَبُكَاءْ
وَالِدٌ يَبْكِي ابْنَهُ أَوْدَتْ بِهِ
فِي الوَغَى أَطْمَاعُ قَوْمٍ أَقْوِيَاءْ
وَرُؤُومٌ فَقَدَتْ وَاحِدَهَا
فَتَعَزَّتْ فِيهِ عَنْ حُسْنِ العَزَاءْ
ضَحِكَاتُ الأَقْوِيَاءِ ارْتَفَعَتْ
وَعَلا بالنَّوْحِ صَوْتُ الضُّعَفَاءْ

أَفْسَـدُوا المَـاءَ علـى شَـارِبِـهِ
فَغَـدَا حَسْـرَةَ أَكْبَـادٍ ظِمَـــاءْ
كَيْـفَ يَـرْوِي غُلَّـةَ الصَـادِي وَقَـدْ
مَـزَجُـوهُ بِشَـآبِيـبِ الدِمَـــاءْ

***

مَـيُّ : عَفْـواً مـا لِعَيْنَيْـكِ وَهَـى
فِيهِمَـا سِلْـكُ الـلآَلِـي فانْفَـرَطْ
أَنَـا أَحْـزَنْتُـكِ يـا مَـيُّ فَـهَلْ
يَغْفِـرُ الـرَحْمَـنُ لِـيْ هَـذا الشَطَـطْ
إِحْسـبينـي كَـاذِبَـاً وابْتَسِمِـي
وَدَعِينِـي أَرْتَشِـفْ هَـذِي النُقَـطْ
أَدمُـعٌ طَـاهِـرَةٌ ، ذَوْبُ النَـدَى
فَـوْقَ أَكْمَـامِ الأَزاهِيـرِ سَقَـطْ
لا رَعَـى اللَّـهُ قَـوِيًّـا فَاتِحَـاً
المَنَـايَا ناشِـطَـاتٌ مَـا نَشَـطْ
أَنَّـتِ الثَـكْـلى فَوَلَّـى ضَـاحِكـاً
وَرَأَى الأَسْيَـافَ تَـدْمَـى فاغْتَبَـطْ

* * *

كَفْـكِفـي دَمْعَـكِ يـا مَـيُّ فَقَـدْ
جَـرَحَـتْ قَلْبِـيَ هَـذِي الأَدْمُـعُ
وَتَنَـاسَـيْ عَالَـمَ الشَـرِّ فَمَـا
فِـي هُـدَى هَـذِي البَـرايَا مَطْمَـعُ

واتْـرُكـي القَصْـرَ مَنِيعـاً عَالِيَـاً
حَسْـبُنَـا هَـذا الفَضَـاءُ البَـلْقَـعُ
واقْنَعِـي : أَشْـقَـى البَـرايَـا طَامِـعٌ
سَـادِرٌ فِـي غَـيِّهِ لا يَقْنَـعُ
تَحْتَ أَغْصَـانِ الـدَوالـي بالرُبَـى
هَيْكَـلُ الحُـبِّ الـطَهُـورُ الأَرْفَـعُ
هَيْكَـلُ الحُـبِّ الـذي أَجْثُـو بِـهِ
خاشِعَـاً : مَـا حُـبُّ مَـنْ لا يَخْشَـعُ ؟

* * *

هَـا هُنَـا فـي الـرَوْضِ والـرَوْضُ شَـذَىً
نِيعَـةُ اللَّـهِ تَضُـمُّ المُـؤْمِنِينَـا
فَـالْبَسِـي الإِكْلِيـلَ يـا مَـيُّ فَقَـدْ
أَشْـرَقَ الصُـبْـحُ على الـدُنْيَـا مُبِينَـا
حَفْـلَـةُ العُـرْسِ وَمِـنْ زَهْـرِ الـرُبَـى
قَـدْ دَعَـوْنَـا يـا ابْنَـةَ الخَـيرِ مِئِينَـا
وَطُيـورُ الـرَوْضِ يـا فـاتِنَتِـي
قَـدْ أَقَمْنـاهَـا مقـامَ المنشـدينـا
أَقْبَـلَ البُلْبُـلُ فاجْثِـي واخْشَعِـي
واتْـرُكـي الازْهـارَ يَلْثِمْـنَ الجَبِينَـا
يـا لَـهُ مِـنْ مُؤْمِـنٍ يَمْنَحُنَـا
بَرَكَـاتِ الأَتْقِيَـاءِ الصَـالِحِينَـا
(١٩٢٥)

تحية وفاء *

إلى أخي ميخائيل إليان

إن تهتف الشام : ميخائيل : أنجدها
كأنه قدر يُحْمَى به القدَر
اذا الوجوه عنت لليأس حالكة
أضاء في وجهك الايمان والظفَر
عففت عن قدرة عصماء باذخةٍ
وربّما عفَّ أقوام وما قدروا
صعب الشكيمة والأعناق مسلسة
قاسٍ من الحق لكن لستَ تنكسرُ
لك الشمائل من نور ومن كرم
لها على النجم ذيل مترف عَطِر
رأيٌ كأن بنات الغيب تعشقه
فعنده السر والأطياف والصور
وجرأة في العلى والحق لوجَبهت
ليثا تبرأ منه الناب والظُفر
زينتَها بوسيم جل مبدعه
من الحياء فلا زهوّ ولا بطر

---

* الناشر : وردت هذه القصيدة متأخرة .

ومـا اسـتبـاح عـرين الحق طاغية
إلاّ وصـرح عـن أنيـابـه النَّمِـر
ولـم تهـادن قويـاً فـي تحكمـه
ولا غـدرتَ وشـر النـاس من غـدروا
اذا تـأرج ذكـر منـك أو نبـأ
تهلَّـلـت حلـب الشـهبـاء تنتظـر
أنـت اللبـانـة فـي نجـوى ضمـائـرها
وفيـك عطَّـرَ جـوَّ السـامـر السَّمَـر
أصـفيتـك الحب لا منـّا ولا كـدراً
ومـن هَنَـاتِ المحب المـن والكـدر
ومـا اصـطفيتُك عـن خـوف ولا ملـقٍ
ولا لأنـي إلـى نعمـاك أفتقـر
لكـن وفـآء لنعمـى منـك سابقـةٍ
وأنـك الـكنـز للأوطـان يـدخـر
وبلبـل الـدوح يـرضيـه بأيكتـه
سـرَّ الجمـال . ويُـرضـي غيـرَه الثمـر

٣٠ - ٦ - ٥٨